المنار

١٣١٥

ثم جاءى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

بقية الملكة منهاه ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر ـ سلخ المحرم ١٣٣٠ هـ ق ـ ٢٩ الشتاء الأول ١٢٩١ هـ ش ٢ يناير ١٩١٢ م ﴾

فاتحة المجلد الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم وانت ولي الحمد ، والهادي الى سبيل الرشد ، ولك الأمر من قبل ومن بعد ، لكل شيء عندك قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل اجل كتاب . يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

ونصلي ونسلم على محمد نبيك المصطفى ، ورسولك المجتبى ، الذي ارسلته كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وداعياالى الله باذنه وسراجا منيراً ، وآتيته

الحكمة وفصل الخطاب ، وأنزلت في محكم الكتاب (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

(وبعد) ، فقد دخل المنار في هذا العام في السنة الخامسة عشرة من عمره وهي سن بلوغ الحلم الغالب في الانسان ، وبدء الرشد في عرف شريعة الاسلام ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا فيه رشدنا ، ويبلغنا قصدنا ، وينفعنا بما نطلبه في هذه الفواتح من نصح الناصحين ، ونقد الناقدين ، ومن آيات الفوز والرشاد ، أن وفقنا عز شأنه للشروع على رأس هذه السنة في تنفيذ نظام مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي نرجو أن تكون خير ما انشيء في البلاد ، لاصلاح ما استشرى من الفساد ،

قطع المنار هذا الطور الاول من حياته وحده ، فدرج درجان الطفل غادر مهده ، الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ، ولا أعانه وزير ، ولا أمده غني كبير ، اللهم الا ان مصطفى رياض باشا (تغمده الله برحمته) وكان نسيج وحده في كبراء هذه البلاد ، في اعانة الصحف ومساعدة أرباب الاقلام ، وكذا سائر مايعتقد نفعه من الاعمال ، ارسل الي مرة قيمة الاشتراك مضاعفة اضعافا ، فقلت لرسوله اني لاأقبل من أحد مالا لامقابل له مني ، فعاد اليه بها فاشترك بعد ذلك بعشر نسخ من المنار ثم جعلها خمس عشرة نسخة ، وجعلها نجله محمود باشا من الباقيات الصالحات له ، وانني أعظم كما يعلم كثير من الناس ، أن المنار لو صدر على عهد وزارة رياض ، للإ ن مساعدته بنفوذه ، أضعاف مالقي من مقاومة غيره ، فانه كان مغرما به ، كثير الذكر له والثناء عليه في مجالسه ، وكان مثل هذا أمرا مفعولا في عهد وزارته ،

واذا كان رياض باشا قد حسن قوله في المنار وعمله ، فالي لا أذكر بالخير من حسن قوله ونيته بذلك ابرهيم باشا فؤاد الذي كان ناظر المعارف رحمه الله تعالى ، كان يرى ان المنار أنفع الصحف للمسلمين ، ويود لو يعم انتشاره بين طلاب العلوم وجميع الطبقات ، وقد سمعت منه منذ السنة الاولى مايدل على رأيه هذا ، واخبرني بمثل ذلك عنه احمد فتحي زغلول باشا ، وقال انه ذاكره في وضع مشروع لتوزيع المنار على طلاب العلم والفقراء من القراء بثمن قليل جدا لا يثقل على أحد منهم او جعل ثمنه قليلا لكل قارئ بجمع مال بالاكتتاب يرصد لذلك . فكر رحمه الله تعالى في ذلك وقدر ، وذاكر وشاور ، ثم لم يعمل شيئا ، فجزاه الله على نيته خيرا

اشرت في فواتح السنين الماضية الى ما كان يلقي المنار من المقاومة والمعارضة ، والمناصبة والمناهضة ، وذكرت في بعضها شيئاً من تاريخه الاصلاحي والسياسي ، وأحببت ان أذكر في فاتحة هذه السنة ما فيه العبرة من تاريخه المالي ، إذ يظن بعض الناس أنه أصاب كفلا من المساعدة والامداد ، المعتاد مثله في هذه البلاد ، فلم أجد فيه الا ما ذكرته لرياض باشا من قول وعمل ، ولابراهيم باشا فؤاد من قول ونية ، ورياض باشا هو الذي اخذ بأيدي أصحاب الصحف الكبرى بمصر في أيام وزارته ، سواء كانوا من نصارى السوريين ، أو القبط أو المسلمين ، فهو صاحب الفضل الأول على الاهرام والمقتطف وجريدتي الوطن فالمؤيد ، ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذة إرادته ، المسموعة كلمته ، المطاع أمره واشارته ، الطويل باعه المبسوطة يده ، فمساعدته للمنار لا تقرن بمساعدته لتلك الصحف ، وانما أقول هذا مزيداً في تكبيره في نفسه ، وتميزه

بين ابناء جنسه ، لا لتصغير معروفه والتقصير في شكره

لعله لولا مثل تلك الموازرة لما نبتت تلك الصحف في أرضنا نباتاً حسناً ، ولما استغلظ ناتها واستوى على سوقه ، ولما أينعت ثمرتها وآتت اكلها ، ذلك بأن الجهل وضعف الاخلاق وفساد نظام الاجتماع جعل بلادنا كالأرض السبخة ، لا تنمو فيها شجرة العلم الا بعناية خاصة من الخاصة ، وها نحن أولاء قد تعودنا قراءة الصحف اليومية عشرات من السنين ، وصرنا نعدها من حاجات الحضارة والمدنية ، ولكن هيأتنا الاجتماعية لا تزال قاصرة او مقصرة في القيام بما يجب من حقها ، لما ذكرنا من ضعف النفوس ومرض الاخلاق فيها ، حتى إن كثيرين من رجال الطبقة العالية فينا كالمدرسين والمؤلفين والقضاة يعطلون ويسوفون فيما يجب عليهم من اشتراك الجريدة او المجلة ، ومنهم من يهضم هذا الحق ويستحل أكله . ومن الوقائع القريبة في ذلك أن بعض المعروفين بشرف النسب والثروة والعلم والتأليف قال لوكيل المجلة بعد ان ارجأه طويلا انني لا ادفع قيمة الاشتراك لانني من العلماء ! ! فاذا كان أكل اموال الناس بالباطل ، مما يجهر به الشريف الغني العالم ، ويعده من ثمرات العلم ومزايا العلماء ، فممن تنتظر الوفاء ؟ دع التعاون على المصالح العامة والاصلاح ، لا أقول تقطعت من هذه الأمة جميع اسباب الوفاء والتعاون ، وانبتت سائر حبال التكافل والتضامن ، وانما أقول ان ذلك قد قل فيها وضعف ، على نحو ما اصف ، وكان من أثره ضياع ملكها ، وهو ان امرها ، وهذا ما نعني بعلاجه ، ونسعى لتلافيه ، ووالله لو كان هذا المنار يراد للكسب ، لما بلغ سن الرشد ، الخير والكمال للمرء ان يعمل باستقلاله ، وان لا يكون لأحد

عليه فضل ولا منة ، بأن لا يأخذ منه مالا بغير مقابل ولا جزاء لمنفعته الخاصة ، وان كان يستعين به على المصلحة العامة ، وأما قبول المال لانفاقه في صالح الاعمال ، فهو لا ينافي الفضيلة والكمال ، كأن يشترك مريد الاعانة المالية للصحف الدورية ، او الكتب العلمية ، بنسخ من الكتاب ، توزع على من شاء هو أو شاء المؤلف من القراء ، كما قبلنا اشتراك المرحوم رياض باشا بخمس عشرة نسخة من المنار ، واشتراك ذلك المحسن المستتر في العام الماضي بست نسخ منه ، واشتراك (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) في مدينة (لاهور) بمئة نسخة من كل جزء يصدر من تفسير المنار ، توزع على خطباء المساجد في بعض الاقطار ، وكان اقترح علينا هذا الفاضل ان يجعل لنا راتبا شهريا مدة الاشتغال باتمام التفسير ، بشرط اتمامه في زمن قريب ، فلم نقبل هذا منه ، لانه جزاء على عمل نعمله لله عز وجل ، لا ترويج له كالاشتراك ، ولنا بذلك اسوة بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه الصديق الاكبر ، فقد ورد أن ابا بكر رضي الله عنه قد انفق جميع ماله في سبيل الله ورسوله ، وورد ان النبي (ص) لم يقبل منه الراحلة يوم الهجرة الا بثمنها ، وورد أن أبا بكر لم يسأل النبي (ص) لنفسه شيئاً قط ، وانما قبل النبي (ص) ماله لانفاقه في نشر دعوة الاسلام لا لنفسه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتاج الى النفقة على أهله احيانا فيقترض من اليهود ، وكان يجزي على الهدية ، ولا يقبل الصدقة ألبتة ، لان الله كرمه بتحريمها عليه وعلى أهل بيته ليكونوا قدوة للناس بعزة النفس ورفعتها

تلك هي الفضيلة وذلك هو الكمال ، ولمثل هذا هدانا الاسلام ، ولكن العمل بما دون هذه الدرجة العليا من الكمال الاسلامي صار عسرا

جدا لقلة المواتي والمشارك فيه ، والمعين عليه ، وأما ارتقاء تلك الدرجة ، بل العروج الى تلك الذروة ، فأوشك ان يكون من خوارق العادات ، التي قد ينالها بعض أهل العزلة والانفراد ، دون أصحاب الاعمال العامة التي تصلح بها أحوال الناس ،

علمنا من كتاب الله تعالى ومن الاختبار المصدق له ، أن الناس ازواج ثلاثة في كل شأن ، كما كانوا في كتاب الله عز وجل « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » وانما تسعد الامم وتشقى بحسب النسبة العددية في كثرة هذه الازواج وقلتها . فالامة التي يكثر فيها الظالمون لانفسهم [1] بترك مايجب عليهم ، ويقل المقتصدون ، الذين هم للحقوق يؤدون ، فلا يلوون ولا يعطلون ، ويندر أو يفقد السابقون بالخيرات ، الذين لا يقفون عند حدود اداء الواجبات ، بل يزيدون عليها ماشاء الله من النوافل والتبرعات ، وينهضون بالمصالح العامة ، ويقومون بالمنافع المشتركة ، فتلك هي الامة التي يتهدم بناء مجدها ، ويزول عزها وملكها ، وتصير مستعبدة لغيرها ، وتخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

وأما الامة التي يقل فيها الظالمون ، ويكثر فيها المقتصدون ، ويكون زعماؤها والقائمون بمصالحها ، من السابقين بالخيرات ، المتعاونين على أتم الأعمال ، فتلك هي الامة التي ترث الارض ، وتستمتع بنعمة السيادة

---

(١) ان الذي يمنع الحق الذي عليه للناس يكون أشد ظلما لنفسه ممن يمنع حق الله ، لان الله لا يغفر له حقوق عباده ، ولانه يكون قدوة سيئة ومغريا لغيره بظلمه

والملك ، وتتسابق مع من يشاركها في صفاتها الى غايات المجد المؤثل . ويكون السبق للامثل فالامثل

نحن ولا كفران لله من المتخلفين المقصرين ، وقد سبقتنا الامم كلها بعد أن كنا نحن المقتصدين والسابقين ، والظالمون لانفسهم وامتهم فريقان : فريق يجهلون عنه ماجهلوا أو تركوا من هدي الدين ، وهو ما عمل به سلفهم فكانوا هم الامة الوارثين ، ويحاولون ان يقطعوا هذه الامة أمما ، ويسلكوا بها الى المدنية طرائق قددا ، وهم ماعرفوا حقيقة المدنية الفاضلة وكنهها ، ولا مايصلح للمسلمين ويتفق مع طبائعهم منها ، ولكنهم في طلب قشورها مقلدون ، هذا تركي يقول يجب ان تكون السيادة والسلطة للترك ، وهذا عربي يقول اذا لم تكن المساواة فالعرب أولى بالملك ، وهذا مصري يقول مصريون قبل كل شيء ، وهذا فارسي يقول اننا فارسيون قبل كل شيء ، والامم الظالمة من ورائهم تقول أنكم مسودون قبل كل شيء ، ومستعبدون بعد كل شيء ، لانكم لستم شيء ، فأولئك هم المتفرنجون ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون)

ومن دونهم في الجناية على الامة ، واطالة اجل الغمة ، فريق آخرون ، لايسيرون بالناس ولا يدعونهم يسيرون ، وهؤلاء هم الذين يدعون أهل الجمود ، الذين رزئوا بالخمول او القنوط ، ويتذرون بقرب الساعة وفساد الزمان ، وخروج الاصلاح من محيط الامكان ، وفسوق أرباب الملك والسلطان ، وانك لتجدهم على مالبسوا من ثياب الدين ، أذلة على المفسدين والظالمين ، أعزة على الصالحين المصلحين ، فهم يجذبون الامة من ورائها

لتصبر على المكث في جحر الضب ، كلما جذبها أولئك من أمامها لتخرج الى باحة الفسق ، يضيعون على الامة دنياها ، ويعجزون ان يحفظوا عليها دينها ، ذلك بأنهم في دينهم من المقلدين ، فلا يستطيعون إقامة حجته على المستقلين ، ولا دفع الشبهات التي ترد عليه من المعارضين ، وقد وعد الله بنصر من ينصره وما هم بمنصورين ، وكتب الغلب لحزبه وما هم بغالبين ، ونراهم قد غلب عليهم الذل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

هذه حالنا التي ننذر امتنا سوء مغبتها في كل عام ، فيتمارون بالنذر ويتبارون في الآثام ، ويزدادون في التفرق والانقسام ، الى ان شعروا بزوال ملكهم في هذه الايام ، صكت سمعهم صيحة سقوط الدولتين اللتين لهم في الشرق والغرب ، وتلتها صيحة الدولة العلية وهي في مكان القلب ، فعسى ان يكون الوقر قد زال من اسماعهم ، والغشاوة قد انقشعت عن ابصارهم ، والرين قد انكشف عن قلوبهم ، وأن يدركوا بعد هذا كله أن المصلحين فيهم هم الامة الوسط ، التي تجمع بين مطالب الروح والجسد ، وتقيم امر الدنيا والدين ، كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب ، الذي يزداد أهله نموا في الارض ، وقد وفقهم الله في عام الرشد لتأسيس دار الدعوة والارشاد ، وستفتح ابوابها لجميع المسلمين من جميع العناصر والبلاد ، ويتلو لسان الحال على رؤوس الاشهاد ، (ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد * فستذكرون ما أقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد)

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني
ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر

ذكرى الهجرة النبوية الشريفة

﴿ وجعلها تاريخا عاما للبشر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر ، هذا هلال العام الجديد عام ١٣٣٠ للهجرة النبوية الشريفة . هذا هو الهلال الذي يذكرنا في كل سنة بذلك النور الذي كان خفيا في مكة المكرمة ، فأشرق بالهجرة في المدينة المنورة ، ثم امتد منها الى جميع أرجاء العالم ، فدخل به العالم الانساني في عصر جديد ، فكان تاريخا للانسانية جديدا

الله أكبر ، هذا هو الهلال الذي يذكرنا في فاتحة العام ، بذلك الاصلاح العام ، الذي جاء به الاسلام ، فاستفاد منه جميع الانام ، ثم حالت الاحوال ، فصار حظ المسلمين من سعادته دون حظ غيرهم ، حتى آل أمرهم في العام الذي ودعناه الى مايعرفه كل أحد ، من وقوع خطر وتوقع خطر ، فعسى ان يكون حظ هلالنا السياسي الاجتماعي في هذا العام الجديد خيرا منه فيما قبله ، ولا يكون كذلك الا بالرجوع الى تلك الهداية العليا : هداية التوحيد والاعتصام ، بعد الشقاق والخصام ، « ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ريحكم » وبالسير على سنن الله في خلقه « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا » وبتغيير ما بأنفسنا من الاخلاق والافكار ، التي خالفنا فيها سلفنا الاخيار « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دخل العالم بالهجرة النبوية في عصر جديد لم يسبق له نظير في التاريخ فكان جديرا بأن يكون تاريخا للبشر كافة ، لا للمسلمين خاصة ،

قضى الاسلام قضاءه المبرم على الوثنية التي أذلت البشر واستعبدتهم للملوك المستبدين ، والرؤساء الروحانيين ، ولمظاهر الطبيعة وما يمثلها في الهيا كل من الاصنام والاوثان ، وقرر حرية الاعتقاد والوجدان ، والاجتهاد الاستقلالي في العقائد والاعمال ، والشورى في السياسة والاحكام ، وأبطل امتيازات الانساب والاجناس ، التي كان يستعلي بها الناس على الناس ، بغير علم نافع ، ولا عمل رافع ، وجعل قاعدة الانسانية العامة قوله عز وجل « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

هذا درس عام في حقوق الانسانية العامة ، علمه الاسلام لجميع البشر بالقول والفعل ، فاستفادوا منه بقدر استعدادهم في كل عصر من الاعصار ، فاذا كانت العرب قد سبقت غيرها الى الاستفادة منه لانه ألقي بلغتها وظهر فيها ، فأزالت ظلم الرومان وغيرهم من المتغلبين القاهرين للانسانية ، وأحيت العلوم والمعارف ، وأنشأت جنات المدنية في الشرق والغرب ، فغرب لاحق ببذ السابق ، كما رأينا الشعوب الافرنجية قد أخذت المدنية عن أجدادنا أهل الاندلس وغيرهم وبرزت علينا فيها ،

فكل هذا مما يجب أن يذكرنا به تاريخ الهجرة فنعلم ان البشر لو انصفوا لجعلوه التاريخ العام لهم

كان البشر قبل الاسلام متقاطعين ليس بينهم صلة عامة ، وكانت المدنية تظهر في قطر من أقطارهم ثم تختفي وتزول قبل أن تتصل بسائر الاقطار ، بل كانت الاديان ذات السلطان الاعلى على البشر تشرع وتنسخ فلا يمر زمن قليل الا ويذهب أصلها وينقطع سندها ، وما اتصلت حلقات سلسلة العلم الالهي والبشري ، وسلسلة المدنية والاعمال البشرية ، الا بهذا الانقلاب الاسلامي الذي جدد تاريخ البشر ، فصار جميع ما يؤلف في بغداد وسمرقند وخراسان وغيرها من مدن الشرق ، ينسخ ويقرأ في عصر مؤلفيه بقرطبة وغرناطة وسائر مدن الاندلس في أقصى الغرب ، (واحكم على العكس بحكم الطرد) فبهذا كانت الهجرة أجدر حوادث الكون بأن تكون مبدأ تاريخ عام للبشر ـ كذلك أشرعت منذ ذلك العصر ، طرق التجارة بين الخافقين في البر والبحر ، وصار يتحقق بالتدريج ما هدى القرآن البشر اليه من حكمة التعارف بين الشعوب والقبائل ، الذي يمهد السبيل الى الاخوة الانسانية العامة . ولولا ذلك الروح الالهي الذي بثه الاسلام في الناس ، لما تيسرت لهم تلك المواصلة في ذلك العهد الذي لم تكن تعرف فيه الكهرباء ولا البخار ، وانما كانت همة المسلمين نائبة عن قوى الطبيعة التي عرف منها تلاميذهم من بعدهم ، ما كانوا أعدوا عدته ومهدوا طريقه لهم ، فكما سرت جميع شعوب المدنية في ذلك وغيره على طريقهم ، كان ينبغي ان يشاركوهم في تاريخهم ،

أحيا المسلمين ما كان أماته الزمان من علوم اليونان ، فاذا هي علوم

أكثرها نظري وأقلها عملي ، وكان من هداية الاسلام لهم ان يقرنوا العلم بالعمل ، فكانوا هم الذين وضعوا قواعد التجربة والعمل للعلوم الطبيعية ، فجعلوا الكيمياء الخرافية كيمياء عملية ، وعلى هذه القاعدة بنى تلاميذهم الافرنج علومهم التي قامت بها المدنية الحديثة ، فبهذا كان الاسلام فاتحة عصر جديد ايضاً ، وكان تاريخ الهجرة الشريفة جديراً بأن يكون تاريخاً عاماً للبشر كلهم

ان فيما شرعه الاسلام من الهجرة تربية عالية للبشر ، الذين قرن الله تكريمهم في كتابه بتعظيم شأن السفر ، فقال « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر » فالهجرة عبارة عن فرار الانسان بحريته في فكره ووجدانه وعمله من الارض التي يُضطهد فيها ويُظلم ، الى الارض التي يكون فيها حراً عزيزاً

قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ولما اشتد ايذاء المشركين للمؤمنين في مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة ، وعلل ذلك بان ملكها النجاشي لا يظلم عنده أحد ، فثبت بالكتاب والسنة ان الهجرة قد شرعت لتكريم البشر ، وتعظيم شأن الحرية ، واباء الظلم والذل والضعف ، وقد كان المسلمون أعز الناس وأكرمهم نفوساً ، وأشدهم اباء للذل والظلم ، عندما كانوا عالمين باسرار هذا الاصلاح الذي جاء به دينهم عاملين به ، ثم سرى هذا الاباء والعز منهم الى غيرهم ، بعد ما ضعف فيهم ، فكان خيره عاماً منتشراً في البشر ، فما أجدر الهجرة الشريفة بأن تكون تاريخاً عاماً لهم

أشرق نور النبي صلى الله عليه وسلم على مدينة يثرب عند دخول الشمس في برج الميزان أول الاعتدال الخريفي، (٢٣ سبتمبر) فكان ذلك اشارة الى ماندخل فيه العالم من عصر العدل والاعتدال، فكان ينبغي للمسلمين أن يجعلوا ذلك مبدأ للتاريخ الشمسي للهجرة الشريفة عند حاجتهم اليه لاجل المعاملات المالية ، كما جعلوا التاريخ القمري للمعاملات الدينية ، فاذا كنا قد دخلنا اليوم في عام ١٣٣٠ الهجري القمري فقد دخلنا منذ ثلاثة أشهر في عام ١٢٩٠ الهجري الشمسي ، فهل لمصر أن تكون السابقة الى استعمال هذا التاريخ الشمسي، كما كانت هي السابقة للعالم الاسلامي كله الى الاحتفال بذكرى التاريخ القمري ، بعد ان كاد ينسى فيها باستعمال التاريخ الافرنجي الذي أخذناه عن الافرنج في هذا العصر وما كنا لترجيحه على تاريخنا محتاجين.

لولا ان انحلت روابطنا ، وسحقت مرائرنا ، لما استبدلنا بتاريخنا تاريخ غيرنا ، ولقد كان يوم تقرير الحكومة المصرية جعل التاريخ الافرنجي رسميا يوم فرح وسرور في أوربة ، لان ماتقلد به أمة أمة في أمر من الامور المالية العامة يكون دليلا على ضعف المقلدين « بكسر اللام » وعلو شأن المقلدين « بفتح اللام » ومقدمة لاستيلاء المتبوع على التابع والسيطرة عليه

يقول المقلدون منا انه لابد لنا من التاريخ الشمسي وان التاريخ الافرنجي قد اشتهر فهو أولى من احياء تاريخ الهجرة الشمسي الذي لا يفهمه أحد . وكذلك ينصح بعض الناس للدولة العثمانية أن تختار هذا التاريخ في معاملاتها المالية والرسمية . وهذه حجة الضعيف في استقلاله الشخصي والملي . ويرد هذا بأن الاستعمال يجيء بالشهرة ويجعل المجهول

معروفا ، فقد كان بدء جعل الميلاد أساسا للتاريخ في سنة ٤٦٤ هجرية ولم يكن مشهورا ولا معروفا ، ثم ظهر لهم الخطأ فيه فحرروه وصححوه ولا يزال مبنيا على خطأ استقر رأي الاكثرين فيه على قاعدة « الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور » فما هو الموجب لترك ماعندنا من الصواب وتقليد غيرنا في الخطأ ؟ وتاريخنا أحق بالتعميم وأجدر ، وتقدم المرجوح في الزمن لايجعله راجحا ، فالقدم أمر نسبي كما قال الشاعر :

ان ذاك القديم كان حديثا وسيبقى هذا الحديث قديما

لا يكفي في تعظيم الهجرة واحياء ذكرى تاريخها أن نحتفل في هذا اليوم بالقاء الخطب ، وانشاد القصائد ، وانشاء المقالات في الجرائد ، وانما يجب علينا تعظيمها بالعبرة والعمل ، والمقابلة بين ماضينا وحاضرنا ، لا لاجل التلذذ بذكر الماضي الجميل ، والفرور بما مضى وانقضى من ذلك التاريخ المجيد ، ولا لاجل الشكوى من الضعف العتيد ، واليأس من المستقبل القريب أو البعيد ، بل لاجل أن نتذكر ونتدبر ، فنعلم أنه لا يصلح آخرنا ، الا بما صلح به أولنا ، كما قال أحد أئمة العلم من سلفنا ، وان في تاريخ الهجرة من ضروب العبرة ، وآيات الحكمة ، لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد

نودع عاما ونستقبل عاما فلا تطوى صحف عامنا الغابر على عمل يذكر ، ولا ينشر في صحف العام الحاضر مشروع للامة يشكر ، الا مايرى في بعض البلاد من الحركة الضعيفة ، ودروج كدروج الاطفال وراء الشعوب القوية ، التي تسير امامنا بقوة البخار والكهرباء ، فتسبق الاراقم على الارض والطيور في الهواء ، واننا لنرى حولنا في كل عام فتنا كقطع الليل المظلم ،

كلما غشيتنا قطعة منها وجمنا وتألمنا ، وصحنا ونحنا ، فاذا هي انجلت عنا كما كنا . لانحسب لما بعدها حسابا ، ولا نعمل لها عملا ، أرضينا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)

كلا انا الى ربنا تائبون ، ولما هدانا اليه من الجمع بين العلم والعمل متوجهون ، ربنا تبشرنا الحوادث ، والى هذا تدعونا بل تدعثنا الكوارث ، ورب مصيبة أفادت عبرة ، خير من نعمة أحدثت غرورا وفترة ، وانا نهنئ اخواننا المسلمين على رأس هذا العام ، بما تجدد لهم من شعور الاخوة العام ، ونبشرهم بأن جامعة الدعوة والارشاد قررت تنفيذ نظام مدرستها الكلية (دار الدعوة والارشاد) من غرة هذا الشهر فاتحة العام الهجري المبارك ان شاء الله تعالى ، وسينشر هذا النظام في الجرائد فيرون فيه أنه هو الضالة التي ينشدها المصلحون ، والرغيبة التي ينتظرها المحسنون « لمثل هذا فليعمل العاملون »

ناظر دار الدعوة والارشاد

محمد رشيد رضا

علاوة للمقالة

كتبت هذه المقالة في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ في ادارة المؤيد اذ كلفت ثمة ان اكتب مقالة افتتاحية لعدد المؤيد الذي يطبع في ذلك اليوم ويصدر في صبيحة المحرم افتتاح سنة ١٣٣٠ اوليلتها — كتبتها على عجل ومر تبو حروف المؤيد يأخذون مني كل ورقة قبل ان يجف حبرها ،

ويستعجلوني بما بعدها ، فلم يسمح ضيق الوقت واستعجال العمل بشرح مسألة احياء التاريخ الهجري الشمسي والتوسع فيها ، لهذا رأيت ان أجعل لها هذه العلاوة الآن ، وأطبعها على حدتها وفي المنار ،

من اختبر احوال المسلمين في هذا العصر يرى في اخلاقهم وأحوالهم تناقضاً عجيباً اذ يراهم من اشد خلق الله غيرة على دينهم وحرصاً على جامعتهم الاسلامية ، ومن اشد خلق الله تهاونا واهمالاً في أمر دينهم ، وعدم المبالاة والاكثرات بما يحفظ جامعتهم ويقوي رابطتهم ، واذا بحث في اختلاف الوجوه بين هذه الامور المتناقضة يرى شواهد كثيرة تدل على أن ماذكرنا من حرص السواد الاعظم وغيرتهم محصورة في حب استبقاء الموجود ، واما تهاونهم واهمالهم وعدم مبالاتهم فلا تحصر في تركهم السعي لاسترداد ما فقدوا من علم وعمل ، ونور وهدى ، ومجد تليد ، وسيادة قديمة ، بل تتناول مع هذا ضعف الهمة في طلب المجد الطريف ، وعدم العناية في البناء والتجديد ،

لو كان هذا التفصيل الذي يدل عليه الاختبار ، ويثبته التمحيص والاعتبار ، عامًّا شاملا لجميع المعروفين من أهل الرأي والعمل من المسلمين (على قلتهم) لكان دليلا على ان المسلمين يموتون موتاً طبيعياً ، وان اعداءهم لا يحتاجون الى ادنى سعي في الاجهاز عليهم ، ومبادرة ما يخشونه من يقظتهم وانتباههم ، لأن اخص صفات الاحياء الذين يزدادون حياة وقوة هو أن يطلبوا ما يمد حياتهم وينميها ، وأخص صفات الموجودات المشرفة على الموت والفناء أن تنحل وتنقص يوما بعد يوماً فتألم لما ينقص منها ، ولا تطمع في زيادة تمد حياتها ولا تطلبها

نرى بعض الشعوب تحيا بعد موت فتجدد ما كان اندرس من مقوماتها ومشخصاتها ، كاليونان والارمن على تفرقهم ، والقبط على قلتهم ، ونرى المسلمين على كثرتهم ، واتصال أقطارهم ، قد صاروا طعمة لكل آكل ، ونهبة لكل طامع ، واكثرهم راضون بسوء حالهم فيه ، ومنهم من يطلب تغييره بالانسلاخ من ماضيه ، والاندغام في شعب غريب لا يرتضيه ، وهؤلاء هم الذين يسمون أنفسهم المجددين ، وطلاب المجد والحضارة ، ومكوني الوطنية ، وخالقي الشعور بالحياة المدنية ، والحق انهم شر من الراضين بما وصلنا اليه من الضعف والخمول ، لأن هؤلاء الخاملين قد رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيرا الا انها مما يسمونه « الموت صبرا » وأما المقلدون الذين رضوا بانحلال رابطتهم الملية ، وعفاء مقوماتهم ومشخصاتهم الموروثة ، وانتحال جنسية لغوية او وطنية جديدة ، لا اضطلاع لهم بها ، وليسوا الا مقلدين في انتحالها ، فانما رضوا ان يخصوا أنفسهم ، وينحروا أمتهم ، ويجعلوها غذاء لأعدائهم

هنالك حزب ثالث وسط بين ذينك الحزبين ، وهم حزب الله المفلحون إن شاء الله ، الذين يطلبون المجد الطريف ، ليكون متحداً بالمجد التليد ، الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة بهم ، لا بانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم لتظهر خواصه ومزاياه في أكمل ما يمكن ان يكون عليه ، لا تحويله ولا تمويهه بما ليس منه ،

إن ما يُرى من ظواهر الحياة على حزب الجمود انما هو الدماء الباقي

لهم من الحياة القديمة ، وان ما يرى من اعراض الحياة على حزب التقليد انما هو صناعي مستعار من الامم الغربية ، والدماء لا يلبث أن يزول ، والمستعار مهما طال زمنه مردود ، وأما حزب الوسط فهم شهداء على الفريقين ، ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم ، والرجاء كما قلنا متعلق بهم أو محصور فيهم ، وهم المخاطبون بإقناع أهل الاخلاص باحياء ما اندرس من السنن ؛ وسن ما يعد من النافع الحسن ، عملا بقول النبي (ص) « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء » وقد سن عمر بن الخطاب (رض) — وافقه المسلمون كافة — سنة التاريخ بالهجرة في الحساب القمري ، ثم اشتدت الحاجة الى إحياء التأريخ بها في الحساب الشمسي ، فما لنا لا نستعمل كلا التاريخين ، وقد هدانا الله تعالى في كتابه ونظام خليقته الى الحسابين « الشمس والقمر بحسبان »

انا نرى اهل الملل كافة والنصارى منهم خاصة يحافظون على تواريخهم الملية ولا يكادون يستعملون معها غيرها ، حتى انا نراهم ينقلون الشيء عن غيرهم كالمسلمين ويكون فيه تاريخ بعض الوقائع والحوادث فيحولونه في أثناء النقل الى تاريخهم حتى لا يفكر قراء ما يكتبونه او يقولونه — ولو نقلا — في غير ما هو لهم .

بل نرى الملايين من الروم الارثوذكس لا يتركون ما اعتادوا من الغلط في تاريخ الميلاد الذي يعبرون عنه بالحساب الشرقي ، ونرى القبط يقدمون تاريخهم الخاص بهم الذي يسمونه تاريخ الشهداء على تاريخ الميلاد العام بين أهل ملتهم ، ولو تركوا تاريخ الشهداء الى تاريخ المسيح الذي يقولون انه رب الشهداء والهم لم يكونوا قد تركوا شيئا من

شؤونهم المليـة الى ماليس منها . فما بالنا نحن المسلمين نرغب عن تاريخنا الذي هو أجدر جميع التواريخ بالتعميم الى تواريخ الاغيار من الروم والافرنج والقبط وغيرهم ؟ ان ديننا يهدينا الى أن نكون أئمة متبوعين، فلماذا ذللنا حتى رضينا ان نكون مقلدين تابعين ، ونحن نرى الذين جعلناهم أئمة لنا يسخرون منا ويدعوننا متعصبين

الا ان من الذل والخسف الذي سنته الحكومة المصرية ما نراه في كثير من أوراقها الرسمية واعداد البيوت والمركبات وغير ذلك من تشريف الكلم والارقام الافرنجية على مثلها العربي ، فاما ان تجعل ما يكتب بالافرنجي هو الاعلى واما ان تجعله هو الايمن ، ومن طمس التفرنج نور بصيرته ، او طبع الذل على قلبه ، فعدّ هـذا مما لا يبالي به ، ولا يؤبه له ، يقال له اذاً كيف اهتم به سادتك الافرنج ونفذوه في بلادك ؟ وأنّى ينفع القول ، ومن هان عليه الذل في الامر الصغير ، لا يأبى حمله في الامر الكبير ، وقد قلت في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه هان عليه الذل من حيث اتى

اذا اردنا ان نحيا فعلينا ان نهتم بكل ما نحفظ به مقوماتنا ومشخصاتنا المليّة الموروثة ، وان نقتبس كل ما نراه نافعاً من حضارة هذا العصر ، بهذه النية وهذا القصد ، وان نهتم بالصغير والكبير من ذلك على السواء ، وان نجتهد لنكون رءوساً لا اذنابا ، وأئمة لا أتباعا ، وما دمنا لا نستغني عن التاريخ الشمسي في معاملتنا المالية ونحوها ، فلا مندوحة لنا عن جعله هجريا كالتاريخ القمري في المعاملات الدينية

اذا اردنا ان نسنّ هذه السنة الحسنة فالطريق قد أشرع ، والحساب

قد وضع ، فقد صنف أحمد مختار باشا الغازي كتابا فيه سماه (اصلاح التقويم) وطبع بالعربية والتركية سنة ١٣٠٧ تكلم فيه عن تواريخ الامم والشعوب المشهورة وبين وجه الحاجة الى العمل بالتاريخ الهجري الشمسي وضع له جدولا مطولا بين فيه السنين الشمسية الهجرية مع المقارنة بينها وبين السنين القمرية والسنين الشمسية الميلادية من ابتداء السنة الشمسية الهجرية الاولى الى سنة ١٥٩١ التي توافق آخر سنة ١٦٣٩ القمرية وسنة ٢٢١٢ الميلادية وقد استحسن ان تسمى الشهور بما هو نص في الدلالة على المسمى في تحديد الفصول ، فالسنة الهجرية الشمسية تبتدئ من أول الخريف فتسمى شهورها هكذا : الخريف الأول ، الخريف الثاني ، الخريف الثالث ، الشتاء الأول الشتاء الثاني الشتاء الثالث ، الخ . وسمى الربيع بهارا وهو لفظ تركي — وذكر وجها ثانيا نذكر بقية الشهور به وهو : أول الربيع ، اوسط الربيع ، آخر الربيع ، اول الصيف ، آخر الصيف ، أوسط الصيف . ويمكن ان يقال الربيع الادنى ، الربيع الاوسط ، الربيع الاقصى وهكذا ، ولعل هذا هو الاولى ، واي التعبيرات اختير فكل من سمع اسم الشهر يفهم معناه من لفظه

واخبرني احمد مختار باشا الغازي في القسطنطينية انه كتب تقريرا يطلب فيه من مجلس الأمة العثمانية العمل بهذا التاريخ وجعله رسميا للدولة . ولكن ما دامت الغلبة في المجلس للمتفرنجين المعروفين ، فلا ترجى اجابة هذا الطلب ، الا ان تطالب الأمة به من كل ولاية . واذا سبق مسلمو مصر الى استعمال هذا التاريخ والدعوة اليه فالمرجو ان يعم انتشاره في اقرب وقت ، والله الموفق

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ نقل كلام المخالفين أو المبطلين ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في دمشق

حضرة مولانا أوحد الاعلام نفع الله بعلمه الأنام

اطلعت على كتاب لاحد علماء فاس ينتقد فيه ما جاء في مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (صحيفة ٤ من طبعة الحلبي الجديدة) من نقله مذهب البغاة والخوارج ، ومقالة أبي القاسم البلخي في عبدالله بن الزبير (في الصفحة نفسها) يقول الفاسي : سبحانك هذا بهتان عظيم ، فقبح الله قائله فكيف يليق نقل هذه العبارة ونشرها بين أهل الاسلام والزمان كما ترى ، وأهله الى ورا (ثم قال الفاسي) ولما ذكر العلامة الابي في شرح صحيح مسلم ما ذكره أهل السير من الامور التي نقمت على سيدنا عثمان رضي الله عنه في خلافته . قال العلامة السنوسي في اختصاره ما نصه : قلت وقد نقل الأبي هنا كلاما في عثمان رضي الله عنه لا يحل له أن يفوه به ولا أن يكتبه وأخاف أن لا يفي بسيئته حسنة ما تعب في تأليفه كله فنعوذ بالله من سوء الادب في حق الطاهرين المطهرين ، واسأل الله لي وله العفو والصفح والمغفرة والواجب علي من نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن يفوه به ولا أن يعتقد صدقه بلا شك وبالله التوفيق اه كلام السنوسي

فهل من ملام على امام ينقل مذاهب الفرق وأقوالها ومعتقداتها وما تدين الله به مما تراه حقاً وصوابا وطاعة مشياً مع اجتهادها وما أداه اليه نظرها

وهل يلام من ينشرها ويعد مسيء الادب مع انه أوردها ايقافاً على المذاهب والآراء ، واراءة لوجوه الخلاف ، وارشاداً لمواضع الشبه التي منها أتي من أتى

وهل للسنوسي مستند في حظر التفوه به وكتابته وعده سيئة وجريمة تحبط عمل المؤلف في تأليفه كله

وهل يسلم له دعواه وجوب حذف مثل ذلك من التآليف حتى يفتح باب التلاعب في مؤلفات الاعلام بالحذف والزيادة والنقص ؟ وكان السنوسي لم ير كتب المقالات والمؤلفات في الملل والنحل لمثل الامام أبي منصور البغدادي وللامام ابن حزم والشهرستاني وأمثال ما جاء في آخر المواقف للعضد . فما سبب هذا الجمود ونبذ مشرب سلفنا المحققين

وهل هذا يؤيد ما يرمي به القطر المغربي من التعصب الذي سبب له ما سبب مما حاق به ويحيق

وقد اطلعت على جواب كتبه بعض الاساتذة عندنا الا أني رغبت أن ازداد من العلم فيما يهم الوقوف عليه من ذلك لذا أرجو شرح هذا والتفضل بجوابه لازلتم مظهراً للافادة ، وكوكبا في أفق الفضل

حامد بن أديب
الشهير بالتقي

(ج) تختلف آراء الناس باختلاف معارفهم ومشاربهم ، وحال الذين يعيشون معهم ، حتى ان الرجلين ليحكمان في مسألة واحدة بحكمين مختلفين ، أو يريان فيها رأيين متضادين ، وكل منها صحيح القصد ، متوخ للمصلحة والنفع ، وربما يرد كل منهما على الآخر ويقع التعادي بينهما أو بين أنصارهما فيصدق على كل من الفريقين انه يجاهد في غير عدو . ومن هذا الباب وضع بعض علماء السلف الصالحين لعلم الكلام وردهم على المبتدعة ، وانكار آخرين عليهم وعد علمهم بدعة ضارة ، حتى قال بعضهم لبعض : ويحك ألست تحكي بدعتهم ثم ترد عليها ؟ أي ان ذلك كاف في ذم علم الكلام وتحريم التأليف فيه لئلا يرى البدعة من لم يكن يدري بها

إنني أرى ما قاله العالم المغربي المشار اليه في السؤال وما نقله عن السنوسي يدخل في هذا الباب ، على أن السنوسي من المصنفين في علم الكلام الذين نقلوا عقائد الكفار والمبتدعة وردوا عليها

لو كان ذلك المغربي عائشاً في مصر أو الشام أو الاستانة او تونس يرى كتب الملاحدة والنصارى في مدح دينهم والطعن في غيره ، ويرى جرائدهم منشورة متداولة أيضا لما تهيج عصبه وتسيغ دمه لجملة اوجمل قرأها في شرح نهج البلاغة لبعض فرق المسلمين . وسيرى في بلاده وقد أوقعها الجهل والتعصب المألوف في قبضة فرنسة ما يهون بالاضافة اليه

كل ما رآه في شرح نهج البلاغة مخالفا لرأيه ومذهبه، سيرى الكتب الكثيرة في الطعن في نفس القرآن العظيم، والنبي الكريم، عليه الصلاة والتسليم، والكتب الداعية الى الالحاد، المؤلفة لهدم كل اعتقاد، وسيرى ان شبهات هذه الكتب ومشاغبات دعاة النصرانية من جهة ودعاة الالحاد والتفرنج من أخرى قد راجت في اذهان بعض قومه، وان كشفها بالتسليم لقول امثاله من العلماء المعاصرين، أو التقليد لما في بعض كتب الميتين، غاية لاتدرك، وأمنية لا تنال

ان اطلاع العوام والطلاب المبتدئين على العقائد الباطلة ومقالات المبتدعة، لاينكر ضرره، ولا تؤمن فتنته، كاطلاعهم على سيرة أهل الفسق والفجور، وطول استماعهم لما يزينها للنفوس، كالاشعار والاغاني المشتملة على المجون، فاذا كنا لانستطيع منع افتتان أولادنا وعوامنا بالباطل الا بازالته وازالة أهله من الارض، ولا منعهم من الفسق الا باعدام كل مبذولة العرض، فنحن نحافظهم من الكفر ولا من الفسق

ان الله تعالى - وهو العزيز الحكيم - قد حكى في كتابه المجيد كفر الكافرين والحادهم في آياته، وطعنهم في كتابه ورسوله، ولم يمحهم بقدرته من الارض ليحمي المؤمنين من أباطيلهم، ويحول بينهم وبين شرورهم، وهكذا فعل حماة الدين، وحراس عقيدة الموحدة، نقلوا عقائد المخالفين ومقالاتهم وردوا عليها بالدلائل

انما يشتد النكير على من يكتب مايخالف عقيدته أو مذهبه أحد رجلين رجل شديد التعصب لما هو عليه، يرى أنه يجب على جميع الناس موافقته فيه، وان يتبعوا من اتبعهم، ويقلدوا من قلدهم، ورجل حريص على عقيدته ومذهبه، وهو على غير بصيرة منه، ولاثقة به، فهو يخاف ان تطير به كل ريح، وان تذهب به كل شبهة، ولا يليق هذا الضيق في الذرع، والحرج في الصدر، بالمسلم البصير في دينه، المعتصم بيقينه، وهو يعتقد ان الحق يعلو ولا يعلى، وانه متى جاء الحق زهق الباطل، وان الله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق، وان بقاء الباطل في نومة الحق عنه، وانما اللائق بصاحب هذا الحق واليقين ان يقذف بحقه على باطل غيره ليدمغه، لا ان يشكو منه ويلعن من قاله أو كتبه، ويوجب تحريقه والتصرف فيه

من الصواب أن نمنع أولادنا وتلاميذنا من قراءة كل ما نعتقد انه ضار أو باطل الى أن نكمل تربيتهم وتعليمهم ونثق بمعرفتهم للحق، واستقلال عقولهم في الحكم، واذاً نبيح لهم أن يقرأوا ما أحبوا فلا خوف من الباطل الضعيف اللجلج، على الحق القوي الأبلج، لان الحق هو صاحب السلطان والفلج، ومن الصواب أن نصحح

للعوام بأن يحاموا كتب الكافرين والمبتدعين حفظاً لاذهانهم من الاضطراب ، ونأيا بنفوسهم عن مهاب الاهواء ، وأن ترشد محبي المطالعة منهم الى الكتب النافعة لهم ، التي لا تفسد عليهم نعمة الطمأنينة ، وهي النعمة التي لا تسامها نعمة

لنا أن نعنى بهذا وذاك ، وأن نجعل لما نكتبه أو نطبعه حواشي ننبه بها على مواضع الخطأ والصواب ، وليس لنا أن نطلق القول في تحريم قراءة كل ما يخالف اعتقادنا وحرمة كتابته وطبعه ، ولا ان ننقل كلام مؤلف فننقص منه أو نزيد فيه ، فان هذا من الكذب والخيانة ، وان قوماً يأتونه أو يستحلونه لا يثق أحد بنقلهم ، ومن زعم ان هذا جائز في الشرع فقد أهان الشرع ، وصد عنه جميع العقلاء من الخلق ، وجعله دينا خاصاً ببعض البلداء ، ووقفاً على من تلقنه من الجهلاء ، وان كان لا يقصد شيئاً من هذه المفاسد. ويالله العجب من شدة جراة المتحمسين على التحريم ، والافتيات على الدين بقصد حماية الدين

لو جرى المتكلمون والمؤرخون ونقلة اللغة ورواة الاخبار والآثار على فتوى السنوسي والمغربي لبطلت ثقتنا وثقة جميع الناس بجميع العلوم النقلية لجواز ان يكون كل ناقل قد حذف من منقوله شيئا مما يخالف اعتقاده أو يرى نشره ضارا ببعض أهل مذهبه ونحلته ، او حرفه واستبدل به غيره ، وحينئذ لا يبقى عند المسلمين شيء يمكن أن يحتج به أحد على آخر الا القرآن الكريم وما عساه يوجد من حديث متواتر مجمع على تواتره . فظهر مما تقدم ان السنوسي مخطئ في تحريمه التفوه بما قاله أهل السير في عثمان وكتابته ، وفي إيجابه على من نقل كتابا فيه شيء من ذلك أن يحذفه منه ، فاننا نقرأ في كتاب الله مثل قوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدّا » وقوله جل ذكره « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » وقوله تبارك اسمه « وقالوا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤا ظلماً وزورا » وقوله صدق وعده « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والشواهد على هذا كثيرة . وليست حكاية الطعن في عثمان وهو غير معصوم بأعظم من حكاية هذه الاقوال . والمسألة واضحة ، وهذا ما رأينا في كتابته من العبرة والفائدة

* * *

﴿ أسئلة من الهند ﴾

(س ٢ ـ ٥) من صاحب الامضاء في بومباي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى حضرة مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم صاحب المنار المنير دام اقباله

ثم سلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعد فقد اطلعت على الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر لمناركم المنير ورأيت في باب الفتاوى السؤال الذي هو لأحد أبناء البلاد العربية في صدد (الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر) والجواب عليه من علماء الازهر الشريف مع تذييلكم عليه بما فيه من التشديد والنكير على الاطلاق وتكفير فاعله ومن حضره(١) . فعجبت جداً لهذا الجواب الذي لا يشوبه أدنى ريب لان أمثال هذا في نواحينا كثير، والعلماء أكثر ، وكلهم من شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي يجوز ذلك ويعده من الشعائر الدينية . والحقيقة ياسيدي أن الانسان ليحار جداً وتكاد تشكل عليه أمور دينه من حيث ان الازهريين ومن أشرت اليهم من علماتنا كل منهم مقلد لمذهب من هذه المذاهب ومع ذلك نرى الفرق كبيراً بين مايقوله هؤلاء وأولئك من جواز وتحريم فليت شعري ما هذا الخلف وما هذا الاشكال ؟ وليت شعري كم لمالك من مذهب وكم للشافعي وأخويه من مذاهب ؟ أرشدونا الى الطريق القويم أرشدكم الله الى خير الدارين ؟ ثم يقول الاساتذة الازهريون (وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثة والنغمات المطربة فهو حرام لا يفعله الا أهل الفسق والضلال ـ الى قولهم ـ قال الامام الاذرعي اني أرجح تحريم النغمات وسماعها لقوله عليه الصلاة والسلام (ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) اني أسلم بتحريم النغمات اذا كان يراد منها الاشعار المحدثة والنغمات المطربة ، ولكن ماقول سيدي الاستاذ في خطبة الجمعة وتلاوة القرآن الكريم حيث ان الاتين لا يتلوان الا بالالحان كما لا يخفاكم ، فهل هذا الفسق والنفاق والكفر نتناول هذين أم لا ؟ واذا كان ذلك فما هو ذنب من حضره أعني السامع وما هو الا متبع ومقلد ، كما ان

(١) ليس في تلك الفتوى تكفير كما قال ، وتذييلنا هناك فيه تخفيف ماوعبارته توهم ان التشديد والتكفير في تذييلنا تبعا او استقلالا

الخطيب في نواحينا وسائر الاقطار الاسلامية الا القليل لا يدعى خطيبا الا اذا كان ذا صوت جميل وكذلك تالي القرآن الحكيم فما هو قولكم في ذلك ؟ وما هو معنى قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أجيبونا عن ذلك وسامحني ياسيدي اذا أخذت جانباً من وقتكم النفيس أدامكم الله سراج هدى يهتدي به من ضل عن محجة الصواب واقبلوا في الختام فائق احترام المخلص

ناصر مبارك الخيري

﴿ أجوبة المنار عن هذه الاسئلة ﴾

المذاهب واختلاف فقهائها

اعلم يا أخي أن المجتهد لا يكون له في المسألة الا رأي واحد ومن نقل عنه قولان أو أكثر في مسألة واحدة فاما أن يكون قد قال أحدهما في وقت ثم رجع عنه فقال القول الآخر في وقت آخر واما أن يكون النقل عنه غير صحيح ، والمسائل التي يتردد فيها ليس له فيها رأي

والمذهب له في عرف الناس اطلاقان ، عامي وخاصي (فالاول) هو نقل الاحكام التي قررها أو أفتى بها المجتهد فمن عرفها وعمل بها من غير وقوف على دليل المجتهد عليها واقتناعه به يسمى مقلداً له ، وهذا هو معنى المذهب الذي يدعيه الآن جميع المنتسبين الى المذاهب لانهم يظنون أن ما يقوله فقهاء مذاهبهم وما هو منقول في كتبهم كله مروي عن أئمتهم ، وان هؤلاء الفقهاء لاحظ لهم منه الا فهمه وتفسيره ، وعلى هذا بنيتم تعجبكم من تناقض فقهاء كل مذهب في المسألة الواحدة . والصواب انه يقل في هؤلاء الفقهاء من اطلع على كتاب للامام الذي يدعي انه درس فقهه أو قرأ شيئاً مما نقله عنه تلاميذه ككتاب الامّ للشافعي والمدونة لمالك وكتب أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة رحمهم الله ورضي عنهم ، وانما قرأوا بعض كتب المتأخرين التي سنذكرها وصف أصحابها ، ومافهموها حق فهمها ، وكلهم يتجرأ على الفتيا فتختلف فتاواهم ، وتتناقض آراؤهم ، وفي كل قطر أفراد منهم ، يثق بهم عوام بلادهم ، كما هي عادة جميع العوام من جميع الملل مع رؤسائهم ، يقلدونهم كيفما كانوا ومهما كانت درجة علمهم أو جهلهم ، فان قاعدة التقليد والاتباع هي أن يثق الادنى بمن هو أرقى منه ولو في القراءة والكتابة مطلقا فالامي يرى متعلم القراءة أو الكتابة أرقى منه وان كان عامياً مثله . وكل هؤلاء المفتين عاميهم ومتفقههم وفقيههم (ان وجد) ينسبون كل ما يفتون به الى أئمة المذاهب ويتعززون بأسمائهم ويتخذون هذه الاسماء أتراسا

وعجائًا يدافعون بها كل من يتصدى لارشاد العامة وينهاها عن البدع والخرافات ، بل يتخذونها سلاحاً يحاربون به السنة وأنصارها

الاطلاق الثاني هو بمعنى مايسمونه الآن بالمسلك والمبدأ وهو طريقة المجتهد في استنباطه للاحكام وأصوله التي يفرع عنها كما بين ذلك في علم الاصول ، وهذا هو المعنى الذي كان يقصده أصحاب أولئك الائمة من الانتماء اليهم في عصرهم . ولم يكن أصحابهم مقلدين لهم يأخذون كلامهم قضايا مسلمة بغير دليل بل تعلموا منهم الاستدلال ، ونقلوا عنهم علمهم ليكون مثالا يحتذى في استنباط الاحكام ، كما صرح بذلك المزني صاحب الشافعي في أول مختصره إذ قال « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع اعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه »

ثم جرى على ذلك من بعدهم من العلماء ووسعوا دائرة الاجتهاد والاستنباط على ذلك النحو والمذهب ، ثم خلف من بعدهؤلاء خلف رضوا أن يكونوا عيالا على من قبلهم واستنبطوا الاحكام من عباراتهم ، وفشت بدعة التقليد والاخذ بقول من يوثق بشهرته من غير دليل ، وما زال الناس يتدلون الى أن وصلوا الى قرار الهوة التي تعجب السائل من اضطرابهم واختلافهم فيها . وسننشر ان شاء الله تعالى في جزء تال جملة مفيدة في هذا البحث عن كتاب الارشاد للعماد السكري رحمه الله تعالى

وجملة القول ان سبب اختلاف من يسمونهم الفقهاء من أهل المذهب الواحد ، هو أنهم ليسوا ملتزمين للنقل عن امام أو عالم معين كما هو مقتضى التقليد الذي يدعونه ولا جارين على أصول واحدة في الاجتهاد الذي يأتونه وينكرونه ، فلا عجب اذاً في اختلافهم واضطرابهم ، ولا عبرة في دعواهم الانتساب الى أولئك الأئمة رضي الله عنهم

وههنا مسئلة ينبغي التفطن لها وهي دعوى المقلدين ان فائدة التقليد منع تشعب الخلاف في عامة الامة ، وخاصة اذا حصر في عدد قليل كالاربعة . وهذه الدعوى ممنوعة لا في مجموع المذاهب فقط بل في مقلدة كل مذهب مذهب أيضاً كما بين السائل ، وكما هو مشاهد لكل ناظر ، وسبب ذلك انه لم يتفق للمنتمين الى مذهب من المذاهب المشهورة ، المنتشرة في أقطار كثيرة ، أن يتفقوا على دراسة كتاب أو كتب معينة ويعملوا بها على سواء ، سواء كانت كتب إمام ذلك المذهب أو كتب بعض المؤلفين المنتمين اليه ، وانما ينبعون في كل قطر من تصدروا فيهم للتعليم والفتوى فيحرمون ما حرموا عليهم ، ويحلون ما أحلوا لهم ، ويجرون على ما أقروهم عليه من البدع ،

ويتركون ما تركوا من السنن ، وهؤلاء المتصدرون يتفاوتون في علمهم واجتهادهم — وكل منهم يجتهد في الوقائع التي تحدث في عصره ، وان أنكر الاجتهاد بلسانه وقلمه، وانما ينكره على غيره اذا خالف هواه فيه — ولذلك تتفاوت أعمال المتبعين لهم

وثم مسألة أخرى يغفل عنها الناس وهي ان علم الفتوى عند كثير من المتفقهة في أكثر البلاد الاسلامية لا صلة له بالعمل، فترى أحدهم يحضر الدعوات والاحتفالات، التي تؤتى فيها البدع والمنكرات ، ويهنئ أهلها ويدعو لهم ، ولا ينكر عليهم شيئاً من عملهم ، ولكنه قد يقرر في الدرس أو يكتب في الفتوى أو المصنفات ان هذه الاشياء من البدع والمنكرات ، وربما يصفها بأنها مما عمت به البلوى ، ومنها مايحاولونه بالتأويل ، ومنها ما لا يجدون له تأويلا ، فاذا فطن السائل لما ذكرنا يذهب تعجبه ويزول استغرابه مما ذكره . وسيرى في الفتوى السادسة بعد هذه ان بعضهم أحل أكل أموال المعاهدين والمستأمنين ولو بالخيانة والسرقة، وهذا من أغرب شواهد المسألتين

ويدلنا ما ذكر على أن الهداية التي يجب الرجوع اليها اذا اختلفت الأدلاء، وعمي الامر على الناس ، هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في العمل بهما (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

انشاد الشعر بالنغمات

اذا حكمنا كتاب الله وسنة رسوله (ص) في هذه المسألة لا نجد فيهما دليلاً على تحريم انشاد الشعر بالنغمات والحديث الذي ذكروه لا يصح فقد رواه أبو داود والبيهقي عن ابن مسعود وفي اسناده شيخ لم يسمّ وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم قال النووي انه متفق على ضعفه . وقد فصلنا القول في هذه المسألة تفصيلا في الجزء الاول وما بعده من مجلد المنار التاسع وفيه ان الغناء قد يحرم حرمة عارضة ويكره الاستكثار منه ولكن الاصل فيه الاباحة . ويستحب في الزفاف والعيد وعند قدوم المسافر كما بيناه هنالك فلا هو فسق ولا كفر ولا نفاق

الخطبة بالالحان والسنة فيها

روى مسلم وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم » الحديث فهذه هي السنة في كيفية اداء الخطبة وهذا

ما يرجى به التأثير والاتعاظ بها التي شرعت لاجله، وكل اداء يخالفه فهو مكروه وأشده كراهة تكلف الالحان والنغمات فيها كما يفعله بعض الترك وغيرهم، واذا قيل بحرمة هذه الالحان والنغمات الموسيقية في الخطبة لم يكن بعيداً لانه على مخالفته للسنة الصحيحة تشبه بالكفار في خطبهم الدينية وعبادتهم ولو من بعض الوجوه فان لم يكن تشبها لاشتراط القصد في معنى التشبه كان تركا لما امرنا به من مخالفتهم في أمثال هذه الامور ، ولما أمر النبي (ص) بصيام عاشوراء وقيل له ان اليهود تصومه امر بمخالفتهم بصيام يوم قبله او بعده ، ولأنه مفوت لحكمة الدين في الخطبة وهو الزجر المؤثر في القلوب ، والوعظ الذي يزع النفوس ، وهذه النغمات من اللهو الذي ترتاح اليه النفوس وتستلذه ، وترويح النفوس بالمباح غير محظور ولكن الخطبة لم تشرع له ، والمساجد لم تبن لاجله . وقد صارت الخطبة في اكثر البلاد الاسلامية رسوما تقليدية مؤلفة من أسجاع متكلفة كسجع الكهان ، وتؤدي بنغمات موقعة كنغمات القسوس والرهبان ، وقد قارب السنة فيها بعض الخطباء المصريين والسوريين ، ولم أر خطيبا ذكرني خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة . زارني سيد عراقي مثل لي تحريض العرب على القتال بخطبة تضطرب لها القلوب ، وتثير كوامن الحمية والنجدة من قرارات النفوس ،

تلاوة القرآن بالالحان

قال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه البخاري عن ابي هريرة واحمد وابو داود وابن حبان والحاكم عن سعد ، وابو داود عن ابي لبابة بن عبد المنذر والحاكم عن ابن عباس وعائشة . وروى الحاكم من حديث البراء بن عازب وصححه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « زينوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا »

وقد ذهب بعض العلماء الى ان التغني بالقرآن معناه الاستغناء به عن غيره وهذا غير صحيح بدليل حديث ابي هريرة المتفق عليه في الصحيحين ومسند احمد وسنن ابي داود والنسائي « ماأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » فأي لعلاقة للاستغناء بحسن الصوت . ودليل قول أبي موسى الاشعري للنبي (ص) لما أخبره انه استمع ليلة لقراءته « لو كنت أعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا »

على ان علماء السلف قد اختلفوا في هذه المسألة فأنكر قراءة الالحان بعضهم وعرفها آخرون . وقد أورد حجج الفريقين ابن القيم في (زاد المعاد) وجمع بينها

بأن المنكر هو تكلف الالحان الموسيقية ، والتطريبات غير الطبيعية ، والمعروف هو ماقتضته الطبيعة من التطريب والتحزين والتشويق الى مايشوق اليه ، والتنفير مما ينفر منه ، وهـذا هو الصواب الذي يتفق مع حكمة الشرع ومقصد الدين اعني الاهتداء بالقرآن وتدبره والاتعاظ به . ومن شاء التفصيل في ذلك فليراجع كتاب زاد المعاد ، وربما نقله في فرصة أخرى ، اذا اقتضته الذكرى

ترتيل القرآن

الترتيل من الرتل (بالتحريك) وهو انتظام الشيء واتساقه وحسن تنضيده يقال ثغر رتل ومرتل اذا كانت الاسنان حسنة النظام والتنضيد . فترتيل القرآن عبارة عن تجويد قراءته وارساله من الفم بالسهولة والتمكث وحسن البيان ، « لا تحرك به لسانك لتعجل به » « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » والغرض من الترتيل الذي ينافي العجلة ويقتضي المكث والتأني هو ان يفهمه السامع كالقارئ ويتمكن كل منهما من تدبره وفهمه ، ويصل تأثيره الى أعماق قلبه ، وحسن الصوت أقدر على اتقان الترتيل ، وفصيح اللسان أملك لحسن البيان والتجويد ، وأجدر بقوة الافهام والتأثير ، وانما كرهت النغمات المتكلفة ، والالحان المتعملة ، لانها تشغل القارئ والسامع بالصوت والصناعة فيه ، عن تدبر الكلام والاتعاظ به ، فالفرق بين التغني المحمود والتغني المذموم ، والتلحين المعروف والتلحين المنكر ، هو ان المحمود المعروف مايشغل نفسك بالفهم والتدبر ، والاتعاظ والتأثر ، والمذموم المنكر مايشغلها بالصوت ، واتقان الصناعة في اللفظ ، والله أعلم وأحكم ***

﴿ اموال الشركات الاجنبية في بلادنا وحقوق المعاهدين ﴾

(س ٦) من محمد جمال افندي سبط القوادري بدمشق الشام

سؤال موجه الى العالم العامل والمحقق الكامل منار الفضل والعرفان الشيخ رشيد افندي رضى حرسه الله وحفظه آمين

ماقولكم سادتجدكم في مس حقوق الشركات الاجنبية وارباب الامتيازات المعطاة لهم من الخليفة الاعظم هل هم معاهدون مستأمنون مصونو الحقوق ام حربيون ؟ وهل يجوز الشرع لاحدهضم حقوقهم بدعوى انهم دخلوا بلادنا واخذوا الامتيازات من حكومتنا قهرا وان كان بالصورة الظاهرة بأمان ورضا افيدونا الجواب ولكم الشكر والثواب

(ج) ان احترام الأجانب المعاهدين او المستأمنين واحترام أموالهم وحرمة

التعدي عليهم او عليها من المسائل المجمع عليها بين المسلمين المعلومة من الدين بالضرورة فليست مما يسئل عنه او يستفتى فيه لولا تأويل المضلين . وقد كتب الينا هذا السائل الفاضل كتابا خاصا يعتذر فيه عن سؤاله هذا وبين سببه وهو ان شيخا من شيوخ الدجل معروفا بمخادعة العامة واستمالتهم اليه بذم النصارى والتنفير منهم وتلفيق كتب الاوراد والصلوات والكرامات قد أفتى من يظنون أنه من أهل العلم والتقوى بأن أموال الاجانب الذين في بلادنا مباحة للمسلمين فيجوز لمن قدر على أكل مال شركة الترام اوسكة الحديد او غيرهما من الشركات الاجنبية أو الافراد ان يأكل ما استطاع أكله سواء كان مستخدما فيها اوغير مستخدم . ويتأول الحكم الشرعي المجمع عليه بأن هؤلاء الاجانب معاهدون او مستأمنون في الظاهر ولكنهم حربيون في الواقع لأنهم اخذوا الامتيازات بهذه الشركات من حكومتنا بالجبر والاكراه ، لا بالرضى والاختيار . وهذا هو باطل التأويل ، ومحض الكذب وقول الزور ، فالامتيازات اخذت باختيار الدولة والسلطان الذي كان يقدسه مفتي الاباحة ويضلل مطالبيه بالاصلاح او يكفرهم ، والمعاهدات بين دولتنا ودول اصحاب هذه الشركات لاشك فيها ، والا كانوا محاربين ، ولا حرب بيننا وبين احد منهم (الا الايطاليين الآن) والمصلحة في هذه المعاهدات لنا ظاهرة ، واذا نقض بعضهم شيئا من شروط العهد فليس لاحد من افراد الرعية ان يعده محاربا ويستحل ماله ودمه ، وانما ذلك حق السلطان وأولي الامر ، ولولا ذلك لم يستقم نظام ولم تثبت مصلحة ، ولو كان شرعنا العادل يبيح مثل هذا لما وثقت دولة من دول الارض بعهودنا وأماننا ، ولكانت معذورة في الاتحاد على استئصالنا ،

سبحان الله ! جعل الشارع ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، ولعن من أخفر ذمتهم ، كما ورد في حديث علي كرم الله وجهه في الصحيحين والمسند وكتب السنن الثلاثة وغيرها ومن حديث غيره أيضا . ومعنى « يسعى بها أدناهم » أن العبد والاجير من المسلمين اذا أمّن بعض الحربيين وجب على كل مسلم أن يحترم امانه ويحرم عليه ان يتعدى على من أمنه أو يؤذيه في نفسه او ماله . وقال الحافظ ابن المنذر اجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة الا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك قال ان أمر الامان الى الامام (الخليفة) ورد قوله بالحديث ، واشترط ابو حنيفة في العبد ان يكون مقاتلا ليصح تأمينه . واما تأمين آحاد الصناع والزراع فلا خلاف فيه ، ولكن دجال سورية ومفتي الاباحة فيها لا يعتد بتأمين السلطان نفسه ولا بعهده وعهد دولته بل يبيح السرقة والخيانة في الاسلام ، وهما لا يباحان في حال من الاحوال ،

﴿ الدخول في الماسونية ﴾

(س ٧) من السيد احمد بن يوسف الزواوي في (مسقط)

غب اهداء مراسم السلام ، والتجلة والاحترام ، لحضرة الماجد الهمام ، والاستاذ الامام ، السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنير ، نهرع الى بابه ، ونلتمس من سماحة جنابه ، كشف مايحوك في صدورنا عن هذه الجمعية ، المدعوة بالماسونية ، فقد تضاربت فيها الاقوال ، واستحكمت حلقات الجدال وفشى الخلف في شأنها بين العلماء الاعلام ، فمن مادح وذام ، ومبيح الانتظام ، ومفت بانه حرام ، الا اننا نرى القائلين بالحظر يكيلون جزافا ، ويقتضبون اقتضابا ، على حين استنادالمبيحين الى أصل الحل ، ولما كان الناس لايقتنعون الا بجوابكم المؤيد بالحجة المذكي على البراهين ، نمناكم ولنا وطيد الامل واكبر الرجاء بأن تتلجوا غلتنا بالجواب الضافي الذيول ، الكاشف عن موضوع تلك الجمعية وبرو غرامها نقاب الخفاء ، حتى نقدم رافعين الرؤس على الانتظام في سلكها ، أو نرفضها رفض السقب غرسه ونحمل النفوس على تركها ، ولاشك ان يكون كلامكم فصل الخطاب وحاسم النزاع.

(ج) قد بينا من قبل أن هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوربة لازالة استبداد الملوك وسلطة البابوات وفصل السياسة من الدين بأن يكون التشريع من حقوق الامة غير مقيدة فيه بدين ، وقد فعلت في أوربة فعلها وأدت وظيفتها . والدين ينشرونها في الشرق لهم اهواء مختلفة ، ومنافع متعددة ، والرياسة العامة التي يرجعون اليها أو ربية ، وإذ قد عرفتم حقيقتها وغرضها ، فقد عرفتم حكم الدخول فيها ، وما سبب اختلاف الاقوال في حكم الانتظام في سلكها ، الا اختلاف العلم بحقيقتها ، ولا ينبغي لاهل بلادكم ان يجهلوا هذه الحقيقة لان الذين يدعونهم اليها لا يبينونها لهم ، وانما يرغبونهم فيها ترغيبا اجماليا ويعدونهم بكشف الاستار عن الاسرار ، بعد الترقي في الدرجات ، ولم يقرءوا ما كتب فيها دعاتها وناشروها من المدائح ، وما يلطخها به خصماؤها — ولا سيما رجال الدين — من القبائح ، ورب مدح يمدحها به قوم يراه آخرون ذما ، وقد نشرها الافرنج واعوانهم المتفرنجون في مصر والمدن العثمانية منذ عشرات من السنين فلم يكن لها من ثمرة الا اعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين ، والاستغناء عن الشرع بالقوانين ، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم ، وموالاتهم لهم ، ولعله تبين لكم بهذا الشرح ، كنه ما يمنونكم به من النفع ، كما عرفتم ما يحكم به الشرع ، وعسى ان يزيل ما بينكم من الخلاف ، الذي هو أول ثمراتها في تلك البلاد

المسألة الشرقية

(سلسلة مقالات لنا نشرنا ستا منها في المجلد الرابع عشر)

٧

﴿ الجهاد في الاسلام ﴾

يقع الخلاف والنزاع والعداء بين البشر بسوء الفهم أكثر مما يقع بسوء القصد، وأعم أسباب سوء الفهم والتفاهم اختلاف المواضعة والاصطلاح : يطلق زيد القول بمعنى فيفهمه عمرو بمعنى آخر فيؤاخذ زيداً عليه ، ويرى زيد ان قوله لا يقتضي المؤاخذة وهو مصيب في هذا الرأي ، وان عمراً ما آخذه عليه الا لسوء أرادهبه ، ونية رديئة أضمرها له، والا لم يؤاخذه على الصواب ، وهو مخطيٌ في هذا الرأي لأن عمراً انما آخذه لانه فهم من قوله ما لم يرد هو به

واختلاف المواضعة والاصطلاح الذي قلنا انه أعم وأكثر أسباب سوء الفهم له مناشئ متعددة ، فان اللفظ الواحد يكون له معنى أو عدة معان في أصل اللغة ، ومعنى آخر في اصطلاح الشرع ، ومعنى آخر أو أكثر في اصطلاح بعض العلوم والفنون ، ومعنى آخر في العرف العام ، ومعنى آخر في العرف الخاص ببلد من البلاد أو طائفة من الطوائف كالكتاب أو الفقهاء مثلا. وقد قال علماؤنا « لا مشاحة في الاصطلاح » وهذه الكلمة تجري دائما على ألسنتنا وأقلامنا ولكن لا يكاد يعامل بها أحد منا غيره . فنحن في مشاحات وملاحاة لا تنقضي . وقد يكون المرء منا معذوراً بجهله باصطلاح الآخر وقد يكون غير معذور ولكن البيان هو الذي يقطع التعلات والاعذار

من الالفاظ التي من هذا القبيل لفظ « الجهاد » في الاسلام والظاهر لنا ان بعض النصارى يفهمون ان المراد به اتفاق المسلمين كافة على قتال أو قتل كل من ليس بمسلم سواء كان محاربا لهم أم لا. وهذا المعنى ليس مدلولا له في اللغة العربية ولا في عرف القرآن والسنة ولا في اصطلاح الفقهاء، وربما سرى فهمهم هذا الى بعض المسلمين

الذين يجهلون اللغة والشرع ويأخذون المسائل الدينية من المعاشرين لهم وان لم يكونوا من أهل دينهم وكذا من جرائدهم

ومنهم من يفهم من الجهاد القتال باسم الدين أو لاجل الدين ويقسمون الحرب الى دينية ومدنية ويفرقون بينهما بالتسمية واطلاق لفظ الجهاد على الحرب الدينية فقط ويخصونها بالذم والتشنيع والتنفير . كأنهم الحرب التي يسمونها مدنية من طرق الكسب والتجارة المحمودة ، ويرون انه لا حرج على من يحارب قوما يستضعفهم ليزيل استقلالهم ويجعلهم كالعبيد المسخرين لابناء جلدته

نشر أحمد لطفي بك السيد مدير (الجريدة) مقالا فيها ذكر فيه ان الحركة الحاضرة بمصر الموجهة لاعانة الدولة العثمانية على حرب ايطالية قد ظهرت بشكل الجهاد الديني أو الدعوة الي الجهاد الديني وان هذا خطأ ضار بمصر . فساء قوله هذا جميع من ذكره أماي من المسلمين ، وسر جميع من ذكره من النصاري . وما رأيت الكتاب والباحثين في السياسة من هؤلاء حمدوا لمدير هذه الجريدة غير هذا المقال . وقد اجتمعت في بعض السمار بطائفة منهم وخضنا في هذه المسألة وكان مما ذكرته أن الجهاد ليس بالمعنى الذي يفهمونه ولا أدري أي معنى قصد به مدير الجريدة ولكنني أجزم بأن اتهام المصريين بالتأليب على النصارى كافة والدعوة الى قتالهم باطل، ويمكنني أن أحلف على أنني لا عرف أحدا من المسلمين على هذا الرأي ولا سمعت الدعوة اليه ولا استحسانه بل ولا ذكره من أحد منهم . ثم ذكرت معنى الجهاد في اللغة والقرآن ، وورود ذكره في كتب النصارى ، فاقترح علي بعضهم أن أكتبه وأنشره في المؤيد فقبلت الاقتراح ولم أتم ما بدأت بشرحه في السامر

الجهاد والمجاهدة مصدر جاهد وهو بناء مشاركة من مادة الجهد أي التعب والمشقة « ومن هذه المادة الاجتهاد أيضا » وصيغة المشاركة تشعر بأن الجهاد عبارة عن احتمال الجهد والمشقة في مقاومة خصم أو عدو ، فلا يدخل في معناه حرب من لا يحارب وقتل من لا يقاتل إذ لا مشاركة في ذلك .

قال الراغب في مفرداته التي شرح بها غريب القرآن أدق الشرح ما نصه :

«الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو (تأمل قوله مدافعة) والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى « ٢٢ : ٧٨ وجاهدوا في الله حق جهاده ـ ٩ : ٤٠ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ـ ٨ : ٧٢ ان الذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله » وقال صلى الله عليه وسلم « جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » المجاهدة تكون باليد واللسان قال ص « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم » اه كلام الراغب ولا أذكر من أخرج هذين الحديثين ولكن روى الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن أنس أن النبي (ص) قال « وجاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » وقد ذكر لفظ الجهاد في القرآن بمعنى المعالجة والمكابدة في مواضع لا تحتمل معنى الحرب كقوله تعالى (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) يعني الوالدين . وأكثر أحكام الحرب ذكرت في القرآن بلفظ القتال لأن لفظ الجهاد ليس نصا في معنى الحرب والقتال ، ولم تذكر مادة الحرب فيه الا قليلا ولم تسند الى المسلمين . وكل ماورد في أحكام القتال في القرآن كان المراد به مدافعة الاعداء الذين يحاربون المسلمين لاجل دينهم منها ما هو صريح في ذلك كقوله تعالى في سورة الحج وهو أول ما نزل في القتال (٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٤٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وقوله في سورة التوبة وهي آخر ما نزل في أحكام القتال (٩ : ١٤ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة) قوله أيمانهم بفتح الهمزة ومعناه عهودهم ، وذلك كما فعلت ايطالية الآن فهي من الدول المعاهدة وقد نكثت العهد وبدأتنا بالقتال . ونزل فيما بين هاتين الآيتين آية البقرة (٢ : ١٨٩ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)

وما ليس بصريح مثل هذه الآية يمكن أن يحمل عليه بقرينة الحال فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مع من حوله في حرب هم المعتدون فيها وكان يعاهد كل من يقبل معاهدته على ترك الحرب مهما تقبل احتمال الشروط ، وما عاهده أحد من المشركين أو اليهود إلا من علم منهم بأنهم أضعف من المسلمين ثم هم الذين كانوا ينكثون عند ما يشعرون بقدرة ، ويصادفون غرة ، كما فعلت اليهود غير مرة ، وكما فعلت قريش بعد صلح الحديبية

ويحمل على ذلك أيضاً ماورد من النهي عن اتخاذ الكفار أولياء والالقاء اليهم بالمودة سواء ورد ذلك في المشركين وأهل الكتاب أو عاما كما صرح بذلك في سورة الممتحنة فقد قال تعالى في أولها ٦٠ : ١ (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) أي يخرجونكم من وطنكم مكة ويطردونكم منها بسبب انكم آمنتم بالله ربكم ، فهذه علة أولى للنهي عن ولايتهم أي نصرتهم وعن مودتهم ، والعلة الثانية بينها في الآية الثانية فقال (٢ ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون »

ثم قال بعد آيات (٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فلم يكتف بنفي النهي عن موالاة ومودة غير المقاتلين لنا لاجل ديننا بل أكد لنا حصر النهي في أولئك المقاتلين المعتدين ، وحصر الوعيد فيمن يتولاهم، فان كلمة « انما » للحصر وجملة « فأولئك هم الظالمون» تفيد الحصر أيضاً

هذه جملة أحكام القتال في القرآن المتعلقة بمن يقاتلون وهي في منتهى العدل والحكمة، وبينا أن لفظ الجهاد فيه ليس مرادفاً للحرب والقتال ولكن الفقهاء اصطلحوا على تسمية القتال جهاداً وهذا اللفظ ألطف وأخف من لفظ القتال ولفظ الحرب لان معناه يتحقق ببذل الجهد في مقاومة لا يقتل فيها أحد أحداً ، والقتال ليس كذلك إذ لا يتحقق معناه إلا بسفك الدم

كل هذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وقد زال من دونها كل سحاب، فمن أين صار لفظ الجهاد الاسلامي هو المخيف الدال على الظلم والبغي والوحشية وذبح الابرياء من أهل السلم والولاء ؟ اليس هذا من تعصب غير المسلمين على المسلمين بتشويه محاسن دينهم وتحريف آياته عن مواضعها ، وقلب معانيها وتغيير أوضاعها ، أو من الجهل بها على الاقل

هذا وان لغير المسلمين مع المسلمين أربع حالات ينقسمون بها إلى أربعة أقسام (١) أهل الذمة وهؤلاء يساويهم الاسلام بأهله في الحقوق ويوجب حمايتهم والدفاع عنهم إذا اعتدي عليهم وسد ضروراتهم فاذا وجد فيهم من لا يقدر على قوته كفوه أمره وكذا غير القوت من الضروريات (٢) أهل عهد وميثاق كجميع الدول الآن بعضها مع بعض ماعدا إيطالية مع دولتنا فهؤلاء تجب مسالمتهم والوفاء لهم بعهدهم كما هو ، حتى إنه إذا حاربهم بعض المسلمين غير الداخلين في جماعتنا العامة التي عاهدتهم واستنصرونا لا ننصرهم كما في الصورة التي بينها الله تعالى في أواخر سورة الانفال

بقوله (٨ : ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) .

(٣) أهل أمان وهم الذين يكونون أو يدخلون في بلادنا من المحاربين لنا بالامان على أنهم لا يعتدون على أحد ولا يعتدي عليهم أحد ويسمون المستأمنين ويجب الوفاء لهم بالامان

(٤) أهل حرب أو محاربون وأحكامهم طويلة وكل مانبت منها في الكتاب والسنة فهو مبني على قواعد العدل والرحمة . ومنه أن لا يقاتل إلا من يباشر القتال فيمتنع قتال الشيوخ والولدان والنساء ورجال الدين المنقطعين للعبادة

ومما ورد في ذلك الآية التي أساء في تفسيرها لورد كرومر وكأنه تبع في ذلك بعض القسوس أو السياسيين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه عمداً ، تعصباً منهم وبغياً ، وهي قوله تعالى (٤٧ : ٤ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) فهذه الآية من آيات الرفق والرحمة في الحرب والمسلمون متفقون على أن المراد بقوله تعالى « لقيتم الذين كفروا » لقيتموهم في المحاربة وحاصل معنى الآية انكم تقتلون من تقدرون على قتله الى أن تظهروا عليهم بالاثخان فيهم فعند ذلك اتركوا القتل ، واكتفوا بالاسر ، وأنتم مخيرون بعد ذلك بين ان تمنوا على الاسرى باطلاقهم فضلا واحسانا ، وبين أن تأخذوا منهم فداءاً . هكذا يكون شأنكم حتى تضع الحرب أوزارها أي أثقالها أوآثامها . قال « ولو يشاء الله لانتصر منكم » فأمركم بعد الظهور عليهم واثخانهم بقتلهم واستئصالهم ولكنه لم يأمركم بذلك بل أمركم بجعل القتل على قدر الضرورة وهو أن تأمنوا شرهم بالظهور عليهم « ليبلو بعضكم ببعض » أي ليختبر بعضكم ويجربه بمعاملة الآخر بما يخالف هواه ويوافق المصلحة، ويتفق مع العدل والرحمة ، بجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها . هذا هو معنى الآية التي يشوهون بها جهاد الاسلام، وهي شرف يفتخر به بين منصفي الانام

إذا محاسني اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

طال المقال فزاد علي ما قدرت له ويمكنني أن أؤلف في هذه المسألة كتاباً حافلا

يفتخر به كل مسلم ، ويخذل به كل متعصب سيء النية والقصد ، وحسبك من القلادة مازين النحر ،

فاذا كان هذا هو الجهاد والقتال في الاسلام وكان كل ماخالفه من حروب ملوك المسلمين خروجا عن هدي الدين في حروب كلها مدنية لم تقصد بها حماية دعوة الاسلام اذ تركوا الدعوة بعد عصر السلف فلماذا تقوم القيامة على المسلمين كلهم اذا ذكر واحد منهم لفظ الجهاد أو حرفاً مما اشتق منه ، ويعد هذا خطراً على النصارى أصحاب الدول الحربية القوية التي تحميهم وتنتصر لهم أينما كانوا ولو بالباطل ؟ ولماذا يحرض غير المسلمين بعضهم بعضاً على سلب ملك المسلمين والتنكيل بهم ، وينفذون ذلك بالفعل ، ولا يعدونه إثماً ولا حرجا ، وانما ينحصر الاثم والحرج في الشكوى منه ، حتى صار المسلمون أنفسهم يحجر بعضهم على بعض أمثال هذه الالفاظ ، التي لا ضرر فيها ولا ضرار ، ولا تدل على جواز ذرة من الظلم والعدوان ؟

لو كان في كتابنا الالهي من القسوة في أحكام الحرب مثل مافي التوراة التي في أيدي أهل الكتاب لما كتمناه ولما تبرأنا منه كقوله في سفر تثنية الاشتراع (٢٠ : ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما) بل يوجد في أناجيلهم من النصوص القاسية مالا يوجد في القرآن مثله كرواية لوقا عن المسيح عليه السلام في الفصل التاسع عشر ونصها (٢٧ أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » ولفظ الجهاد المقوت عند القوم ومقلدتهم لانهم يعدونه اسلامياً يوجد أيضاً في كتبهم كقول مقدسهم بولس (٢ تيم ٢ : ٥ لاينال أحد الاكاليل الا ويجاهد جهاداً شرعياً) وقوله (١ تيم ٦ : ١٢ جاهد جهاد الايمان الحسن وأمسك بالحياة الابدية التي اليها دعيت) يقولون ان المراد بهذا جهاد النفس والشيطان ، ونحن قد قال علماؤنا مثل هذا في جهاد القرآن كما تقدم ، وكان سلفنا يسمون جهاد النفس الجهاد الاكبر ، وجهاد العدو الجهاد الاصغر ، وروي هذا عن الصحابة رضي الله عنهم

اني أختم مقالي هذا بذكر شيء مما يقال فينا ، وما يحرض به علينا ، وأعيذ المسلمين منذ وجدوا الى اليوم والى آخر الزمان من مثل ذلك

جاء في العدد ٨٤٣ من جريدة (وقت) الروسية التي صدرت في ١٨ سبتمبر (ايلول) بالحساب الشرقي ما ترجمته :

جاء في برقية من بودابست ان فمبري المستشرق المشهور كتب مقالة في جريدة

(بودابست هيرلاب) قال فيها ان حماية الاسلام بعد الآن خطأ لا يفيد فائدة ما، وهو سيفنى البتة ولا يستحق غير الافناء ، المدنية توجب أن تنقرض من ممالك الاسلام عدوة المدنية . المسلمون قوم لا طبيعة لهم ولا يعرفون كلمة الطبيعة، هم يعبدون ولكن لا يعملون ، ولا شيء فيهم من الحياة غير شعورهم الديني ، وليس لهم مسلك (مبدأ) ولا مقصد . ولا ينبغي أن تهتم جد الاهتمام بدستور تركية فان حالها الآن شر مما كانت عليه ، واحتمال حياة ثلاثمائة مليون مسلم خيال باطل لاشائبة للحقيقة فيه اه

وقد تعجبت جريدة وقت من قول فمبري هذا لانه مشهور بمحبة الترك والمسلمين وقالت انه يجب التأمل فيه ، ونحن نقول اذا كان هذا قول من يحبنا منهم فهل يقول أحد من المتهمين منا بالتعصب وبغض الاغيار مثله أو قريبا منه

يقولون يجب اعدام هؤلاء الملايين من المسلمين باسم المدنية وفي روسية ملايين من النصاري هم أبعد عن المدنية من مسلميها ومسلمي العثمانيين فلماذا يجب لهم البقاء ؟ اذا كان مثال المدنية مافعلته ايطالية فالصلاة والسلام على التوحش والهمجية ،

بل قال بعض أساطين السياسة مثل كلام هذا المستشرق أو أشد ، منهم الاستاذ مكسيليان هاردن صاحب جريدة (زنكفت) التمسوية قال في خطبة له أرسل ملخصها مكاتب التيمس في فينا الى جريدته فنشرت فيها « انه لا توجد دولة تقدر أن تساعد الحركة الحاضرة التي تسوق الاسلام الى الوراء ، ثم قال ان الاسلام دين خطر وبقاؤه خطر وانى على رأيي ان كل ولاية أخذت من الاسلام فهى غنيمة للدول الاوروبية »

هكذا يقولون جهرا في خطبهم وجرائدهم ولا نزال نغش أنفسنا بقول الذين يسخرون منا من الافرنج والمتفرنجين بزعمهم ان هذه الحرب لا علاقة لها بالدين ولا يقصد بها المسلمون لاجل دينهم

يقولون المنكر ويفعلونه ويمدحون أنفسهم عليه ، ونقول الحق فنلعن عليه ونهدد : ولا ندري ماذا بقي عندهم من التهديد فنخافه ، أولئك عبيد القوة القاهرة ولو أنه أقوياء لما سموا حقنا باطلا ، بل كانوا يسمون ماربما تدفعنا اليه القوة من الباطل عين الحق ولباب الفضيلة ، والاسلام نفسه هو المظلوم المهضوم بيننا وبينهم ، نحن تركنا هدايته وجنينا عليه ، وهم جعلوناحجة عليه ، حتى أقنعوا أبناءنا الذين تولوا تربيتهم المادية الشهوانية وتعليمهم الفاسد في مدارسنا ومدارسهم بأن يلصقوا ذنوبهم بالاسلام ويصدون عنه على علم أو جهل

اذا عوقب جناة النصارى أو تعقبت عصاباتهم الثورية في مكدونية قامت أوروبة لهم وقعدت ،وأرغت وأزبدت ، واذا أظهرنا التألم من تدمير مدافعهم لبلادنا ،وحصدها لاخواتنا ،ثلعن على تعصبنا، فالى متى يبغي الاقوياء ، ويخدع الاغبياء ، ربنا افصل بيننا بالحق وأنت خير الفاصلين

في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

٩

﴿ مايجب من اعانة الدولة العلية بانجاد طرابلس الغرب ﴾

سيرت دولة ايطاليـة أساطيلها كلها وجيشاً عرمرما من جنودها المنظمة الى طرابلس الغرب ،لمحاربتها في البر والبحر ،والاستيلاء عليها بالبغي والقهر ،وإلباسها لباس الخوف والجوع ،وأهانت الدولة العلية صاحبة ذلك القطر بمساومتها في بيعها وحملها بالتهديد والوعيد على الاذعان لاحتلال الجيش الايطالي فيها

طمعت دولة ايطالية المغرورة في تلك البلاد لاهمال دولتها أمرها ، وتقصيرها في إقامة المعاقل والحصون في برها ، ووضع الحامية القوية فيها ، وفي بث الالغام وأنابيب التدمير في بحرها ، فانقضت عليها بأساطيلها وجنودها ، وصبت عليها جحيم قهرها ، وقطعت عنها موارد الرزق ، في عام وباء ومجاعة وقحط ، فأصبح أهـل تلك البلاد يحاربون دولة عاتية، باغية قاسية، لاترحم امرأة ضعيفة ولا شيخاً كبيرا ، ولا طفلا صغيرا ، ويصارعون جوعا مقوعا دهقوعا ، ويصابرون وباء مريعا ، فهم أحق خلق الله بعطف الكرماء ، ورحمة الرحماء ،واعانة الواجدين ، واغاثة القادرين

نعم ان الدولة العثمانية هي صاحبة هـذه البلاد المرزوءة بقسوة الطامعين ،وهي التي يجب عليها اغاثتها وإمدادها قبل كل أحد ، ولـكن حيل بينها وبين انجادها ان ارادته، فلا أسطول قوي تجدها به بحراً ، ولا أوربة تمكنها من انجادها برا ، واذ كانت الدولة عاجزة عن القيام بهذا الواجب انتقل الوجوب الى من قدر عليه ، وأقدر الناس عليه أهل مصر فصار متحتما عليهم بحق الجوامع الست التي تتعاطف بها الجمعيات البشرية لا بجامعة واحدة منها ، واننا نبين هذه الجوامع الست ونبدأ بالاعم منها فنقول

(الجامعة الاولى الانسانية)

خلق الناس ليعيشوا بالتعاون فهو معيار ارتقائهم ، وميزان مدنيتهم ، فكلما عم كانت المدنية أعم ، والارتقاء أشمل ، و « خير الناس أنفعهم للناس » كما ورد ،

والتعاون أسباب أعمها التعارف ، وقد قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وان سهولة طرق المواصلة وتعدد وسائلها زاد في تعارف الناس وتعاونهم ، فلا تقع الآن نكبة كبيرة في قطر من الاقطار إلا ويسارع أهل الاقطار الأخرى الى اغاثة أهله وتخفيف مصيبتهم ، ومن الشواهد القريبة العهد على ذلك عطف المصريين على الايطاليين الذين نكبوا بالزلازل والبراكين في صقلية ومسيني (١) فقد نظمت في ذلك القصائد العربية المؤثرة ، وجمعت الاعانات المالية ، وأرسلت الى الحكومة الايطالية

لو حكمنا العقل المجرد من الهوى في أحق الناس أن تبذل لهم المعونة ، وتمد اليهم سواعد المساعدة ، أ الذين نكبوا بالجوائح الطبيعية ، أم الذين نكبوا بظلم اخوانهم البشر لهم ، وقهرهم اياهم ، واعتدائهم على حريتهم واستقلالهم ؟ لحكم حكما عادلا بأن هؤلاء المظلومين أحق بالمعونة ، وأجدر بالمساعدة ، ولرأينا من أسباب هذا الحكم (حيثياته) ان مساعدة المظلوم واعانته على ظالمه أكبر خدمة للانسانية وأعظم نفعاً للبشر ، لان فائدتها مزدوجة ، ونفعها يتعدى المظلوم الى الظالم بكفه عن ظلمه ومؤاخذته عليه ، وبذلك يقل الظلم والعدوان بين الناس حتى يكونوا اخوة في الانسانية ، وفي هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ان يك ظالماً فارددة عن ظلمه ، وان يك مظلوما فانصره » رواه بهذا اللفظ الدارمي وابن عساكر عن جابر ، وفي رواية أحمد والبخاري والترمذي عن أنس أنه قال « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » فسئل قبل اتمام الحديث كيف أنصره ظالماً ؟ قال « تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره »

فبحق هذه الجامعة يجب على كل انسان يؤثر حب الانسانية على العصبية المفرقة والهوى والطمع المفسدين للاخلاق أن يساعد أهل طرابلس ودولتهم ، على كف ظلم إيطالية وبغيها عنهم ، أو على تخفيف مصيبتهم على الاقل ، ولولا المطامع ، والمبادلة والمعاوضة في المنافع ، لما أقرت أوربة هذه الدولة على بغيها وظلمها ، مع اعتراف المنصفين من جميع شعوبها ببغيها وطغيانها ، وانه ليوجد في كل شعب أوروبي كثيرون من أهل

(١) هكذا ضبطها العرب أيام استعمارهم لها ومن ذلك قول شاعرهم فيها * من ذا يمسيني على مسيني * ويقولون الآن مسينا تبعا للافرنج

الانصاف وحب الانسانية ولولا ان حكوماتها وجرائدهم تخادعهم لما كانوا يسكتون عن الانتصار لامثال هؤلاء المظلومين ، على أنه وجد في انكلترا كثيرون قد عرضوا أنفسهم على السفارة العثمانية للتطوع في جيشها الذي يحارب ايطالية ، ومع هذا نرى فينا من ينكر مثل ذلك منا نحن المشاركين لاهل طرابلس في الجوامع الست كلها

(الجامعة الثانية الشرقية)

الناس كلهم اخوة في الانسانية والاخوة قد يختلفون على المنافع ، ويغلب طمع القوي منهم على ما تطالبه به الفطرة وعاطفة الاخوة من التسامح والايثار ، بل من العدل والانصاف ، فيتفرقون ويختصمون ، ويستعين بعضهم على بعض ، ويقع الخصام والعدوان بين الجماعات كما يقع بين الافراد ، وهذا هو السبب في تكوين عصبية الجامعات المختلفة فقد كانت وما زالت الشعوب والقبائل والامم والدول تتخالف وتتحالف ، وتتنازع وتتصارع ، والاصل في هذه العصبيات الاشتراك في الصفات والمقومات التي تقتضي التآلف ومقاومة المخالف فيها كالنسب والوطن واللغة والحكومة والدين والعادات والآداب ، وكلما كان مابه الاشتراك أكثر ، كان التآلف والتعاطف أعم وأشمل ، فالمشتركون في النسب قد يخاصمون الغريب عن نسبهم من أبناء لغتهم ووطنهم ودينهم ، وكذلك أهل الوطن واللغة مع الغريب عنهما المشارك في غيرهما مثلا ، وعلى هذا المنهج تصغر العصبيات وتكبر

كثر مابه الاشتراك بين أهل أوربة فهم مشتركون في الدين والعادات العامة ، والاحوال الاهلية والاجتماعية ، وطرق الكسب ، وفنون الحرب ، ونظام الحكومة ، وأكثر خواصهم يعرفون من لغاتهم الكبرى مايخاطبون بها مع الآخرين ويقرؤن جرائدهم وكتبهم ، وينقل بعضهم عن بعض في كل يوم كل أمر ذي بال ، وينشرونه للجمهور في جرائدهم ، فيشعر كل شعب منهم بما يشعر به الشعب الآخر من مؤلم أو ملائم ، فهم بهذه الامور كلها عصبية واحدة على من يخالفهم فيها ، وقد اتحدوا بها على المخالفين فصار العالم كله (أو ما يعبر عنه بالعالم القديم اذا استثنينا أميركة) عصبيتين يعبر عن إحداهما بالغرب ويراد به أوربة الطامعة ، وعن الاخرى بالشرق ويراد به آسية وأفريقية المطموع فيهما . وكان الاولى أن يقال الجنوب والشمال مكان الشرق والغرب ولكن لامشاحة في الاصطلاح كما يقال

يرى كثير من الكتاب والمؤرخين أن المراد بالشرق الاسلام وبالغرب النصرانية

واكن المختبرين من علماء نصارى الشرق الذين عرفوا كنه سياسة أوربة ورأوا سيرتها في مستعمراتها يعلمون ان أوربة تحتقر جميع الشرقيين ولا تعد النصارى منهم أهلا لمساواة الاوربيين في شيء ، وان أية دولة من دولها تستولي على بلاد شرقية تحتقر جميع أهلها ، وتستعلي عليهم بنظمها الجنسية ، لانها ترى أن الاوربي يجب أن يكون سائداً لانه أوربي ، وان الشرقي يجب أن يكون مسوداً لانه شرقي

لا يزال الشرق ضعيف التماسك جاهلا انه مضطهد من الغرب كله وانه يجب عليه التناصر لدفع سيل الغرب الأتي وعدوانه المخشي ، وقد رأينا الخيرين بكنه هاتين الجامعتين من شبان النصارى الاحرار في مصر وسورية يميلون كالمسلمين الى انتصار اليابان الوثنية ، على روسية النصرانية ، يوم وقعت الحرب بينهما ، فاذا مال هؤلاء الاذكياء الى ظفر طرابلس الغرب الشرقية المظلومة ، وانتصارها على إيطالية الغربية الظالمة ، فذلك أولى ، بل لا يكفي أن يميلوا ويعطفوا ، دون أن يساعدوا وينصروا ، فالاقربون أولى بالمعروف

(الجامعة العثمانية)

أهل الولايات العثمانية البحتة والممتازة والمستقلة في ادارتها مختلفون في الاجناس والاديان ، واللغات والعادات ، وليس في استطاعة أهل ولاية منها أن يكونوا دولة قوية تحمي نفسها من أوربة اذا صالت عليها بجيشها وأساطيلها ، ومصر في ذلك كغيرها . فان كانت أغنى وأعلم ، فهي أضعف في الحرب وأعجز ، فمن مصلحة الجميع تأييد الجامعة العثمانية ، واصلاح حال الدولة العلية ، وهذا الاصلاح يتوقف على شكل الحكومة الذي يعبرون عنه باللامركزية ، وهو ما تصير الدولة اليه ، ولا بقاء لها بدونه ، اذا هي سلمت من كيد أوربة لها ، وحالت سياسة التنازع دون التعجيل عليها (سلمها الله تعالى وكفاها كيد الكائدين) وحينئذ تكون الولايات العثمانية كالولايات الجرمانية أو الولايات المتحدة كل منها داخل في ادارتها الداخلية ومشتركة مع سائر الولايات في السياسة العامة وقوة الجيش والاسطول الخ

فعلى العثمانيين في جميع الولايات من جميع العناصر والملل أن يستمسكوا بعروة العثمانية ويبذلوا النفس والنفيس في حفظ كيانها ، وتأييد سلطانها ، والفرصة الآن سانحة فينبغي اغتنامها ، وما ذاك الا بمساعدة أهل طرابلس العثمانيين على حفظ أنفسهم وبلادهم وبقائهم عثمانيين مثلنا ، متصلين في ظل هذه الجامعة بنا ، وأخص غير المسلمين

من العثمانيين بتأييد هذه الجامعة ، واغتنام هذه الفرصة السانحة ، فانهم بذلك يوثقون عرى الاتحاد بينهم وبين اخوانهم في الوطن والعثمانية توثيقا لا تجهل فائدته

أين العقلاء الاذكياء من نصارى السوريين والقبط ومن اليهود ؟ أين الذين يقولون منهم اننا نود أن نجعل الرابطة الوطنية أو السياسية أقوى في أمور الدنيا من الرابطة الدينية ، ألا يعلمون أن ايجاد هذه الرابطة أو توثيقها وتقويتها من نتائج الاعمال ، لا من نتائج الاقوال ، ان كتاب المقطم والاهرام في مصر وبعض كتاب اليهود في جريدتهم (جون ترك) قد أظهروا ميلهم الى الدولة وضلعهم على ايطالية ، فشكرنا لهم ذلك ، ولكن لماذا نطق بعض أرباب الاقلام ، وسكت أرباب الاموال ، فلم يسمع لهم صوت بكلمة التبرع لاعانة الحرب يذكر ، ولا لمساعدة جمعية الهلال الاحمر ،

قال بعض غلاة التعصب الديني من السوريين ان النصارى لا يدفعون اعانة في حرب سماها بعض كتاب المصريين جهادا دينيا مع دولة مسيحية ، ولست أرى هذا عذرا صحيحا لمن لم يصل الى درجة الشيخ يوسف الخازن صاحب جريدة الاخبار في بغض المسلمين والتعصب عليهم ، واغراء الافرنج بهم ، فان دفاع أهل طرابلس الغرب عن أنفسهم يسمى في اللغة العربية وفي اصطلاح الشرع جهاداً يوجبه الدين . فاذا كنتم لا تساعدون أهل طرابلس في مصابهم الا اذا غيرنا وضع اللغة وعرف الشرع فما أنتم بمساعدين ، لان هذا التغيير ليس في استطاعة أحد من العالمين ، على أن اعانة جمعية الهلال الاحمر ليست اعانة لمسلمي طرابلس على مدافعة نصارى ايطالية بل هي انقاذ كل من يمكن انقاذه من الجرحى والمصابين بنكبات هذه الحرب ولو كان ايطاليا باغياً ، ولكنها باسم العثمانية وتحت هلال علمها ، فما بالكم تقبضون أيديكم عنها ،

ان نصارى السوريين المقيمين بمصر وأمريكة هم أرقى السوريين علما وأدبا ، وأكثرهم فضة وذهبا ، وأوسعهم مروءة وكرما ، وأشدهم نجدة وشمما ، واني لأنتظر منهم البرهان الناصع على تأييد الجامعة العثمانية ، وتوثيق الرابطة الوطنية ، بل سمعت هنا حسيس همساتهم ، وخفي مناجاتهم ، يأمرون بينهم ، ويتحفزون للمكرمة اللائقة بهم ، وكاني بها وقد ظهرت في مصر ، وان ظهورها في أمريكة لادل على الفضل والنبل

﴿ جامعة اللغة العربية ﴾

الانسان حيوان ناطق فالنطق أظهر مقوماته التي بها امتاز على سائر أنواع الحيوان ، وارتقى في مدارج العلم والعرفان ، وان صحبتك لمن لا تعرف لغته لا تبعد عن صحبة الحيوان

الاعجم ، فأنس الانسانية والاستفادة من مزاياها بالتعاون لا يتم بالكلام فلهذا كانت اللغة أقوى الروابط بين البشر في المصالح والمنافع والترقي الصوري والمعنوي

رابطة اللغة تشبه نعمة الهواء والماء والصحة في كونها لا يشعر المرء بقيمتها ومنفعتها في حال التمتع بها، ولا أقول لك تصور فضلها ، بتخيل فقدها، بل أقول لك تخيل أنك هبطت بلدا لا تعرف لغة أهله، وأحاطت بك الحيرة من كل جانب في كل معاملة تعاملهم بها ، ثم ظفرت فيه بمن يعرف لغتك ، ماذا يكون قدر سرورك واغتباطك به وحنينك اليه ، واستفادتك منه ، ولا سيما اذا كان من أهلها غير دعيّ فيها ؟

ان أهل طرابلس الغرب، لهم على أهل البلاد التي تحيط بهم من الشرق والغرب، حق جامعة اللغة التي يبذل الاوربيون الملايين لنشرها في جميع بقاع الارض ، وما هي هذه اللغة التي يشاركنا فيها أهل طرابلس ؟ ومن هم أهلها ؟ وما أشهر صفاتهم ؟ تلك اللغة هي العربية الشريفة، وأهلها هم العرب الكرام الذين اشتهروا في العالم كله بالسخاء والكرم، حتى صار السخاء العربي والكرم العربي مما يضرب به المثل ، وقد كان من سخاء بعض أجوادنا أن أعطى سيفه لخصمه في الحرب اذ طلبه منه، واختار تعريض نفسه للقتل، على الامساك والبخل، ومنا من قيل فيه بحق :

فلو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

فهل يليق بأمة هذا شأنها في الجود والسخاء، ان يرى أغنياؤها المدافع تحصد اخوانهم ، وتهدم بنيانهم ، والجوع يقتال اطفالهم ونسوانهم ، ولا يواسونهم ببعض ما أنعم الله عليهم من الرزق الواسع ، والمال الكثير ؟

(الجامعة الخامسة جامعة الجوار)

للجوار حقوق كحقوق القرابة قضت بها الفطرة البشرية ، وأيدتها الشريعة الالهية ، فمن شأن الجار أن يشعر بكل ما يشعر به جاره ويشاركه فيما يسر منه وما يسوء ، فاذا فرح أطربه صوت غنائه، واذا حزن احزنه نشيج بكائه ، وان وقع الحريق في داره ، أصابه شواظ من ناره ، وقد أوصى الله بالجار في كتابه ، وفي حديث الصحيحين والسنن « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه »

ألا وان جوار الشعوب والبلاد ، كجوار البيوت والافراد ، وانا نرى الدول الطامعة قد تواطأت على اعطاء الجار القوي حق سلب جاره الضعيف ، فكانت

انكلترة والروسية ، هما السالبتين لاستقلال الدولة الايرانية ، وفرنسة واسبانية هما السالبتين لاستقلال الحكومة المراكشية

ألا وان لطراباس الغرب حق الجوار على مصر وتونس ، ومصر أقدر على اعانتها من تونس ، لانها أوسع ثروة وحرية ، ومن مصلحتها السياسية أن لا تستقر قدم ايطالية الغادرة في أرض جارتها وأختها طراباس لان الايطاليين جيران سوء ، واصحاب بغي وغدر ، فاذا قدر لمصر ان تخرج من سيطرة الانكليز لاتأمن على نفسها والايطاليون في طراباس من اعتدائهم عليها بمحض البغي والعدوان ، ودعوى انها أحق بها لمصلحة الجوار

(الجامعة السادسة الجامعة الدينية)

الدين هو صاحب السلطان الاعلى على الارواح ، والحاكم المتصرف في العزائم والارادات ، ورابطته أقوى الروابط وجامعته أعم الجامعات ، فالمسلم الهندي الذي لاتجمعه بالمسلم العثماني جامعة نسب ، ولا لغة ولا وطن ، ولا منفعة مادية أو سياسية ، يغار عليه ويألم لألمه ويحزن لمصابه ، مالا يغار ويألم المشارك له فيما عدا الدين من الجامعات ، فلا عتب إذاً على المسلم اذا فضل أخاه البعيد في الاسلام على أخيه القريب في الوطن أو اللغة أو الجنسية السياسية ، وهو يراه أشد حباً له وحدبا وعطفاً وحناناً عليه من هذا الاخ القريب ، ولكن تفضيل ذلك لا يقتضي التقصير في حق هذا

روى أحمد ومسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفي حديث الصحيحين عن أبي موسى الاشعري « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وهذان الحديثان وأمثالهما تفسير لقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (رحماء بينهم)

غلب على المسلمين الجهل بدينهم وترك جماهيرهم هدايته ، ومزق نسيج اتحادهم ما كان من اختلافهم في المذاهب : هذا شيعي يعادي سنيا ، وهذا أشعري يعيب حنبلياً ، وهذا جهمي يكفر وهابياً ، * واحكم على العكس بحكم الطرد * ثم مزقته أهواء السياسة ونزغات التفرنج ، بما أحدثت بينهم في هذه الازمان ، من التفرق في الاجناس والاوطان ، ومع هذا كله نرى بصيصاً من ذلك النور الالهي لايزال يلوح

بين أكفهم مشرقاً من أفق الكتاب العزيز والسنة النبوية ، عند ما تصب عليهم المصائب ، وتتنابهم النوائب ، فبنوره يبصرون ، وبحرارته يتعاطفون ، فبينا ترى التركي يحتقر العربي ويحاربه ، والآخر تارة يغالبه وأخرى يواثبه ، اذا بهما بعد هنيهة متحدان يفدي أحدهما شرف الآخر وحقه بدمه وماله . بالامس كانت الدماء تتفجر من سيوف الترك والعرب في اليمن ، واليوم نسمع عرب اليمن ونجد ينادي زيديهم وشافعيهم ووهابيهم الاستانة : اننا مستعدون لبذل انفسنا في سبيل حفظ سيادتك على اخواننا عرب طرابلس الغرب

ان جميع الامم والملل لتعجب من قوة هذه الرابطة الاسلامية على ماوصل اليه المسلمون من التقاطع والجهل ، وان أعداء الاسلام دائبون في اتخاذ الوسائل لفك فتلها ، ونقض غزلها ، ولهم من ملاحدة المسلمين أعوان على ذلك ربوهم على كراهة هذه الرابطة الشريفة ، وأقنعوهم بوجوب استبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بها ، فهم يعملون لاعدائهم ولا يشعرون

بهذه الرابطة المقدسة نرى المسلمين يبسطون أيديهم لمساعدة اخوانهم في طرابلس على الدفاع عن أنفسهم ، لا يمنع منهم عن المساعدة الا العاجز عنها لفقره أو جهله بطريقها ، أو منع حكومته له منها ، وبهذه الرابطة نعلم الجاهل ، وننبه الغافل ، بل لا ينبهنا الا المصائب ، ولا يعلمنا الا النوائب ، فهي التي ستعيد الى الجامعة الدينية قوتها ، حتى تصدر عنها آثارها اللائقة بها ، وماهي الا العدل والفضل ، والمدنية المطهرة من أدران البغي والغدر ، واستباحة الفجور والفسق

* *

كل جامعة من تلك الجامعات الست كافية لبسط اليد في إعانة أولئك المنكوبين المظلومين ، فكيف اذا اجتمعت كلها وتحققت في مثل مسلمي مصر ؟ أفلا يكون الذي يبخل منهم جانياً على تلك الجامعات كلها : الانسانية والشرقية والعثمانية والجوارية واللغوية والاسلامية ؟ بلى . فيا أيها المسلمون — وأخص مسلمي مصر بالذكر — أنتم أهل النجدة ، وأجدر الناس بتفريج هذه الشدة ، اعلموا ان الله عليكم فيما أوجبه من زكاة أموالكم سهما للمجاهدين في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل . وأفضل الجهاد الدفاع عن النفس والوطن ، ومقاومة البغي والعدوان ، وهو ماوجب على اخوانكم وجيرانكم من أهل طرابلس . فأعينوهم يعنكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

أيها المسلمون ان دينكم يوجب عليكم اغاثة المضطر ولو كان كافراً غير محارب

لكم ، بل يوجب عليكم اغاثة الحيوانات المضطرة الى القوت وكل مايقيها الهلاك ، وقال فيكم صلى الله عليه وسلم « في كل ذات كبد حرى أجر » (رواه احمد وابن ماجة بسند صحيح) فما بالكم اذا كان المضطر من اخوانكم وجيرانكم كأهالي طرابلس الغرب ، الذين قطعت ايطالية عنهم جميع موارد الرزق ، « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

١٠

﴿ خاتمة المقالات ، شجون ومحاورات ﴾

لكل شيء مادح وقادح ، ولكل كلام مقرظ ومنتقد ، ولقد رأيت أن أختم هذا المقال بشكر الراضين عن مقالات المسألة الشرقية ، والاعتذار عما اقترحوا ، وتفصيل القول في نقد الناقدين والعفو عما اجترحوا

رأيت أكثر من عرفت راضين عن هذه المقالات ناقلين أحاديث الرضاء بل الاطراء عن غيرهم ، معتقدين انها مثلت الحقيقة ، وبينت الطريقة ، واقترح بعضهم ترجمتها ونشرها ببعض اللغات الاوربية ، وبعضهم طبعها على حدتها باللغة العربية ، شافهنا بذلك كثيرون ، وكاتبنا به قليلون ، فنشكر لهم ذلك ونعتذر عن طبعها على حدتها ، ولكننا ننشرها في مجلتنا (المنار) وعن ترجمتها ولكننا نأذن بالترجمة وطبعها بغير العربية لمن شاء ذلك

أما الساخطون فهم أعداء الدولة والملة ، وأنصار ايطالية الباغية ، وأما المنتقدون فمنهم المخلص في انتقاده ، المستقل في رأيه مع احترام رأي غيره ، ومنهم غير ذلك ، وقد كانت تظهر أمارات وعبارات السخط من بعض الجرائد الافرنجية وجريدة (الاخبار) العربية ، وكتب البنارتيس جمعية قبطية (بأبي حنظل ومصر والاسكندرية) كتابا قال فيه : « خط يراعك كلمة شاة يد كاتبها الذي يصف قوما أعزاء كرماء وصفوا بالصلاح والتقوى والانسانية (لا التوحش كما تقول) وحب الخير (يعني الايطاليين) بأنهم متوحشون وانك تعلم أيها الفيلسوف الكبير انه لايقدر على الحكم على قوم الا من كان منهم (؟) وان تكن اساءة الدخيل الذي أوجدناه من العدم (؟) وفتحنا

له صدورنا ورفعنا له اسما ومناراً لاتحتمل(١)!! ثم قال الكاتب انه يعفو عن ذنبي هذا الذي أسأت به الى المصريين (بزعمه) وأنا دخيل فيهم . هذا ملخص ما كتبه والعقلاء المنصفون يعرفون أينا أحق بالعفو عن اساءته الى الآخر ، وقد ظهر بعد أن أشرنا الى وحشية الايطاليين بزمن غير بعيد ان الجرائد في جميع الممالك الاوربية والامريكية وافقتنا على قولنا وأيدته بروايات مراسليها في طرابلس الغرب ، وبتصويرها لعدوانهم الوحشي على النساء والاطفال والشيوخ وتقتيلهم والتمثيل بهم . وانني قد عفوت عن ذلك الساخط الساخر السباب الشاتم ، بعد أن ظهر انني على الحق وهو على الباطل

وبعد هذا وذاك أذكر جميع ما بلغني من الانتقاد في محاورة مع منتقد وهو من عدة مصادر وأجيب عنه : قال لي صديق لا أرتاب في اخلاصه انك قد اشتهرت في الاعتدال فيما تكتب وأراك قد بالغت في هذه المقالات — أو قال تطرفت — حتى شايعت العلم والمؤيد في ذكر الجهاد والحرب الدينية وأنحيت باللائمة على أوربة كلها، وهذه السياسة ضارة بنا

فقلت له ان صورة البغي المنكرة التي فاجأتنا بها ايطالية قد كانت صاخة أصمت المسامع، وقارعة صدعت القلوب ، وان ما تضمنته من مخالفة حقوق الدول وابطال العهود الضامنة لسلامة دولتنا ، وما أجابت به الدول الكبرى حكومتنا حين راجعتها في ذلك من أنها على الحياد، لاتعارض ايطالية في نسخ القانون الدولي وابطال المعاهدات، كل من هذا الجواب وذلك العدوان الصريح قد دلنا وأشعرنا بأننا مهدودون بزوال دولتنا، وذهاب مابقي من ملكنا ، وبأن القوم قد اتفقوا على حل المسألة الشرقية حلا سريعاً حالا اذا لم يروا فينا من الحياة ولوازمها ما يقتضي التلبث في ذلك والرجوع عنه ، فقل لي بحقك ماذا يخاف الذي أنذر بزواله من الوجود اذا هو دافع عن نفسه بكل ما يستطيع ؟ أليس كل ما دون الزوال أسهل منه ؟ ألم يصدق علينا في هذه الحال، قول شاعرنا الذي سار مسير الامثال « أنا الغريق فما خوفي من البلل » ؟ بلى انني بتأثير هذه القارعة التي ظهر أن أوربة متفقة عليها أردت أن أبين لاوربة نفسها ولجميع العثمانيين والمسلمين أننا نعتقد أن أوربة كلها تكون خصما لنا اذا ساعدت

(١) المنار: لم يشترك القبط في المنار ولم يساعد أحدهم صاحبه في شيء ولم يسمع من أحد منهم كلمة خير فيه الا شتم جرائدهم له وهو لم يذكر أحدا منهم بسوء ؛ فكيف لايخجل قائلهم من مثل ماقال وهو مالا يقوله صادق من المسلمين ؟

ايطاليه علينا ، ومكنتها من كل ماتريده من البغي والعدوان على بلادنا

كتبت هذا معتقدا أن تذكير المسلمين في جميع بقاع الارض بما أوجبه الاسلام في مثل هذه الحال ، وظهوره أثر هذا التذكير فيهم — هو أرجى ماترجو من أسباب حذر أوربة من مساعدة ايطالية على كل ماتريد من بغيها ، واستمالة الدول الذي يهمها ارضاء المسلمين وحسن اعتقادهم فيها ، وأولاهن بذلك انكلترة ثم فرنسة وروسية المتفقتين معها في السياسة والمصلحة ، وكل واحدة من هذه الدول الثلاث مستولية على عشرات الملايين من المسلمين . وقد صرحت بمقصدي هذا في المقالات الاولى ولم أقطع الامل من مساعدة كل الدول

قال صديقي المنتقد ان المسلمين الرازحين تحت سيطرة هذه الدول كلهم ضعفاء بالجهل والتفرق فالدول اذا أرادت انفاذ هذا الامر (حل المسألة الشرقية) لاتبالي رضاهم ولا سخطهم ، إذ لايستطيعون أن يعملوا شيئا ، قلت اني لا أرى هذا الرأي بل أنها تبالي وتهتم أشد الاهتمام برضاهم ، وتحسب ألف حساب لسخطهم ، اذا كان سببه اعتقادهم أنها تريد ازالة دولة الخلافة وابطال حكم الاسلام من الارض

ان رأيك هذا يشبه رأي لطفي بك السيد مدير الجريدة إذ قال إن اظهار مسلمي مصر لعواطف الميل الى الدولة العلية واعانة أهل طرابلس على حرب عدوهم ينافي مصلحة مصر ، فهو من ترجيح سياسة العواطف على سياسة المنافع ، التي تتبعها كل العقلاء من أمم المدنية ودولها ، وأنا أرى ان العواطف والمنافع متفقة في هذه الحال فاذا جرى جميع المسلمين على ماطالب لطفي بك به المصريين ، وعلمت دول أوربة أن تقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهن لايهيج لمسلم عاطفة ، بل يرى كل شعب منهم أن رضاه بزوال هذه الدولة عين المنفعة له والمصلحة ، فانها لاتتلبث بقسمة هذه البلاد الا ريثما تتفق على توزيع الحصص ، وليت شعري ماهي المنفعة التي تنالها مصر من هذا التقسيم ، وما وجه الرجاء في بقاء غرفة واحدة من غرف دار قلعت من أساسها ، وخرت سقوفها على أهلها ، وأتاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وعن أيمانهم وشمائلهم ،

قال المنتقد : أما ينبغي ان نخاف أن تشدد أوربة وطأتها على المسلمين ، اذا هم أظهروا العطف على الدولة بباعث الدين ؟ قلت انني لا أرى هذا الخوف في محله ولو فعلت أوربة ذلك لكان أنفع للمسلمين ، فانه لاشيء يربي الامم ويجمع كلمتها مثل الضغط عليها في وقت تهيج شعورها ، ومصادرتها فيما يتعلق باعتقادها ، على أن كل بلاء يمكن أن يحل بالمسلمين في مثل هذه الحال يجب أن يحتمل في سبيل الدفاع

عن كيان الدولة كما فهمت من جوابي السابق. — الخوف من الذل مجلبة للذل ، وانما السلامة في الشجاعة لا في الجبن، ولكن

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأقول الآن ان ماجرينا عليه ، ووجهنا النفوس اليه ، من كون عدوان ايطالية يعد طرقا لباب المسألة الشرقية، قد ذكر بعد ذلك في كثير من الصحف الشرقية والغربية . وان ما ارتأيناه من تحريك شعور المسلمين لاتقاء الخطر به قد وافقنا فيه العارفون بالسياسة من المسلمين المقيمين الآن في عواصم أوربة ومسلمي الهند وتونس وغيرهم، وأشهر هؤلاء القاضي أمير علي الشهير. وكان من مسلمي الهند ورأس الرجاء الصالح ان عقدوا الاجتماعات الكثيرة لاظهار استيائهم وتألمهم لحكومتهم ومطالبتها بالسعي الى منع هذه الحرب الجائرة ومساعدة الدولة العلية

وكان من تأثير ذلك ان انكلترة لم تضغط على مسلمي مصر ، وفرنسة لم تضغط على مسلمي تونس والجزائر ، ولم تمنعهم هذه ولا تلك من جمع الاعانات لاخوانهم مسلمي طرابلس حتى ان جرائد ايطالية قد رفعت عقيرتها بالشكوى من هاتين الدولتين وطالبتهما بالتشدد في منع انجاد طرابلس وبنغازي من تونس ومصر (١

بل كان من تأثير ذلك ماهو أعظم مما ذكرنا وهو ظهور مبادىء الاتفاق بين دولتنا وانكلترة بارسال سلطاننا أكبر أنجاله ضياء الدين أفندي لتحية ملك وملكة الانكليز في سفينتهما التي تحملهما الى الهند عند وصولهما الى ثغر بورسعيد ذاهبين الى الهند بقصد الاحتفال في عاصمتها القديمة دهلي بنصب الملك امبراطورا على الهند . وكان لقاء وفد نجل سلطاننا لملك الانكليز مع أميرنا خديو مصر بالغاً منتهى الوداد اللائق بالزائر والمزور ، وجواب الملك عن كتاب السلطان ، وخطبته في مقابلة خطبة نجله ، واهداؤه الوسام الخاص بأسرة الملك الى هذا النجل السعيد بعد الزيارة — كل ذلك قد بشرنا بقرب تحقق ما أشرنا به من استمالة دول الاتفاق الثلاثي الينا وفي مقدمتهم انكلترة (٢ وهذا ماصرحنا به في أوائل هذه المقالات منذ شهرين كاملين

وجملة القول اننا رأينا العدوان من ايطالية إحدى دعائم التحالف الثلاثي ، ورأينا

(١) بعد كتابة هذه المقالة شددت الحكومة المصرية بايعاز الانكليز في المحافظة على حدود مصر من الشرق والغرب ، لئلا يتسرب شيء الى بنغازي مما يسمونه مهربات الحرب ، حتى ضايقت التجار والمسافرين ، ثم انها عادت الى اللين ، (٢) لما يتحقق ذلك ولن يتحقق مادامت جمعية الاتحاد تتصرف بالدولة

دول التوأد الثلاثي قد سكتت لها ، ولم يحن نداءنا وطلبنا المحافظة على القوانين والمعاهدات الدولية ، فصحنا من شدة الالم ان أوربة كلها متفقة علينا ، واستصرخنا الشعور الاسلامي وذكرناه بالخطر على ما بقي للاسلام من السلطة ، لنستعين بذلك على استمالة انكلترة ووديدتها الى مساعدتنا ، ودفع الخطر الاكبر عنا ، ولما قيل لنا ان الدول حصرت الحرب في طرابلس الغرب ورأينا مبادىء الرجاء في انكلترة وغيرها تومض أمامنا ، سكتنا عن الشكوى من أوربة كلها ، ولم نشرح ما كنا عزمنا على شرحه

قال المنتقد انك قد صبغت المسألة الشرقية بصبغة الدين فجعلتها كالحروب الصليبية كما تقول جريدة العلم المتطرفة المفالية وهي مسألة سياسية كان ينبغي أن نستصرخ فيها العثمانيين خاصة ، فاتفاق المعتدلين بتلك مع المتطرفين على صبغ هذه الحرب بصبغة الدين قد أخاف نصارى بلادنا ان يتضمن ذلك التحريض عليهم والايقاع بهم ، فيجب الاقلاع عن تسمية هذه الحرب بالجهاد وجعلها دينية فانها ليست الا سياسية

قلت انني قلما أقرأ جريدة العلم وقلما أراها فانا لا أدري ما هو حكمها في هذه المسئلة وأرى أننا اذا جعلنا حربنا لايطالية دينية فذلك خير لايطالية ولجميع البشر لا لنصارى بلادنا فقط ، وليت ايطالية نفسها تتبع أحكام الاسلام في الجهاد فان القاعدة الاساسية عندنا في ذلك هي قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » فلا يجوز لنا أن نقاتل غير المعتدي علينا . والمعتدي هو المحارب لا جميع أهل جنسه فلا يجوز لنا أن نقاتل من الايطاليين أنفسهم من لا يقاتلون كالرهبان والنساء والشيوخ والولدان . وايطالية لا تبقي على أحد من هؤلاء ولا تذر إلا من تعجز عن الوصول اليه ، وأما الحرب الدينية والجهاد الذي معناه أن يقاتل انسان كل من يخالفه في الدين وان كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً فهذا معنى بثته أوربة في الشرق بحروبها الصليبية ولم يقل أحد من المسلمين به ، ولو تجردنا من أحكام الدين لاستبحنا في هذه الحرب كل ما نقدر عليه من ايذاء خصمنا والاسلام لا يبيح لنا كل ذلك

قال المنتقد ان النصارى لا يفهمون الجهاد الديني في الاسلام بمعناه الشرعي الذي نفيه بل يفهمون عنه ما هو مشهور عندهم وكثير من عوام المسلمين يفهمون منه مثل فهمهم فيجب أن لا يذكر الدين والاسلام في الكلام عن هذه الحرب لاجل ذلك

قلت انني قد بينت حكم الاسلام وانه لا يجيز لنا أن نقاتل في هذه الحرب غير العسكر الايطالي وسأزيد ذلك بيانا في مقالة خاصة (وكان هذا قبل كتابة مقالة « الجهاد في الاسلام » في الشهر الماضي) ومهما قال المسلم منا فهو لا يمكن أن يرضي بعض المتعصبين منهم، الذين يحسبون كل صيحة عليهم، أو يدّعون ذلك لتحريض أوربة علينا كصاحب جريدة (الاخبار) ، ولو شئت لنقلت من كلام نصارى الشرق والغرب ما صرحوا به من كون المسألة الشرقية مسألة دينية كقول أمين شميل (شقيق صديقنا الدكتور شميل) في كتابه الوافي ان هذه المسألة ولدت بولادة نبي الاسلام ، وترعرعت من ابتداء ترعرع ملك خلفائه الى الآن . وعندي نقول كثيرة عن الاوربيين في ذلك لا أحب الآن أن أنشرها ، ونسأل الله أن يكفينا شرها

لا يسع أحداً أن ينكر ان المراد من هذه المسألة أن لا يبقى للمسلمين ملك على وجه الارض ، فاذا فرضنا ان هذا لا يضر الاسلام في عباداته ، فهل يقول عاقل مسلم أو غير مسلم انه لا يبطل سلطته وأحكامه القضائية والسياسية ؟ كلا ان هذا هو الذي نعنيه بكون المسألة الشرقية عداوة للاسلام وأهله ، فحسب أوربة ما سلبت من ملكه، ونقصت من أرضه ، ولتترك لنا هذه البقية القليلة، فان أبت الا الاعتداء عليها، وجب أن نبين لها اننا عارفون مستيقظون، وان لا تلومنا هي على ما نفعل للمحافظة على هذا الذماء ، فهل يصح أن نلوم نحن أنفسنا ، ونتخاذل في المحافظة على رمقنا ؟

ولا يمنعنا السعي لذلك أن نستصرخ سائر الشعوب الشرقية ونتعاون معها سرا أو جهراً على هذا الدفاع الشريف ، فكلما اعتدي على قطر اسلامي نحرك شعور المسلمين باسم الاسلام ، ونحرك شعور غيرهم من الشرقيين باسم الشرق ، ونحب أن تكفينا أوربة مؤنة ذلك بمنع بعضها بعضا عن الاجهاز على الدولة العثمانية والدولة الايرانية ، واطلاق حرية الدين والعلم والاجتماع في البلاد الاسلامية التي أدخلتها في حمايتها كمراكش وتونس وزنجبار وفي البلاد التي ضمتها الى مستعمراتها كالجزائر وجاوه

اننا الآن بين الخوف من أوربة والرجاء فيها ، والرجاء في انكلترة أقوى كما بينت ذلك في المقالات السابقة ، ومن أسباب قوة الرجاء فيها ما ظهر من التوادد بين المسلمين والوثنيين في الهند منذ ظهر عدوان ايطالية بعد اشتداد العداوة بينهم في السنين الاخيرة لمخالفة المسلمين الهندوس فيما يقاومون به الحكومة الانكليزية واني أورد في هذا المقام جملة من كتاب خاص كتبه الي سائح من حيدرابادالدكن بعد ما ساح في كثير من تلك الممالك . قال :

« أفيدكم ان الهند كلها بقضها وقضيضها، مسلميها على اختلاف نحلهم ، وكفارها على تشعب مللهم ، لا أستثني غير الاوربيين ومن في الشعور من همج الهمج واشباههم، قد تغيظوا وتحمسوا أشد الغيظ والتحمس لما صار من ايطالية في الترك ، وقد عقدت المؤتمرات العديدة وأرسلت الاحتجاجات ولا حديث للقوم الا في هذه المسألة، وهم لا يفهمون منها الا أنها عداء من أوربة لآسية، وظلم من القوي للضعيف ، ودرس في التعصب يجب على الشرقي حفظه في سويداء قلبه ، لاخلاف في ذلك بين مسلم وبين برهمي أو مجوسي أو وثني ، حتى لقد أنسى القوم ما بينهم من الاحن والحزازات

« وتتجلى هذه المظاهر بأتم وضوح في البلاد التي تحكمها الانكليز مباشرة ، وهي أقل ظهوراً فيما تحكمه مهراجات الهندوس، وهي أقل في الممالك المحكومة بأمراء (نواب) مسلمين ، ولعل السبب في هذا هو خوف هؤلاء من غول التعصب الذي يقذفهم به الاجانب عند كل صغيرة وكبيرة »

« ولو كان المنار صحيفة أخبارية لاطلت النفس وشرحت له الاخبار. ثم ان ما صار وظهر في جميع أقطار الهند من هذه الحركة المباركة لما أفزع رجال الانكليز وحسبوا له ألف حساب ، واذا لم ترضهم الانكليز بأفعالها ـ لان دور الارضاء بالاقوال قد ذهب ـ لتندمن حيث لا ينفع الندم ، وستكون بعملها إذ ذاك جامعة لكفار الهند ومسلميها ، وفي ذلك من الضرر عليها ما تعرفه هي أكثر من غيرها ولا يرضاه لها محبوها ومحبو الانسانية ، سيما مع قرب موعد الدربار (الاحتفال بالباس الملك تاج امبراطورية الهند، وفي العبارة مايدل على ميل الكاتب الى انكلترة)

نعم ان رجال ساستها يزعمون أن اتفاق المسلمين مع الهندوس مضر بالمسلمين لانهم الآن نحو مائة مليون نفس فقط (أي بحسب احصاء هذا العام الذي لما يعلن رسميا) مع ان الهندوس أكثر من ضعفيهم ، ولكن هل درى ساداتنا الساسة ان المسلمين قد حكموا الهندوس في وقت لم يكونوا فيه الا نحو خمسة في المائة ؟ ثم زاد الآن عدد المسلمين مع مغلوبيتهم كما تضاعف عددهم بالصين كذلك ، فلهذا لا يعلق المسلمون كبير أهمية على نحو هذا ، وانهم لكما كانوا شجاعة وشدة ، وأكثر مما كانوا علما وحبا للاسلام واستماتة في نصره « وما راء كمن سمع »

« ان أهل الهند لم يروا من آثار الترك سوى الطرابيش المجلوبة من النمسا ولو كان للترك في الهند مدارس عالية كما لأكثر الدول في سائر القارات لكان نفوذ الدولة هناك مما ترجف له أعصاب أعدائها ، واني أنصح للدولة بأن لا تبقي جهدا

في فتح مدارس دينية علمية في جميع الاقطار التي خضعت لغير الاجنبي وبها مسلمون وان ضعفت ماليتها وكافئها هذا الاقتراح ما كافئها ، فلا بد دون الشهد من ابر النحل » اه

هذا ما كتبه الينا السائح الذكي الذي نعلم من سياسته الميل الى اتفاق مسلمي الهند مع حكومتهم دون الاتفاق مع أهل وطنهم عليها ، ولكنه مسلم قبل كل شيء ولو كره المتفرنجون المفتونون بالجنسية ، أما اقتراحه على الدولة فما هو بالذي يسمع ولا الدولة بقادرة عليه لا لقلة المال ، بل لعدم الرجال ، وأقرب منه أن تنشئ الدولة هذه المدارس العالية في الحرمين الشريفين أو تسمح للقادرين على انشائها من المسلمين بذلك من أموالهم ، ويكون لها الغنم ، وعليهم الجهد والغرم

(النتيجة العامة) ان مقالاتنا في المسئلة الشرقية لم نقصد بها الا ما ذكرنا من دفع الخطر عن دولتنا وأمتنا ، وقد دعونا فيها غير المسلمين من أهل مملكتنا لمشاركتنا في هذا الدفاع عن الدولة من حيث الجامعة العثمانية ، كما دعونا فيها المسلمين الى مشاركتنا من حيث الجامعة الاسلامية ، والشرقيين الى مساعدتنا من حيث الجامعة الشرقية ، وان غير المسلمين من العثمانيين لم يكونوا أشد غيرة وحدبا علينا من وثني الهند ، ومع هذا كله لا ندعو الا الى تقوية الرابطة بهم ، وحفظ الحقوق الوطنية بيننا وبينهم ، ونحن مع من يساعدنا من الاوربيين ، ولا ينكر علينا أحد اننا نشكر للمحسن احسانه ، ونعرف لصاحب الجميل جميله ولا ننكره ، بدليل توددنا الى انكلترة مع جفوتها لنا زمنا طويلا ، ونجعل ذنب هذه الجفوة على سلطانها السابق بتوددها الى خصيمتها ألمانية . فهذه هي سياستنا فمن أنكر علينا منها شيئاً فليدله لنجيب عنه بالانصاف وقواعد العقل ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩

(المنار) بعد أن نشرنا هذه المقالة في المؤيد تذكرنا أن جريدة معروفة بالتعصب على المسلمين حتى لايطالية في عدوانها وبغيها قد أنكرت علينا كلمتين من تلك المقالات ، ولما كنا نتحرى الادب والحق في كلامنا وان لا يوجد فيه ما ينكره الخصم وان نظر اليه بعين السخط كتبنا الاستدراك الآتي

﴿ استدراك في الانتقاد على مقالات المسألة الشرقية ﴾

انني أتحامى بطبعي وسجيتي كل ما تأباه مصلحة الارتباط بيننا وبين أهل الملل التي تشاركنا في وطننا ، وكل مالا يرضاه الذوق والادب في التعبير عن الحقائق التي أعتقدها ، وان من القوم من ينظر في كلام كل كاتب مسلم بعين السخط من وراء نظارة مكبرة ، ولم يصل اليّ من الانتقاد على هذه المقالات الطويلة الا انكار بعض هؤلاء الذين يجعلون الحبة قبة عبارتين اثنتين أذكرهما وأجيب عنهما

إحداهما نقلي لقول الفقهاء الذي أتوقع أن يبلغه شيوخ السنوسية للناس حيث الحرب تشتعل نيرانها ، وهو ان الكفار اذا دخلوا دارالاسلام فالتحيز وجب على كل مسلم فيها مدافعتهم . قالساخط انني عبرت عن الايطاليين بالكفار وهم أهل كتاب وعد هذا اهانة لجميع المشاركين لهم في دينهم

وانني أجيب عن هذا بانني نشرت في الاعداد الاولى من السنة الاولى للمنار نبذا متسلسلة في بيان اصطلاحات كتاب العصر بينت في الاولى منها وهي في العدد الاول ان لفظ الكفر قد أطلق في الشرع على مايقابل الايمان والاسلام ولم يرد بهذا الاطلاق الاهانة ولا السب والشتم لان اللفظ لايدل في اللغة على شيء قبيح ولا معيب فان معناه العامّ هو الستر والتغطية ولذلك سمي الليل كافراً والبحر كافراً ، واطلق في القرآن الكريم لفظ الكفار على الزراع لانهم يكفرون الحب بالتراب أي يسترونه ، وذلك قوله تعالى « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ثم بينت بعد ذلك ان هذا اللفظ صار في عرف أهل هذا العصر مرادفاً للالحاد والتعطيل وصار يعد من ألفاظ السب والاهانة ، وافتيت بحرمة اطلاقه في التخاطب على من حرم الاسلام إيذاءهم كالذميين والمعاهدين ، ونقلت مثل هذا الافتاء عن بعض الفقهاء . ولكن هذا لايمنعنا من ذكر الاصطلاحات الشرعية في كتبها وعند البحث فيها كما هي ، ومن هذا الباب العبارة الفقهية التي انتقدها الساخط هنا ، على أن الحربيين كالايطاليين لايجب علينا مجاملتهم في الخطاب والتعبير عنهم ولا تجنب إيذائهم كما يجب مثل هذا في خطاب الذميين والمعاهدين

يشبه هذا الانتقاد ان كان عن جهل بالاصطلاح مارأيته في بعض جرائد السوريين في أمريكة من انكار ذكر الجرائد التركية لفظ الملة والامور الملية ظناً من المنتقد

أنهم يعنون بالملة الدين وانما يعنون به الامة ، وما رأيته في بعضها من استنكار عزل شيخ الاسلام لبعض النواب ظنا من الكاتب ان المراد بهم المبعوثون

والعبارة الثانية هي ذكر البغايا مع الخمارين والمقامرين والتجار والقسوس ووكلاء الدول في سياق ما أصابنا من ضرر هذه الاصناف في أموالنا وآدابنا وسياستنا ودينا. وانني تروّيت في كتابة تلك العبارة خشية أن يكون فيها سوء أدب ، وبعد التروي رأيت مثل هذا في أبلغ الكلام وأنزهه ، رأيت ذكر اسم الجلالة الكريم في الآيات التي فيها ذكر الشيطان اللعين ، وذكر الطيبين والطيبات ، مع الخبيثين والخبيثات ، معطوفا بعضهم على بعض ، وقال الشاعر

ثلاثة تشقى بها الدار العرس والمأتم والزار

فذكر أولئك الاصناف من قبيل الاشياء المذكورة في البيت ، أي ان كل صنف منها آذانا نوعاً من الايذاء وان كان لكل منها مقاما في نفسه ليس للآخر ، كما ان العرس ضد المأتم ، وانما ذكرا معاً لان في كل منهما ضرراً مالياً لما اعتيد فيهما من الاسراف ، وفي الزار أيضاً ضرر مالي وهو مع ذلك معيب مذموم عند أهل الدين والعقل . فهل يقول أحد ان الشاعر جعل هذه الثلاثة في مرتبة واحدة من كل وجه ؟؟

كلا ان الذي انتقد تلك العبارة وعابها هو معروف بسوء القصد وتتبع العثرات واستقراء الزلات في أقوال المسلمين المشهورين وأفعالهم ، وهو معهم من الذين قال فيهم الشاعر

ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

فهو لما لم يجد في مقالات المسألة الشرقية كلمة يستدل بها على ما يرمي به كل كاتب مسلم يغار على ملته من التعصب وتحقير النصارى والاغراء بهم زعم انني أهنتهم باهانة إيطالية لانني قلت ان السنوسية سيقولون للناس ان دفاع الكفار وصدهم عن المسلمين اذا دخلوا بلادهم مقاتلين فرض عين ، ولانني ذكرت وكلاء الدول والقسوس في سياق ذكرت فيه أصحاب الحانات والقمار ! ! ولو لم يخدع بكلامه بعض القوم ويشر اليه بعض دعاة النصرانية في مقالة له رماني فيها بالخروج عن الادب معهم في بعض العبارات ، لما كتبت هذه الكلمات في بيان ان تلك العبارة ليس فيها شيء من سوء الادب لأن مثلها معهود في افصح الكلام العربي وأنزهه . وهب ان فيها شيئا من ذلك فانا بريء من القصد اليه وتعمده لانني اكرم نفسي وأربأ بها ان تأتي ذلك

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

(تمهيد للمنار)

تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي أفندي زيدان صاحب الهلال مشهور، وقد سبق لنا تقريظه في المنار ونقد بعض مباحثه ، وذكرنا اننا كنا نود لو نجد سعة من الوقت لمطالعته كله ونقده نقداً تفصيلياً . ولما عرضه مؤلفه على نظارة المعارف المصرية وطلب منها ان تقرره للتدريس في مدارسها عهدت النظارة الى بعض أساتذتها بمطالعته وابداء رأيهم فيه، فلما طالعوه بينوا للنظارة ان فيه غلطا كثيرا وأنه غير جدير بأن يعتمد عليه في التدريس ولا المطالعة ، فلأجل هذا لم تقرره النظارة . وكنت انتقدت الاساتذة الذين طالعوا الكتاب وانتقدوه انهم لما يكتبوا ما رأوه فيه من الغلط ويبينوه للناس وللمصنف أيضاً لعله يرجع الى الصواب اذا ظهر له ، فانه يدعو الكتاب دائما الى نقد كتبه

نعم ان بعض من قرأه قد انتقده بمقالات نشرت في جريدة المؤيد واجاب المصنف عن بعض ما انتقد عليه واعترف ببعض ، وقد ذكرت هذا في المنار ،

ويرى بعض الناقدين لهذا التاريخ قولا وكتابة أن مؤلفه يتعمد التحامل على العرب وعلى الاسلام نفسه ، وكنت اذا سمعت ذلك منهم أعارضهم وأرجح انه غير متعمد، وان السبب في اكثر ما أخطأ به هو عدم فهم بعض المسائل كتفسيره لمسألة القول بخلق الفاظ القرآن بان القرآن غير منزل من عند الله وتخطأه فيما ذكره عن ثروة المسلمين في عصر النبي (ص) وذلك مما انتقدناه عليه في المنار — وإما جعل بعض الوقائع الجزئية قواعد كلية عامة ، وهذا معهود في جميع مؤلفاته ، ولكن ظهر لنا مما كتبه بعد ذلك ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه انه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم وكان هذا سبب ترجمة هذا الكتاب بالتركية

وقد أنبرى في هذه الأيام الشيخ شبلي النعماني العلامة المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في الهند ومحرر مجلتها الى الرد على هذا التاريخ ، وكتب الينا انه يريد ان يرسل الينا ما يكتبه ويطبعه من هذا الرد بالتدريج لننشره في المنار، كلما طبع

منه شيئا في (لكنؤ) أرسله الى ان يتم ، ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف ، بادرنا الى نشره معتذرين عما في أوله من شدة الحكم ، وودنا لو لم يصرح به وان أثبت ، ولولا انه طبعه لحذفناه منه . قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ، ان الدهر دار العجائب . ومن احدى عجائبه ان رجلا من رجال العصر (١ يؤلف في تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم وتمويه الباطل ، وقلب الحكاية ، والخيانة في النقل ، وتعمد الكذب ، مايفوق الحد ، ويتجاوز النهاية ، وينتشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد ، وقبة الاسلام ، ومغرس العلوم ، ثم يزداد انتشاراً في العرب والعجم ، ومع هذا كله لا يتفطن أحد لدسائسه (٢) ان هذا لشيء عجاب

لم يكن المرء ليجترىء على مثل هذه الفظيعة في مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئاً فشيئاً ، فانه أصدر الجزء الثاني من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ، ولما لم يتنبه لذلك أحد ، ولم ينبض لاحد عرق ، ووجد الجو صافياً ، أرخى العنان ، وتمادى في الغي ، وأسرف في النكاية ، في العرب عموما وخلفاء بني أمية خصوصاً

وكان يمنعني عن النهوض الى كشف دسائسه اشتغالي بامر ندوة العلماء . ولكن لما عم البلاء ، واتسع الخرق ، وتفاقم الشر ، لم أطق الصبر ، فاختلست من أوقاتي أياماً وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والابانة عما فيه من أنواع الافك والزور وأصناف التحريف والتدليس

(معذرة الى المؤلف)

اني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تأليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك ، واستشهدت باقوالي ونصوصي ، ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند ، مع اني أقل بضاعة ، وأقصرهم باعاً ، وأخلهم ذكراً ، ولكن مع كل ذلك هل كنت أرضى أن تمدحني وتهجو العرب ، فتجعلهم غرضاً لسهامك ، ودريئة لرمحك ،

(١) هو جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال اه من خط المؤلف في هامش الاصل

(٢) المنار : قد علم من التمهيد ان كثيرين قد فطنوا لما في الكتاب من الخطأ وبعضهم انتقده

ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو اليهم كل دنية وشر، حتى تقطعهم اربا اربا، وتمزقهم كل ممزق، وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عربا بحتاً من أشر خلق الله وأسوئهم، يفتكون بالناس، ويسومونهم سوء العذاب، ويهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الذرية وينهبون الاموال، وينتهكون الحرمات، ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن

وهل كنت أرضى بأن تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر بن الخطاب، الذي قامت(١) بعدله الارض والسماء، وهل كنت أرضى بأن تمدح بني العباس فتعدمن مفاخرهم أنهم نزّلوا العرب منزلة الكلب، حتى ضرب بذلك المثل، وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغاما للكعبة، وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما، وان المأمون كان ينكر نزول القرآن، وان المعتصم بالله أنشأ كعبة في (سامرا) وجعل حولها مطافا واتخذ منى وعرفات

وهب اني عدمت الغيرة على الملة والدين، وافتخرت كصنيع بعض الاجانب بأني فلسفي بحت عادم لكل عاطفة ووجدان، فلا أرضى ولا أغضب ولا أسر ولا أغتاظ ولا أفرح ولا أتألم، وهب أني حملت نفسي على احتمال الضيم، وقبول المكروه، والصمم عن البذاء، ومجازاة السيئة بالحسنة، ومكافأة الخبيث بالطيب، فهل كنت أرضى بأن تشوه وجه التاريخ، وتدمغ الحق، وتروج الكذب، وتفسد الرواية، وتقلب الحقيقة، وتفقه النهم، وتعود الناس بالخرافة، بئس ما زعمت أيها الفاضل، فان في الناس بقايا وان الحق لا يعدم أنصارا

ان الغاية التي توخاها المؤلف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول، ولبس الباطل بالحق. بيان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلاثة أدوار: دور الخلفاء الراشدين، ودور بني أمية، ودور بني العباس، فمدح الدور الاول وكذلك الثالث (ظاهراً لا باطناً كما سيجيء) ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبهم فخارنا في بث التمدن وأبهة الملك، ورأى ان بني أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم، ولا مدافع عنهم، تفرغ لهم، وحمل عليهم حملة شعواء، فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم، وما خلى حسنة الا وابتزها منهم، ثم لو كان هذا لاجل انهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لسكتنا في غنى عن

---

(١) لعل الاصل شهدت بدل قامت

الذب عنهم ، والحماية لهم ، ولكن كل ذنبهم انهم العرب على صراقتهم ما شابتهم العجمة مطلقاً كما قال :

« وتمتاز (أي دولة بني أمية) عن الدولة العباسية بأنها عربية بحتة » (الجزء الثاني من تمدن الاسلام)

« وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية أساسها طلب السلطة والتغلب » (الجزء الرابع صفحة ١٠٣)

(عصبية العرب على العجم)

أطال المؤلف وأطنب في اثبات هذه الدعوي فذكر طرفا منه في الجزء الثاني مدسوساً (انظر صفحة ١٨) ثم جعل له عنواناً خاصاً في الجزء الرابع (٥٨) وهذه نصوصه :

« فان العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد ، واذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعاً لله »

« وكانوا يحرمون الموالي من الكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم »

« وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة الا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى »

« فكان العربي يعد نفسه سيدا على غير العربي ويرى انه خلق للسيادة وذاك للخدمة »

« فتوهم العرب في أنفسهم الفضل على سائر الامم حتى في أبدانهم وامزجتهم فكانوا يعتقدون أنه لا تحمل في سن الستين الاقرشية ، وان الفالج لا يصيب أبدانهم »

« ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصح للقضاء الاعرابي وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان أبوه قرشياً

« ولا يزوجون الاعجمي عربية ولو كان أميراً وكانت هي من أحقر القبائل »

« وكان الامويون في أيام معاوية يعدون الموالي أتباعاً وأرقاء وتكاثروا فأدرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهم أن يأمر بقتلهم كلهم أو بعضهم »

* *

اعلم ان للمؤلف في انفاق باطله اطواراً شتى

فمنها تعمد الكذب كما سترى ، ومنها تعميمه لواقعة جزئية ، ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه »

ومنها الاستشهاد بعادو غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والضكاهات . وهاك امثلة من كل نوع منها قال : « اذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعاً لله وكانوا يحرمون الموالى من السكنى الخ . وكانوا يقولون لايقطع الصلاة الاثلاثة الخ »

غير خاف على من له الملام بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدريهم ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأز وقال عبدي يكتب الي!! وكتب يزدجرد الى سعد ابن ابي وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شرب البان الابل واكل الضب بلغ هم الحال الى ان تخوا دولة العجم فأفٍّ لك ايها الدهر الدائر . وكانت ملوك الحيرة تحت امرة ملوك العجم .

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام اتصفت العرب من العجم واستكفوا من سيادتهم عليهم ، وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر وفخوة فقال رسول الله في خطبته الاخيرة في حجة الوداع ، ان لافضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي كلكم ابناء آدم »

وحينئذ ارتفع التمايز وتساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة في صدورهم كانت سبباً لحدوث حزبين متقابلين يسمى احدهما الشعوبية وهي التي تحتقر العرب وترميه بكل معيبة حتى ان ابا عبيدة صنف كتباً عديدة يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبائل العرب ، والثاني المتعصبون للعرب . وقد عقد العلامة ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد باباً في حجج كلا الطرفين واقوالهما . ومعظم ما نقله المؤلف في اثبات عصبية العرب هي اقوال ذكرها صاحب العقد في هذا الباب ، كما لوح به المؤلف في هامش الكتاب ،

واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التي نسبها الى العرب عموماً انما هي اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبية ، وصاحب العقد حينما ذكر هذه الاقوال صدرها بقوله « قال اصحاب العصبية من العرب » وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافة العرب ولا اكثرها ، بل ولا عشر معشارها ، فانك سترى ان هؤلاء اناس شرذمة مغمورون في الناس . ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم الى العرب عامة

فقال ناقلا عن كتاب العقد « وكانوا يكرهون ان يصلوا خلف الموالي واذا صلوا خلفهم قالوا انا نفعل ذلك تواضعاً لله » فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولا عاماً للعرب ، وهذه الضميمة اعني تعميم

الواقعة الجزئية هي اكبر الحيل التي يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هي قطب رحى تأليفه .

قال المؤلف « فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ ان يأمر بقتلهم كلهم او بعضهم » (الجزء الرابع صفحة ٥٩) ان نص معاوية الذي نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا « كأني انظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان فرايت ان اقتل شطراً وادع شطراً » فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل شطراً منهم . ولكن المؤلف زاد على العبارة وقال ان معاوية هم ان يأمر بقتلهم كلهم .

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا يصيب ابدانهم ، (الجزء الرابع صفحة ٦) استشهد في هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوح في هامش الكتاب . وايم الله لو كنت تقف على عبارة الطبقات لوقفت في اشد حيرة من اجتراء المؤلف على قلب الحكاية ، وتغيير الرواية ، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب (الراجح انه نصراني) ان المهدي ضربه فالج فحضر المتطببون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال « المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يضربه فالج ! لا والله لا يضرب احداً من هؤلاء ولا نسلهم فالج ابداً الا ان يبذروا بذورهم في الروميات والصقلبيات وما اشبههن)

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم ابن المهدي لما اعتل بعلة شبيهة بالفالج دعا يوسف وقال له ما العلة عندك في عروض هذه العلة لي ؟ (قال يوسف) فعلمت انه كان حفظ عن أمه قول عيسى أبي قريش في المهدي وولده انه لا يعرض لعقبه الفالج الا أن يبذروا بذورهم في الروميات وانه قد أمل أن يكون الذي به فالجا لا عارض الموت . فقلت لا أعرف لانكارك هذه العلة معنى اذ كانت أمك التي قامت عنك دنباوندية و (دنباوند) أشد برداً من كل أرض الروم ، فكأنه تفرج الى قولي وصدقني وأظهر السرور

فأنت ترى ان الظن ببراءتهم من الفالج انما كان مبناه حرّ ارض العرب وليس له أدنى مساس بشرف النسل . ولو كان كما يتبادر الى الذهن من عد اسماء آباء المهدي فهو يختص بعائلة النبي عليه السلام لا يفهم منه العموم مطلقاً ، ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة المهدي) ان أمه من (دنباوند) وهو أشد برداً من كل أرض الروم ، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عربي أم لا وغالب الظن انه نصراني، وهب انه عربي فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافة

**

قال المؤلف : ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي ، (الجزء الرابع صفحة ٦٠) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان

حقيقة هذا القول ان الحجاج لما امر سعيد بن جبير التابعي المشهور وكان من الموالي قال له ممتناً عليه اما جعلتك اماماً للصلاة في الكوفة ولم يكن في الكوفة الا العرب ، قال ابن جبير نعم ، ثم قال له الحجاج أليس إني لما أردت ان أوليك قضاء الكوفة ضجّ العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي ؟ وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفى عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوائد الامة مطلعاً على خصائصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم ، وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استكاف أهل كوفة من قضائه لاجل كونه من الموالي لاستنكفوا من امامته للصلاة فان الامامة أعظم شرفا وارفع محلا من القضاء . وهذا ابو حنيفة كان من الموالي وأرادوا أن يولوه القضاء في عصر بني أمية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصلا ،

قال المؤلف « وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشياً » نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعي كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ام ولد (١) . أما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن علي انك ابن أمة ولذلك لا تصلح للخلافة، فقد رده عليه زيد وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته . ومن المعلوم ان زيداً وهو ابن الامام زين العابدين أرفع شأناً وأعظم محلا وأطيب أرومة وأصدق قولا من هشام . ثم لو كان هذا الامر حقاً ما كانوا يولون الخلافة يزيد بن الوليد الاموي ومروان الحمار وهما ابنا أمة ،

ولما فرغنا من ابداء شطر من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دأبه في تأليفاته

---

(١) انظر الجزء الثاني من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

حان لنا ان نحقق أصل المسألة أي ان العجم والموالي هل كانوا أذلاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد في عصر بني أمية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسؤدد ، ويوفى لهم أوفى قسط وأكمل حق

اعلم ان البلاد التي كانت عواصم الاقاليم وقواعدها في عصر بني أمية هي مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امام يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماؤهم

مكة المشرفة	عطاء ابن ابي رباح هو استاذ الامام ابي حنيفة
اليمن	طاوس
الشام	مكحول
مصر	يزيد بن ابي حبيب
الجزيرة	ميمون بن مهران
خراسان	ضحاك بن مزاحم
البصرة	الامام الحسن البصري
الكوفة	ابراهيم النخعي

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعي كانوا من الموالي وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بني امية وولاة الامر ،

فأما (عطاء بن ابي رباح) فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع في الفتوى وعليه المعول في المسائل ، قال ابن خلكان في ترجمته قال ابراهيم بن عمرو ابن كيسان اذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح (لايفتي الناس الا عطاء بن ابي رباح) وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء (١)

واما (طاوس) فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس في جنازته حتى تعذرت الصلاة عليه

(١) المنار : الامر أكبر من ذلك ، كان عطاء يشدد في وعظ عبدالملك والوليد فيقبلان منه راجع في صفحة ٤٢٢ و ٤٢٣ من مجلد المنار التاسع وعظه لعبدالملك وهو جالس معه على كرسيه وترفعه عن الاخذ منه وقول عبد الملك عند خروجه « هذا وأبيك الشرف » ومخاطبته الوليد باسمه وتشديده في وعظه حتى أغمي عليه

وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا على مكة فاستعان بالشرطة ومشى في جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعاً نعشه على عاتقه وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموي .ذكر كل هذا العلامة ابن خلكان في ترجمة طاؤس فهل يكون منزلة اعظم من ذلك ،

واما (مكحول الشامي) فأحد الأئمة المتبوعين وقال الزهري العلماء اربعة فلان فلان ومكحول

واما (يزيد بن ابي حبيب) فهو الذي ارسله عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس في مصر ويفتيهم في المسائل وهو المعلم الاول لهم كما صرح بذلك السيوطي في حسن المحاضرة

واما (ميمون بن مهران) فمع فضيلته وسيادته كان اميراً على الخراج في الجزيرة كما صرح به ابن قتيبة في المعارف

اما (حسن البصري) فحدث عن البحر ولا حرج ، يذعن له الملوك والسادة والقواد وعليه المعول واليه المنتهى (١)

ذكر السخاوي في شرح الفية الحديث للعراقي (طبع لكهنو صفحة ٤٩٨ و ٤٩٩ ان هشاما قال للزهري : من يسود اهل مكة ؟ قال عطاء ، قال بم سادهم ؟ قال بالديانة والرواية ، قال هشام نعم من كان ذا ديانة حقت الرياسة له . ثم سأل عن يمن قال طاؤس وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة فأخذ الزهري يعد اسماء سادات هذه البلاد وكلما سمى رجلا كان هشام يسأل هل هو عربي ام مولى ؟ وكان يقول الزهري مولى ، الى ان اتى على النخعي وقال انه عربي . فقال هشام « الآن فرّجت عني والله ليسودن الموالي العرب ويخطب لهم على المنابر والعرب تحتهم »

ان التابعين لهم اعلى محل في تاريخ الاسلام — ورأسهم سعيد بن جبير وهو وهو اسود وقد ولاه حجاج بن يوسف امامة الصلاة في الكوفة كما ذكره ابن خلكان في ترجمته والكوفة اذ ذاك جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل يصح بعد ذلك دعوى المؤلف ان العرب كانت تستنكف من الصلاة خلف الموالي

وهذا سليمان الاعمش استاذ الثوري كان عبداً عجمياً وكان بمنزلة من العز

---

(١) راجع في ٤٢٣ وما بعدها من مجلد المنار التاسع اغلاظ الحسن على الحجاج ، وفي صفحة ٤٩٨ منه نصيحته لوالي بني أمية على العراق

والشرف انه لما كتب اليه الخليفة هشام بن عبدالملك ان يكتب له مناقب عثمان ومساوي علي اخذ كتاب هشام وألقمه عنزاً كان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب كتابك (ابن خلكان ترجمة الاعمش)

وهذا حماد الراوية الذي دون المعلقات وله المكانة الكبرى في الادب والشعر كان عبداً اسود وكانت ملوك بني امية تقدمه وتؤثره وتستزيره كما ذكره ابن خلكان

وهذا سالم بن عبدالله بن عمر كان ابن امة ولما دخل الخليفة هشام بن عبدالملك المدينة ارسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل عليه هشام ووصله بعشرة آلاف ثم لما حج ورجع كان سالم اذ ذاك مريضاً فذهب لعيادته ولما توفي صلى عليه وقال لا ادري باي الامرين أنا أسر : بحجتي ام بصلاتي على سالم ؟ ولو اخذنا في تعداد امثال هذه الوقائع لطال الكلام ومل الناظرون

ويظهر مما مر عليه ان الموالي كانوا في ايام بني أمية باعلى محل من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدمهم وتقتدي بهم وترفع شأنهم ، فهل يصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالي وابناء الاماء كانوا في عصر بني امية مرذولين ساقطين يزدرى بهم ولا يقام لهم وزن وكان العرب وبنو أمية يعاملونهم معاملة العبيد ؟

(لها بقية)

القرابين والضحايا في الاديان

﴿ للدكتور محمد توفيق صدقي ﴾

(الطبيب بسجن طره)

كثر لغط المجلات التبشيرية النصرانية في هذه المسألة مفسرين لها بحسب أهوائهم وأغراضهم زاعمين أن وجود الذبائح والقرابين والضحايا في الاديان عموما وثنية كانت أو إلهية هو رمز لذبيحتهم المظمى وهو صلب المسيح بحسب اعتقادهم

عجيب أمر هؤلاء القوم ! ! فانهم منذ نشأتهم في العالم لما لم يجدوا لهم برهانا عقليا أو نقليا على إثبات دعاويهم وعقائدهم عمدوا الى طريقة هي من الغرابة بمكان عظيم . وذلك أنهم نظروا في كتب من سبقهم من بني اسرائيل وغيرهم فعرفوا

لبعض مافيها من النصوص او الشرائع والقصص وغير ذلك ثم اخترعوا للمسيح صلى الله عليه وسلم (١) ماشاءوا من الحوادث التي قد يكون لبعضها أصل تاريخي صحيح مراعين في ذلك أن يكون هناك شيء من التشابه بين مايدعون وبين ما يوجد من النصوص في كتب المتقدمين ليتخذوا ذلك دليلا على صحة دعواهم أن السابق إشارة أو رمز إلى اللاحق مما يلفقون . ولم نجد لهم دليلا على عقيدة من عقائدهم سوى هذه الطريقة التي ملأوا الدنيا بها صياحا وعويلا مدعين أن كل ماسبقهم من الكتب هو تمهيد أو رمز الى دينهم وأن كل شيء خلق لاجلهم مع أن جميع الامم التي سبقتهم لم يكن يخطر على بال أحدمنها أن ماعندهم من الشرائع رمز لدين آخر

لايظن القارئ أني أنكر بذلك النبوات والبشائر التي وردت في كتب الانبياء السابقين إخبارا عن الانبياء اللاحقين اذا كانت صريحة في ذلك، ولكن الذي أنكره على النصارى هو أنهم جعلوا كل شيء في أديان من سبقهم حتى من الوثنيين رموزا للمسيح عليه السلام مع أن بعض هذه الرموز المزعومة ربما لا يكون لها أدنى علاقة به ولا بتاريخه عليه السلام وإنما هو التحكم يجعلهم يتوهمون أنها تنطبق عليه ولولا ذلك ماخطر على بال أحدهذا الانطباق البعيد العجيب ، فتراهم مثلا يجعلون خروج بني اسرائيل من ارض مصر إشارة الى حضور المسيح فيها ورجوعه منها الى بلده (راجع متى ٢ : ١٥ وهوشع ١١ : ١) وفي الاناجيل من مثل ذلك كثير . ولله در السيد جمال الدين الافغاني حيث قال ماهذا ه (ان مؤلفي العهد الجديد قد فصلوا قميصا من العهد العتيق وألبسوه لمسيحهم)

هذه مسألة الضحايا والقرابين في الاديان لها فيها معان وأغراض أخرى ولكن يتحكم النصارى فيها ويدعون أنها رمز الى (صلب المسيح) . ولنبين هنا

(١) حاشية : الاظهر أن لفظ المسيح كما قال صاحب المنار علم على عيسى بن مريم ولذلك قال تعالى (اسمه المسيح عيسى بن مريم) ومعنى المسيح الملك الممسوح لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم واللفظ اذا اطلق علما على شخص لايجب أن يتحقق مدلوله في هذا الشخص فاذا سميت رجلا (صادقا أوسلطانا) فلايجب أن يكون صادقا ولا سلطانا فلا عجب اذا سمي عيسى بهذا الاسم وان لم يمسح ملكا وهو أفضل من ملوك الارض وسلاطينها وأكثرهم تابعا

كيف أنه لايوجد أدنى انطباق أو أي علاقة بين هذه المسألة وبين مسألة الصلب فنقول : ـ

(١) إن الضحايا والقرابين موجودة في جميع الاديان حتى الوثنية منها من قديم الازمان فاذا سلمنا أن مايوجد منها في الاديان الالهية هو اشارة الى المسيح عليه السلام فكيف نفسر وجودها في الاديان الوثنية وهي لاتعرف المسيح ولا دينه؟! سيقولون ان الاديان الوثنية لها أصل صحيح وكانت فيها قديما هذه المسألة رمزا الى المسيح ولما طال الزمان نسي الناس ذلك . ونقول كيف تتفق الامم في جميع الازمنة وفي جميع بقاع الارض على نسيان ذلك وهو كما يزعم النصارى أساس الدين كله ؟

وكيف لا يوجد أدنى أثر في كتبهم أو معتقداتهم على أن الاصل في الذبائح هو الرمز للمسيح وهو أمر لم يخطر على بالهم ؟ وهب أن جميع الامم الوثنية نسيت ذلك فكيف نسيه بنو اسرائيل وأنبياؤهم وهم أقرب الناس الى المسيحيين ؟ وكيف لايوجد في كتب العهد العتيق المسلمة عند النصارى تصريح بهذه المسألة العظمى التي كان يجب أن تذكر صريحا في كل كتاب من كتب الانبياء السابقين ؟ وأن يخبروا أممهم بأن القرابين جميعا والذبائح ليست مقصودة بالذات بل هي اشارة الى ذبيحة كبرى ستأتي بعد ؟!

(٢) اذا سلمنا أن الذبائح كانت اشارة الى هذه الذبيحة الكبرى (صلب المسيح) فماذا يقولون في القرابين الاخرى التي لم تكن من جنس الذبائح وهي كثيرة في الشريعة الموسوية كالمحرقات التي تقدم من اثمار الارض ومن الدقيق والزيت واللبان والفريك وغيرهما مما كان يحرق بالنار قربانا للرب ورائحة لسروره كتعبير التوراة

(٣) اذا سلم أن الذبائح اشارة الى الصلب فالى أي شيء يشير إحراق نفس الذبائح كلها أو بعضها بالنار ؟ فهل أحرق المسيح بها !!

(٤) كيف يكون الذبح اشارة للمسيح عليه السلام مع انه مات صلبا على قولهم لا ذبحا أي انه لم يهرق دمه حتى يموت بنزف الدم بل ظاهر عبارتهم أنهم اكتفوا

بتعليقه على خشبة الصليب بثقب يديه ورجليه فقط ولم يكسروا عظما من عظامه (يوحنا ١٩ : ٣٦) فاذا لم يرد في الاناجيل أنهم ثقبوا عظم صدره بمسمار دق في قلبه كما قد يتوهم بعضهم والا لمات في الحال ولما بقي حيا من الساعة الثالثة الى التاسعة كنص انجيل مرقس ولو كان ثقب يديه ورجليه أحدث نزيفا عظيما لما بقي ست ساعات وهو حي ولما كان هناك وجه لتعجب بيلاطس من موته بسرعة (مرقس ١٥ : ٤٤) فالظاهر على هذا ان الدم الذي سال منه كان قليلا وأنه لم يمت بسبب نزف دمه بل مات بسبب ألم العذاب والجوع والتعب واعاقة التنفس بتعليقه فكان الواجب لكي يتم التشابه بين الرمز والمرموز اليه ان تصاب الحيوانات عند بني اسرائيل وغيرهم حتى تموت مثله أو أن يذبح هو بيد تلاميذه قربانا لله لا أن يموت صابرا بيد أعدائه بدون أن يسفك شيء يذكر من دمه . نعم ورد في انجيل يوحنا (١٩ : ٣٤) أن بعض العساكر طعنه بعد ان مات واسلم الروح بحربة في جنبه فخرج منه دم وماء ولكن هذا شيء والذبح شيء آخر كما لا يخفى ولم يخرج منه دم يذكر قبل مماته كما بينا ولم يكن خروج ما خرج منه من الدم سببا في وفاته . اما خروج الدم والماء منه بعد مماته فهو من الوجهة الطبية عجيب غريب وليس تفسيره بالسهل الجلي (١)

ولنبدأ الآن ببيان الغرض الحقيقي من الضحايا والقرابين في الاديان فنقول :ـ

كان الوثنيون يقدمون هذه القرابين لآلهتهم لاعتقادهم أنهم ينتفعون بها كما كان يعتقد بعض الامم ان الاموات يأكلون ويشربون فيضعون في قبورهم شيئا من ذلك كثيرا . على ان بعض هذه المعبودات الوثنية كان ينتفع فعلا بأكل بعض القرابين كالعجول والثيران وغيرها فانها كانت تأكل مما يقدم لها من الحبوب والنبات ونحوها . وكانت الكهنة وسدنة الهياكل وخدمة الاصنام تنتفع أيضا بهذه القرابين فيرغبون الناس فيها للاكثار منها وكذلك أيضا كان بعضها يستعمل في الهياكل والمعابد لفرشها وإضاءتها وزينتها كما تنفع الآن نذور العامة

(١) المنار : ألا يمكن أن يخرج من الميت اذا طعن شيء من رطوبات الجوف اذا تفتت الطعنة اليه ؟ وهذه الرطوبات قد تكون مختلفة اللون والمادة

لاضرحة الاولياء والقديسين فتضاء بها وتفرش ويأخذ منها الخدم ما يلزم لملازمهم ولكن الاديان الصحيحة لم تأمر بالقرابين لان الاله يتنفع بها ـ حاش لله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وإنما أمرت بها هذه الاديان لفوائد اخرى نأتي هنا على بعضها :ـ

(١) الفقراء عيال الله فمن نفعهم رضي الله عن عمله وكأنه نفعه تعالى لو لم يكن غنيا عن العالم، وكما ان الله تعالى أمر الاغنياء ببذل شيء من مالهم للفقراء سواء كان نقودا او ملبوسا (١) أو حبوبا أو ثمارا أو أي مطعوم آخر أو مشروب كذلك أمر باطعامهم أنواع اللحوم فانها أشهى إلى نفوسهم وأبعدها عنهم. وإنما أوجب الاسلام في كفارة بعض جنايات الحج ذبح الذبيحة قبل اعطائها للفقراء ولم يبح اعطاءها لهم بدون ذبح ليتيسر توزيعها على عدة فقراء بدل اختصاص فقير واحد بها وليقطع بذلك كل امل للذابح في عودتها اليه واستردادها من الفقير بمال او بدل أو غير ذلك وليقطع أيضا أمله في الانتفاع بها وهي عند الفقير بركوب او نسل أو لبن أو وبر أو صوف أو غير ذلك فيكون التصدق بها تاما وخالصا لوجه الله تعالى وليضطر الفقير أن يأكل منها هو وولده وأهله فانها إذا أعطيت له حية فانه يبخل بها على نفسه ويحرم اهله وولده من أكلها حيا في ابقائها أو بيعها أو كنز ثمنها فيبقى هو وأهل بيته محرومين من أكل اللحم طول حياتهم وهو من أشهى المأكولات والذها وأكثرها تغذية وأبعدها عن الفقراء وللتوسيع عليه وعلى اهله امرنا بذبحها ولتكثير تربية المواشي والانعام والانتفاع بها وهي أنفع الاشياء للناس خصوصا في الازمنة القديمة ولتتسع ايضا دائرة التجارة فيها فيربح منها التجار الاغنياء منهم والفقراء قال تعالى « لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق »

فان قيل — ولماذا لا يعطى ثمن الذبيحة للفقراء في الحج بدل الذبح ؟ ـ قلت ذلك لقلة النقود بين العرب وعدم انتشار استعمالها بينهم في ذلك الزمن لذلك كان اكثر تقدير أنواع الزكاة في الاسلام بالاعيان كالغلال وغيرها

(١) اشارة الى قوله تعالى (أو كسوتهم)

لا بالنقود وأيضا فان الفقير إذا أعطى نقودا بدل اللحم كنزها أو أنفقها في شيء آخر واما اللحم فانه يضطر أن يأكله هو واهله ولا يحوجهم منه كما تقدم . ومن أحكام الذبح أيضا أن يذكر الذابح اسم الله تعالى على الذبيحة شاكرا له على نعمه وذاكرا أنه لولا أمره تعالى له بالذبح ما جاز له إزهاق روح هذا الحيوان للتمتع به وبذلك ترتفع قيمة الحياة والارواح في نظر الناس فلا يستهترون بها . قال الله تعالى في الحج « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ولذلك حرم أكل الحيوان إذا لم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم غيره تعظيما لأرواح الحيوانات . وقد جعل الله لكل امة منسكا يذكرون اسم الله فيه على ما يذبحون (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام)

(٢) إن الذبائح والقرابين قد تكون عقوبات أو غرامات لمن يرتكب شيئا من الآثام أو من المنهيات كما قال الله تعالى بعد ذكر عقوبة من قتل الصيد وهو محرم (ليذوق وبال أمره) وهذا الامر يظهر جليا خصوصا في ذبائح بني اسرائيل وقرابينهم التي كانوا يقدمونها كفارة لكثير من الذنوب ويحرقونها بالنار فكأنه كان في الشريعة الموسوية ان من يرتكب بعض الذنوب يعاقب عليها في الدنيا بفقد جزء من ماله كالغرامات الموجودة في سائر القوانين المدنية

(٣) إن الذبائح والضحايا يراد بها أيضا تعويد الناس على الاستعداد لبذل المال والنفس والولد في سبيل الله فهي تذكرنا بأكبر حادثة من حوادث الاسلام لله تعالى والانقياد اليه في كل شيء ولو أدى ذلك الى ضياع النفس أو الولد وهذه الحادثة هي إرادة إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده طوعا لامر الله وامتثالا له وذلك أكبر علامات صدق الايمان . قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا) ومن اعطى شيئا في سبيل الله فكأنما أعطاه لله تعالى نفسه كما قلنا سابقا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فالمؤمن الحقيقي أو المسلم لله هو الذي لا يبخل بماله ولا بنفسه ولا بولده في سبيل الله

لنفع الناس وهم عياله تعالى

فان قيل لماذا فدى الله تعالى ابن ابراهيم بالكبش ولم يكتف بنهيه له عن ذبحه ؟ قلت ليزيل كل شك في نفس ابراهيم ونفس غيره بأنه انما امتنع عن الذبح لضعف عزيمته فتأول كلام الله أو لم يفهمه على حقيقته فأظهر الله تعالى بهذا الفداء أن ابراهيم لم يمتنع عن الذبح لتأويل ضعيف أو اشتباه بل لنهي الله تعالى له عنه نهيا لاشك فيه ولا يقبل التأويل بظهور هذا الكبش الذي بعثه الله تعالى له ليذبحه بدل ابنه . وفي هذا الفداء أيضا اشارة الى ان الله تعالى يتقبل من عباده المخلصين أعمالهم وان لم تتم ويكافئهم عليها بالجزاء العظيم كأنها أعمال تامة متى خلصت نيتهم وصحت عزيمتهم مهما كان العمل صغيرا أو حقيرا تفضلا منه وكرما . وهناك أيضا فائدة أخرى وهي أن يمثل الناس بعد ابراهيم هذه الحادثة على مر الايام بالضحايا وليذكروها بالعظة والاعتبار تنبيها لهم على وجوب تقديم أنفسهم لله كأبيهم ابراهيم، الذين سماهم الله مسلمين

(٤) إن الناس بسبب مايرتكبون من الذنوب يستحقون الهلاك العاجل والمحو من الوجود (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) فهم يقدمون هذه الذبائح اشارة الى انهم يستحقون أن يقتلوا أنفسهم لكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ولولا لطف الله تعالى ورحمته بهم لما تقبل منهم سوى قتل أنفسهم فالذبائح تشير الى الشكر لله والندم على الذنوب والاعتراف باستحقاق عذاب الله ولذلك قال (ولكن يناله التقوى منكم) كما سبق

(٥) ان ابراهيم بعد أن بنى الكعبة بيتا لله دعا الله ان يسوق الناس الى ذريته من اسماعيل الذي أسكنه هناك ، وأن يرزقهم من الثمرات ، وأن يجعل بلدهم آمنا، فأجاب الله تعالى دعاءه و (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وجلب اليهم من كل الثمرات والخيرات واكثر بينهم من كل شيء حتى أنواع اللحم كله يأكلونه غريضا أو قديدا . ووحد لذلك مذبح المسلمين ومعبدهم وربما كان اختيار ابراهيم بذبح ولده في مكة لافي الشام فكرم نسل اسماعيل كما كرم نسل

اسحاق كوعد التوراة (تكوين ١٧ : ٢٠) وقد جاء في انجيل برنابا ان الذبيح هو اسماعيل (١)

فهذه بعض حكم الذبائح والقرابين في الاسلام وغيره من الاديان وأما قول النصارى أنها رمز الى المسيح فقد أريناك ما فيه ونقول أيضا اذا سلم أن معنى الضحايا والقرابين في الاديان القديمة هو ما يزعمه النصارى الآن ـ وهذا المعنى لم يكن يخطر على بال تلك الامم القديمة كما هو ظاهر من كتبهم ـ فما فائدة الذبائح والقرابين إذا بالنسبة لهم وهم لم يفقهوا منها ما يفقهه النصارى الآن ؟ ألا تكون لهم لغوًا وعبثا كانوا يفعلونه أزمانا طويلة وخصوصا لانهم لم يخبروا صريحا بالمراد منها ولم يعرف بينهم هذا المعنى الذي يدعيه النصارى اليوم . ولماذا أبطلت الذبائح في الديانة النصرانية ولم تبق فيها تذكارا للصلب والخلاص مع أنها لو بقيت في النصرانية لكانت أفيد واظهر من وجودها في الاديان القديمة من غير أن يفهم المراد منها ؟ ولماذا استبدلت الذبائح بالعشاء الرباني في المسيحية ؟ وأي مناسبة بين الخبز والخمر ، وبين الجسد والدم ؟ ولماذا فعل المسيح العشاء الرباني قبل الصلب مع أنه كان الا ليق أن يفعل بعده ليكون هناك معنى لكونه تذكارًا له ؟ وإلا فهل يعمل التذكار للشيء قبل وقوعه مع أن المناسب والمعتاد أن يكون بعده ؟

فكلتا الذبائح والقرابين كان يجب عملها قبل المسيح حينما كان الناس لا يفهمون أنها رمز أو إشارة الى صلبه ولم يكن غفران الذنوب حينئذ لاجلها في الحقيقة ثم تركت بعد الصلب حينما كان يسهل على الناس فهم أنها للتذكار ففي الوقت الذي لا يكون لها فائدة ما يجب أن تعمل وفي الوقت الذي يكون لها فائدة تترك وتهجر فما حكمة ذلك يا ترى ؟

---

(١) حاشية : في هذه التوراة ان الذبيح كان ابن ابراهيم الوحيد فالظاهر أن تسميته بعد ذلك باسحاق تحريف من اليهود ليفتخروا بأنهم من نسله ولكراهتهم أن يشاركهم غيرهم من الامم في مزية من المزايا أو أن يختص بها وخصوصا بني اسماعيل والا فان اسحاق لم يكن ابن ابراهيم الوحيد بل كان مسبوقا باسماعيل والاختبار بذبح الابن الوحيد أشق على النفس من ذبح الابن الذي يوجد غيره فلهذا ولغيره نرجح أن اسماعيل هو الذبيح لا اسحاق

على أنا لا نفهم كيف يكون المسيح كفارة لذنب آدم الذي عم بنيه كما يدعون وذلك لانه اذا كان ما يناله في هذه الحياة الدنيا من المتاعب والمشاق هو جزاء له على ذنب آدم فهذا الجزاء لم يرتفع عنه بعد الصلب . وان كان الجزاء سيحصل له في الآخرة على ذنب آدم ففي الآخرة كل نفس (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) والا فأين العدل الالهي الذي يكثرون الكلام فيه ؟ فهل من العدل عندهم أن يعاقب الابناء في الآخرة على ما ارتكبه أبوهم ؟ وهل من العدل أن يترك المسيئون (وهم آدم و بنوه) ويعاقب المسيح — وهو برئ — على ذنوبهم وبدون رغبته وارادته كما هو ظاهر من عبارات الاناجيل في وصف حالته قبل الصلب وحزنه واكتئابه وكثرة تضجره وصلواته كقوله لربه (ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس) وقوله وهو مصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) فان كان المسيح باعتبار ناسوته — كما يعبرون — غير راض عن الصلب كما يظهر من هذه العبارات فهل من العدل أن يحمل ذنب غيره و يصلب بسببه رغم ارادته ؟ الحق أقول انكم أردتم أن تفروا من تناقض موهوم بين عدل الله ورحمته فوقعتم فيما هو شر منه وهو نسبة الظلم الى الله تعالى في مؤاخذة بني آدم بذنب ابيهم وفي مجازاة المسيح بغير رضاه بدلا عنهم . وأين تضحية الذات في سبيل نفع الناس التي تزعمون أن المسيح علمكم اياها وتطنطنون بها ؟ واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لانه مولود من مريم العذراء ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في ذنب أبيه فهو أيضا محتاج للكفارة مثلهم واذا يكون غير طاهر ولا معصوم من الذنوب كما تزعمون لانه (ابن الانسان) وناسوته مخلوق من العذراء بمقتضى التوالد الجسداني وان كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره وكلنا من نسل آدم وكيف اذا يعاقب بغير رضاه من أجلنا وهو برئ من كل ذنب ؟ فما بالكم ياقوم تدعون أنكم تعرفون معنى العدل الالهي وحدكم وأنتم في الحقيقة لم تدركوا شيئا من معناه ؟!

العدل هو عدم نقص شيء من اجر المحسنين وعدم الزيادة في عقاب المسيء مما يستحق فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الاجر ولا زيادة في العقاب وعده

المحاباة ومعاملة جميع الناس بالمساواة (١) فلا ينافي ذلك أن يزيد الله تعالى أجر المحسنين تفضلا منه تعالى وكرما ، ولا أن يعفو ويغفر للمسيء رأفة منه ورحمة . ولكن من الجمع بين العدل والعفو أن لا يضيع حقا من حقوق الآخرين الا برضاهم ، وأن لا يخص به فردا دون غيره من عبيده ، بل اذا عفا عن أحد منهم بسبب ما ووجد هذا السبب بعينه عند غيره عامله بالمثل لضرورة المساواة بين العباد في المعاملة والجزاء الاخروي . ومنه أيضا أن لا يساوي بين المحسن والمسيء في الثواب بل لكل درجات فعفوه تعالى عن المسيء يقابل اعطاء المحسن زيادة عما يستحق من الاجر ولكن لكل منهما مقام معلوم في الآخرة فلا ظلم في العفو عن المسيء كما أنه لا ظلم في زيادة أجر المحسنين . فهذا هو معنى العدل والغفران اللذين ظنوهما ضدين لا يجتمعان الا بطريقتهم العجيبة الملفقة ودعواهم أن لا غفران الا بصلب البريء (المسيح) وسفك دمه ، فوقعوا بذلك في شر مما فروا منه على أن دم المسيح في الحقيقة لم يسفك كما بينا سابقا

ولا ندري كيف اشترطوا وجوب سفك الدم ، للغفران وغضب الارض به إرضاء لالههم الذي يحب الدم كثيرا كما يزعمون ، وفاتهم أن ما سفك من دم المسيح كان قليلا جدا لا يكفي للموت ولم يكن هو السبب فيه ولذلك لم يذكر في الاناجيل أن دمه فاض على الارض أو خضبها كدم الذبائح التي يزعمون أنها رمز له

وإن كان مجرد الموت يكفي للغفران فجميع الناس يموتون مع شيء من الالم قليلا او كثيرا بحسب الاحوال فلم لا يكفر موت كل شخص عن ذنبه ؟ ومن أين لهم اشتراط هذا الشرط (أي وجوب سفك الدم) للغفران ؟؟ وما هذا التحكم في معنى العدل الالهي وهو ما لم ينطبق على العقل ولا على اللغة . فان كانوا أخذوا هذا الشرط من وجوب الذبائح في الشرائع الالهية السابقة للمسيح فقد بينا لك حكمة الذبح فيها . وكان الواجب عليهم أن يشترطوا أيضا إحراق

(١) العدل لغة المماثلة والمساواة ومنه قولك هذا الشيء يعدل هذا اي يساويه والظلم النقص كذا يستفاد من كتب اللغة وقواميسها ونصوصها

الكفارة بالنار لان القرابين كانت تحرق بها كما هو معلوم من التوراة . اما العدل الالهي الذي ضلوا في بيان معناه فقد بيناه لك هنا بما ينطبق على قواعد اللغة والعقل ويتفق مع ما جاء في الكتاب العزيز .

فكما أن الله تعالى يوصف بكونه عادلا أو حكما عدلا فهو كريم غفور رحيم منتقم جبار شديد العقاب خافض رافع معز مذل قابض باسط أول آخر ولم يقل أحد من العقلاء إن القائل بهذه الصفات قائل بالمناقضات أو الاضداد . وهاك بعض ما جاء في القرآن الشريف في هذا الموضوع وهو الذي يتفق مع العقل الصحيح والحكمة . قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون * ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة (١) ولا هم ينصرون * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

الدكتور
محمد توفيق صدقي

---

(١) اما الشفاعة الثابتة في القرآن فهي ضرب من ضروب التكريم لبعض عباد الله الصالحين المقربين بأعمالهم فيأذن لهم فيتكلمون ويدعونه في وقت ترتعد فيه الفرائص وترتجف القلوب (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) فالشفاعة هي تكريم للشافع ولا تنفعه في الحقيقة أحدا من المشفوع لهم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) اه من الاصل وهذه الآية نزلت في الكفار

انا لله وانا اليه راجعون

﴿ المصيبة الجلى بشقيقنا الشهيد الحسين آل رضا ﴾

يعزّ علي ياحسين ان أسمع لك نعيًا ، وأن أراك مبكيا مرثيًا ، يعزّ علي ياحسين أن اكون أنا الذي يعزى عنك ، وأنت أنت الذي كنت اودّ أن تعزى عني ، يعز عليّ ياحسين ان لا يمرّ عشر المحرم من هذا العام ، الا وأنت الشهيد الذي يجدد لنا ذكرى جدنا الحسين عليه السلام ، يعز علي ياحسين ان ترثى في المنار ، وقد كنت أرجو أن ترث المنار ، يعز عليّ ياحسين ان تغتصر في ريعان شبابك ، وعنفوان قوتك ، وأول العهد بتحقيق رجائي ورجاء الامة فيك ، فلمن بكيتك فأنت أحق الناس ببكائي ، وأجدرهم ببثي وحزني ، للصفات والمزايا التي اجتمعت فيك ، وما كانت ولن تكون لسواك ، فأنت أخي الشقيق ، وتلميذي النجيب ، وولدي البار ، ليس في أخوتي ولا سائر أهلي من هو أقرب الي منك ، ولم أعن بتربية أحد ولا تعليمه كما عنيت بك ، على ما آتاك الله تعالى من سلامة الفطرة ، وعلو الهمة وذكاء الفطرة ، وشرف النجيزة ، وعزة النفس ، والميل الى معالي الامور ، والعزوف عن سفسافها

الا إن مصيبتي فيك أيها الشقيق العزيز لأكبر من مصيبة أمك الرؤم ، ولكنها ليست بأكبر من مصيبة أمك العقور ، المبتلاة في ولدها بالعقم أو العقوق ، تثكل البارّ منهم قبل أن تجني ثمرة خيره وبره ، ويمر العاق فتتجرع الحميم والغسلين من عقوقه وشره ، فان بكيتك معهما ، فان مصيبتي بين مصيبتيهما ، وان العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وانا على فراقك ياحسين لمحزونون ،

ولو شئت ان أبكي دما لبكيته عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

فان كان رزؤك كبيرا فالله اكبر ، وان كان الرجاء فيك عظيما فالرجاء في الله أعظم ، فلله ما اعطى ولله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، فهنالك الملتقى ان شاء الله تعالى ، فانت في قوة إيمانك ، وسلامة قلبك ، وعظم إخلاصك ، وطهارة شبابك ، وقيامك بالواجبات ، وتنزهك عن الفواحش والمنكرات ، بل ترفعك عن مواقع

الدنايا والمفوات، وبما رزقك من الشهادة ، وما حباك به من حسن الخاتمة ، جدير بأن تكون في مقعد الصدق ، من حظيرة القدس ، وهذا أعلى ما يعزينا عنك

ان الله جلت حكمته ، ونفذت مشيئته ، قد امتحن قلوبنا بخطبك ، وابتلى إيماننا برزئك ، فأوجو أن أكون من الصابرين على قضائه ، المستحقين لصلواته ورحمته ، الشاكرين له ما أنعم به من صدق الايمان ، وقوة الارادة ، واتباع هدي الكتاب والسنة ، فقد جاءتني الصدمة الاولى وانا بين صحبي ، فملكت بفضله تعالى نفسي ، وحبست مجاري الدمع من عيني . ورد بطت على قلبي وكاد يتصدع بين جنبي ، وعقدت جلسة لجنة مدرسة الدعوة والارشاد ، ولم أشعر بمصابي احدا من الاخوان ، وإنما اذكر هذا تحدثا بالنعمة ، ورجاء ان اكون أهلا للاسوة الحسنة ، فاجعل اللهم هذا جهادا في سبيلك ، وسببا لمرضاتك ، وآتنا به ما وعدتنا على رسلك ، وعوضنا خيرا مما أخذت منا فانك على كل شيء قدير

كان هذا المصاب أثرا من شر آثار الفوضى واختلال الاحكام ، وفساد الحكام في البلاد السورية ، وغيرها من البلاد العثمانية ، فقد اشتدت هذه الفوضى في وطننا (لواء طرابلس الشام) في السنة الماضية حتى ترك كثير من الاحداث والشبان الاعمال ، وتدججوا بالاسلحة النارية في عامة اوقاتهم ، وكثر حديثهم في الرجولية باستعمالها ، والفتك بها ، وزالت من نفوسهم هيبة الحكومة ، واعتقدوا ان القصاص قد نسخ منها ، ولم يبق بين الواحد منهم و بين قتل الصد الاغضبة تعرض له ، أو استياء من أحد يلم بنفسه ، واتفق ان الفقيد صادف واحدا من هؤلاء النحوت الانذال يؤذي بنتا في الطريق فنهره فاستل النذل مديته وهجم بها على فقيدنا وقال له انني أنتظرهنا لاقتلك انت ، فقبض عليه الفقيد وما زال يعالجه حتى اخذ منه المدية ، واراد ان ينصرف ، فاخرج الشقي مسدسه وأطلقه عليه ست مرات وكان في كل مرة يروغ فتخطئه الرصاصة حتى أصابته السادسة فحملها وذهب الى الدار . وعلم بذلك الاصدقاء في طرابلس فبادروا مع طبيب عسكري وطبيب غير عسكري الى الكشف عليه فلم يهتد الاطباء الى الرصاصة وظنوا من غير عليه جراحية انها غير قاتلة ، وقد كتب الفقيد الي والى شقيقنا السيد صالح بطاقة هذا نصها :

سيدي الشقيقين

« إني احمد الله اليكما ان نجاني من مصاب كبير ، وخطر خطير ، وذلك أن الشقي عبد الوهاب الباشا اطلق علي عيارات نارية أصابني واحد منها في إليتي وقد ضمد الجرح الآن، على انه لم يمض عليه اسبوع ولا بد من بقائي في البيت اياما .

وصل كتابك الاخير وسأجيبك عنه ان شاء الله تعالى ، الجميع بخير

٣ المحرم سنة ١٣٣٠ حسين وصفي رضا

فكتبت اليه والى غيره انني لا أطمئن ولا يرتاح قلبي الا اذا استخرجت الرصاصة أو عرف مكانها وانه غير مقتل ، ولكن لم يرجع الا النعي ، فقد تبين أن الرصاصة اخترقت الجنب ووصلت الى الاحشاء ، وفعلت فعلها في الامعاء ، وذلك مساء عاشر المحرم ، وخرجت روحه الطاهرة في صبيحة حادي عشره ، بعد ان نطق بالشهادة وحمد الله انه لم يسفك دما، ولا قارف محرما، وكانت هذه البطاقة آخر العهد بكتابة فقيدنا رحمه الله تعالى

كان المصاب بالحسين عظيما على كل من عرفه من أهل العلم والفضل والادب أو عرف شيئا من مزاياه العالية ، وما عارفوه على حداثة سنه بالقليلين . وسنذكر نموذجا من تعازيهم في جزء آخر، ونكتفي هنا بكلمة من كتاب تعزية لاحد أهل العلم والادب في طرابلس الشام في سوء الحال والفوضى هناك وهو الشيخ محمد نجيب الحفار قال :

« أرفع لمقامكم السامي هذه العريضة وان قلمي يضطرب من شدة هول تلك الحادثة التي اودت بجميع من عرف ومن لم يعرف صفات فقيدكم بل فقيد جميع الناس المرحوم أخيكم السيد حسين رضا من رصاصة اتته من يد اثيمة كلا بل من دولة اثيمة لا تعرف للانسانية حقاً ولا للرعية ذمة يجبرانها على القيام بحفظ أموالهم . وأعراضهم وأرواحهم وخصوصاً أهل العلم والفضل والشرف منهم الذين يذهبون كل يوم ضحية تهاملها وتكاسلها عن تعقيب أولئك الكفرة الفجرة الذين يعيثون في الارض فساداً لا يهابون الناس ولا الحكومة بدليل انها أرسلت منذ عشرة أيام أحد ضباطها رديف بك وهو من خيرة رجالها لتعقيب بعض الاشياء الذين عجزت عن إلقاء القبض عليهم نظرا لعدم اهتمامهم بقوة الحكومة وسطوتها فرجع المسكين محمولا على الاكف مدرجا بدمائه الطاهرة بعد أن كان كالاسد لا يهاب من وظيفته أحداً فواروه جدثه ولم تزل الاشقياء للآن زمراً زمراً داخل البلدة وخارجها يقومون بأعمال لا تقبل للانسانية على تحملها وأصبحت الاهالي في اضطراب شديد من هول هذه الاعمال القبيحة ومن جملتها مصيبتنا بالفصن الرطيب والركن العلمي والذكي المفرط المرحوم السيد حسين رضا » الخ

المنار

١٣١٥

يبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر ـ سلخ صفر ١٣٣٠ هـ ق ـ ٢٨ الشتاء الثاني ١٢٩١ هـ ش ١٨ فبراير ١٩١٢ م ﴾

السيد حسين رضا

ولد شقيقنا فقيد الاصلاح والفضيلة السيد حسين لبضع ليال خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ (الموافق شهر يناير سنة ١٨٨٢) وقد اغتبط والده بولادته مالم يغتبط بولادة غيره من ولده ، وكان يقول انه ولد ليلة المولد النبوي وانا أرى أنه ولد قبلها بليلة فان ليلة المولد هي ليلة تسع على التحقيق . وكان يحبه حباً شديداً حتى كان يظهر حبه له في حضرته خلافا لعادته مع أولاده ، ويلهج المرة بعد المرة بقوله « هذا الحسين بن علي » فكأن هذا كان منه اشارة الى الفجيعة به في المحرم

تعلم مبادي القراءة والكتابة في الفلمون ولاحت عليه من نشأته الاولى مخايل الذكاء والنجابة والعقل ، واعتصم منذ طفوليته بحبوة الحياء والادب ، وانني لأتذكر ان أحدا أهانه بقول أو فعل ، وكنت أنا الذي حملت الوالد رحمه الله تعالى على وضعه في مدرسة الحكومة الابتدائية في طرابلس (وكنت يومئذ اطلب العلوم الدينية والعربية في تلك المدينة) وكان يضن به على المدن خوفا على اخلاقه ، ويحب ان يطلب العلم في غير المدارس الرسمية ، وكنت اتعاهده بكل مايحتاج اليه ، فتلقى فيها شيئا من مبادي التركية والفرنسية والحساب والصرف والنحو بالتركية !! وعلم الحال (العقائد والعبادات) ولكن حالة المدرسة الادبية لم تكن تلائم فطرته فتركها باختياره ولم يتم مدتها .

ثم أقرأته النحو والصرف والتوحيد والاخلاق وشيئاً من الفقه ورغبته في الادب . فقرأت له مع آخرين كتاب الاظهار وطائفة من كتاب ابن عقيل في النحو (وحفظ الالفية كلها أو بعضها) ، وكتاب المقصود في الصرف ، وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي ، وحضر علي بعض دروس الاحياء والعقائد وفقه الشافعية

ثم هاجرت الى مصر وأنا ضنين به أن يبقى في وطنه ، وقد اشتد الضغط فيه على العلم وأهله وكتبه ، فكنت أطلبه من الوالد (رحمهما الله تعالى) فيرجئ ويسوف في ارساله ، حتى سمح به في أوائل سنة ١٣٢١ فوضعته في الازهر فكان يحضر درس التفسير والبلاغة على الاستاذ الامام ودرس فقه الحنفية على الشيخ احمد أبي خطوه ودروساً أخرى كان ينتقل فيها من حلقة ينتقدها ، الى حلقة يرجو أن يجد طلبته

فيها ، ويقرأ المنار ويحاول اتباع اسلوبه في الكتابة، ولم يلبث أن ترك الازهر بعد وفاة الشيخين محمد عبده وأبي خطوه ، وما أراه أتم حضور كتاب على أحد فيه لانه لم يستطع الصبر على أسلوبهم — فهذا مجمل القول في دراسته . وكل من عرفه من أهل العلم كان يرى ان معارفه أكبر من سنه . هكذا قال الاستاذ الشيخ عبدالكريم سلمان والدكتور شميل والدكتور يعقوب صروف وغيرهم

كان رحمه الله تعالى كاتباً أديبا وشاعرا وسطا وخطيبامفوها ، وكان يعرض علي في بدء الامر بعض ما يكتبه وما ينظمه فلا أجد فيه الا القليل من الخطأ الذي يقع في مثله أشهر الكتاب والاساتذة ، وما عتم أن استقل بنفسه ، وصار ينشر المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية في الجرائد والمجلات الكبرى ، فتارة يمضيه باسمه الصريح ، وتارة بلقب مستعار، وقد كنت أنكر عليه أولا استعجاله بالاستقلال التام وأنا أعلم ان سببه الذي ساعد استعداده الفطري عليه هو الاقتداء بشقيقه وأستاذه الاول ، وأرى أنه فاته بهذا الاستقلال قبل أوانه ما كنت أحبه له من التوسع في العلوم الشرعية استعداداً لتحرير المنار ، وأن يكون ذلك برغبته واختياره ، فلم استطع أن أحدث له هذه الرغبة، وحثته على اتقان اللغة الفرنسية فاشتغل بها زمناً ولكنه لم يتقنها كما يجب ولم يطاوعها البتة ، لانه كان يجري على سجيته ولا يطيق التكلف . وما كنت يائساً من عودته الى اتقان ما كنت أحب أن يتقنه وأنا أعلم ان رغبته اذا تحركت فانها تكون كالكهرباء مضاء وسرعة ، وجملة القول في علمه انه علم الاديب ، من كل فن حظ ونصيب ، وكان دقيق النقد ، حاضر الحجة ، قوي الذاكرة ، شديداً على الخصم مع النزاهة والادب . وله آثار وحكم وخواطر حسنة مدونة في مذكراته ، سننشر بعضها في المنار احياء لذكره ، وشرحا لمكنونات صدره وخبايا فكره

أما أخلاقه وسجاياه فهي التي كانت أكبر مواضع الرجاء فيه ، وأظهرها وأعلاها استقلال الفكر وقوة الارادة والاباء وعلو الهمة وعزة النفس والصدق والامانة والعفة والنجدة والمروءة والشجاعة والاقدام والروية والوفاء والاخلاص ، وكنت أخشى أن يغلب ميله الى الشجاعة والرجولية ميله الى العلم والادب . أرأيت إذا اشرب صاحب هذه الاخلاق حب المصلحة العامة ، ووجه وجهه الى خدمة الامة ، مع حسن البيان بالقلم واللسان ، ألا يرجى أن يكون من المصلحين المجددين ؟ بلى وان فقيدنا الشاب قد كان مرجواً لهذا وأهلاً له ، لو قدر الله له عمراً طويلا

انني وان كنت أشهد لاخي وتلميذي فشهادتي حق ، وما تعودت بفضل الله الا قول الصدق ، ولا فائدة لي ولا له في اطرائه واعطائه ما ليس له بحق ، ويشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها أو جملتهم ومجموعهم ، كما تشهد له آثاره التي هي مرآة نفسه ، لانه لم يكن يكتب الا ما يملي عليه اعتقاده وشعوره ، وانني أنقل ههنا بعض ما كتبه الى فضلاء المعزين

وإنما اختار من التعازي الكثيرة التي كتبت الي ما فيه تصريح او إشارة الى رأي الكاتب لها في فضل الفقيد وأخلاقه والرجاء في خدمته لأمته . والتعازي ضروب بعضها وعظ عام ، وبعضها ثناء على المعزى ، واكثرها إكبار للمصيبة بالكلام المجمل والوصف الشعري

(١)

كان أجدر الناس بأن يحفظ كلامه وينشر في هذا المقام صديقنا الاكبر الاستاذ العالم الصوفي الشيخ محمد كامل الرافعي أفضل الفضلاء في طرابلس الشام ، ولكن ما كتبه في هذا المصاب مشجون فيها ذكر ما وقع ووصف حاله هو فيها وما يعتقده في صديقه كاتب هذه السطور ، فلا يتعلق شيء كثير منها بغرضنا ، ويصح ان يكون منه بعض عباراته في اكباره المصاب على ما هو عليه من وقار المشيب ، وما اعتاده من مصارعة الخطوب ، كقوله حفظه الله تعالى

« فلم يفجأني الا خبر نعيه الذي اصم السمع ، وصدع القلب ، وكان له من التأثير على وجودي كله ما تمنيت معه أني لم أخلق ، واسرعت الى القلمون آسفا جازعا ، فرأيت القيامة قائمة ، وشهدت من هول المصاب ما يذيب القلوب ويفطر المرائر ، ويذهب بالنفوس حسرات ، واجتهدت بحسب ضعفي اذ ذاك لتخفيف الهول على غير جدوى . وبالحقيقة ان مصابنا بالحسين عظيم ، والخطب فيه جسيم ، وإنما يقوي عليه بقوة من الله . »

ومن كتاب له الى ابن اخته جميل افندي الرافعي :

« ما فجعت بعد اخي احمد عارف رحمه الله(١) بمثل انفجاعنا لوفاة السيد حسين رضا ، ولا أمضني خطب كخطبه ، ولا أسفت لأحد كما اسفت لفقده ، ولو شئت لعددت مواهبه بلسان الندب ولكن قلبي من الحزن لا يطيق . ولقد صعب علي تعزية

(١) هو أكبر أخوته وأنفعهم وقد مات له غيره

(السيد) (١) به حتى لا أكاد اعقل ما كتبت. ولو اني حملت جبال رضوى لكان أهون علي ممن حملت من الكتابة اليه، على انه لا بد منه، والامر لله، وانا لله وانا اليه راجعون »

(٢)

ما كتبه الي لسان الصدق والحكمة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من الاستانة :

كتابي اليوم كتاب أسى وحزن، ولولا أن الجزع قبيح بعباد الله المؤمنين لكان قلبي اليوم جديراً أن يتسع للجزع وحده ويضيق عما سواه ولا أجد غضاضة علي في ذلك لولا الايمان، لان فقيدنا ليس من هذه الاعراض الفانية المتبدلة، كلا بل هو جوهر من أكرم الجواهر التي حظينا من الزمان باكتساب محبتها، والتعزي في هذه الحياة برؤية صفائها، هو من أعظم الهدايا الالهية التي آنستنا في المعامع الموحشة، معامع قيل وقال، وكثرة الجدال، هو من أفضل الاعيان التي تصبح زينة التاريخ بروتق محامدها، هو « السيد حسين رضا » ويالهف قلبي حين يرى هذا الاسم محفوراً في صفوف الغابرين، بعد أن عرفناه جمال محافل المعاصرين

اذا كان فقد الفضلاء ليس ببدع في عالم الكون والتحول فالجزع لفقدهم ليس ببدع أيضاً، واذا كان ذوي الفضون النضرة أمراً معهوداً فذرف الدموع لاجلهم أمر معهود كذلك، لكننا نجل سنة الله تعالى في أنفسنا، ونتكلف تقديم الانس بروحه على الانس بأشباحنا، فنتزحزح بذلك عن الجزع القلبي مستغفريه سبحانه عن الدموع التي لا نملك سدا لتيارها، ولا حول ولا قوة الا به، هو واضع الفطرة ومازج الضعف بالقوة

اذا أسي الآل الرضوي على الحسين فلا غرو، كيف والآسون عليه من سواهم يعدون العد، ويتماصون على الحد، فمحافل الآداب، ومعاهد العلوم، وبيوت الحسب، ومآهل الشيبة، ومناهل الفضائل، كل ذلك بعض من أسي على هذا الفصن النضير الذي أنحبته دوحتهم، وأوحشت منه اليوم رياضهم، وإن يلتمس الآل الرضوي عزاء فليس لغيرهم مثل مايجدونه من العزاء بوجود مولاي الاخ الذي هو اليوم عزاء عالم الاصلاح كله

كتبت هذا وما أملي بأن أكون معزيا في الحسين أكثر من أن أكون معزى فيه، وذلك أن أخي الرشيد أغنى بقوة معرفته بالله سبحانه وأنسه بروح هديه وتجلياته

(١) اذا أطلقوا لفظ السيد يعنون به صاحب هذه المجلة

عن تعزية اخوانه ، أما أنا فلا أستغني ولا أجدني سالياً ذاك الشاب الذي لا فضل لي في عشق لطفه ، فان كل من عرفوه محكوم عليهم بالتقيد والتعلق بمناقبه ، فالله سبحانه مسئول ان يثيبنا في هذا المصاب ، ويكفي الآل الرضوي سائر الاوصاب ، وانا لله وانا اليه راجعون

اخوكم

عبد الحميد الزهراوي

وكتب في جريدته الحضارة التي تصدر في الآستانة

(السيد حسين وصفي رضا)

شاب نشأ في مهد المجد ، ورضع أفاويق المعالي ، وتضلع من الآداب والحكم ، وبلغ في المروءة والشهامة الغاية ، أتانا نعيه فوقع لدينا وقعاً مؤلماً ، وكان أسفنا عليه عظيما ، فقد كان فوق كل ماتقدم من صفاته صديقاً من أعز اصدقائنا ، وأخا من أكرم إخواتنا ، فنعزي فيه الفضائل والمعالي وأخانا العلامة المصلح شقيقه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» أجزل الله أجره ، وأطال عمره ، انا لله وانا اليه راجعون ، منه سبحانه نستنزل الرضوان على جدث الفقيد العزيز ، والصبر والسلوان على أفئدة أهله وعارفيه

(٣)

ما كتبه أكتب علماء طرابلس الشام وأعلم كتابها الشيخ اسماعيل افندي الحافظ المدرس في دار الفنون العثماني ومكتب النواب بالآستانة

سيدي الاخ الرشيد عزى الله نفسه بما يرجوه من صلاح الاسلام وانزال السكينة على قلبه . أكتب هذه الكلمات يد ترتجف أسفاً ، وانفاس تتقطع لهفاً ، وبين قلبي قلب يكاد يتطاير دما ، وينفطر تأثراً وألما ، وعلى عارضي دمع ينهل مدرارا ، ويتسابق انهمارا ، ثم لا يلبث أن ينقلب ناراً ، تذكي في أوارا ، دمع كأني احس بسوياء قلبي تسيل في وليه ، وسواد عيني يمتزج بأتيه ، حتى لو استعملته مدادا ، لرقم على هذا الطرس سوادا ، وذلك شأني منذ قرأت في جرائد طرابلس نعي ذلك الشباب الغض والحسب المحض ، والادب الموفى على الروض جمالا ، والخلق المزري بنفحات الزهر ارتجا ، والذكاء الذي يكشف اعقاب الخطوب ، ويكاد يشق حجب الغيوب ، ويستجلي خواطر القلوب ، فيالله من خطب رزئت به الفضيلة بجمالها ، والمكارم بكمالها ، والمروءة بنهجتها ، والنجدة بمهجتها ، وياحسرة الاقلام والمحابر ، والكتب والدفاتر ، وياما أطول أسفي على ذلك الفقيد ، وما أشد أشفاقي على قلب (السيد) كيف يحتمل

المصاب به والصبر على نضرة شبابه ، وهو أكثر أشقائه جرياً معه في سبيل الاصلاح ، وأقدرهم على مساعدته وتأييده ، ولكن علمي بمبلغ صبر السيد واحتماله ، وثقتي بتمكنه في موقف الجهاد النفسي ، واستهانته بصروف الايام وزهده في متاع هذه الدنيا الفانية ، قد يهون بعض آلامي ، وينهنه من غلواء جزعي واشفاقي ، وهو ماهيأ لي سبيلا الى التقدم اليه بهذه التعزية الحزينة ،

وأما أنت أيها الاخ الصالح (١) فاني أعلم رقة شعورك ، وشدة تعلقك بالفقيد ، وضعفك عن احتمال المصيبة به ، ولذلك كففت عن تقديم تعزية خاصة بك ، جزعا من ذكر هذه الفاجعة ، واشفاقا وكآبة وحزنا ، عزى الله قلبكما بفضله والهمكما الصبر الجميل ، وجزاكما الاجر الجزيل ، على انني لست اغنى منكما عن التعزية بهذا المصاب . وهبنا الله جميعاً جميل العزاء والسلوان ، وعوض الفقيد على شبابه بالروح والريحان ، وأعلى غرف الجنان ، وهو على فراقه المستعان

الداعي

اسماعيل الحافظ

(٤)

وكتب الاستاذ الاكبر ، بقية السلف الصالح ، الشيخ عبد الرزاق البيطار الدمشقي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائل « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » والصلاة والسلام على فقيد الأوائل والأواخر ، وعلى آله وصحبه الى اليوم الآخر

اما بعد فيا ايها الأخ العزيز الذي نحن شركاؤه في حزنه وبكائه ، ونظراؤه في كدره واسفه وبلائه ، ان المصائب تتفاوت في المقدار ، والحوادث تختلف باختلاف الاقدار ، وعلى قدر المشقة يكون الثواب ، ويضاعف الأجر بحسب المصاب ، وانت وان كنت اعلم منا بثواب الصبر ، وما اعد الله للصابرين من الثواب والأجر ، ولكن لا بأس بالمذاكرة والتذكير ، والقيام بأوامر السنة بلا فرق بين جليل وحقير ، فيا مولاي الجليل ، هل — للمخلق من خلاص ونجاه ، مما حكم به الحاكم المطلق وقضاه ، واني وايم الله حينما علمت بهذا الخطب دارت بي الارض دهشة وحيرة ، واظلمت الدنيا في عيني اسفا وحسرة ، وكتبت معزياً والقلم هائم ، والدمع هامٍ والكرب داهم ، فيالها من

(١) يريد مخاطب شقيقنا السيد صالح

مصيبة ما اعظمها، وداهية ما افظعها واجسمها، وعلى كل حال ليس لنا سوى التسليم لولي الأمر، ولزوم الصبر، على ما هو امر من الصبر، وقد قال من له الأمر والشان، «كل من عليها فان» فالله يبقي لنا وجودكم جميعاً وينيلكم كل مراد ومرام، ويختم لنا ولكم بجميل الانعام وحسن الختام حرر في ١٩ محرم سنة ١٣٣٠ عبد الرزاق البيطار

(٥)

وكتب العالم الكبير، ورب التصنيف والتحرير، الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي:

حضرة مولانا اوحد الاعلام أطال الله في بقائه وبارك لنا في حياته، وافانا اليوم نبأ اذرف الدموع، واطار الهجوع، وخطب اورث الشجن، واطال الحزن، وانزل بنا اعظم مصاب، واراانا ما لم يكن بحساب

ادهشني والله ما فجعني، حتى حرت كيف أعزي وانا حقيق بان أعزى، ام كيف انلوما للصابر وانا الجدير بما يتلى، ولقد ابى القدر المحتم الا ان يمثل في المحرم فاجعة الحسين، وان يجعل لنا — وان لم نتشيع — من الشجو ضعفين، فانا لله وانا اليه راجعون، نسأله تعالى ان يفرغ علينا الصبر، ويوفي لنا بعظيم مصابنا الاجر، ويهب للسيد الاكبر من العمر أطوله، ومن العيش اكمله، والسلام الاسيف جمال الدين القاسمي

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٠

(٦)

وكتب صاحب الفضيلة، والمزايا الجميلة، الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت:

سلام الله على حضرة الاستاذ الجليل أعظم الله أجره وأحسن عزاه بمنه تعالى وكرمه. وبعد فان نبأ الفاجعة الاليمة والمصاب العظيم، بصديقنا الاخ الكريم، قد جرح الفؤاد وأورثنا الاسف الشديد، وساء كل من عرف فضل هذا الفقيد الاديب، والكاتب النجيب، عامل الله من اعتدى عليه بما يستحقه. وعلى كل فالموت على العباد أمر محتم، والتسليم لله تعالى أولى وأسلم، والاستاذ حفظه الله جدير بأن يتدرع لهذا الخطب الكبير بصبر أكبر منه، فانا لله تسليما لامره تعالى، ولا حول ولا قوة الا بالله. اللهم افض على هذا الشهيد سجال رحمتك، واسكنه بفضلك في عالي جنتك، وسهل لاسرته الكريمة سبيل الصبر، وتحصيل الاجر، انك سميع الدعاء الفقير مفتي بيروت

(الختم)

(٧)

وكتب صفوة أدباء بيروت أصحاب التوقيعات كتابا مشتركا قالوا فيه :

الاستاذ العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه

السلام على الاستاذ ورحمه الله وبركاته . وبعد فانا نكتب واليد مرتجفة والقلب يخفق والعين تدمع للرزء الجليل الذي أصيب به الادب والفضل والخلق الكريم والغيرة الصادقة . فكان هذا المصاب عاماً لكل من عرف الفقيد رحمه الله ولم تخصص بذلك اسرته الكريمة . فنتقدم بتعزية الامة عموما ولفضيلتكم خصوصا . الهمنا الله جميعاً الصبر واعظم لنا ولكم الاجر

محمد علي القصاص عبد الرحمن سلام مصطفى الغلاييني

(٨)

وكتب صاحبا الامضاء من سروات بيروت وكبار وجهائها

الى السيد الحكيم أدام الله بقاءه

مصابنا بالحسين عظيم ، ووقعه في قلوبنا أليم ، وما لهذا الخطب العميم ، الا جميل الصبر مما يعد من فضائل السيد الحكيم ، الصادع بأمر ربه ، الراضي بحكمه وقضائه ، فنكم واليكم سنة التعزية ، عظم الله أجركم ويرحم الفقيد العزيز وعوضنا ببقاء السيد خيرا والسلام ١٦ محرم سنة ١٣٣٠ الداعي الداعي

يوسف سنو حسن بيهم

(٩)

وكتب الكاتب الخطيب الشهير الشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاتحاد العثماني في بيروت

﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾

مولانا العلامة الاستاذ الرشيد

تناولت القلم لا كتب للاستاذ تعزية بالشهيد الجسين ، فتراءى لي هول المصاب ونخل أمامي فضل الفقيد ، وأدبه الغض ، وخلقه الكريم ، فلم أدر ماذا أقول سوى أني أدعو الى الله تعالى بأن يفرغ على قلب الاستاذ الصبر الجميل ، والاجر الجزيل وأن يتغمد فقيدنا بوابل رحمته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

١٩ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ احمد حسن طباره

(١٠)

وكتب الاديب الفاضل، سليل بيت العلم والفضائل، في بيروت (وهو الآن بمصر)

حضرة السيد الفاضل النبيل حفظه الله

اعرض ان المصاب باخ الطرفين شقيق حضرتكم لقد اصاب وايم الله كبدي الفضل والنبل واضاع الوطن بفقده شهما غيورا وعاملا بل املا كبيرا نشأ في حجري العلم والحكمة وشب متشبعا بالافكار السامية والمبادئ الراقية الخ الخ

المخلص

محمد مصباح الحوت

(١١)

وجاءنا من جمعية الاخاء الاسلامي ببيروت هذا الكتاب، فنشرناه بعد حذف رسوم الخطاب، فان لم يكن على شرطنا في موضوعه فللجمعية معنى يتصل به من وجه آخر، وليكن ختام ماننشره من تعازي بيروت التي هي في مجموعها، اعرف البلاد السورية بقيمة رجالها:

نبدي ان نبأ الفاجعة الأليمة بوفاة الشقيق قد ملأ القلوب اسفا وحزنا، واسال من العيون مزنا، قضى رحمه الله رحمة الابرار، واسكنه دار الكرامة مع الاخيار، مضى في سبيل لا بد لكل حي من المسير فيه والمصير اليه بحكم مقدر الاعمار لأجلها، والآجال لميعادها، فلا ينفع الفائت الحزن، ولا يرفع الهم غير الاعتصام بالصبر، وكل ذلك لايخفى على فضيلتكم، ومعالي ارشادكم احسن الله لكم العزاء ولقاكم من الصبر اكمله، ومنحكم من الاجر اجزله، ولا اراكم بعده ما تكرهون، وإنا لله وانا اليه راجعون

عن عموم اعضاء

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت

رئيسها: محمود فرشوخ

(سنذكر في الجزء الآتي نموذجا من تعازي سائر البلاد والاقطار)

﴿ الدولة العلية واليمن ﴾

نشر كاتب انكليزي شهد حصار صنعاء في العام الماضي وعاد في هذه الايام إلى انكلترة مقالة في التيمس وصف فيها ذلك الحصار وحالة البلاد في هذا الاوان. ترجمت جريدة المقطم خلاصتها، فرأينا أن ننشرها لتكون تتمة لما نشرناه من قبل في مسألة اليمن قال الكاتب

« عقدت الحكومة العثمانية صلحا غير مجيد مع الامام يحيى بعد ما رشت زعماء الثورة بالاموال الطائلة ووعدتهم بالاصلاح فنال الامام بذلك اكثر مما كان يطمع فيه، وثبت في مركزه حاكما على قبائل الزيدية. ولم تتغير الحال في ما سوى ذلك عما كانت عليه قبل بدء القتال. فالأتراك يملكون صنعاء وقد استرجعوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي، والامام يملك شهارة وسائر المعاقل التي كانت له. وقد اطلق الامام اخيرا سراح خمس مئة اسير من الجنود ولكنه لم يعد المدافع التي غنمها في هذه الثورة او في ثوراته السابقة. واضطرت الحكومة ان ترسل خمسين الف عسكري بقيادة عزت باشا وهو من اكبر قوادها للحصول على النتائج التي مر ذكرها

ولا يستطيع الواقف على حقيقة احوال اليمن ان يقابل الانباء التي وردت من الاستانة عن استعداد الامام لتقديم مئة الف مقاتل ليحاربوا الايطاليين في طرابلس الغرب الا بالابتسام. ذلك لان سلطة الامام اسمية اكثر مما هي فعلية ولان الحكومة العثمانية تعجز عن نقل هؤلاء المتطوعين الى ساحة الحرب. فالامام اذا في حل من ذلك ولا تثريب عليه اذا لم يبر بوعده

قد اتيح لي ان اكون في صنعاء لما كان الامام محاصرا لها وظل الحصار من شهر يناير الى اواخر شهر ابريل من العام الماضي. وكان عدد الحاصرين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين الف مقاتل. ولو هجم الثوار على المدينة بغتة لتيسر لهم فتحها عنوة لان حاميتها — وكانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعا — لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كيلو مترا. ويقال ان الامام كان عازما على اتيان ذلك وأعد السلالم

اللازمة لتساق الاسوار ولكن المقربين اليه ثنوه عن عزمه

وقد انفق الفريقان مقدارا عظيما من الذخائر سدى ، ولم يحتدم وطيس القتال الا لما دنا عزت باشا بجيشه من صنعاء فكانت الحامية تخرج من المدينة حينئذ وتهاجم الثوار فتنشب بينهما معارك شديدة يخسر فيها الفريقان خسارة جسيمة

وكان الثوار مسلحين ببنادق موزر من عيار ٧٤ وغني عن البيان ان هذه البنادق شديدة الفتك ، ولقد كانت الذخائر متوفرة عندهم والا ما استطاعوا ان يطلقوا على الاسوار نارا حامية اكثر من ثلاثة اشهر ، ومما يستغرب في هذا الامر ان البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في اوروبا ، ولم يستعمل الثوار المدافع العديدة التي غنموها من الاتراك كثيرا لانه ليس بينهم من يحسن الرماية بها (؟) ولان معظم الذين تصيبهم قنابلها داخل المدينة هم من اخوانهم واتباعهم

وحدث انهُ لما عصفت ريح الثورة خرج بعض الجنود المحليين من العرب من المدينة وانضموا الى الثوار فشدد ولاة الامور على من تخلف من هؤلاء الجنود في المدينة واعتقلوهم هم وسائر الذين اشتبهوا فيهم من الاهالي الى أن انتهى الحصار ، ولم يشددوا الا في هذا الامر وتجاوزوا عن سيئة الذين سعوا في نسف الثكنات ، وبأول تسامحهم هذا بخوفهم من قيام العرب عليهم اذا سقطت صنعاء وانتقامهم منهم وحرصهم على حياة الجنود الكثيرين الذين اسرهم العرب

وزحف عزت باشا بجيشه من الحديدة على داخلية البلاد من غير ان يلاقي المقاومة التي كان يتوقعها ، نعم انه قاتل كثيرا في طريقه ولكن الثوار لم يدافعوا عن معقل من معاقلهم العديدة بين الحديدة وصنعاء مدافعة تستحق الذكر ، وقد دلت النتائج على أن تقاعدهم عن مقاومة الجيش كانت حكمة من الامام وليس جبنا منهُ ومن رجاله ، ولما بلغ الجيش صنعاء رأى انهُ لا يستطيع ان يخطو الى ما وراءها ، ولم تكن خسارتهُ في الحرب عظيمة ولكن الاوبئة فتكت به فتكا ذريعا ، وزد على ذلك انهُ لقي في طريقه مشاق وصعابا وانفق مالا كثيرا في الانتقال من مكان الى مكان ، وشاع بعد رفع الحصار ان الجيش كان ناويا التقدم الى شهارة ولكن عرب السواحل استأنفوا القتال الذي انتهى بواقعة جيزان المشئومة

فحال ذلك دون اخراج هذا العزم واضطر ولاة الامور أن يسرعوا بمفاوضة مشايخ عرب الجبال ليشتروا خضوعهم وولاءهم بالمال

و يستدل من هذه النتائج السلبية ان الحكومة العثمانية لا تستطيع اخضاع اليمن اخضاعا تاما وأن الاسباب التي تمنع الادريسي من الاتحاد مع الامام وهي اختلافات دينية ـ تمنعهُ ايضا من الاتفاق مع الحكومة ، هذا وان من تكرر الثورات في تلك البلاد ضرب من المحال الا اذا نزع السلاح من الاهالي ولكن الحكومة بدلا من أن تفعل ذلك مكنت العرب من غنم عدد عظيم من البنادق و بعض المدافع من جيشها وهم يرفضون الآن ما تعرضهُ عليهم من الاقتراحات لرد هذه الاسلحة اورد بعضها رفضا باتا

وعلاوة على ما تقدم فان التغلب على البلاد الجبلية في اليمن محفوف باخطار ومصاعب جمة اذا كانت الحال ملائمة لذلك لان البلاد وعرة المسالك تتخللها الجبال والهضاب من جميع الانحاء فتجعل المواصلات امرا صعبا جدا ان لم نقل محالا وفيها كثير من المعاقل الطبيعية و يسكنها قوم اشداء عرفوا بالبسالة والاقدام لانهم شبوا على الحرب وشن الغارات ولانهم مستكملو العدة والسلاح ، نعم ان التمرس والتدرب على القتال يموزانهم ولكنهم متحدو الكلمة تراهم قلبا واحدا و يدا واحدة في الذود عن كل ما يوجب اذلالهم و إخضاعهم اه

(المنار) يعتقد الكاتب أن الدولة لا تستطيع اخضاع اليمانيين بالقوة ثم هو ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم فكأنه ينصح لها بأن تستمر على انفاق الملايين مما تقترضه من أوربة بالربا الفاحش وعلى بذل دماء الالوف من المسلمين كل عام لاجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنيمة باردة للطامعين فيهم جميعا . ولو كان مخلصا في نصحه لاستنبط من علمه واختباره انه يجب على الدولة وهي لا يمكنها اذلالهم واخضاعهم أن ترضى بأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتها تحت سلطتها وأن تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الاجانب اذا اعتدوا عليها ويكونون عونا للدولة عند الحاجة اليهم . فحسبها أنها حاربتهم أربعة قرون وخسرت في ذلك الملايين من الرجال و بذر المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئا قط

دعوة سيدى احمد الشريف السنوسي

(الى جهاد الايطاليين في طرابلس الغرب وبرقه)

المنشور الذي نشره في القبائل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى كل واقف عليه من عموم المسلمين خصوصاً البلاد التي استولى عليها أعداء الدين

الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة والسلام على من أطال عز الدين بالبتار ، وعلى آله الانصار ، القائمين بواجب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » الصادقين ما عاهدوا الله عليه ، الذائقين من حلاوة الشهادة ما أحبوا مفارقة النعيم المقيم للرجوع اليه ،

أما بعد اهدائي أطيب السلام ، والدعاء لثبات الاقدام بثبات الاقدام ، اعلموا « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، فاستبشروا ببيعكم وجاهدوا متخذين نصره سيفا وولايته جنة ، واسمعوا ما نبهكم به على الوفاء بتسليم المبيع من الوعد بالربح الجسيم ، في قوله « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » واحذروا ما توعد به المماطل من العذاب والتدمير ، في قوله « ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير »

واعلموا ان الاجل محتوم ، فما خائض المعركة ميت الا به ، ولا القصور المشيدة مانعة ملائكة الموت عن ساكنها ، فما أصاب لم يكن ليخطىء وما أخطأ لم يكن ليصيب ، على أن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب ، إذ هو الحياة الحقيقية ، وكمال المنزلة بالرزق في مقام الحضرة الربانية ، فلهذا آثره من يتفرد في الدنيا بعز الخلافة على ما هو فيه ، فكيف بمن به يكون خلاصه من أسر الاعداء وسبيهم نساءه وأولاده وما يحميه

واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ، وان الشهيد لايجد الموت الا كالقرص لما هو به مشغوف ، يجد ريح الجنة ، وتراءى له الحور اذا انحنى . وقد قال (أنس ابن النضر) في وقعة أحد « واها لريح الجنة . اني لأجد ريحها دون أحد » ثم انغمس في المشركين حتى قتل

ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد ، فان قوة الايمان يتلاشى في جنبها كل عدد ، فجموعهم المسكرة مكسرة ، وعزائمهم المؤثمة مصفرة ، وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة ، وقد وعدالله ناصره بالنصر والتثبيت ، والعدو بالتعس والتشتيت ، ولا ترتدوا على أدباركم ، لضعف من بعض أمرائكم ، فان المرء لو جاهد لله وحده ، لصدق وعده ، وأعز جنده ، بل جاهدوا ولو فرة ، وأثبتوا ولو مرة ، فقد كان في الغزوات ، يتداول الرايات الجماعات ، كلما حمي أمير أخذها الآخر لينال المرام ، وفي الحديث الحث على الجهاد مع كل امام ، فلا تنكسرن قلوبكم لقلة عدد ، ولا تجبنوا لضعف مدد ، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده ، منتظرا بالنصر وعده ، فقد قال تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » والاحاديث في الترهيب من ترك الجهاد والترغيب فيه لا يحاط بها كثرة ، من الاول « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزع عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » أي الواجب عليكم من جهاد الاعداء والاغلاظ عليهم واقامة الاسلام ونصرة الدين وآله واعلاء كلمة الله واذلال الكفر وأهله . ومنه « ان ترك الجهاد خروج عن الدين » اذ لا يرجع الى الشيء الا من خرج عنه . هذا في الجهاد الكفائي فكيف بالجهاد الذي تعين بفاجأة العدو (١) . واذا كان القاعد عنه

(١) يراجع القارىء ص ٩٢٨ من المجلد الرابع عشر في أولها اننا توقعنا هذا البيان من السنوسية في المقالة السابعة من مقالات المسألة الشرقية التي كتبناها في اواخر شوال . ثم ليراجع المقالة العاشرة والبحث في هذه المسألة فيها

خارجا عن الدين فكيف بمن يبايع الكفار بحطام على قتال المسلمين وكتابة نفسه في جندهم . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غزا غزوة في سبيل الله فقد أدى الى الله جميع طاعته (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا) » قال : قيل يارسول الله بعد هذا الحديث الذي سمعناه منك من يدع الجهاد : « قال من لعنه الله وغضب عليه وأعد له عذابا عظيما . قوم يكونون في آخر الزمان لايرون الجهاد وقد اتخذ ربي عنده عهداً لا يخلفه : ايما عبد لقيه وهو يرى ذلك ان يعذبه عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين » وفي مسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه مات على شعبة من النفاق » ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله أي الناس أفضل « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله » وفيه أنهم قالوا يارسول الله مايضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده في العدو حاسرا » وفيه ان درجات المجاهدين الى مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض »

فالله الله عباد الله ، خلصوا أنفسكم واعراضكم من أيدي الكفار ، واغسلوا ياذوي الهمم ملابس مروءتكم من العار ، وجاهدوا بالانفس والاموال ، فدرهم الجهاد بسبعة آلاف ، وكونوا كرجل واحد في التعاون والائتلاف ، وابشروا بنصر من الله وفتح قريب ، فما أمر بالجهاد الا ليهدي السبيل ولا حرك الالسن بالدعاء الا ليجيب ، ولا تقر نفس منكم قرارها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، وليكن همّ كل منكم وهواه ، قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فالمثابرة المثابرة فما هي الا قليل . وان قيل انهم « قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فهم عما قليل مدحورون ، وهذا إبان اعطاء جميعهم الجزية عن يدوهم صاغرون

فلا يوجبن لكم ـ ماالمسلمون فيه الآن ـ جبنا ولا تقصيرا « فالله ولي الذين آمنوا وكفى بالله وليا وكفى بالله نصير » واصبروا فان الفرج قريب ، واني ان شاء الله قادم اليكم عن قريب ، وعليكم منا اتم السلام

اللغة العربية

﴿ بحث تاريخي فلسفي ﴾

(في موطن العربية المضرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) (*

ايها السادة والسيدات . اللغة العربية فرع من ارومة تعرف بالارومة السامية ومن فروع هذه الارومة اللغات الآتية وهي : البابلية القديمة وتعرف بالاشورية أيضا ، والارامية (وهي السريانية) والعبرانية الفينيقية ، والحميرية ، والحبشية أو الاثيوبية . الا أن العربية من بين هذه الفروع هي أمدها أغصانا واملاها جذعا وأورفها ظلا وأنضرها أوراقا وأطيبها ثمرا يانعا شهيا

وعلماء اللغات الغربيون يقولون ان ارومة هذه الدوحة السامية انشعب منها فرعان اثنان فرع شمالي وفيه اللغة البابلية القديمة ، والارامية ، والعبرانية الفينيقية ، وفرع جنوبي وفيه العربية المضرية والسبئية والسقطرية والمهرية والاثيوبية (أو الحبشية)

وصحح العلامة أرثر نولدكي على ما في دائرة المعارف البريطانية الاخيرة سنة ١٩١١ هذا التقسيم فجعل اللغة البابلية القديمة فرعا مستقلا بنفسه وجعل الفرع الثاني ينشعب الى جذعين شمالي وجنوبي وجعل في الشمالي الارامية ، والعبرانية الفينيقية ، وجعل في الجنوبي العربية المضرية ، والسبئية ، والسقطرية ، والحبشية أو الاثيوبية

هذا ما يراه العلماء الغربيون في تقسيم اللغات السامية وتفرعاتها عن الام التي نشأت منها . ولهم في موطن هذه الام السامية الاصلي آراء ثلاثة الاول ان موطنها افريقيا ، والثاني انه العراق وما يجاور الخليج الفارسي من أعلاه الى اليمين والشمال ، والثالث انه شبه جزيرة العرب . أما الرأي الثاني فرأي العلامة الاستاذ جويدي صاحب المحاضرات المشهورة في الجامعة المصرية في العام الفائت . وأما الرأي الاول فالظاهر من كلام العلامة نولدكي انه من القائلين به أو الذاهبين اليه . وأما

(*) خطاب لصديقنا الاستاذ جبر افندي ضومط معلم اللغة العربية في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت ألقاه في تلك المدرسة ثم أتحفنا به

الثالث فيقول فيه هذا العلامة انه مما ذهب اليه فريق من العلماء الباحثين ولكنه لا يسمي أحدا من الذين يقولون به . ومع انه يقول في هذا الرأي ان عليه مسحة من القبول وفي الظواهر ما يعضده ، يعود فيعطف على مقاله هذا ما يشتم منه تضعيفه والجرح فيه . راجع مقالة هذا العلامة النفيسة المدرجة في المجلد الرابع والعشرين من دائرة المعارف البريطانية الطبعة الاخيرة سنة ١٩١١ وجه ٦٢٠ الى ٦٣٠

﴿ عود الى تقريع اللغات السامية ﴾

قلنا ان علماء الغربيين يفرعون الدوحة السامية العظمى الى فرعين كبيرين شمالي وجنوبي ويشعبون من الفرع الشمالي البابلية القديمة والارامية والعبرانية الفينيقية ، ومن الجنوبي العربية العدنانية المضرية والسبئية والمهرية والسقطرية (نسبة الى مهرة وجزيرة سقطرة) والايثوبية ويندرج تحت الايثوبية الحبشية والامهرية. وقد ذكرنا أيضا تصحيح العلامة نولدكي لهذا التفريع أي انه جعل البابلية القديمة فرعا مستقلا بذاته وجعل ما سواها من بقية اللغات السامية في الفرع الثاني وشعب من هذا الفرع شعبتين أو جذمين شمالي وجنوبي على ما مر بنا

ولم أر سندا لما ذكره هذا العلامة الا ما بين اللغات من التقارب والمشابهات في الالفاظ المفردة والاشتقاقات الصرفية وما يلحق ذلك من التراكيب وأدوات المعاني ولاسيما أدوات وطرق التعريف والتنكير وقد أغفل الوجه التاريخي تمام الاغفال . والذي يظهر لي أن اغفال الوجهة التاريخية نقص في البحث وأنه لو تُنبه اليها وأضيفت مآخذها الى مآخذ الابحاث اللغوية الصرفة لكان فيما يستنتج من مجموع وجهتي البحث ما يضعف آراء القوم في التقسيم والتفريع ويضعف أيضا تصحيح العلامة نولدكي

وعندي أنه لو أضفنا الى ما نعرفه من التشابه والتقارب بين الالفاظ والمشتقات وضروب التراكيب النحوية والاضافية وطرق التعريف والتنكير ما نعرفه من النقول التاريخية والتقاليد العمومية المتعارفة لأدى بنا ذلك الى التقسيم الآتي وهو ان الدوحة السامية العظمى تنقسم الى فرعين كبيرين هما الفرع القحطاني

والفرع العادي ، وان الفرع الاول أي القحطاني انشعب منه الارامية والحميرية والحبشية ، وان الثاني أي العادي انشعب منه البابلية القديمة والعبرانية الفينيقية والعربية العدنانية المضرية . وأما السبئية التي يشير اليها العلامة نولدكي فان كان يراد بها لغة بلاد سبأ أي البلاد التي عاصمتها مأرب ذات السد المشهور فالتاريخ يعارض قول هذا العلامة وينافيه لانه يشير اشارة لا تقوى على معارضتها (إلى) أن لغة هذه البلاد كانت منذ الجيل الاول للمسيح لحد هذه الساعة لغة عربية مضرية وسنقيم الدليل على ذلك . وعليه فالارجح ان هذه اللغة السبئية التي يقولها هذا العلامة انما هي الحميرية القحطانية يخالطها شيء من العربية المضرية بما يتخيل معه انها شعبة من الجذم العربي العادي . وأما لغة مهرة وسقطرة فخليط من الحميرية والحبشية ولا يبعد أن يكون بين ألفاظها بقية كبيرة من اللغة السبئية العادية العدنانية التي زعمها العلامة نولدكي قسيمة للعربية وما هي قسيمة لها وانما هي لهجة أو لغة من لغاتها على الارجح

﴿ مهد اللغة السامية او وطنها الاصلي ﴾

قبل اقامة الدليل التاريخي على ماذكرناه في شأن لغة سبأ أي انها لغة او لهجة من لهجات العربية وبعبارة أخرى ان أهل بلاد سبأ كانوا يتكلمون العربية المضرية من (زمن) سيل العرم الى الآن . وقبل أن اذكر الدليل في اثبات ان فرعي الامم السامية هما القحطانية والعادية ومنهما تفرعت بقية اللغات السامية الاخرى لا بد لي من الرجوع الى الكلام عن موطن اللغة السامية الاصلي ومهدها الذي ربيت فيه فاقول :

وجدنا اللغات السامية في البلدان الآتية (١) في شمالي افريقيا على شواطيء المتوسط من الشام شرقا حتى تصل الى بوغاز جبل طارق والاتلانتيكي غربا ويشتمل ذلك على برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد مراكش (٢) في مصر وما يليها جنوبا من بلاد الايثيوبيين أو ممالك الحبشة (٣) في جزيرة العرب وما والاها من فلسطين وسوريا حتى تصل آسيا الصغرى (٤) في بادية الشام والعراق من راس الخليج الفارسي جنوبا حتى تصل الموصل وديار بكر شمالا ، وليس في التاريخ ولا في

الآثار ولا في التقاليد المتناقلة مايشير أدنى اشارة الى انها كانت في غير هذه البلدان

هذه هي البلدان التي عاشت فيها الامم التي تكلمت اللغات السامية لم يعرف عنها قط انها كانت في غيرها من البلاد اللهم الا حيث كانت المستعمرات الفينيقية لكنها لم تثبت هناك بل انقرضت حالا عند انقراض المستعمرين وتغلب من حواليهم من الامم عليهم ، ولا شك ان مهد السامية لم يتجاوز البلدان التي ذكرناها ولا بد ان يكون في احداها ، وعلى هذا اجمع أرباب البحث من علماء اللغات والتاريخ قديما وحديثا على ماأعلم وهو ظاهر قول العلامة نولدكي ايضا

قلنا فيما مر ان هنالك آراء ثلاثة في موطن السامية ، الاول انه افريقيا والثاني انه جزيرة العرب والثالث انه العراق او اقليم بابل وما يليه من بلاد الاشوريين. فلننظر في كل من هذه الآراء واحدا واحدا ولا شك ان الرأي الذي تتوفر فيه الادلة التاريخية والعقلية هو أولى من صاحبيه بالقبول ، دعونا ننظر أولا الى بلدان شمالي افريقيا ونسأل تقاليد أهلها عن أهلها من اين جاؤا . ان البربر واعني بهم سكان شمالي أفريقيا من الذين كانوا يتكلمون باللغة السامية ولا يزالون يتكلمون بها الى الآن يرفضون بتاتا ان يكون أصلهم من زنوج افريقيا ويصلون انسابهم بأنساب العرب وأهل اليمن والشام ، والقول المعتبر في ذلك انما هو قول العلامة ابن خلدون صاحب التاريخ المشهور فراجع ماقاله في انساب البربر - المجلد السادس طبعة بولاق من صفحة ٨٩ الى ٩٨

ان الواقف على مايذكره هذا العلامة في انساب القوم لا يشك انهم جاؤا الى تلك البلاد الواسعة من الشام والبلاد العربية ، ولا أقول ان البربر استعمروا بلادهم ابتداء لم يكن فيها قبلهم أحد من الامم ولكني أقول ان هؤلاء الذين جاؤا البلاد ولغتهم من الدوحة السامية جاؤا من الشام وجزيرة العرب فتغلبوا مع الايام على أهل البلاد وصارت اليهم الدولة والسلطة واختلطوا مع من غلبوهم بالزواج فصاروا من ثم جميعهم « الغالبون والمغلوبون » ينتسبون الى الامم التي كان منها الغالبون، لا أستطيع ان انقل كل ماذكره العلامة ابن خلدون في انساب البربر ولكني انقل ماجاء له في الجزء الثاني من تاريخه (وجه ٥١ طبعة بولاق) قال : قال ابن

حزم هو افريقش بن قيس بن صيفي اخو الحارث الرائش وهو الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقيا و به سميت وساق اليها البربر من ارض كنعان مر بها عند ماغلبها يوشع وقتلهم فاحتمل الفل منهم فساقهم الى افريقيا فانزلهم بها ـ ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم الى الآن بها وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين . انتهى النقل ، ويظهر من هذا الذي نقلناه ومن كثير أمثاله ان التبابعة أجلوا غير مرة العرب وأهل كنعان الى بلاد المغرب وأقاموا مهاجرا فيها لقبائلهم من سبأ وحمير.

ولا احتاج ان أذكر جاليات الصيدونيين والصوريين الى تلك البلاد فان الحالية منهم التي استعمرت قرطاجنة ومن ثم صار لها الغلب على كل شمالي افريقيا سنينا طويلة هي اشهر من ان تذكر ، وكادت دولتهم هناك ان يكون لها الغلب على اشهر الممالك المعروفة حينئذ لو لم تسبقها رومية العظمى الى ذلك ، وبناء على هذا جميعه أعيد ماقلته من ان التقاليد والتواريخ كلها تشير الى جهة واحدة وهي أن الامم السامية هم دخلاء على شمالي افريقيا وقد جاؤا الى هناك من الشام وجزيرة العرب ، فليس شمالي افريقيا اذن موطنا للسامية ولا يعقل ان يكون هناك أيضا

فرغنا الآن من الكلام عن شمالي افريقيا ، بقي علينا مصر والحبشة . أما مصر فلم أسمع عمن ذهب الى انها موطن السامية الاصلي وهذا مما يشفيني على الاطالة واقامة الدليل على أمر يُنازع فيه ، ومع ذلك أقول ان الاثري والمؤرخ الشهير العلامة رولسن يرجح أن التمدن المصري القديم ليس أصليا فيها انما جاءها عن العراق وبلاد العرب ، ومن المشهور في الآثار والتواريخ العربية ان دولة الرعاة في مصر وكانت سامية جاءتها من البلاد العربية ، بقي علينا بلاد الحبش ـ وعامة المحققين وعلماء اللغة لا يشكون في ان الحبشة هؤلاء أعني الذين يتكلمون بهذه اللغة السامية هاجروا اليها من البلاد العربية ، ومثل ذلك أقول في الامهريين إن لم يكن قد قيل فيهم ذلك من قبل ، والفرق بينهم وبين الحبشة ان الحبشة نزحوا جماعة كبيرة وأما أولئك فكانوا قلائل في العدد و باختلاطهم مع الزنوج غلبت عليهم وعلى لغتهم ملامح هؤلاء وألفاظ لغتهم وكثير من عباراتها وتراكيبها ولكن لم تقو لغتهم الزنجية

على ازالة الاصل السامي فبقي من آثاره مايدل عليه بعد التنقيب واممان الروية ، وأرى أن العقل لا يستطيع الحكم بأن هؤلاء السامبين بقوا ما بقوا في افريقيا وكانوا ما كانوا ثم خرجوا عن بكرة أبيهم من موطنهم الاصلي في بلاد الزنوج ولم يتركوا أثرا هناك يدل عليهم أصلا ، إن هذا الرأي لا يقبل إلا مع البرهان الراجح إن لم نقل البرهان القاطع للشك والنافي للاحتمال

بقي علينا بلاد العراق من الخليج الفارسي الى الموصل وديار بكر ـ والباحثون على اتفاق بينهم ان الاشوريين جاؤا من بابل وان لغة الاشوريين ولغة قدماء البابليين واحدة ، والآثار البابلية تقول ان اصحاب آثارها من الذين تكلموا بهذا اللسان السامي لم يكونوا أصليين في البلاد وانما كان قبلهم قوم على جانب عظيم من التمدن وكان لهم لغة لكن من غير الارومة السامية وعلى جانب من الارتقاء فلما تغلب عليهم هؤلاء السامبون اخذوا عنهم الكثير من آدابهم وترجموا لغتهم ومكتوباتهم الى لغتهم السامية ، والمأخوذ من هذا عقلا والواجب اعتماده أيضا ان السامبين أو السامية جاءت الى العراق وبابل من مكان آخر وكان أهلها غزاة فاتحين ولا أقرب الى العقل من ان يكونوا نزحوا الى هناك من الجزيرة العربية فان المشاهد والمعروف في كل العصور التاريخية الى الآن ان هؤلاء أعني أهل الجزيرة العربية كانوا يهاجرون من سائر أنحائها الى الشام والعراق ويستوطنون هناك تجارا أو زراعين يحرثون الارض ويربون المواشي واذا وجدوا انهزة للتغلب والتسلط على مجاوريهم انتهزوها

﴿ رجوع الى تقسيم اللغات السامية ﴾

(الارومة السامية تنشعب الى فرعين : القحطاني والعدناني)

ظهر لنا مما مرّ ان البلاد العربية هي موطن السامية والسامبين اي المتكلمين بالسامية « سواء كانوا ساميين او حاميين في النسب » فلننظر الى ما في شبه جزيرة العرب من اللغات فان كان هناك لغة او آثار لغة واحدة لا غير فتلك اللغة هي الارومة السامية الكبرى وان كان هناك لغتان فاللغتان هما الفرعان اللذان انشعبا من الارومة الكبرى

ان التقاليد العربية والتواريخ المكتوبة الباقية عندنا الى اليوم تذكر أن قد كان في شبه جزيرة العرب لغتان هما القحطانية والعادية . وان القحطانية كانت بين السريانية والعبرانية وهي اميل الى السريانية كما نرجح . وبيانه — قال المسعودي — وكان الهيثم بن عدي الطائي يقول اسماعيل تكلم بلغة جُرهُم لان اسماعيل كان سرياني اللسان على لغة ابيه خليل الرحمن حين اسكنهُ هو وامهُ هاجر بمكة على ما ذكرنا فصاهر جرهم ونشأ على لغتها ونطق بكلامها ونزار تأبى ان يكون اسماعيل نشأ على لغة جُرهُم ويقولون إن الله عز وجل اعطاهُ هذه اللغة — الى ان يقول — ووجد نالغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد — ويقول — وقدوجدنا (قحطان) سرياني اللسان وولدهُ (يعرب) بخلاف لسانه . (راجع المسعودي جلد اول وجه ١٩٢ طبع المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٣). وقال العلامة ابن خلدون : واما جرهم فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية — وقيل انما نزلت جرهم الحجاز ثم بنو قطور بن كركر بن عملاق لقحط اصاب اليمن فلم يزالوا بمكة الى ان كان شأن اسماعيل عليه السلام ونبوتهُ فآمنوا به وقاموا بامره وورثوا ولاية البيت عنهُ حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة ورجعوا الى ديارهم باليمن الى ان هلكوا (ابن خلدون جلد ثان وجه ٣٠ طبعة بولاق)

وقال العلامة ابن هشام انهم وجدوا في ركن الكعبة كتابا بالسريانية قرأهُ لهم رجل يهودي (راجع سيرة ابن هشام جزء (١) وجه ٦٦ طبعة بولاق)

يظهر من النقول التي اوردناها أن الامامين ابن خلدون والمسعودي متفقان على ان جرهم قحطانية وكانت ديارهم اليمن اولا (وهذا نص ابن خلدون) الا ان الامام المسعودي يقول ان لغة جرهم السريانية ، واما ابن خلدون فيقول إنها العبرانية ، وارى ان التوفيق بينهما اذا قلنا ان القحطانية اقرب الى السريانية سهل لانهُ يمكننا حمل العبرانية في كلام ابن خلدون على اللغة التي كان يتكلم بها اليهود في ايامه وهي السريانية او العبرانية البابلية . واذا كانت القحطانية هي السريانية القديمة او لغة قريبة منها فيترجح عندنا بل ينبغي ان تكون الحميرية التي خلفت

القحطانية وبقيت في الجزيرة العربية في اليمن الى الجيل الثالث بعد الهجرة — على ما نصه العلامة الهمداني (١) — قريبة من السريانية ايضا وارجح ان قد بقي اثر كبير من هذه الحميرية في مخلاف حضور وحوالي مدينة ظفار الى اليوم وفي الشحر وسواحل حضرموت ايضا

قلنا ان لغات شبه جزيرة العرب لغتان القحطانية الاولى وقد خلفتها الحميرية التي بقيت في اليمن الى الجيل الرابع بعد الهجرة على ما نص العلامة الهمداني كما اشرنا قبيل الآن ، والعادية وهي العربية الاولى ، واهلها من عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق هم العرب العاربة وقد انقرضوا على ما يقولون وخلفهم العدنانيون او النزاريون في اغلب مواطنهم التي كانوا فيها وتكلموا بلغتهم . ولغتهم اي العدنانيين هي هذه اللغة العربية المضرية لغة القرآن والحديث والمعلقات وغيرها من الشعر العربي المشهور . ونسبتها الى العربية الاولى لغة عاد وثمود كنسبة الحميرية الى القحطانية الاولى على ما ارجح

دعوني انقل ما ذكره الطبري في هؤلاء العرب العادية وفي لغتهم ومواطنهم وسأختصر في النقل ما استطعت . قال رحمه الله — فعماليق ابو العماليق كلهم امم تفرقت في البلاد وكان اهل المشرق واهل عمان واهل الحجاز واهل الشام واهل مصر منهم . ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان اهل البحرين واهل عمان منهم امة يسمون جاسم . وكان ساكنو المدينة منهم — واهل نجد منهم — واهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتيماء واسمه الارقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك — فكانت طسم وعماليق واميم وجاسم قوما عربا لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي — وولد ارم بن سام بن نوح عوص بن إرم وغاثر بن عوص وعاد بن عوص وعبيل بن عوص ، وولد غاثر بن ارم ثمود بن غاثر وجديس بن غاثر وكانوا قوما عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري ، فكانت العرب تقول لهذه الامم العرب العاربة لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون لبني اسماعيل بن ابراهيم العرب المنعربة لانهم انما

١) همداني وصف جزيرة العرب طبع ليدن وجه ١٣٤ — ١٣٦

تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم . فعاد وثمود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب . فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت واليمن كله، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله، ولحقت جديس بطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جوّ، وسكنت جاسم عمان فكانوا بها . (انظر الطبري مجلد ١ وجه ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ طبع ليبسك)

يظهر مما نقلناه عن هذا المؤرخ الثقة الصلة التامة في اللغة بين هذه القبائل البائدة واشهرها عاد وبين القبائل العدنانية الباقية الى اليوم واشهرها كان بعد قريش قيس وتميم. ويظهر منه ايضا الصلة بين اهل نجد والحجاز وبين الكنعانيين في الشام فانهم جميعا من العمالقة . ومن الصلة بينهم في النسب نستنتج الصلة في اللغة وعليه فتكون العربية والعبرانية من فرع واحد لانها اي العبرانية الفينيقية والكنعانية من فرع واحد ان لم يكونا لغة واحدة . ويظهر منه ايضا البلدان التي احتلتها هذه القبائل فان عادا نزلت الاحقاف الى حضر موت واليمن كله ، وثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ، وطسم وجديس اليمامة وما حولها الى البحرين، وجاسم عمان والعمالقة نجدا والحجاز وتيماء، فما كان صالحا للفلح والزرع فلحوه وزرعوه وما كان في طريق التجارة اقاموا فيه محطات لها من خليج فارس شرقا الى ايلة وبحر الشام ، غربا ومن حضر موت واليمن جنوبا الى برية الشام وفلسطين شمالا ، فكانت من ثم مواطنهم لذلك الحين من احسن النقط التجارية . ولذلك كثر غناهم وعظمت دولتهم واصبحوا مضرب مثل عند من خلفهم في الغنى والقوة والعظمة وتناقلوا عنهم لعظم آثارهم اخبارا هي اشبه باخبار القصاص الموضوعة للتسلية والاغراب منها بالاخبار الممكن ان تقع ، فانهم نسبوا معظمها الى الجن وتسخير القوات غير المنظورة كما نسبوا مثل ذلك الى بعلبك وتدمر و بعض آثار بابل واشور

(لها بقية)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

(بقلم الشيخ شبلي النعماني)

٢

﴿ مثالب بني أمية ﴾

المقصد الذي جعله المؤلف نصب عينه ومرمى غايته هو ان الامة العربية اذا بقيت على صراقتها فهي جامعة لجميع اشتات الشر ، أي الجور والقسوة والهمجية وسفك الدماء والفتك بالناس . ولكن لما كان لا يقدر على اظهار هذا المقصد تصريحا احتال في ذلك فمض المذهب وجعل الكلام طيب الظاهر وذلك بأن قسم عصر الاسلام الى ثلاثة أدوار ـ فمدح سياسة الخلفاء الراشدين وقال بعد مدحها .

« على أن سياسة الراشدين على الاجمال ليست مما يلائم طبيعة العمران أو تقتضيه سياسة الملك وانما هي خلافة دينية توفقت الى رجال يندر اجتماعهم في عصر . فاهل العلم بالعمران لا يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك في غير ذلك العصر العجيب وان انقلاب تلك الخلافة الدينية الى الملك السياسي لم يكن منه بد (الجزء الرابع صفحة ٢٩ و ٣٠)

فثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة ، أما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواماً مؤتلفا ونظاماً وصرح بذلك فقال :

« دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل في عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية ، من حيث خلفاءها ولغتها وديانتها فهي فارسية من حيث سياستها وإدارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وأداروا شئونها ومنهم وزراؤها وامراؤها وكتابها وحجابها » (الجزء الرابع صفحة ١٠٦)

ثم اشار في غير موضع الى أن الدولة العربية الساذجة انما هي دولة بني أمية فقال :

« وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية » (الجزء الرابع صفحة ١٠٣)
« وظل العرب في ايام بني أمية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاؤها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وآدابهم (الجزء الرابع صفحة ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن تلائم النظام الطبيعي وان دولة بني العباس دولة فارسية وان الباقية على صرافتها هي الدولة الاموية اخذ يعدد مثالب بني أمية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين وأهله ، ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين ، ومنها الفتك والبطش ، ومنها قتل الاطفال ، ومنها خزانة الرؤس . وأتى في مطاوي هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس . والآن اذكر نبذاً منها واكشف عن جلية حالها ،

﴿ الاستهانة بالقرآن والحرمين ﴾

قال المؤلف تحت هذا العنوان :

«اما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين . لانه صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة ... ذكروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فاطبقه وقال: هذا آخر العهد بك ـ او ـ هذا فراق بيني وبينك . فلاغرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة . وظلوا يقاتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وهي بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها» (الجزء الرابع صفحة ٧٨ و ٧٩)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم في ازدياد وبازائه بنو أمية في الشام فلما تولى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (كما يجيء تفصيله)

يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الاقتال ابن الزبير ولكونه لائذاً بالكعبة اضطر الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز عن عن رمي الكعبة فحول وجهها الى زيادة ابن الزبير . فانظر كيف غير المؤلف مجرى الحكاية فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين . ثم ذكر ان عبد الملك قال للقرآن:

هذا فراق بيني وبينك . وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم الكعبة وإيقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهم بل يستيقن ان عبد الملك تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته ، وقتل ابن الزبير كان امالانه دافع عن مكة او لكونه ايضاً من جنس الاستهانة بالحرم .

اما تفصيل الواقعة وتعيين باديء الظلم فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني أمية من المدينة فخرج مروان وابنه عبد الملك وهو عليل بجدر فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء (١) حتى انه ترك الصلاة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل سوء يرفعون رءوسهم اذا سمعوا به (٢) ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن الا لرمتها واصلاحها ولكن لم يكن هذ مألوفا للناس ولذلك تحرز النبي عليه السلام عن ادخال الحطيم في الكعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسيلة لاغراء الناس على ابن الزبير . ولعل ابن الزبير كان مضطرا الى هذه الاعمال ولكن من شريطة العدل ان نوفي كل واحد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبير فعبد الملك احق منه اعتذرا فان ابن الزبير هو البادىء والباديء اظلم . ويظهر من هذا ان عبد الملك ما اراد الحط من شأن الكعبة ومس شرفها ولكن اضطر الى قتال ابن الزبير فوقع ما وقع عرضا غير مقصود بالذات ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة حولها عن الكعبة وجعل الغرض الزيادة التي كان زادها ابن الزبير ، صرح بذلك العلامة البشاري في احسن التقاسيم . ثم ان من مسائل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم ولذلك امر النبي في وقعة الفتح بقتل احدهم وهو متعلق باستار الكعبة وابن الزبير كان عند اهل الشام من البغاة والمارقين عن الدين

ولو كان اراد الحجاج الاستهانة بالحرم فما كان مراده من رمته واصلاحه بعد قتل ابن الزبير ومعلوم ان تعمير الحجاج هو اليوم كعبة الاسلام وقبلة المسلمين كافة

اما قول عبد الملك للقرآن هذا فراق بيني وبينك ، فحقيقته ان عبد الملك كان قبل الطلاقة ناسكا منقطعاً الى العبادة لا يشتغل بشيء من الدنيا ، قال نافع ما رايت في المدينة اشد نسكا وعبادة من عبد الملك ، ولما سألوا ابن عمر الى من نرجع في

(١) اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٣١١ من الجزء الثاني (٢) الجزء الثاني من اليعقوبي صفحة ٣١١

الفتوى بعدك ؟ قال « ولد مروان » وكان يقول ابن الزناد الفقهاء في المدينة سبع احدهم عبد الملك . وقال الامام الشعبي ماجالست احداً الا وجدت عليه الفضل الا عبد الملك بن مروان. ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطي في تاريخه للخلفاء . فلما جاءته الخلافة وهو يقرأ القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا العبء لا يمكن تحمله الا المنقطع اليه فقال تحسراً هذا آخر العهد بك . اي الآن لا يمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دأبي أولا ، وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقاً فانا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم ويصلي ويحج قال اليعقوبي في تاريخه : واقام الحج للناس في ولايته سنة ٧٢ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضاً وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان ابن عفان ، وسنة ٧٧ ابان ايضاً وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ابان ايضاً وسنة ٨١ سليمان بن عبد الملك (وسرد باقي السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذي كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم ؟

قال المؤلف

« ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة » (الجزء الرابع صفحة ٧٩)

استند المؤلف في هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب في مثل هذه الوقائع هو من احدى حيل المؤلف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة في الطبري وابن الاثير وغيرهما من المصادر التاريخية المتداولة الموثوق بها وعليها المعول واليها المرجع لكن لم تكن كيفية الحادثة في هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها وتشبث بكتاب هو في عداد المحاضرات وانما يرجع الى أمثاله اذا لم يكن في الباب مستند غيره ومتى لم يخالف الاصول . والمذكور في الطبري وغيره ان عبد الله بن الزبير أصيب في الحجون وقتل هناك قتله رجل من المراد ، وما احتز رأسه داخل الكعبة

قال المؤلف « وهدموا الكعبة »

قدمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصب المناجيق على الزيادة التي زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نالت الاحجار من الكعبة ولكن كان أول ما فعله الحجاج بعدما استتب القتال أمره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شيء واحد ؟

أما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه أمر بالمصحف فعلقوه وأخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وأنشد

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقل لله مزقني الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغاني فهي من خرافات الاغاني ، ومعلوم ان صاحب الاغاني شيعي ديانته شنآن بني أمية والحط منهم . وأما الابيات فأثر التوليد ظاهر عليها ومن له أدنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل ، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم في نقد الروايات والذين قولهم فصل في هذا الباب فيجحدون امثال هذه الروايات المختلقة . قال العلامة الذهبي وهو رأس الحديث ومرجع الرواية « لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك » (تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الوليد)

ثم ان هناك أمراً آخر وهو ان الناقم على الوليد وقاتله هو خليفة اموي ، فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بني أمية عامتهم . ثم ان هذا الذي عزا اليه صاحب الاغاني الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبيء عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شأنه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد (١) انه شكا رجل من بني مخزوم ديناً لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقاً قال يا امير المؤمنين كيف لا اكون مستحقاً في منزلتي وقرابتي ؟ قال قرأت القرآن ؟ قال لا ، قال فادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العاج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام اليه آخر فقال يا امير المؤمنين اقض ديني ، فقال له أتقرأ القرآن ؟ قال نعم فاستقرأه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرأ ، فقال نعم نقضي دينك وانت اهل لذلك . فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرأ القرآن علجا والمؤلف يعد الوليد علجا

فاما ما ذكره المؤلف من اقوال الحجاج وخالد القسري وانهما كانا يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذا الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقاً ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية كالجاردة وابن الراوندي الذي عمل كتابا رد فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسيون

(١) الجزء الثاني صفحة ٢٥٨

مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو أمية . وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بني أمية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال « هل الحجاج استقر في جهنم او يهوي الى الآن » ولما وصل الى هشام ان خالداً القسري استخف بامرأة مؤمنة عزله من الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان

والحاصل ان المؤلف لو خص رجلا أو رجلين من بني امية بالمطاعن لاعترفنا به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعة والشذ نوعا والنادر عاما والشاذ مطرداً

﴿ جور بني أمية ﴾

سمعنا بمظالم مختصر ، وأحطنا علما بشنائع جنكيزخان ، واطلعنا على ماجنته أيدي التتر ، فوالله - لو صدق المؤلف - هم ما كانوا أشد قسوة ولا أفظع أعمالا ولا أسفك دماء ولا أجمع لانواع الفتك من بني أمية

قال المؤلف « حتى في أيام معاوية فانه أرسل بسر بن أرطاة وأرسل معه جيشاً ويقال انه (أي معاوية) أوصاهم أن يسيروا في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل أن أكشف عن جلية الامر لابد من تقديم مقدمة ، وهي ان المؤلف مدح بني العباس وجعل أعمالهم مناطاً للعدل ودلالة على الرفق فقال

(ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة توطد دعائم الامن واذا أمن الناس على أرواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ويرفه أهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ٨١)

وعلى هذا اذا وجدنا بني أمية معادلين لبني العباس في جميع أعمالهم سواء بسواء كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جوراً فاحشا وميلا عظيما . ثم ان هناك أمرا آخر وهو ان المؤرخين بأسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انه لم يكن يستطيع أحد أن يذكر محاسن بني أمية في دولة العباسيين فاذا صدر من أحد شيء من ذلك فتلة كان يقاسي قاتلها أنواعا من الفتك والايذاء ووخامة العاقبة ، وكم لنا من أمثال هذه في أسفار التاريخ . ومع اننا نفخر بأن مؤلفي الاسلام كانوا أصدق الناس رواية وأجرأهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة سلطة ملك ولا مهابة

جائر ، ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق ، ولذلك نعتقد انهم ماقالوا شيئاً افتراء على بني أمية ولكن ان قلنا انهم كثيرا ما سكتوا عن محاسنهم فذلك شيء لا يدفع وليس فيه غض منهم

أما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد ، وملاك رقاب الناس ، رضاهم الحياة ، وسخطهم الموت ، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام في الهلاك ونصب النفس للموت

رجعنا الى قول المؤلف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان . اعلم ان هذه الواقعة اي ارسال (بسر بن ارطاة) الى شيعة علي من اشهر الوقائع المذكورة في سائر كتب التواريخ وليس في احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية. قال المؤرخ اليعقوبي «ووجه معاوية بسر بن ارطاة وقيل ابن أبي أرطأة العامري من بني عامر بن لؤي في ثلاثة آلاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها وأخف من مررت بها وانهب مال من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا وأوهم أهل المدينة انك تريد أنفسهم وانه لا براءة لهم عندك ... حتى تدخل مكة ولا تعرض فيهما لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة ثم امض حتى تأتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم . فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب الا فعل ما أمره معاوية (اليعقوبي طبع أوربا صفحة ٢٢١ من الجزء الثاني)

فترى في هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام. ولما رأى المؤلف ان المصادر التاريخية الموثوق بها لا يوجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل أمر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بأن المظنون خلاف ذلك لحلمه ودهائه، والظن ان معاوية أطلق يد بسر ولم يعين له حدودا وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا

قد قلنا ان الاغاني من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيناً والحديث فكاهة أو تسلالا من كد العمل الى استراحة فلا بأس به وبأمثاله أما اذا كان الامر ذا بال وكانت الواقعة معترك الاختلاف ومتعفر الاهواء راقما لشأن أو هادما لاساس فأمثال هذه الكتب لا يؤذن لها ولا يلتفت اليها مطلقا

ثم ان الرجل (أي صاحب الاغاني) شيعي اذا جاء شيء مما يشين معاوية وبدنسه وجد في نفسه ارتياحا الى قبوله ولو كان من أوهن الاحاديث وأكذبها

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين (١) فأين هذا من قول المؤلف

« وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا »

قال المؤلف « فاذا كان هذا حال العمال في أيام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف في أيام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠ (الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مئة ألف أو مائتين ولكن أين هذا من صنيعة أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة بني العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبراً بدون حرب ما يبلغ ستمائة ألف وقداعترف به المؤلف في هذا التأليف نفسه (الجزء الثاني صفحة ١١٢) والمؤلف ينتحل لذلك عذراً ويحسبه من طبيعة السياسة . فالحجاج أحق بالعذر وأجدر بالعفو ، فان الحجاج عربي قح طبعه الجفاء والقسوة . أما أبو مسلم فعجمي تربى في حجر التمدن ، وغذي بلبان الظرف ودماثة الاخلاق (!!)

أما قوله إن عبدالملك كان أشد وطأة منه (أي من الحجاج) فلم يأت عليه بشاهد غير غدره بعمر بن سعيد ، وأين هذا من غدر المنصور العباسي بأبي مسلم الذي هو رب الدولة العباسية ، ولولاه لما قامت للعباسيين قائمة ، ولا كان لهم ذكر ، وكذلك غدر المنصور بابن هبيرة

وغاية ما يقضى منه العجب ان المؤلف بعدما ذكر فتك بني أمية بقوله : « وقد نفقهم هذه السياسة (أي سياسة الفتك) في تأييد سلطانهم (قال) صارت سنة من ملك بعدهم من بني العباس وغيرهم » وأنت تعلم ان المؤلف يبرىء ساحة العباسية من الجور والظلم فضلا عن الفتك ، فهل هذا تناقض في القول أو أراد بهم ذماً فضرهم من حيث لا يعلم ؟ لا والله لا هذا ولا ذاك ، بل هي من مكايد المؤلف التي لا يهتدي اليها الا فطن خبير لطاوية الرجل وكامن ضغنه

---

(١) المنار : في هذا النفي بل فيما أورده الناقد في هذه المسألة نظر فقد نقل الحافظ في الاصابة عن ابن يونس ان معاوية وجه بسر الى اليمن والحجاز سنة أربعين « وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل » فهذا كلام المحدثين لا الشيعة وأهل المحاضرة وقد اشار في الاصابة الى انه لا ينبغي التشاغل باخبار بسر الشهيرة في الفتن اي لما قيل من ان له صحبة. وهل يعقل ان يكون ايقاعه بالمطيعين لعلي قاصرا على قتله طفلي ابن عباس رضي الله عنهما ؟؟

الجامعة الاسلامية (*)

أرسل الينا أحد علماء اللغة العربية المقالة الآتية باللغة الفرنسوية في مسألة هي في الوقت الحاضر أكبر المسائل التي تهم أوربا بمقدار ما تهم المسلمين ، وهي مسألة الجامعة الاسلامية التي نجهل منها اكثر مما نعلم ، قال الكاتب :

ولدت الجامعة الاسلامية تحت شمس مصر الحارة وظلت زمانا طويلا محصورة في دائرة عدد صغير من أنصارها ، وكانت هذه الجامعة في نشأتها الاولى دينية محضة أشبه بكنيسة كاثوليكية ترمي الى ضم جميع الفرق الاسلامية أو بالحري الى تجديد ذكرى الوحدة القديمة التي فقدت منذ زمن بعيد ، الا انها لم يمض عليها زمن حتى وسعت دائرتها وأصبحت تعقد الرجاء بتكوين دولة اسلامية شديدة البأس كالدولة التي كانت في زمن الفراعنة لتظهر للعالم في بعض أجزائها انها المعيدة بصفة شبه قومية (؟) للتمدن الشرقي الذي توارى خلف مدنية أوربا المسيحية

ولما كانت الجامعة الاسلامية لم تزل حديثة النشأة لذلك كانت أعمالها صادرة عن حمية عمياء حمية الحداثة وعدم الاختبار التي تئن مصر والجزائر من تحتها الى أن دخلت في دور السكينة مشتغلة بنشر مبادئها ومنتظرة بلوغ قوتها .

والسيد جمال الدين الافغاني الحسيني هو أول من اشتغل بنشر فكرة الجامعة الاسلامية ان لم يكن المحرض على انشائها وقد ظل زمنا طويلا معروفا بأنه المثال الحي لتلك الجامعة .

ولد السيد جمال الدين في ولاية كابل في أسعد آباد من أعمال بلاد الافغان واشترك في ثورات عديدة أريقت فيها الدماء ، ثم فارق وطنه سائحا في العالم خصوصا في العالم الاسلامي فاخترق الهند الانكليزية الى فارس فبلاد العرب

(*) مترجمة عن جريدة (الطان) الفرنسية من العدد الذي صدر في ١٧ دسمبر وهي لكاتب من نصارى لبنان

فالسلطنة العثمانية ثم القطر المصري ومنه جاء الى أوربا فراقب كفيلسوف كل الحوادث العظمى التي شهدها القرن الماضي وراقب أدوار الرقي العقلي في أوربا بنظر من يود الوقوف على الحقائق، وانخرط في سلك الماسونية في مصر ثم ذهب الى الاستانة فتوفي فيها عام ١٨٩٧ وكان السلطان عبد الحميد قد جذبه اليها وغمره باحسانه وهداياه ، وفي جملة الذين حظي بصداقتهم ووادهم اثناء سياحاته المسيو رينان حتى اختصه هذا بالمدح والتقريظ في أحد مؤلفاته .

وكان جمال الدين مهيب الطلعة ، ويقال انه مع مقدرته الفائقة في فن الخطابة كان واسع الاطلاع في الشؤون العامة حتى أنه خلف تلاميذ كما فعل أفلاطون ولم يخلف مؤلفات ، وكانت سيرته تاريخا في العالم الاسلامي الذي كان جمال الدين يسعى الى تألفه فكانت الجامعة الاسلامية أملا له يحلم به في كل أيام حياته ، وكان ينتقل في العالم الاسلامي من بلدة الى أخرى رسولا للوحدة والتضامن يعظ الناس ويدعوهم للعودة الى التقاليد القديمة ولكن من غير تعصب فكانت غايته أن يكون الاسلام عاما طيبا ووسيلة للتسامح وحب المدنية والارتقاء ،

وكان في القطر المصري جمعية تدعى (جمعية العروة الوثقى) طلبت من من الافغاني أن يرفع مدة اقامته في باريس صوت الدعوة الى الجامعة الاسلامية فأصدر هناك جريدة (العروة الوثقى) وناط تحريرها بالشيخ محمد عبده الذي ذاع صيته في ذلك الوقت فظهر منها ثمانية عشر عددا فقط اذ أن الحكومة الانكليزية التي كان يهمها أكثر من غيرها أمر الجامعة الاسلامية الجديدة ستعملت الضغط لايقاف حركة تلك الجامعة

ثم ظهرت فكرة عقد مؤتمر اسلامي عام فاتجه نظر الافغاني نحو مكة واستحسن العالم الاسلامي ذلك الا أن السلطان عبد الحميد قد راعه اتجاه الجامعة لاسلامية نحو بلاد العرب التي أقلقته ثوراتها الماضية فأخفقت فكرة عقد المؤتمر في مكة

**

أما الكواكبي فقد كان مع ذلاقة لسانه في الخطابة صاحب نظر دقيق

نير ، وقد أخذ فكرة الافغاني في عقد المؤتمر الاسلامي فشرحها شرحا مطولا في كتابه الذي صدر باسم (سجل جمعية أم القرى) وضمن هذا الكتاب أعمال المؤتمر الذي لم يمكن عقده ، ووصف بأسلوبه الحسن حالة العالم الاسلامي وشخص أمراضه بكل انتباه مع ذكر الدواء اللازم لها

الكواكبي هو العالم النظري الذي نفر للجامعة الاسلامية وهو المفكر الذي لم يؤثر فيه الوعيد والتهديد ، واذا كان الافغاني قد أظهر الميل الى عبد الحميد بمجيئه الى الاستانة حتى مات فيها فان الكواكبي ظل دائما العدو الالد لعبد الحميد حتى ألف كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) تشنيعا على حكومته ،

**

اما عبد الحميد فانه بما اتصف به من الحكمة والدقة أدرك القصد من فكرة الجامعة الاسلامية فبعد أن كان أول خصم لها أراد أن يرعاها برعايته ليستأثر بفائدتها ولذلك جذب الافغاني وكثيرا من الاطباء وأئمة الاسلام الى الاستانة وأغراهم بالالتحاق به وأجزل الهبات والهدايا والعطايا والالقاب والوسامات وظهر هو نفسه بمظهر ديني وجعل نفسه نصير الاسلام في العالم ورتب المرتبات للمعاهد الدينية وللعلماء ومشايخ الطرق وللجوامع والمساجد وشيد أماكن خاصة بضيافة الحجاج وتسهيل واجباتهم الدينية كما أنشأ السكة الحديدية الحجازية التي لم يكن ينظر العالم الاسلامي اليها الا أنها عمل صادر عن شفقة على المسلمين وحنان عليهم ، فتبرع لها المسلمون بمبالغ طائلة اعانة على إتمام هذا المشروع

ولم يقتصر الامر على جذب المسلمين والحصول على انعطافهم بل كان من اللازم أيضاً تنويرهم وضم بعضهم الى بعض والقبض عليهم فأرسل خليفة الاستانة الى أنحاء العالم الاسلامي أولئك العلماء الذين التفوا حوله وجعلهم رسلا للجامعة الاسلامية التي كانت تحيط أحلامه

وفوق ذلك فانه أراد أن يراقب الدول الاجنبية التي كانت تضم بين رعاياها أو في مستعمراتها فريقا من المسلمين فبث في كل جهة حتى في الجزر

الصغيرة رسله السريين الذين لم يكن يشعر أحد بوجودهم وتمكن أيضا من الحصول على مخبرين سريين في الدوائر العليا لتلك البلاد وكان يتقدهم المبالغ الطائلة أجرة على عملهم

ولما خلع السلطان عبد الحميد أصبح كل الذين يعيشون من هذا الطريق لا مورد لهم ، والحكومة الدستورية الجديدة لم تشأ أن تعترف بهم ، وقطع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الصلة بينهم وبين الجامعة الاسلامية منذ قاطعوا شخص عبد الحميد وتظاهروا أيضا بمقاومة هذه الجامعة ونسخ اللغة العربية وهي لغة الدين المقدسة بل هي لغة المسلمين العامة التي بزوالها يزول الاسلام وبقائها يبقى ويحيا

ظل هؤلاء دائبين وراء أمانيهم الجميلة فابتكروا مشروع الاقدام على صبغ السلطنة العثمانية بالصبغة التركية ، وهذا المشروع لم يخطر في بال السلاطين الفاتحين ولا عللوا النفس بتحقيقه مع ما كان لديهم من القوة التي ان لم تكن أعظم من قوة أحداث سلانيك الغارقين في الاوهام فهي على الاقل تساويها ، وبهذا صارت الجامعة الاسلامية بلا سند وعادت حقا مشاعا فبدأ كتاب الصحف وحدهم يشتغلون بها وقوة هؤلاء لا يستخف بها

***

انتشرت الصحف الاسلامية في العالم بكيفية غير محسوسة واكثر هذه الصحف عربية فتجد منها باسيا وأفريقيا وأميركا وأوروبا بل في الاوقيانوسية ولو بنسبة غير متساوية ، ولما كانت هذه الصحف حديثة النشأة لذلك ترى لها عيوبا كما أن لها مزايا وفوائد ، فأذا كان ينقصها الاخبار السريعة من جهة فهي من جهة ثانية ذات سلطة على قرائها وهي التي تكون الرأي العام بدل أن تردد صداه

تكثر الصحف العربية بنوع خاص في القطر المصري ، وكانت في سوريا قد نهضت بنشاط في مدة قصيرة حتى جاءها الحكم الحميدي ووقف في وجهها فجعلها نسيا منسيا الى أن أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وكان الكتاب السوريون

ينزلون ضيوفا في مصر وهي الاخت الشقيقة لسوريا فانتشرت الصحافة في وادي النيل وفازت فوزا باهرا

صورة مصطفى باشا كامل تتقدم بما لها من المكانة صحف الجامعة الاسلامية في القطر المصري ، وهذه الجامعة الاسلامية هي الجامعة المدنية التخيلية القريبة الوصول لكل من بذل ذاته وأبدى سخاء وعلو همة الا ان هذه الجامعة مصرية أكثر منها عمومية وقومية أكثر منها دينية

أما الممثل الحي المقدام للجامعة الاسلامية الدينية فهو بلا نزاع الكواكبي والافغاني والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وكان مرمى آمال الشيخ محمد عبده ان يكون الاسلام عاما حيا يرجع الى حاله الاولى ويتجرد مما زيد فيه بمرور الزمان

ومما قاله رحمه الله في كتابه (الاسلام والنصرانية) ص١١٧ إن مايؤخذ على المسلمين في الوقت الحاضر ليس هو من الاسلام في شيء ولكنه شيء آخر أدخله أهل البدع على الاسلام ودليلنا على ذلك القرآن الذي انصرفوا عن تدبره واتباع سننه

ان الجامعة الاسلامية الدينية التي خلفها الشيخ محمد عبده لتلاميذه عند وفاته يتوسل للعمل لها بثلاث وسائل المؤتمرات والصحافة والتعليم بالمبادىء الصحيحة ، وقد كانت آمال الجامعة الاسلامية ترمي الى عقد مؤتمر يجمع جميع الطوائف الاسلامية وقد سبق لنا الكلام على السبب الذي من أجله لم يفلح مؤتمر أم القرى ، الا أن العزيمة لم تفتر في هذا الشأن حتى قام قبل بضعة سنوات اسماعيل غصبرنسكي مدير جريدة ترجمان التي تطبع في بغجه سراي في القريم فاقترح عقد المؤتمر في القطر المصري وقابل المصريون هذا الاقتراح بحمية ونشروا على العالم الاسلامي منشورات حماسية الا أن هذا المؤتمر أخفق أيضا

وقد قرأت في أحد أعداد مجلة المنار التي تصدر في مصر وقد تفضل بارسالها الي المسيو ماسينيوس اقتراحا لاحد المكاتبين يقترح به عقد المؤتمر الا انه لم يكن سبب اخفاق المشروع فساد في ادارته بل كانت هنالك صعوبات مادية تحف به من كل جانب

وأما الوسيلة الثانية وهي الصحافة فانها جعلت فكرة الجامعة الاسلامية تتقدم تقدما سريعا لان كل الجرائد الاسلامية في العالم ترمي الى هذا الغرض وهي منتشرة في كل مكان . واذا فتح الانسان واحدة من هذه الجرائد او المجلات يأخذه العجب من الخطوات التي اجتازتها الصحف العربية وان كانت أربا لاتكاد تحسب لوجودها حسابا

وتهتم الصحافة العربية باستعراض أحوال العالم الاسلامي بأسره ونشرحها وتعلق عليها وتشير باصلاح المعوج منها وتشجعها وتحنو عليها حنو الوالدة على رضيعها وتفيض هذه الصحف بالبحث في تاريخ الاسلام وعلومه وتقاليده في قالب يسهل فهمه على جميع القراء لانه يكتب باسلوب بسيط حديث . وان مجلة كمجلة المقتبس تعد كدائرة معارف حقيقية يهم المسلمين الاطلاع عليها وهي تقرأ في كل جهة من البلاد العربية كما تقرأ في الاوقيانوسية والهند وأميركا

وقد وقف أحد مسلمي الهند في لاهور مائة نسخة من كتاب تفسير القرآن الحكيم الذي يكتبه الشيخ رشيد رضا لتوزع هذه النسخ على المساجد وتتلى فيها

ولدينا أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على وجود روح التضامن التي تبثها هذه الصحف بين المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم

وأما الوسيلة الثالثة فهي التعليم الذي اشتد الميل اليه والشوق الى نشره فانتشرت المدارس في كل مكان . وكان الانسان يقرأ منذ حين على كل جدار في كل مدينة من مدن سوريا هذه الجملة : « تعلم ياقفي فالجهل عار »

والجامعة الاسلامية لاتكتفي بتأسيس المدارس البسيطة بل هبت لتأسيس المدرس الجامعة الكبرى . فهذا الجامع الازهر قد تأهب لتجديد عهد شبابه واستعد للقيام بالوسائل الحديثة . وهنالك مشروع تأسيس جامعة في الهند وأخرى في سوريا وقد تكلموا في هذه منذ مدة ولكن لم يتم شيء من ذلك بعد

ويرجع فضل حركة النهضة الاسلامية في الهند لاحمد خان الذي ولد في سنة ١٨٧١ وتوفي سنة ١١٩٧ وهو المؤسس لجمعية الترجمة التي صارت بعد ذلك باسم جمعية عليكرة العلمية وهو الذي اهتم بأنشاء جامعة اسلامية ورغب الناس

فيها بواسطة جريدته وجمع هذه النهضة الدينية بعمله وكتاباته وخطاباته ، وقد أنشئت في كلكتا مؤتمرات للتربية الاسلامية حتى انتشرت هذه الحركة . وقد تحصل الراجا محمود اباد أخيرا على رضاء حكومة الهند بتأسيس مدرسة جامعة اسلامية كبرى في عليكرة وهو المشروع الذي كان يشتغل به منذ زمن

وأما مسلمو الاوقيانوسية فقد أسسوا الآن مدرسة اسلامية لتعليم اللغة العربية في صومطرة ، وفي جاوا تنشر الجرائد العربية

أما المشروع الذي يفوق المشروعات الاخرى ويدل على الجامعة الاسلامية قبل غيره فهو مشروع (الدعوة والارشاد) الذي قام به الشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده الذي سبق لنا الكلام عليه وكان قصده من هذا المشروع في بادىء الامر ان يكون في الاستانة الا أن حزب الاتحاد والترقي كان يظهر له القبول والترحاب الى أن انقلب عليه فعاد السيد رشيد رضا لارض مصر الكريمة فألف فيها جماعة الدعوة والارشاد ووضع بمساعدتها أساس مدرسة كلية اسلامية كبرى مجانية وتبدأ المدرسة بسنة تمهيدية ، ثم يكون لها صنفان مدة كل واحد منها ثلاث سنوات أحدهما صنف المرشدين الذي سيحيي بلاغة منبر الخطابة الاسلامية الراقد منذ أجيال والصنف الثاني لتعليم الدعاة الى الاسلام وهؤلاء ينتخبون من علية متخرجي صنف المرشدين فيتممون في السنوات الثلاث المعارف اللازمة لتأدية مثل هذه المهمة العظيمة

من هذا نعلم أن الجامعة الاسلامية تشعر أنها قادرة ليس على الدفاع عن نفسها فقط بل على الشروع بفتوحات جديدة .

قال محمد أحد في مقدمته لكتاب الاسلام والنصرانية تأليف الشيخ محمد عبده أن هذه الديانة السمحة ستمحو كل دين آخر وتزيل كل طريقة وتبقى وحدها على الارض.

والواقع أن الدين الاسلامي ينتشر في أواسط أفريقيا ومن الممكن أن ينتشر أكثر . ويتضح من احصائية الحج الاخيرة أن قد ظهرت في الوجود حركة دينية شديدة . فان عدد الحجاج صار ١٧٥٠٠ بعد ان كان ٧٥٠٠ وعدد الحجاج الذين مروا بالقطر المصري ١٦٠٠٠ .

ان الجامعة الاسلامية تسير بصراحة وأنا أعرف جامعة أخرى لاصلة لها بالدين . وهذه الجامعة أهلية محضة والغرض منها احياء تلك المدنية الاسلامية الشرقية القديمة واظهار جمالها وريحها العاطر القديم . وذلك أمل تشترك فيه ضفاف الفرات الغنية المخصبة ودمشق القوية القديمة وترقب من ورائه أن تتجدد عجائب مدائن الاندلس

وليس هذا الامل اسلاميا فقط بل ان الحمية التي يبديها الكتاب المسيحيون حديثو السن لا تقل عن حمية اخوانهم المسلمين قوة وشغفا . الا أن هذا الميل لايمكن اشتراكه بالجامعة الاسلامية الدينية بدون تكلف في الالفاظ وتوسيع للدائرة الى حد لايسعه مجال مقالة واحدة . ومع ذلك فاني أردت أن أشير الى هذا الميل الذي يهم البحث فيه كل من يهتم بشؤون هذا الشرق القديم الذي لم تزل شهرته قليلة

ك . ت . خير الله

(المنار) كتب هذا الكاتب اللبناني البليغ مقالته في الطان لتزداد فرنسا وسائر دول أوربة مقاومة لكل مايرتقي به المسلمون ولذلك كبر الصغير ، واستهان بالايهام والتهويل ، فجعل عبد الحميد مؤيدا لما يسمونه الجامعة الاسلامية وباثا لدعاتها ، وهو أشد خصومها وأكبر أعدائها ، وانما كان يصطنع بعض أصحاب الصحف في البلاد الاسلامية ليمدحوه ويدافعوا عنه بلقب الخلافة كما اصطنع أمثالهم في أوربة للدفاع عنه ومدحه ، وهو لم يحتل على جذب السيد جمال الدين الى الاستانة الا ليحبسه فيها ويبطل عمله ، ومن كلام السيد فيه « انه سل في رئة الدولة »

كذلك جعل المقتبس من الصحف الجامعة الاسلامية وأوهم أن قراءه في الاقطار الامريكية والاوقيانوسية من أركان الجامعة الاسلامية وأنهم كثيرون يعدون بالالوف والصواب ان جلهم ان لم نقل كلهم من النصارى وهم قليلون . وقد صرح في الجزء الاول من المقتبس بانه علمي مجرد من النزعات الدينية وقد صدق فاذا كان مع هذا يعد من صحف الجامعة الاسلامية فالمقتطف والهلال منها كذلك !!

وفي المقالة مبالغات اخرى خرج بها الكاتب عن محيط الحقيقة فمثلها لا ورية من وراء زجاجة الالة المكبرة (المكرسكوب) ولكنه اراد ان يجعل منها مسألة الحج فأخطأ في الارقام وجعل الكثير قليلا والكبير صغيرا .

جعل السيد جمال الدين هو الواضع الاول لاساس هذه الجامعة وقال انها أسست في مصر وانها كانت دينية محضة . والصواب ان السيد رحمه الله تعالى لم يدع في مصر الى جامعة دينية محضة بل اسس في مصر جامعة شرقية وحزبا وطنيا دخل فيه السوريون وغيرهم من سكان مصر الشرقيين

ومن أغلاطه ما ذكره عن جمعية الاتحاد والترقي من مقاومة الجامعة الاسلامية، وهذا الغلط مبني على الخطأ في دعوى ان السلطان عبدالحميد كان نصير الجامعة الاسلامية يبث الدعاة لها في اقطار العالم . والصواب ان الاتحاديين هم الذين حاولوا دون جميع اصحاب السلطة قبلهم ان يستفيدوا من تعلق قلوب المسلمين بالدولة فبثوا الدعاة لذلك في جميع أقطار العالم الاسلامي في الوقت الذي يبذلون فيه جهدهم باضعاف الدين ورجاله في المملكة نفسها ، فزعماؤهم المشهورون يقاومون نفوذ الدين ونشره من حيث هو دين ويحاولون الانتفاع به من حيث علاقته بالسياسة

ومن اغلاطه ذكر اسم مصطفى كامل في بحث الجامعة الاسلامية ووطنية مصطفى كامل والجامعة الاسلامية ضدان لا يجتمعان وانما كان يقدس عبد الحميد لاجل الانتفاع بذهبه ، واوسمته ورتبه ، وكذلك خليفته محمد فريد نصير زعماء الاتحاديين ومقاوم مشروع الدعوة والارشاد باغرائهم

وهنالك اغلاط اخرى لاحاجة الى تتبعها ومنها ما لا يترتب عليه شيء كقوله ان الكواكبي كان خطيبا مصقعا وهو لم يكن خطيبا ، وقوله انه كان في القطر المصري جمعية تدعى العروة الوثقى طلبت من الافغاني كذا وكذا والصواب ان الافغاني هو الذي ألف جمعية العروة الوثقى

وجملة القول ان الكاتب يعد كل عمل يعمله المسلمون سعيا الى الجامعة

الاسلامية فاذا قرأوا او كتبوا ، او اكلوا او شربوا ، يقول ان كل ذلك استمداد للجامعة الاسلامية . والمسلمون نائمون يغطون ، لم يستيقظ منهم الا نفر قليلون ، قد رأوا ملكهم ورزقهم يغتال ، وكل ما هو لهم مهدد بالزوال ، فهم يقولون لهم في بعض البقاع استيقظوا ، وانظروا كيف تعيشون مع من معكم ، ومن جاؤكم من فوقكم ، ولا أعرف أحدا يسعى الى اتحاد حكوماتهم ، على ان اوربة لم تدع لهم حكومات ، وانما بقي لهم هذه الدولة المنكوبة التي يخربها اصحاب النفوذ فيها من الداخل ، واوربة من الخارج ، كما قال المرحوم فؤاد باشا الشهير ، ونسأل الله وقايتها من هذه الارزاء ، فقد وصل الامر الى حد الدعاء ،

الصلح بين الدولة والامام

رسالة طويلة أرسلها الى جريدة الحقيقة البيروتية من اليمن ضابط عثماني شهد الحرب والصلح هنالك بنفسه ، لما فيها من الفوائد الجديرة بالتأريخ قال :

كان يوم السبت الواقع في ٨ ت ١ سنة ٣٢٧ يوما عظيما في اليمن حيث تجلت السعادة على تلك الربوع وانمحى الشقاء والبؤس اللذين كانا يرفرفان عليها واراني فخورا في زف هذه البشرى لاخواني في الدين والوطنية

ان قرية « دعان » الواقعة على مسافة خمس ساعات من الشمال الشرقي من قضاء « عمران » سيكون لها شأن في التاريخ حيث عقد فيها الاتفاق وتم توقيع شروط الصلح بين الامام يحيى بن حميد الدين وقائد الحملة عزت باشا فانحسم بذلك الخلاف وهدأت الخواطر وارتاحت النفوس ولعمري ان الاتفاق خير وسيلة لحقن الدماء لان التطاحن لا يجدي نفعا بل يكون سببا لتأصل البغض وضعف القوة

وقد قام الامام بحضور القائد وارکان حربه ونواب اليمن والوف من سكانها داعيا للدولة بدوام العز حتى اعتقد الناظر ان رابطة الاتحاد والاخاء ستكون ابدية الى ما شاء الله لما ظهر على الوجوه من علائم الاخلاص وسيماء الاتحاد

وفي اليوم الرابع من الشهر المذكور كان العلم العثماني يخفق على قلعة « عمران » بين دخان كثيف حيث كانت احد عشر مدفعا تطلق استقبالا للقائد وهيئة اركان حربه الذي جاء من صنعاء لاقتطاف ثمرة اتعابه ومساعيه التي صرفها منذ ستة اشهر في هذه الاصقاع فلم تكد تنتهي اصوات المدافع حتى ظهر ذلك البطل والتعب باد على وجهه والشيب عام رأسه فشعرت عندئذ بفضله لان الصلح كان على يديه وذلك لحكمته ودرايته وكم من قواد أوفدتهم الحكومة الى ذلك القطر رجاء اصلاحه فآبوا من حيث اتوا ولم يستطيعوا ان يفيدوا شيئا . واليك اسماء الذين جاءوا معه :

المير الاي احمد عوني بك رئيس اركان حرب الحملة . والميرلوا عبد السلام باشا رئيس اطباء الحملة . والقائمقام رجب بك . البكباشية عاصم وعزت . والقول اغاسية قدري وعصمت بك ، واليوز باشية عاشور وسيفي وصالح وصفوت وناظم بك ، وياور القائد الملازم سرور بك ، والكاتبان إلهامي وسليمان بك ، ومبعوث الجريدة محمود نديم بك مع مبعوث صنعاء ، وقومندان الجندرمة برتو بك ، ومدير مكتب الرشدية والعسكرية بصنعاء ، والبكباشي بهاء الدين بك وأحد علماء الروضة والميرالاي احمد بك ، والسيد احمد قاسم من اشراف اليمن وأحد الساعين في هذا الصلح . وقد ضرب موعد الاجتماع في قرية دعان الواقعة على بعد خمس ساعات من الشمال الشرقي من عمران (بينها) وبين قرية « حمر » التي هي مركز لاجتماع رجال الامام يحيى كما ذكرنا

وقد قدم الامام يحيى الى دعان قبل ان يغادر عزت باشا صنعاء لكي يعد المعدات لاستقباله . وفوق ذلك فانه ارسل لاستقباله حفيد الامام الاسبق السيد محمد بن المتوكل الملقب بسيف الاسلام مع كثير من المشايخ ورؤساء القبائل وهو الذي حاصر قلعة عمران قبل ستة اشهر وضيق عليها الحصار بدفاعه مدة اربعة اشهر وهاهوذا قد قصد اليوم هذه القرية حيث تستقبله الجنود التي كان يحاربها وتحييه التحية العظيمة

كانت مخايل النجابة وعلائم الذكاء تتلألأ على ذلك الوجه الذي يخالط

سمرة لونه شيء من الاصفرار فكان يخيل للناظر اليه في اول وهلة انه في حضرة هونغ هنغ زعيم الثورة الصينية من حيث بهاء طلعته وربعة قامته وقلة شعر لحيته وسدول شاربيه ولباسه الحرير الاصفر

وكان بين وفود الامام الموفدين لاستقبال القائد أيضا ناصر مبخوت من مشاهير قواد الامام وقد كان مستخدما برتبة يوزباشي بالجندرمة (اي الشرطة) ثم فر منها والحق بالامام وهناك ظهر منه ماظهر من قوة وشجاعة

وفي صباح يوم الاربعاء توجه عزت باشا من (عمران) الى (دمان) مع من ذكرنا اسماءهم وعشرين من الخيالة النظامية وخمسة وعشرين من خيالة الجندرمة ولو كان ذلك قبل هذا اليوم لما تسنى لعزت باشا ان يبتعد عن عمران مسافة ساعتين إلا بقوة ألاي (٤ توابير) كامل العدد والعدة لانها آخر الاراضي الداخلة تحت ادارة الدولة أما اليوم فقد اصبح تحرسه قلوب اليمانيين وترعاه نفوسهم. فلما اقتربنا من دمان مسافة ساعة ونصف وجدنا المستقبلين على وجوههم آثار الشجاعة والنبل وفي مقدمتهم سيف الاسلام السيد احمد قاسم والمقدم المشهور مقداد والشيخ عبدالله ابو منصر وعلي مراجي ويحيى شبام وراجح باشا شيخ قبيلة «سراح» وكانت الحكومة وجهت عليه رتبة ميرميران لاستمالته الا انه بقي من رجال الامام حتى الآن، والسيد عبدالله بن إبراهيم وهذا كان قد ارسله الامام للاستانة في السنة الماضية للمفاوضة مع الدولة بشروط الصلح

كان هؤلاء الابطال يقودون العربان و يحاربون الحكومة من مناخة الى صنعاء. ويلقب الامام ثلاثة من رجاله بسيف الاسلام وهم السيد محمد بن المتوكل والثاني السيد قاسم والثالث ابو نبيله الا ان هذا الاخير لم يكن حاضرا الاحتفال بل بلغني انه موجود مع رجاله بجهة (سعدا)

اما السيد قاسم فهو عم مبعوث صنعاء الميرلاي احمد بك وقد خرج من صنعاء منذ خمسة وثلاثين سنة وهو من ذاك التاريخ بجانب الامام وقد رويت عنه رواية قالها يوما: انني لما خرجت من صنعاء كنت لا املك سوى بندقية ابراهيمية أما اليوم فانا نملك على مئة الف بندقية من احدث طرز وما يقرب من مئة مدفع

أما علي المقداد فهو من عائلة قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة وقد حارب الدولة منذ عشرين عاما الا ان لذلك أسبابا عظيمة حملته على محاربتها والوقوف بوجهها وهي انه قدم أحد القواد العثمانيين في الزمن السالف وأراد أن ينتقم من العربان فدعا الامير اليه فلما حضر لديه أمر اتباعه بربط هذا الجليل بسجل المدفع ثم أمر باطلاقه فقطعت يداه من عظم القوة وكادت روحه تخرج من صدره ثم فكه وتركه مغمى عليه ، فلما افاق عاهد الله والرسول على ان لا يقرب هو ولا أولاده من الدولة وأن يقف حياته لمحاربتها مادام فيه عرق ينبض

هذا نموذج من الاساءة التي يستعملها رجال الدولة الذين يقصدون اليمن للاصلاح فانما كان اليمانيون يقفون في وجه الدولة مهما أرسلت اليهم من المصلحين ذلك لانهم رأوا الاساءة من السابقين وذهبت شقتهم من اللاحقين

يبلغ الامير من العمر ٨٥ سنة وكان رجاله ينقلونه على الواح الخشب اثناء المحاربة لعجزه وعدم استطاعته ركوب الخيل وكان يصدر أوامره الحربية وهو على هذه الحالة ويدبر شؤون المحاربين ويقودهم بكل رصانة

أما عبدالله ابو منصر فقد كان سببا في انكسار حملة فيضي باشا سنة ١٣٢١ شمري (كذا والمراد السنة المالية) وكيفية ذلك انه لما هجم التابور المنسوب الى ألاي (ريزا) على « شهاره » ودخلها استولى الرعب على قلوب العربان فاوشكوا ان يفروا من وجه الجنود لولا ان قام عبد الله ابو منصور وعقل ركبتيه كي لا يستطيع الفرار اذا هاجمه العدو ـ وهي وسيلة استعملها لتشجيع العربان وامثولة وضعها ليعلمهم الثبات ابان القتال ـ وقتل بعض الفارين من العربان عبرة لغيرهم فكانت النتيجة ان ثبت العربان حتى افنوا التابور عن آخره وضعفت بذلك قوة الحملة

نرجع الى مسألة الصلح : كنا تقدم الى « دعان » وكان يتقدمنا الوف من العربان يلعبون بخناجرهم ويطلقون بنادقهم في الفضاء احتفاء بنا وهي نفسها التي كانوا يطلقونها علينا في الوقائع . وكانوا يسيرون الى جانبنا وهم ينشدون الاناشيد الحربية التي لا تحلو الا بالامم المتصفة بالشجاعة والوفاء

هناك أثر في هذا المنظر وقلت في نفسي ما احلى هذه المواخاة وما اسلم هذه القلوب التي تزينها النية الصافية

لا شك ان ما رأيناه من مظاهر الاخلاص وعلائم الاتفاق هو نتيجة سعي قادة الافكار من الفريقين في اصلاح ذات البين وانا على يقين انه لولا وجود عزت باشا في اليمن لما تم الصلح ولا رجعت السكينة الى تلك الربوع فكم من قواد اموا هذه البلاد فاهلكوا الحرث والنسل ولم يتركوا نوعا من انواع الظلم الا فعلوه فكان ذلك سببا في إبادة الوف من الجنود الذين ذهبوا ضحية جور هؤلاء القواد من ابناء الاناضول والروم ايلى .

تلك هي سياسة القواد السابقين التي لم يلتفت اليها عزت باشا بل نظر الى المصلحة العامة قبل كل شيء ولولا ذلك لما تسنى له الحصول على وفاق ووئام بين طائفتين من المسلمين تقتتلان ، فهيأ للجيش العثماني عضدا قويا يبلغ عدده ثلاثة ملايين لان الامام يحكم على هذا العدد ويمكنه ان يكون محاربا مع الجيش العثماني جنبا لجنب اذا مست الحاجة ولا يستبعد القارىء هذا فالمثال حسي ظاهر وهو انه لما بلغ الامام اعلان إيطالية الحرب على الدولة ارسل نبأ برقيا الى مقام الخلافة العظمى يقول بانه مستعد لتقديم مئة الف مقاتل كاملي العدد والعدد .

بينما كنت غارقا في بحور هذه التأملات اذ تذكرت صحيفة الماضي حيث كنت شاهد عدل على المقابلة التي وقعت منذ سنتين مع السيد الادريسي حيث صبيا وجرى لنا استقبال حافل وارسل لنا الادريسي رؤساء العشائر والمشايخ وبقينا عنده ثمانية عشر يوما لم يدر في خلالها على ألسنتنا غير حديث وجوب اتحاد المسلمين يدا واحدة دفعا للطوارىء الخارجية المحدقة بنا وكان السيد يقول لنا : إنه لا سلامة ولا راحة ولا سعادة للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها الا باطاعة كبرى دولة اسلامية والالتفاف حولها وهي دولة الخلافة العظمى . الا ان هذا الائتلاف كان وقتيا لان بيننا وبينه الآن دماء تجري كالانهر وسيوف تلعب بالرقاب فشتان ما بين ائتلاف الامس واليوم . (١

(١) البعد بين الائتلافين أن الاول كان غير مبني على الاخلاص من مندوب الدولة فيه وهي التي لا ترضى الى الآن بالصلح مع الادريسي بل ترى سحقه كما سيأتي بيانه عن ضابط عثماني اخر

كان الاتفاق مع الادريسي على اثر تهديده فكنا الساعين اليه قبله خوفا من إراقة الدماء فعد ذلك ضعفا من الحكومة اما اليوم فان الاتفاق بخلاف ذلك فقد أدرك الامام ان لا فائدة من هذه المحاربات ولا نتيجة من التطاحن وان ذلك يضعف القوى فتصالحنا مصالحة ولاء واخلاص وتعاهدنا ان نكون يداواحدة في السراء والضراء

(دعان) بلد مبني على قمة جبل يتألف من مئة منزل بين دور وابراج جعل واحد منها للامام يحيى والثاني لعزت باشا قائد الحملة وبعد ان استرحنا من عناء السفر ساعتين قصدنا البرج الذي نزل فيه الامام

هناك وجدنا بعض العربان وقوفا على الابواب حاملين سلاحها حديثا ثم انتقلنا الى رواق ضيق مظلم حتى بلغنا حجرة الامام حيث كان جالسا على مقعد بسيط يلاصق الارض متكئا على وسادة وامامه ادوات الكتابة واوراق منها ورقة مكتوبة بمضاة بختم الامام ولم تكن الغرفة مزينة الا اننا رأينا على جدران الغرفة سبحة وساعة ومصحفا في محفظة قماش خضراء وسيفا ونظارة .

واما الامام فسنه يناهز الاربعين وعلى وجهه اثر الجدري خطي اللون أسود العينين حادهما قليل شعر الحاجبين والشاربين واللحية وكنا نرى حينما يتبسم اسنانه الناصعة البياض . وخلاصة القول فان سيما الذكاء والنبل كانت تتلألأ على ذلك الجبين الوضاح والوجه المنير الذي يجذب القلوب .

وسأذكر لكم من قبل الاستطراد اربعة عشر شرطا من شروط الامامة سبعة منها فطرية والباقي كسبي .

الفطري ان يكون علويا فاطميا سليم الحواس صحيح البنية حرا ان لا يكون ابن امة عالما عادلا

والكسبي ان يكون مستقلا في رأيه سخي الكف جسورا لا يهرب من القتل وان لا يتقاعد عن الحرب اذا كان هناك مسوغ شرعي وان يكون وحيدا في الامامة وذكرا قادرا على استمالة الاكثرية اي مصيبا في رأيه (١

(١) المنار : هكذا اوردها وقد خلط فيها بين الكسبي وغيره

وقد رأيت أثناء اقامتي في تلك الربوع ان احسن حكومة ديموقراطية هي ادارة الامام

وجدت الشيخ ناصر مبخوت واقفا على باب حجرة الامام حاملا السلاح كأنه يؤدي وظيفة الحفر وكان هذا الشيخ قد قدم للامام خدمات جليلة حين وفاة والده وهو الذي سعى مع العلماء في اتمام البيعة له

ان للامام يحيى سلطة عظيمة على اليمن حتى انه يمكن للرجل ان يتجول الاراضي اليمانية دون ان يمسه سوء اذا كان لديه رخصة من الامام والعرب يحترمونه احتراما زائدا وذلك لشدة تعلقهم به

كان الوافد على الامام حينما يقرب من منزله بدعان بطلق عياره الناري في الفضاء دلالة على الاحترام والتعظيم

ان هذا الاحترام العظيم وتلك السلطة المطلقة هما معلقان على كلمة تخرج من فم شيخ الاسلام الزيدية وذلك اذا ظهر من الامام عمل استبدادي او امر يخالف الشريعة الاسلامية فعندئذ ينزل عن تلك العظمة واحيانا تقود هذه الفتوى الامام الى محل القصاص . وخلاصة القول ان فتوى شيخ الاسلام الزيدية كسيف بتار معلق فوق رؤوس الائمة .

قبل ان ابين لكم شروط الصلح التي عقدت في هذه المرة أرى أن أذكر للقراء شروط الصلح السابقة التي طلبها الامام قبل الدستور لنقابل بين هذه وتلك

لا يخفى ان الحكومة في الدور السابق كثيرا ماسعت في الائتلاف والصلح وكانت الوفود تلو الوفود ولكنه يالاسف لم يتسن لهؤلاء حقن الدماء ودفع الخسائر التي كانت تتكبدها الحكومة من ازهاق الارواح وضياع الاموال وآخر وفد أرسلته الحكومة في سنة ١٣٢٤ هجرية للاصلاح ذات البين بين الطائفتين طلب منه الامام الشروط الآتية مفتتحة بهذه المقدمة :

شروط الصلح التي كان اقترحها الامام

« وافقت مستمدا بعون الله على شروط الصلح ما بيني وبين مأموري سلطان

الاسلام الذي ادعو الله ان يؤيد ملكه لإطفاء نار الحرب الموقدة ، وان نستبدل الفوضى والعداوة بالصداقة لتسلم البلاد من القلاقل وتحقن الدماء وتزول المحن من هذه البقعة ويستتب الامن ويرتبط المؤمنون برابطة الاخاء التي الانفصام لها ويرتفع الظلم من بينهم

١ ان تطبق الاحكام على الشريعة الغراء

٢ ان يرجع عزل وتعيين القضاة وحكام الشرع الى الامام

٣ ان تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالامام

٤ تخصيص رواتب كافية للحكام وللمأمورين كي لا تدفعهم القلة الى الارتشاء

٥ احالة الاوقاف الى عهدتنا لاحياء المعارف في هذه البلاد

٦ اقامة الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم من المسلمين والاسرائيليين كما أمر الله بها واجراها رسوله التي ابطلها المأمورون كأن لم تكن شيئا مذكورا

٧ يؤخذ العشر من المزروعات التي تسقى بماء السماء واما التي تسقى بمياه الآبار فيؤخذ منها نصف عشر بعد ان يقدر ذلك ارباب الخبرة واذا حصل اختلاف يرجع الى الاصول التي وضعها عبد الله بن رواحة في الخرص . ويؤخذ عن البقر والغنم والابل النصاب الشرعي وأما الاراضي التي تغل مرتين أو ثلاثا فيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه ورفع ماسوى ذلك من التكاليف

٨ ان جباية الاموال المار ذكرها تكون بواسطة مشايخ البلاد تحت نظارة مأموري الدولة واذا تجاسر احد على اخذ زيادة عن التكاليف المار ذكرها فعزله او تحديد الجزاء له راجع الينا ولا يكون لنا علاقة بقبض الاموال الاميرية

٩ تعفى عشائر حاشد وحولان وحدا وارحب من التكاليف

١٠ يسلم كل منا الخائنين الذين يلتجئون اليه

١١ اعلان العفو العمومي في البلاد كي لا يسئل احد عن ماضيه

١٢ ان لا يولى احد من اهل الكتاب على المسلمين

١٣ ان تشمل احكام هذه المواد المار ذكرها صنعاء وتعز وملحقاتها

١٤ ان لا تتداخل الحكومة في شؤون (آنس) ولا تعارضني في تعيين المأمورين من قبلي لهذا القضاء لفقرهم وقلة حاصلاتهم ولا يخشى من وقوع محظور في مخالطة مأموري الحكومة لهم

١٥ ان تكون المحافظة على هذه البلاد من تعديات الدول الاجنبية راجع للدولة

ان تنفيذ هذه الشروط في البلاد اليمانية يكون سببا لسلامة الافراد البشرية وترقي البلاد واحيائها فيظهر الامن بابهى مظاهره ويحصل منه خير كثير

لا يخفى ان البعض يستفيدون من كثرة سوق العساكر الى البلاد اليمانية اذ لا يخلو ذلك من الفائدة المادية لهم ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط لان باتباعها يستتب الامن وينقطع ورود العساكر الى هذا القطر فيخسرون بذلك ما كانوا يؤملون

لذلك اطلب صدور فرمان سلطاني يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كي يطمئن اليمانيون وترتاح قلوبهم ولا يعترضني المأمورون في اجراء الاحكام التي تخولنيها الشروط واحالة ادارة بلاد «الشرقية» من اليمن التي تشابه بلاد «آنس» الى عهدتي ١٣ صفر سنة ١٣٢٤

هذه هي شروط الصلح التي كان طلبها الامام من موفدي الدولة الا انه لم يتم الاتفاق عليها في زمن الحكومة الماضية لان الذين نيط بهم امر الصلح لم يكونوا اهلا له

كانت المسألة اليمانية بعد اعلان الدستور شغل الدولة الشاغل وقد كادت تقرر ان تترك الجبال الآهلة بقبائل الزيدية للامام يديرها كيف شاء لولا ان ظهرت في اليمن تلك الحركة الاخيرة وحصل ما حصل

**

انقل للقراء اليوم الشروط التي حصل الاتفاق عليه وهي اخف وطأة من الاولى (*):

(١) عقد الاتفاق ما بين الامام المتوكل على الله يحيى بن حميد الدين وقائد

(*) نشرت طيبي هذا الاتفاق بالتركية وترجمه مندوب المقطم فرأينا ان نشير الى الفروق القليلة بين النسختين ونشير الى المواد بأعدادها في الهامش دون الاصل.

(١) في المادة الاولى عند ذكر يوم كلمة (ميوم) بين قوسين كما رأيت. وفيها زيادة «وما حولها» بعد سرد اسماء البلاد وآخرها في الذكر تعز وردع

الحملة اليمانية عزت باشا على اصلاح امور بلاد صنعاء ، عمران ، حجه ، كوكبان ، حجور ، آنس ، ذمار ، يريم ، رداع ، حراز ، وتعز ، التي يقطنها الزيديون الذين هم اليوم تحت ادارة الدولة

٢ ينتخب الامام حكام مذهب الزيدية ويبلغ الولاية ذلك وهذه تخبر الاستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب

٣ تشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التي يعرضها الامام

٤ يكون مركز هذه المحكمة صنعاء ويتخب الامام رئيسها واعضاءها وتصدق على تعيينهم الحكومة

٥ يرسل الحكم بالقصاص الى الاستانة للتصديق عليه من المشيخة وصدور الارادة السنية به وذلك بعد ان يسعى الحاكم في التراضي ولا يفلح . ولا ينفذ الحكم الا بعد التصديق وصدور الارادة بشرط ان لا يتجاوز اربعة اشهر

٦ اذا اساء احد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة يحق للامام ان يبين ذلك للولاية

٧ يحق للحكومة ان تعين حكاما للشرع من غير اليمانيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي

٨ تشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى اصحاب المذاهب (المختلفة)

٩ تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى لفصل الدعاوى الشرعية وذلك دفعا للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والاياب الى مراكز الحكومة

١٠ تكون مسائل الاوقاف والوصايا منوطة بالامام

١١ صدور عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف (الضرائب) الاميرية التي سلفت

---

(٥) في نسخة طنين ان الفريقين يسعيان في الصلح والتراضي (٧) في نسخة طنين « الحكومة تعين الحكام للشافعية والحنفية فيما عدا الجبال »

١٢ عدم جباية التكاليف الاميرية لمدة عشرة سنوات من أهالي ارحب وحولان لفقرهم وخراب بلادهم على شرط ان يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة

١٣ تؤخذ التكاليف الاميرية بحسب الشرع

١٤ اذا حصلت الشكوى من جباة الاموال الاميرية لحكام الشرع او الحكومة فعلى هذه ان تشترك مع الحكام في التحقيق وتنفذ الحكم الذي يحكم به عليهم

١٥ يحق للزيدية تقديم الهدايا للامام بشرط ان تكون بواسطة مشايخ الدولة او الحكام

١٦ على الامام ان يسلم عشر حاصلاته للحكومة

١٧ عدم جباية الاموال الاميرية من (جبل شيرق) لمدة عشر سنوات

١٨ يخلي الامام سبيل الرهائن الموجودين عنده من اهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران

١٩ يمكن لمأموري الحكومة واتباع الامام ان يتجولوا في انحاء اليمن بشرط ان لا يخلوا بالسكينة (بالامن)

٢٠ يجب على الفريقين ان لا يتعدوا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط اه

* *

استفدنا من هذا الاتفاق فوائد جمة اهمها ترك الامام لقب امير المؤمنين للخليفة والاكتفاء بالامامة ثانيا ثبوت القطر اليماني تحت ادارة الدولة واقرار الامام بحاكمية الدولة على البلاد اليمانية كما طلب احمد مختار باشا في تقريره . اليوم بعد ان كانت الدولة تعتبر الامام يحيى عدوا مبينا اصبح الصديق الحميم واعترفت له بالامامة رسميا لتنظيم ادارة الزيديين

---

(١٣) « لاتكلف الحكومة أهل اليمن غير التكاليف الشرعية » (١٥) « للزيدية ان يقدموا الهدايا للامام اما توا واما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام » ففيها زيادة جواز تقديمها بغير واسطة (١٦) « يؤدي الامام عشر اراضيه » وليس فيها ذكر الحكومة (١٧) في نسخة طلبين ان جبل شيرق حوالي آنس وان أهله في غاية الفقر (٢٠) « بعد التصديق على هذه الوثيقة الاتفاقية (اتفاقنامه) بالفرمان السلطاني لايتعدى أحد الفريقين على البلاد التي هي تحت ادارة الفريق الآخر »

اعلن الامام يحيى عدم صلاة الجمعة صباح هذا اليوم لاننا كنا مسافرين فذهبنا لتناول الطعام حيث كنا مدعوين عند الامام فعند وصولنا الى المنزل وجدنا العربان مصطفين بايديهم البنادق من طرز موزر لاداء السلام .

دخلنا المنزل فوجدنا شرشفا (اي سماطا) ممدودا على الارض حوله الارغفة فجلسنا حوله وكان اذ ذاك الامام لابسا لباسا من الحرير ابيض حاملا خنجرا ذا حمائل من ذهب حتى ان الناظر الى الامام كان يرى في شخصه ولباسه حالة السلم .

كان شيخ اسلام الزيدية جالسا على يمينه وعلى شماله (سيد عمرو) وهو أول من سعى في الائتلاف والوفاق مع السيد قاسم بين الامام يحيى وعزت باشا الذي كان حينئذ بجانب سيد عمرو فكأن هذا يفتخر وهو جالس بالتوفيق بين قائد الحملة وقائد اليمن

كان سيف الاسلام جالسا عن شمال السيد قاسم وعلى يمين شيخ الاسلام رئيس اطباء الحملة اليمانية عبد السلام باشا الذي كانت له اليد البيضاء في تطمين قلوب العساكر حين اصابتهم الكوليرا بين صنعاء ومناخة فجمع أطباءه وأوصاهم ان لا يفشو خبر وجود الوباء بين الجند لئلا ترتعد فرائصهم وتنحل قواهم .

كان على يسار عبد السلام باشا الميرالاي احمد عوني بك رئيس اركان حرب الحملة الذي مكث في اليمن عامين في حملة سنة ١٣١٤ مع المرحوم عبد الله باشا وهو الذي اخمد فتنة الالبان في السنة الماضية ولم يكد ينم مهمته حتى ندب للذهاب الى اليمن حيث كانت المسألة اليمانية في دورها الاخير فلبى الطلب فخورا

هناك أقام خطوط الهجوم والدفاع بين صنعاء ومناخه حتى تمكن من الاستيلاء على الاولى وشهد له بالمقدرة الحربية كثيرون

كنت أرى على وجهه مخايل التعقل فكأني به يقول للناظر اليه والمستطلع فكره ان الذي يود فتح اليمن والاستيلاء عليها يجب عليه أن يجذب قلوب أهلها و يعاملهم بالرقة لا ان يخرب بلادهم ويدعها قاعا صفصفا . وكان لا يحول نظره عن الامام لانه لم يتمكن مدة وجوده باليمن عامين من رؤية ذلك الوجه الوضاح

دار البحث أثناء جلوسنا حول مائدة الطعام في علم الحكمة والسكينة وخاض

كل في هذين الموضوعين وكنا نقارن بين اجتهاد الاقدمين والمتأخرين من هذا العصر

ولما أزف وقت الظهر من يوم الجمعة قام الاعراب لتأدية فريضة الجمعة فأمر عندئذ الامام الخطيب ان يخطب في القوم الخطبة الآتية :

احمد الله سبحانه وتعالى الذي وفق بين المسلمين الذين تجمعهم كلمة التوحيد، وفرض عليهم ان يكونوا يدا واحدة في السراء والضراء، وأمرهم ان يقاوموا كل من يتعدى عليهم بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وجاهدوا في الله حق جهاده * واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) بعد ان كنتم اعداء تضمرون الوقيعة بعضكم ببعض . عباد الله ! ابتعدوا عن الاختلاف فانه مدعاة للشر والشر مجلبه الخراب (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (١) الخ ما قال :

كثيرا ما دار الحديث بين القواد ورؤساء القبائل عن المحاربات التي كانت تجري في القطر اليماني وتوصلنا بالحديث الى اسرار المحاربة وكم كانت قوة العربان في المحاربات الاخيرة في كل موقعة

كان عدد جيش العرب في واقعة بيت شعبان ٨٠٠ فقتل منهم خمسون وجرح كثيرون واضطر الجيش الى الانسحاب ليلا

اما في محاربة مفحق فقد كانت قوة العرب مؤلفة من ثلاثة آلاف محارب وفي بيت سلوم وغلان كانت عشرة آلاف وقد قال لي أحد المقدمين اننا نعترف بيسالة الارناؤوط لانهم كانوا يهجمون ولا يبالون بالرصاص الذي كان ينصب عليهم كالمطر

وقد قال لي رئيس ثان من العربان اننا لا نلتذ بمحاربتكم ولا نقدم عليها إلا مكرهين لاننا نتدين بدين واحد فلذا كنا في أكثر المواقع مدافعين ولا نهاجم لا مضطرين ونحن نود ان نكون معا في محاربة دولة ترغب في التعدي على حقوقنا

(١) المنار: نقل الكاتب ما عدا الآية الاولى من الآيات (وكذا سائر الخطبة) بالمعنى لانه لم يكن يحفظها فزاد ونقص وقدم وأخر فنقلناها كما هي لانه الواجب

هناك ترون منا ما يشيب له الطفل الرضيع وتأكدون ان العرب يحترمون الموت في سبيل الدفاع

ان هذا الاتفاق جعل ما كان بيننا نسيا منسيا غير اننا آسفون محزونون لما اصاب اخواننا بطرابلس الغرب من تعدي تلك الدولة الطاغية

كان العرب جميعهم يتألمون من الحرب القائمة بين الدولة وايطاليا وكثيرا ماوفد علينا روساء العشائر يسألوننا هل من سبيل للوصول الى طرابلس الغرب لمساعدة اخواننا ؟

بينما الجميع في هذا الحديث اذ قام سيف الاسلام بين الجميع وصرخ بصوت جهوري ملأ الفضاء وقال: ان أعظم قوة للاسلام هي الاتفاق ووحدة الكلمة ثم رفع يديه ودعا للطرابلسيين بالنصر وسأل الله ان يثبت اقدامهم على محاربة الدولة الطاغية . وأمن له الجميع

ثم التفت عزت باشا وخاطب الجميع بقوله : اننا نفضل الموت على ان نرى الاسلام مستذلا ـ فأجابه سيف الاسلام ان ذلهم يتوقف على انشقاقهم وجهلهم واني لاأجد معرة أعظم من هذه فيجب ان تتجدد للاسلام قوته ويرجع مجده وعظمته

وفي يوم السبت أخذنا نستعد للرجوع فخرج الامام يحيى بموكب عظيم ودعا لنا بالتوفيق وقد أرسل معنا ابن المتوكل وناصر مبخوت لمرافقتنا الى عمران فلما اقتربنا منها اطلقت المدافع من القلعة احد عشر طلقا كأنها تشير الى ان السلم في اليمن قد انتشر والامن استتب بفضل حكمة القائد عزت باشا

ان هذا الاتفاق كان سببا لحقن الدماء وعدم تيتم الاطفال وثكل الامهات ابناءها ولا شك انه سيزين تاريخ العثمانية

كانت الدولة تنظر الى اليمانيين بنظرة العداء وقد روّت ارضهم من دماء ابناء الروملي والاناضول (وغيرهم) فقتل فيها ما ينيف على الخمسمائة الف (١) وانفقت

(١) يريد الكاتب قتلى الحروب الاخيرة من عهد حملة احمد مختار باشا الى حملة عزت باشا ، والا فالقتلى هناك يعدون بالملايين اذا ارتقينا في عدهم الى أول تصدى الدولة لليمن في زمن السلطان سليمان وكان اكثر الجيش الذي يرسل الى هناك من العرب المصريين وغيرهم (راجع ص ٢٢٥ من المجلد الثالث عشر)

الملايين من الدراهم في هذا السبيل الا ان ذلك يرجع لسوء الادارة في تلك القطعة

لما حصل الانقلاب في المملكة العثمانية اخذ رجالها يبحثون عن علاج يداوون به هذا الداء العضال المتأصل في جسم الدولة الى ان قدر لمزت باشا ان يكون الشفاء على يديه وقد وفق لعقد الائتلاف مع الامام يحيى الذي هو رئيس مليون ونصف من الزيدية الذين لا يبالون بالحروب يأتمرون بامره ويخضعون لاشارته والامام ثروة عظيمة يبلغ ريعها ٢٠٠٠٠٠ ليرة سنويا وله نفوذ عظيم في اليمن

يجدر بنا ان نعترف بان سياسة القوة التي سارت عليها الدولة في اليمن لا تفيد شيئا وانه لمن الظلم الفادح ان تغتصب اموال اليمانيين وتخرب ديارهم لا لذنب جنوه بل لهوى في نفوس القواد الذين كانوا يؤمون البلاد اليمانية فيهلكون الحرث والنسل

اي صلاح ادخلناه في اليمن منذ استيلائنا عليها . واي صلاحية تخولنا الحاكمية عليها ما دامت الادارة سيئة وارباب الحل والعقد في الحكومة السالفة لا يرقون لحال اليمانيين ولا يرحمون

كانت ارادتنا لليمن حتى اليوم بالمدفع وتمنعنا يا للاسف عن تنفيذ خطة الاصلاح التي وضعت له فنحن لا ننكر على الحكومة الحالية ما أجرته في المدة الاخيرة لان الاصلاح لا يتأتى الا بالقوة (١)

على أن فرنسا لما دخلت الجزائر ادارت أمورها بستين الف جندي لكننا نحن العثمانيين لا يجمل بنا ان نفعل فعلها في اليمن من حيث الظلم بل من حيث الاصلاح

اخطأ الذين كانوا يقولون بوجوب الزحف على « شهاره » فماذا ينفعنا ؟

فقد سبق لنا الدخول الى « غفله » غير اننا رجعنا بخفي حنين بعد ان اريقت دماء كثيرة من الطائفتين الاسلاميتين . فليس الاصلاح في الاستيلاء على البلاد

(١) ان الكاتب على انصافه لم يبد من عذر الحكومة الحاضرة على سوقها الحملة التي هو أحد رسلها لحرب اليمن ليبرئ نفسه بتبرئتها والحق ان اثمها كاثم ما سبقها او اكبر ، وقد اخطأ في تقليده بعض ساسة الدولة بجعل الترك من العرب كالفرنسيس من أهل الجزائر ، وأخطأ ايضا في جعله هذا الصلح أثر قوة الحملة وهي لم يتم لها الظفر ، وكان الامام قد رغب في الصلح قبلها وكاد يتم في وزارة حلمي باشا لولا ان اوقفه الاتحاديون لتنفيذ سياسة المذهم السابقة

وانما الاصلاح كل الاصلاح ان تجذب قلوب اليمانيين فيميلون بطبيعتهم الى الدولة ويعترفون بمحاكمتها ويتفيأون ظلالها

لو استعمل القواد السابقون ما استعمله عزت باشا من الحكمة والدراية لكانت اليمن جنات تجري من تحتها الانهار

ان عزت لما اعلن انه سيأمر بين الناس بالعدل ما كان من اليمانيين الا ان وفدوا عليه في صنعاء زرافات زرافات واثقين من كلامه ثم كانوا لا يلبثون بعد دخولهم ومحادثتهم له ان يخرجوا من عنده ملآنة أعينهم بالدموع (لأنهم ايقنوا اخلاصه في الخدمة) وحاملي الهدايا الثمينة، الى ان حصل الاتفاق بينهم ورفع الخلاف، وبدل اليمن ثوبه البالي بثوب جديد

نعم ان هذا الاتفاق الذي حصل بين الزعيمين سيدر بالخير والبركة على الاقطار اليمانية فتجلي سماؤها التي كانت متلبدة بدخان البنادق والمدافع الكثيف وتحرث ارضها ويشتغل فيها اهلها ويذوقون طعم الامن والسكينة فيهدأ بالهم، وتسعد حالهم، وستكون الحوادث الماضية درسا لرجال الدولة فلا يضمون الشدة حيث يجب ان يكون اللين اه ما نشر في الحقيقة بتصحيح قليل للعبارة ،

***

﴿ حديث في صلح اليمن لضابط عثماني كبير ﴾

نشرت جريدة المفيد البيروتية حديثا لأحد ضباطها ومحرريها مع أمير الألاي احسان بك الذي كان رئيس اركان الحرب لفيلق اليمن عند إلمامه ببيروت عائدا من اليمن قال الكاتب :

ضمني وامير الألاي احسان بك مجلس ولما علمت ان قدومه من اليمن وانه من كبار الضباط استطردته في الكلام الى البحث في شؤون الاتفاق مع الامام. قلت وهل لاحسان بك معرفة بعزيز بك ؟ قال نعم هو من اعز اصدقائي وهو الرجل الذي جمع الى همة الشباب حكمة الشيوخ ، قلت وما عندك من نبأه ؟ قال انه بطل هذا الاتفاق

(قلت) وكيف كان ذلك ؟ قال « ان عزيز بك شاب غيور انف فخور يعز عليه ان يستمر القتل بين الجنود العثمانية وبين عرب البادية (كذا) وقد أن هذا القطر والتحق بعصابة اليمن وفي النية ان يوفق بين عزت باشا والامام يحيى حقنا للدماء وقد نجح مسعاه لدى قائد الحملة فان عزت باشا لم يكن ممن يحبون سفك الدماء دون طائل ولا ممن يقودون الجيوش بقصد التخريب والتدمير

« هذه العاطفة التي وجدها عزيز بك في قلب عزت باشا سهلت عليه سبيل الاتفاق مع الامام

« قلت ان عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق وأؤكد لكم ان هذا البطل هو من اصدق الرجال الذين خدموا الدولة والامة معا، فان خوفه على دولته من الاقتراض لاشتغالها عن الامور الخارجية بتجريد الحملات على ابنائها، و(حبه) بقاء العرب ذخرا للدولة تستعرضهم عند الحاجة، حملاه على عقد الاتفاق ، وقد تمكن بطلاقة لسانه من اقناع الامام بان القتال اذا استمر بينه وبين الدولة فان الاجانب الذين يتربصون بنا الدوائر سوف يستولون على هذه البلاد

على هذه الفكرة بني اساس الاتفاق بين عزت باشا والامام يحيى ومن ذلك يظهر لكم ان عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق

— ما وجه الخلاف الذي من أجله كانت تسفك دماء الابرياء ؟

« ان الامام منذ أعوام كثيرة يدعي الامامة وانكم اذا قرأتم نص ختمه تعلمون وجه الخلاف وسبب خروجه على الدولة . كان للامام قبل الاتفاق ختم كبير نقش عليه : (نصره الله)ومن تحتها بصورة هلال (السيد يحيى بن محمد حميد الدين) ويلي ذلك كلمة (امير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين) هذا هو ختم الامام قبل الاتفاق . وأما بعده فأصبح كذلك « امام الزيود السيد يحيى بن محمد حميد الدين » ومن ذلك تعلمون بسبب الحروب اليمنية ، فعزت باشا وعزيز بك لم يحقنا دماء أبناء الامة اليوم فقط بل انهما حقنا دماء أبناء كثيرة لم يخلقوا بعد ، والله يعلم كم كانت هذه الحروب تستغرق من الاجيال لولا هذا الاتفاق

— كم يبلغ عدد الجنود اليمنيين اليوم وما هي خسارتهم في الحرب الاخيرة ؟

«يناهزون ستين تابورا وتقدر خسارتهم بستة آلاف ومعظمهم مات بسبب الامراض التي كثيرا ماتنتشر بين الجنود لحرارة الاقليم»

ـ هل يتقاضى الامام راتبا من الدولة؟

«نعم يتقاضى الف ومائة ليرة عثمانية مشاهرة ولمشايخ العربان رواتب مقننة أيضا»

ـ ماذا كانت فوائد الاتفاق بعد ان عقد؟

«وزع الامام منشورا على جميع القبائل الموالية له يحذرهم من الخروج على الدولة والتعدي على الجنود النظامية والانصراف عن مناوأة الدولة الى الاهتمام بزراعة الارض فكان من ذلك ان الجندي النظامي اصبح يروح ويغدو بسلاحه الكامل في أنحاء اليمن دون ان يعارضه معارض

«أما الرسوم الاميرية فتجبى بواسطة رجال الامام الذين يصحبون رجال الجندرمة ولم نسمع بعد عقد الاتفاق بشيء مما كان يقع بين الجباة وبين العربان الامر الذي كان يفضي الى امتشاق الحسام وسفك الدماء بين الفريقين

«أكثر بلاد الدولة أمنا اليوم هو القطر اليماني غير ان اليمن هي اليوم في حالة البداوة وان في خصب أرضها وطيب تربتها ما يساعد الدولة على نقلها من حال الى حال

«تعد الدولة اليوم خطا حديديا من الحديدة الى جبلة وما مدته الى الآن يقدر بثلاثة كيلو مترات، الا انها ساعية بتسوية الارض وبسط الطريق لكن مد السكة الحديدية لا يجدي الاهالي نفعا اذا لم تكن البلاد غنية واذا أتيح لهذه البلاد ان تنمى فارضها ستكون كنز هذه الثروة

«ان الخط الحديدي يسهل نقل الجنود الا ان الدولة اذا جرت على سياسة عزت باشا عقدت مع مشايخ القبائل عقود الاتفاق في بطن الجزيرة وساعدت على زراعة الارض أصبح هذا الخط اقتصاديا اكثر منه عسكريا فان اليمانيين متى قعدوا عن قتال الدولة وتعاهدوا معها انصرفوا الى الزراعة والصناعة، وإن ذكاء هؤلاء القوم يساعد كثيرا على انتشار المدنية في تلك الربوع وان من مصلحة الدولة ان يساس هؤلاء سياسة الحلم لا سياسة العنف والشدة

«في بعض الانحاء من اليمن تنبت الارض اربع مرات في السنة وبعضها تنبت

مرتين فاذا عنيت الدولة بزراعة البلاد اليمنية كان لها مورد جديد يزيد في مالبتها وانه ليؤسفني ان اصرح لكم بان الحكومة أرسلت كثيرا من الادوات الزراعية ولكنها لم ترسل معلمين زراعيين حتى الآن وهذا الاهمال كان السبب في تعطيل هذه الادوات

« ان حكومة الاستانة لم تغفل هذا الامر فقط بل انه مضى على عقد الاتفاق شهور ولم يصادق عليه الا اول من امس وكثيرا ما كان عدم وفائنا سببا في خروج مشايخ اليمن علينا فان الوفاء بالعهد عند العرب من الامور التي يتوقف عليها بقاء ثقة المحكوم بحاكمه »

ـ هل تعهد الامام لقاء الامتيازات التي منحته اياها الدولة بالمساعدة عند الحاجة ؟

« نعم وعد بتقديم مائة الف مقاتل بالعدة الكاملة وهذه قوة لا يستهان بها

ـ ما هي سياسة عزت باشا مع الادريسي وهل يمكن عقد اتفاق معه ؟

« من رأيي ان تعقد الدولة اتفاقا مع الادريسي ولكن الامتيازات التي تكون للادريسي هي لا شك غير امتيازات الامام فان الادريسي حديث في المهدوية غير ان في عزم عزت باشا ان يجرد عليه قوة من الجيش اليمني وستبدأ عما قريب الحركات العسكرية في عسير ، ومن رأي عزت باشا ان الادريسي قد ادعى المهدوية حديثا ، واما الامام يحيى فنسبه ثابت والامامة وراثية في عائلته فاذا عقد القائد معه اتفاقا يخشى من ظهور مئات امثال الادريسي ، قضاء على كل دعوى من هذا القبيل يرى القائد من الضرورة خضد شوكة الادريسي ، ولكن رأيي الخاص هو ان عزت باشا اذا جرد على الادريسي عسكرا لا بد وان يرجع الى فكرة الاتفاق ، فاذا كان لعقد الاتفاق سبيل فمن واجب الحكومة ان لا تدع هذا السبيل »

ـ وهل في تلك الانحاء غير الامام يحيى والادريسي من مشايخ العرب يعتد بهم ؟

« يوجد شرقي اليمن بعض السلاطين وسياسة عزت باشا اليوم استمالة هؤلاء السلاطين دفعا لما يتهدد البلاد من الاخطار فاذا تغاضت الحكومة عن ارضاء هؤلاء فان دولة اجنبية تستميل اليها هؤلاء خفية بما تمنحهم اياه من الاموال

وما تقدمه لهم من الاسلحة. واذكر لكم من هذا القبيل ان سلطانين من سلاطين شرقي اليمن لما سمعا باتفاق عزت باشا مع الامام وعلما باستقامة هذا القائد وودوه قدما اليه وعرضا عليه الاطاعة للدولة، وقد اعترفا لعزت باشا بدسائس بعض الدول واطلعاه على رسائل سرية كان عمال تلك الدولة يبعثون بها اليهما

«ان عزت باشا يتبع الآن سياسة حسنة، وقد احسن وفادة هذين السلطانين واعترف بسلطتهما شرقي اليمن واعطى كلا منهما علما عثمانيا وانعم عليهما بالمدالع ومنحهما الاموال وعندي ان من الواجب على الحكومة ان تسير على هذه السياسة مع العرب ومع بقية العناصر العثمانية

«وقد ينبغي للحكومة حفظا لهذا الملك من الاعتراض ان تسير في الداخلية على سياسة الحلم واللين وان تدخر هذه القوات للعدو الخارجي الذي يتهدد البلاد . اه

*

(المنار) ان ما رآه هذا الضابط العاقل من وجوب اتفاق الدولة مع الادريسي هو الصواب المحتم، وان قتاله خطأ أو خطر، وانه هو يقضي الاتفاق والخضوع للدولة كما نعتقد، وذكرنا قبل ان قاتله الدولة وقاتل الامام اقترحنا عليها الاتفاق معهما كليهما، وكلمنا رؤف باشا في ذلك وجزمنا له بأن الامام والادريسي يرغبان فيه ويخلصان للدولة ما وفت بعهودهما، كما بينا ذلك في المنار . وقد تبين صدق رأينا في الاتفاق مع الامام وسيتبين في الثاني . ثم يتبين صدق رأينا في الاتفاق مع سائر امراء جزيرة العرب وزعمائها أيضا . وكان بعض الزعماء في حضرموت وغيرها كتبوا الينا من بضع سنين يخبروننا بدبيب الدسائس الاجنبية في بلادهم، ورغبتهم في ان ترسل الدولة الى بلادها وعمالها ليديروا أمرهم، فعرضنا ذلك على احمد مختار باشا الغازي وبينا له الآن غير ممكن لوعورة الطرق وقلة او فقد الرجال الاكفاء الذين يرضون أن يقيموا في تلك البلاد، وتعذر اقناع السلطان بذلك . والآن قد سنحت الفرصة فعلى الدولة أن تغتنمها، وتجعل جزيرة العرب هي الركن الاقوى لمظاهرتها وتأييدها، على نحو ما أشرنا اليه في الجزء الاخير من السنة الماضية

كان ساسة الدولة يظنون ان اصلاح جزيرة العرب وتعميرها خطر على سلطة

الترك يخشى أن يفضي الى ايجاد دولة عربية مستقلة يدعي حاكمها الخلافة ، وهذا هو السبب لجعلهم بلاد الحجاز خرابا ، ومتابعة الحرب في اليمن وغيرها كما أشار الى ذلك احسان بك ، ولكنه لا يرجى منه ان يذكره بغير الصيغة التي ذكره بها . ولم يوجد في الدولة رجل امكنه ان يجعل الجزيرة ولايات تركية او عثمانية ، ولا ان يجعلها ولايات ممتازة مرتبطة بالدولة بعسكريتها وخارجيتها ، مع بقائها مستقلة في ادارتها

أما الآن وقد ظهر للعيان ان العرب أشد العناصر العثمانية حرصا على الارتباط بالدولة والاخلاص لها ، باستقتالهم في حرب ايطالية بطرابلس الغرب ، وشرائهم بقاء التبعية العثمانية بكل ما يملكون من مال ودم — وظهر أيضا ان الدولة تعجز عن حفظ جزيرة العرب — وهي عهد الاسلام — من تعدي الدول البحرية كما عجزت عن الدفاع عن طرابلس الغرب ونيط الدفاع عنها بأهلها — وظهر أيضا ان الدولة العلية نفسها على خطر ، بعد ما اجمعت اوربة على عدم التزام معاملتها بقوانين حقوق الدول ، — اما وقد ظهر كل هذا فقد صار من الواجب المحتم على الدولة أن تعقد الاتفاق مع جميع امراء الجزيرة فتقر كل امير منهم على ما هو عليه ، وتساعده على التعليم والتمرين العسكري وسائر ضروب الاصلاح ، ويكون اهم أصول الاتفاق بينها وبينهم هو الاتحاد العام في الجيش عند الحاجة وكيفية الايجاد والدفاع عن المملكة

***

﴿ حال اليمن على عهد السلطان محمود الثاني ﴾

كان ابتداء تحرش الدولة العثمانية باليمن في سنة ٩٣٤ في عهد السلطان سليمان القانوني أي زهاء أربع مئة سنة وقد بينا ذلك في المجلد الثالث عشر نقلا عن كتاب (البرق اليماني في الفتح العثماني) ومن ذلك ان الحرب كانت سجالا بين الدولة واليمانيين ، وبقيت كذلك الى الآن

ولما ولي السلطان محمود الثاني كانت الدولة محفوفة بالنوائب والاحداث ففي زمنه كانت فتنة الانكشارية ، والحرب الروسية ، وعصيان والي يانية ووالي بغداد ، وثورة اليونان ، وحرب ايران ، وحرب محمد علي باشا ودخوله الشام ، ثم حرب الوهابية في نجد والحجاز ، ولكن اليمن كانت راضية في ذلك العهد بالصلح بينها وبين الدولة العلية

على مال تؤديه . وقد وقف بعض اصدقائنا في بعض دور الكتب في الآستانة على صورة بعض المكتوبات الرسمية في ذلك وهذا نصها :

(١)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من خليل باشا الى الجناب العالي الفاضل الاديب والكامل الاريب العالم العلامة والمنصح الفهامة حضرة أخينا الشيخ محمد بن احمد الحرازي سلمه الله تعالى آمين . وبعد السلام على الدوام وصلت كتاب حضرة اخينا الامام حفظه الله تعالى وذكر قدومكم الى بندر الحديدة وصحبتكم المبلغ المائة الالف الريال الفرانسة المعجلة فصادر الى طرفكم معتمدنا الحاج يوسف أغا لقبض المبلغ المذكور وتسليم البادر الى طرفكم ويقيم عندكم لقبض المائة الالف الريال الفرانسة المؤجلة كل شهر خمسة وعشرين الف ريال فرانسه من أول شهر شوال عام سنة ١٢٣٤ وآخرها شهر محرم الحرام عام سنة ١٢٣٥ فليعلم ذلك . حرر في شهر رمضان عام الف ومائتين وأربعة وثلاثين سنة ١٢٣٤

صورة المختم
رب سهل
امور خليل

(٢)

الحمد لله تعالى

بلغني من يد القاضي محمد الحرازي وسيد الفيروز وأمير الدحبة فتح الله موكلين من طرف الامام المهدي مائة الف ريال معجلة التي يوكلني بقبضها افندينا خليل باشا حفظه الله تعالى بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٣٤ وقبضتها بالتمام والكمال من المذكورين الموكلين والسلام ختام

صورة المختم
يوسف عبده
١٣٢٨

(تقريظ المطبوعات)

﴿ هداية الباري ، الى ترتيب احاديث البخاري ﴾

رتب السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوي أحاديث (التجريد الصحيح لاحاديث الجامع

الصحيح) المعروف بمختصر الزبيدي لصحيح البخاري على حروف المعجم وسماه بالاسم الذي تراه في العنوان وطبعه مشكولا بالشكل الكامل ، وجعل في جانب كل صفحة جدولين يذكر في أحدهما اسم الراوي من الصحابة وفي الثاني اسم الكتاب وفي الهامش الباب الذي ورد فيه الحديث من كتب صحيح البخاري. ووضع في هامشه شرحا وجيزا للاحاديث مفصولا بينه وبين المتن بخط عرضي دالا عليه بالارقام . فكان مؤلفا من جزئين صفحاتهما ٥٢٨ ـ فهذه النسخة أمثل نسخ هذا الكتاب للمراجعة والمطالعة فنثني على همة السيد عبد الرحيم عنبر ونشكر له عمله هذا ونحث القراء على الاقبال عليه

***

﴿ توجيه النظر الى أصول الأثر ﴾

سفر كبير ألفه الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي نزيل مصر ، وطبع على نفقة الجمالي والخانجي الشهيرين. وظاهر التسمية ان الكتاب في علم أصول الحديث ومصطلحه ، وقد قال المصنف في التعريف به انه فصول « ينتفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والاخبار ، وأكثرها منقول من كتب أصول الفقه وأصول الحديث » وكتب على طرة الكتاب ان الداعي الى تأليفه ماوقع عليه العزم من تحرير الكلام في السيرة النبوية المنتقاة مما كتبه ابن هشام

مهما قال المؤلف في تعريفه ، وسبب تأليفه ، فلا يخرج عما يسبق الى الذهن من قراءة اسمه ، فهو في علم الحديث . ولكن فيه استطرادات نافعة ، ومسائل محررة ، وأوابد مقيدة ، لا تكاد توجد مجموعة مع ما يناسبها في كتاب . وناهيك بسعة اطلاع الشيخ طاهر وحسن استحضاره واختياره . فمن ذلك الكلام في جمع القرآن وتدوين الحديث ، وابتداء التأليف ، وبحث التواتر ، والحديث المتواتر ، وقد أطال فيه كما أطال في بحث الحديث الصحيح ، وكتابي الصحيحين ، وبحث الجرح والتعديل وعلل الحديث . ومن الاستطرادات المفيدة الاستطراد في كتابة الحديث وضبطه والتصحيف فيه الى الكلام في الخط العربي وتدرجه في الترقي وعلائم الفصل فيه والحركات العربية والوقف وما ينبغي من وضع العلامات له وللاما لة والاشمام وغيرهما من كيفيات الاداء . وقد أطال في ذلك للحاجة اليه والبحث عنه في هذا العصر

وجملة القول ان هذا الكتاب لا يستغني عنه بغيره وهو من الكتب الشرعية النافعة. ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز وثمن النسخة منه ١٥ قرشا

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر ٣٠ ربيع الاول ١٣٣٠ هق ـ ١٠ الشتاء الثالث ١٢٩١ هـ ش ١٩ مارس ١٩١٢ م ﴾

﴿ الوفاق بين الاسلام والنصرانية ﴾

أرسل الينا صاحب الامضاء هذه الرسالة من بضعة أشهر فحالت كثرة المواد عن نشرها قبل الآن

دعاني حب الانسانية والسلام أن أبذل ما في وسعي للتصافي بين بني الانسان والتآخي بين بني آدم وتطهير قلوبهم من البغضاء والشحناء ونزع التعصب الذميم من بينهم ليعيشوا اخوانا في صفاء ونعيم . ولما كان الاسلام والنصرانية أكثر شيوعاً وأعظم عنصرا في الارض ابدأ في التآلف بينهما وأرجو القراء أن لا يستكروا كبيرا على انسان ولا يستبعدوا مقدورا على أحد فان الله يهب الفضل لمن يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء ويهدي من يشاء ولا حول لنا ولا قوة الا بالله

ولما قامت النصرانية بالكتاب المقدس وقام الاسلام بالقرآن الشريف استهدي كلا بكتابه واستميله بحكمه وألفته الى محكم آياته فان الناس عن كتاب الله لاهون ، وعن العمل بدينهم تائهون ، وانه لا تعصب بين الدينين ، ولا كراهية بين الفريقين الا ما ابتدعته سلطة الفرد من التنافر والدين نفسه منه بريء . قرأت التوراة والانجيل والقرآن فلم أجد فيها كرها ولا بغضا بل اتحادا وارتباطا (وما أشق الانسان الا الانسان) فكلنا خلق الله نعبد الله ولا نخالف الا من سوء التفاهم بيننا فهلموا نعقد الاجتماعات ونتفاهم كتاب الله أولى من المراقص والملاهي . وكل فرد منا يمكنه أن يقرأه حتى اذا تدبره لابد وأن ينزع من نفسه كل تعصب منكر وان قلبي ليرتعش طرباً وسروراً وفؤادي يفتش حناناً واشفاقا لما سأقوله محقق لكل عالم حليم حكيم وهو :

ان الكتاب المقدس يأمر المسيحي أن يكون نصرانياً مسلما والقرآن الشريف يأمر المحمدي أن يكون مسلما نصرانيا نعم نعم بينهما حب وسلام ، واتلاف ووئام ،

قال تعالى في سورة البقرة (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) لماذا لا نسمع داعي الله الى هذا الحق هذا الاتحاد هذه الرابطة المتينة ؟ أليس لنا قلوب نعقل بها أم على القلوب أقفالها ؟ كلا فنا العاملون ومنا المحامون ومنا الحكماء والمهندسون وكلنا أحرار . واذا لم نرجع الى الحق في عصر النور والحرية ونفك نفوسنا من قيود التقليد فمتى يأتي ؟ أنتبع آباءنا ولو كانوا خاطئين ؟ واذا لم نعدل لنفوسنا في ضمائرنا فالى من يأتي ؟ . والأسفاه والله والأسفاه . فانا اذا نظرنا في شيء واتضح لنا الحق ظاهرا مبينا وكان خلاف ما يتبعه آباؤنا نجد في نفوسنا حرجا وصلابة وجمودا الا ألفينا عليه آباءنا مهما كان باطلا . ألا ترى أن من يعبد العجل يعبده بقلبه لانه وجد أباه له عابدا ؟ والمسلم والنصراني يعلمان انه آثم كافر ويريد كلاهما أن يهديه الى الحق ويود المسيحي أن يكون المسلم نصرانيا كما يرغب المحمدي أن يكون النصراني مسلما ويرى كلاهما انه على الحق وغيره على الباطل . لماذا لماذا لماذا ! لاشك أننا لآبائنا مقلدون ولو كانوا في ضلال مبين . عجباً عجبا ! أين العلوم العصرية ؟ أين النور الساطع ؟ أين الذكاء أين الحرية ؟ ألم تقشع غيوم الجهالة أفلا تنمحي ظلمة التقليد الاعمى ؟ كدنا اليوم نلمس السموات بالاختراعات فلماذا لا نفكر في الاتحاد والسلام ؟ لم لا نسير على طريق البحث لنهتدي الى الحق ؟

أيها القراء اني سرت مستقيما فوصلت الى باب الحقيقة بالبحث والبرهان فمن وجدني زائغاً فليقومني بقلم حاد وله مني مزيد الشكر وله الاجر من الله

ورد في الكتاب المقدس في انجيل متى اصحاح ٥ — (٢٨) سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن (٣٩) وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا . . . (٤٣) سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك (٤٤) وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم)

انظر أيها النصراني الى هذه الوداعة والى هذا الاستسلام المتناهي هل تجد في ذلك تعصبا أو كراهية لاخيك المسلم ؟ كلا . وان الله يعلم ان الناس لا يصلحون بهذا الاستسلام المتناهي وظهرت عليهم آثار علمه بالخاصة والشحناء فأمرهم بالحكمة البالغة فقال في القرآن الشريف في سورة الشورى « والذين استجابوا لربهم وأقاموا

الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » أمر بالشورى وأمر بالقصاص اذا كان لمصلحة واستحسن الصبر والغفران، أليست هذه الآيات القصيرة كافية وحدها الان تكون توراة وانجيلا وقرآنا ؟ لو عمل الناس بها لعاشوا في هناء وسرور . فيا أيها النصراني أحب عدوك وبالاولى المسلم ابن عمك ويا أيها المسلم عليك بالصبر والغفران

ورد في الكتاب المقدس في انجيل يوحنا اصحاح ١٧ (٣ وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فما هو السبب الذي يدعوك أيها النصراني أن تخاصم المسلم وهو يؤمن بأن الله واحد وان السيد المسيح عليه الصلاة والسلام رسوله كما ورد في القرآن الشريف « انما إلهكم إله واحد » أيها المسلم اقتد بما قاله تعالى «الم. غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » فافرح بما يكون لاخيك النصراني من النصر المبين على الكافرين وكن معه على اتحاد ووفاق . أغير ذلك دلائل على وجوب التصافي والتضامن بين الفريقين ونزع البغضاء من الطرفين ؟ نعم يوجد أكثر من ذلك اقرأ رسالة يوحنا الاولى اصحاح ٢ (١ يا أولادي ! أكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ٢ وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا) فهو يقول ان المسيح يشفع ليس للنصراني فقط بل للمسلم بل لكل العالم أيضا . فلام أيها المسيحي تبغض أخاك المسلم الذي آمن بالتوراة والانجيل وآمن بالمسيح وانه كلمة الرب . هل لانه آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وانه ليؤمن به بحق كما بشر به ابراهيم وموسى وداود وأشعيا وعيسى نفسه في الكتاب المقدس عليهم صلوات الله أجمعين

اقرأ الكتاب المقدس بتدبر واعتدال واذا وسوس اليك الجمود فاقطعه بسيف الحق وحرر نفسك من رق التقليد واذا أردت الاختصار فاني أورد لك بعض البشارات الصريحة . منها ماورد في التكوين ص ١٧ (٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جداً اثني عشر رئيسا يلد واجعله أمة

كبيرة) فمحمد عليه الصلاة والسلام هو ابن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم

وورد في التثنية اصحاح ١٨ (١٨ اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي ٢١ وان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب ٢٢ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه) فمحمد هو النبي الذي مثل موسى أتى بكتاب من كل الوجوه ولم يقم مثله من بعده غيره . انظر الى التخصيص في قوله «بين اخوته» اي بني اسماعيل جد محمد وقد دلنا على كيفية التمييز بين النبي الكاذب والصادق ونعلم ان محمداً صدق في كل ماأخبر به من الغيب وقوم الله طريقته وساعده ونشر دينه ولم يكذب قط ولو كان كاذباً لاهلكه الله . وكما ورد في التثنية ورد في القرآن الشريف في هذا المعنى « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين »

واقرأ قول داود مزمور ٤٥ (فاض من قلبي بكلام صالح متكلم انا بانشائي للملك ، لساني قلم كاتب ماهر انت ابرع جمالا من بني البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله الى الابد ، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك) وذلك لاينطبق على عيسى لانه لم يتقلد سيفا بل على محمد تماما .

واقرأ اشعياء اصحاح ٤٢ (١ هو ذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لايصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لايقصف وفتيلة خامدة لايطفىء الى الامان يخرج الحق ٤ لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا ٦ انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك واجعلك عهداً للشعب ونورا للامم ٧ لتفتح عيون العمي فتخرج من الحبس للمأسورين من بيت السجن الساجنين في الظلمة ٨ انا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد اتت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تنبت اعلنكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحة من اقصى الارض ايها المنحدرون في البحر وملؤه الجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب مجدا ويخبروا

بتسبيحه في الجزائر ... ٢٢ لكنه شعب منهوب ومسلوب ...) تظن ياحبيبي النصراني ان كل هذا الاصحاح خاص بعيسى عليه السلام بما ورد في انجيل متى اصحاح ١٢ (هوذا فتاي) يقول فتاي ونرجع الى الاصل نجد هوذا عبدي وعندك ان عيسى ليس عبداً لله وأما محمد فهو عبدالله لم يكل ولم ينكسر ومات على فراشه محفوفا بآله واصحابه وأما عيسى عليه السلام فتعتقد أنه صلب ، تذكر ماورد في انجيل مرقص اصحاح ١٥ (٢٥ وكانت الساعة الثالثة فصلبوه) اما محمد فقد حفظه الله وكان يوحد الله وكسر الاصنام وهو ابن قيدار بن اسماعيل وان سالع من بلاد العرب ، وتأمل في كنية الحج فان الناس من كل فج يفدون من الجزائر والبحر وملئه ومن اقصى الارض يخدرون الى جبال عرفات ويغنون بتسبيحة جديدة قائلين الله اكبر لبيك اللهم لبيك ألوفا ألوفا وترفع البرية صوتها في البلاد التي سكنها قيدار جد محمد وترنم سكان سالع. فهيئة الحج منطبقة تمام الانطباق على هذا الاصحاح في آيات ٨ و ٩ و ١١ وآية ٢٢ تدل على العرب وهم شعب محمد فانهم كانوا قبله شعبا منهوبا ومسلوبا

واذا لم تكتف ياسيدي بالعهد القديم (التوراة والزبور) فهاهو العهد الجديد (الانجيل) أصرح بيانا وأوضح عبارة وأعظم دلالة على محمد صلى الله عليه وسلم. اني أحيلك أولا الى أول انجيل يوحنا من آية ١٩ الى آية ٢٥ (فسألوه وقالوا فمابالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي) ثم تذكر ما في ص ٦ آية ١٤ (هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم) ثم تدبر ما في ص ٨ آية ٤٠ (فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي (٤١) آخرون قالوا هذا هو المسيح) فهذه الآيات تقول لنا بوضوح وبدون أدنى شك ولا تأويل ان الناس كانوا ينتظرون ايليا والمسيح والنبي وحيث انه من ذلك الحين لم يظهر الا ايليا والمسيح لغاية ٦٠٠ ميلادية وكان من الضروري أن يأتي النبي المنتظر فلا شك أن يكون هو محمداً عليه الصلاة والسلام وقد أثبت ذلك الانجيل نفسه. قال لوقا ص ١٧ (٢٠ ولما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله؟ أجابهم وقال: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة ... (٢٦) وكما كان في أيام نوح كذلك يكون في أيام ابن الانسان (٢٧) كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون الى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع) فملكوت الله هو الشريعة أي طريقة النجاة بدليل انجيل متى ص ٢١ (٤٣ لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره) فكأنه قال ان الشريعة المطهرة تنزع منكم وتعطى لامة غيركم تعمل بها. أما الامة التي أعطيت ملكوت

الله أي الشريعة المطهرة وتعمل بها الآن فاترك للأذكياء ذوي العدل (الحكم) بأنها أمة محمد أم لا . وأما ماورد عن المسيح عليه السلام في الآية السابقة وهي قوله — وكما كان في أيام نوح الى وقت دخوله الفلك كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الانسان (المسيح) فانه يشير الى أيام شريعته بأنها ٦٠٠ سنة لان نوحا دخل الفلك بعد ٦٠٠ سنة كما ورد في التكوين ص ٦ (٦ ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الارض) . فمتى أثبتنا ان ظهور شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كان بعد شريعة المسيح عليه السلام بمقدار ٦٠٠ سنة كان قول المسيح عيسى بن مريم حقا وذلك لا يحتاج الى أدنى شك فبتطبيق التاريخ الميلادي على التاريخ الهجري يتضح أن ابتداء الوحي ونزول الشريعة على محمد كان سنة ٦١٠ ميلادية وان ابتداء شريعة المسيح كان بعد ٣٠ سنة من ميلاده كما في انجيل لوقا ص ٣ (٢٣ ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة) فتكون المدة بين الشريعتين هي ٥٨٠ سنة افرنكية تساوي ٦٠٠ سنة قمرية وذلك من أعجب العجب لان سني نوح كانت قمرية . فيا إلهي رحماك ! اللهم رحماك بعبيدك بني الانسان كافة ، واهدهم صراطك المستقيم الحق ، واجعلنا اللهم مصدقين لما قاله عيسى عليه السلام بأن ظهور شريعة محمد يكون بعد ستمائة سنة نعم ستمائة سنة انك ياربي هديت بني الانسان ، بعبدك ورسولك محمد عليه الصلاة والسلام كما قلت « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فكيف أشكرك يا آلهي وكيف أشكرك يا أيها المسيح عيسى على قولك الحق : ستمائة سنة

واذا لم يكفنا هذا الدليل الكتابي فامامنا الدليل العقلي والتاريخ أيضاً وهو اننا جميعا بني الانسان على وجه الأرض في زماننا سنة ١٩١١ (مسيحية) كثير منا يتصفح التوراة والانجيل والقرآن وسمعنا بالتواتر عن موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ولكننا ولكننا مارأينا واحداً منهم بل سمعنا وقرأنا فقط انهم أتوا بالكتب والمعجزات وكان كل منهم يقول : اعبدوا الله وأطيعوه . فهم في نظر الحق سواء ولا يصح بأي وجه ان نصدق بواحد أو اثنين ونكذب الآخر ، وحيث اننا صدقنا موسى وعيسى بمجرد كتابيهما وما سمعناه عن معجزاتهما فيلزمنا حتما ان نصدق محمدا لانه جاء بكتاب وأظهر معجزات فهو معهما بالحجة سواء

هل هذا يكفيك أيها النصراني لان تمد يدك الى أخيك المسلم وتصافحه على الاتحاد والحب والارتباط بينكما فاذا لم يكفك ذلك فاقرأ الانجيل المقدس اصحاح ١٤ من انجيل يوحنا (٣٠ لا أتكلم معكم كثيرا لان رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ

شيء) اليس رئيس هذا العالم هو محمد رسول الله؟ افلا يثبت ذلك ماورد في ص١٦ (٧ لكني أقول لكم الحق انه خير لكم ان أنطلق. لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن ان ذهبت ارسله إليكم ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ٩ واما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي ١٠ واما على بر فلأني ذاهب الى ابي ولا ترونني ايضاً ١١ واما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ١٢ ان لي أمورا كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم ١٥ كل ما للاب هو لي لذلك قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم)

ان الرئيس الذي أتى الى العالم بعد المسيح عليه الصلاة والسلام هو لاشك محمد رسول الله وانه هو هو المعزي هو روح الحق نعم هو محمد عليه الصلاة والسلام لان لفظ المعزي معربة عن اللفظ اليوناني الاصلي (بركلوطوس) الذي معناه محمدا أواحمد واذا كان اللفظ هو (باركليطوس) على زعم بعضهم فمعناه يكون المعزى او المعين أو الوكيل وعلى كلا اللفظين فالمعنى ينطبق تماما على محمد رسول الله وان روح الحق هذا الاسم العظيم الذي يليق بهذا الرئيس جدير أن يطلق على محمد سيد بني آدم ، ثم تأمل انه حقيقة الرئيس فان المسيح عليه السلام فضله على الجميع لعلمه ان الله آتاه الكمال الاعظم ولذلك قال ـ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي ـ فيكون بانطلاقه خير عظيم ليأتي محمد المعزي الرئيس الاكبر واكد ذلك بقوله ان لديه أموراً كثيرة لا يستطيعون ان يحتملوها الآن واما متى جاء محمد روح الحق ورحمة العالمين فهو يرشدهم الى جميع الحق باحكام القرآن الشريف وانه لا ينطق من عنده بل بكل ما يسمع كما ورد في القرآن الشريف « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » ويخبركم بالغيب وذلك كثير وانه بكت العالم الذين لم يؤمنوا بالمسيح ولا من عاب أمه مريم وشهد له بالبر وبكل كمال وعزوه ووقره ومجده تمجيدا فنفى عنه القتل والصلب كما قال ـ يأخذ مما هو لي ويخبركم وكل ذلك في القرآن الشريف في قوله تعالى « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به

قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وان هذا المختصر لبرهان كاف ودليل واضح وبيان صحيح على ان محمدا رسول الله وجزى الله بوحنا خيرا لانه لم يلبس بمحمد شيئا وقد ازال عنا الشكوك والاوهام بأفصح كلام

فيأيها المسلم اعلم وتحقق ان أقرب الناس حبا اليك هو النصراني كما أراك الله ذلك بقوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون * واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » فأقرب الناس مودة وحبا للمسلمين هم النصارى لان منهم قسيسين ورهبانا يعلمون من التوراة والانجيل جميع البشارات التي تدل على محمد رسول الله فاذا سمعوا القرآن تفيض أعينهم دمعا ويخشون اظهار ايمانهم به ويقولون في نفوسهم ربنا آمنا . نعم تفيض اعينهم لانهم علموا انه نبي مثل موسى نعم تفيض اعينهم لانهم تأكدوا انه ابرع جمالا من بني البشر وانسكبت النعمة على شفتيه نعم تفيض اعينهم من الدمع لانهم تحققوا ان محمداً هو عبدالله ابن فيدار ابن اسماعيل بن ابراهيم نعم تفيض اعينهم دما لانهم كانوا يطلبون من الله مجيء شريعته في صلواتهم في كل حين قائلين (ليأت ملكوتك) نعم أعينهم تفيض من الدمع لعلمهم انه رئيس هذا العالم وانه المعزي روح الحق وهم يريدون الحق

فيأيها المسلم والنصراني تصافحا وتعانقا وانزعا من نفوسكما جهالة التعصب الاعمى لان الدين يأمر بالوفاق والاخاء فتصافحا ولا نفرقا بينكم الله　　عبد الحميد شكري

﴿ الاجتهاد والتقليد ﴾

(هذه هي النبذة التي وعدنا بها في جزء سابق التي نقلناها من شرح الاحياء)

« ان وعاع الفقهاء وضعفة الطلبة يخيل اليهم أن النظر في مسائل الشرع قد انسدت طرقه ، وعميت مسالكه (١) وان الغاية القصوى عندهم ان يسئل واحد منهم عن مسألة فيقول : فيها وجهان أو قولان ، وقال الشافعي في القديم كذا وفي الجديد كذا ، وقال أبو حنيفة كذا ومالك كذا ، ويرى انه علم قد ابرزه . وتراهم أبدا يقدحون في المجتهدين ، ويجادلون الطالبين ، ويحثون على تحصيل الام للشافعي ،

(١) لعلها مسالكه

ولباب المحامل ، أو غير ذلك من الكتب المبسوطة . حتى اذا وقعت واقعة كشف الكتاب فان رأى المسألة مسطورة حكم بها وان رأى مسألة أخرى فزعم انها تشابهها حكم بحكم تلك المسألة فهم حشوية الفروع كما ان المشبهة حشوية الاصول والعجب انهم لا يقنعون بقصورهم حتى يضيفون القصور الى من سبق من الائمة ويقول بعضهم : ما بقي بعد الشافعي مجتهد ويقول (آخر) ما بقي بعد ابن سريج مجتهد . فانظروا الى قدح هؤلاء في الائمة المبرزين ، وانهم كانوا يقدمون على مالا يعلمون ، فان الائمة مازالوا في جميع الاقطار يراجعون في الفتاوى ، ويفتون باجتهادهم مع اختلاف أصنافهم ، كالمعروفين بنشر مذهب الشافعي كأبي اسحق صاحب المهذب وأشياخه من أئمة العراق كلهم مبرزون مفتون ، وكذلك أئمة خراسان كامام الحرمين وأشياخه وتلاميذه كأبي حامد الغزالي والكيا والخوافي وكذلك أتباعهم كمحمد بن يحيى ومن كان في درجته من أصحاب الغزالي وكلهم قد طبق فتاويهم وجه الارض مع صريح من فقه الشافعي . ومن تأمل فتاويهم رأى ما ذكرناه وكذلك الائمة المشهورون في مذهب مالك وأبي حنيفة لم يزالوا يفتون ويجتهدون في جميع الاقطار والمناكرة في ذلك مكابرة (ثم قال)

« واعلم انه لا يجوز الكلام في أحكام الله تعالى بمحض الشهوة والرأي بل لابد من طريق نصبها الشارع وللشارع طريقان نصبهما : طريق في حق المجتهد ، وطريق في حق العامي المقلد ، وطريق المجتهد النظر في الادلة الشرعية المنصوصة من قبل الشارع والتوصل بها الى أحكام الله تعالى كما كان دأب الصحابة والتابعين ، وطريق العوام هو تقليد أرباب الاجتهاد كما كان في زمن الصحابة والتابعين ، وهذان متفقان على نصبهما

ثم أطال العبارة وذكر مسائل مهمة لابد من معرفتها

(الاولى) اذا نقلت لكم أقوال الشافعي في الواقعة الواحدة ، تعملون بكل قول أم بالبعض دون البعض ؟ فان قالوا نعمل بكل قول سقطت مقالتهم فان الفعل الواحد كيف يكون حلالا حراما في وقت واحد من وجه واحد بالنسبة الى شخص واحد فهذا مما لا يمكن أن يقال به فان قالوا نعمل بالمتأخر دون المتقدم فنقول ما بالكم تنقلون المتقدم ، وتقولون في أكثر محاوراتكم يصح على قول وبيع الغائب صحيح على قول الشافعي ، وتعتمدون عليه وهذا لايجوز أن يفعل على هذا الوجه بل ينبغي اذا نقلتموه لمن سألكم أن تقولوا : هو قول مرجوع عنه لا يجوز الاعتماد عليه وانما

ذكرناه لفقهه لا لحكمه . فيكونون ملتبسين بهذا الاطلاق مع اني رأيت بعضهم اذا أنكر عليه أمر فعله اعتذر بأنه قول الشافعي

(الثانية) العمل بالأرجح فالارجح من الاقوال ، فنقول الترجيح طرف من أطراف الاجتهاد فلاحظ لك فيه لانك اعترفت انك من جملة العوام المقلدين، وترجيح أحد القولين على الآخر ان كنت تنقله عن الشافعي أو من عندك ولا يمكنك نقل الترجيح الى الشافعي فلزم الثاني فانت اذاً تعمل باجتهادك لا باجتهاد الشافعي ، ولعل الامام ترجح عنده القول الآخر بترجيح آخر لم تطلع عليه انت ، ولعله لا يدري ما ذكرته مرجحا ، فقد تعذر عليهم تقليد الشافعي في مثل هذه المسائل ووجب عليهم الكف عن الحكم فيها ، فانهم ليسوا مجتهدين وقد تعذر عليهم التقليد وكذلك الكلام في المسائل ذوات الوجوه المنقولة عن الاصحاب وعند ذلك يجب عليهم الكف عن الكلام في معظم مسائل المذهب .

ثم ان قولهم ترجيح احد القولين على الآخر على الاطلاق خطأ فان الترجيح لا يتصور في المذاهب بوجه من الوجوه فان كون هذا حراما أو مباحا فما في التحريم نقصان ولا في الاباحة زيادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في الاحكام بوجه من الوجوه وانما يكون الترجيح بزيادة في احد الامرين لم يوجد في الثاني وهذا انما يتصور في الأدلة بان يختص احدهما بزيادة تؤكد الظن الحاصل فيه ولم توجد الآخرة فان أرادوا هذا المعنى فقد اصابوا في المراد وأخطأوا في الاطلاق . واذا آل الامر الى الترجيح في الأدلة فلا بد للمرجح من معرفة الدليل وشروطه واوصافه ، وبعد هذا يتحقق عنده مقابل الأدلة ، والا كيف يتصور ممن لا يعرف الأدلة وشروطها ان يكون بحكم مقابلها ثم يخوض بعد ذلك في ترجيح بعضها على بعض . وانتم قد حكمتم على انفسكم بالعجز عن استخراج الأدلة واذا فقد معرفة الأدلة التي هي شرط معرفة الترجيح لزم ضرورة انتفاء الشرط وهي معرفة الترجيح

ثم ان المسألة اذا كان فيها قولان مختلفان يحرم على العامي العمل بها اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر وتصير في حقه كأن لم يكن للمنقول فيها عنه قول أصلا ،

وتعين عليه ان يراجع المنقول عنه ان امكن او تقليد غيره ممن يجوز الاعتماد عليه ، والمسائل التي قد نقل فيها قولان عن ابي حنيفة والشافعي كثيرة وربما يكون معظم المذهب وكان يجب عليكم الكف عن الكلام فيها ولو فعلتم ذلك لذهبت شهامتكم ، واختلت مناصبكم ، ونسبتم الى قلة العلم

فان قيل كيف يجوز لكم الفتوى فيما لم ينقل عن مقلدكم فيه حكم وانتم لستم باهل الاجتهاد باعترافكم قالوا نقيسها على مسألة مسطورة وربما تحدث فيحدث ويقول اصول الشافعي تقتضي كذا في هذه المسألة . فيقال لهم أترد ون الحكم الى اجتهادكم او الى اجتهاد الشافعي ؟ الاول لا تعترفون به ، واما الثاني فيقال عليه : قد اقتريتم على الشافعي فانه لم يتكلم في هذه المسألة فكيف يحل لكم أن تنسبوا اليه ما لم يقل ؟ فان قالوا: نعني بكونها منسوبة اليه انها مقاسة على ما نص عليه . فاعلم ان في هذا الاطلاق تدليسا فانه يفهم منه حكم الشافعي وقد علمتم ان سائلكم انما سأل عما ذكره الإمام الشافعي فيحق لكم ان لا تطلقوا النسبة اليه ، وايضا قولكم هذا ان كان عن اجتهاد فلا يمكنكم او عن تقليد فلا يمكن ايضا لانه انطوى بساط الاجتهاد بالشافعي او بابن سريج كما زعمتم فما بعدهما لا يجوز الاعتماد على اجتهاده

(ثم قال) اعلم ان الاجتهاد جنس تندرج تحته أنواع متعددة فان الاجتهاد في المسائل القياسية غير الاجتهاد في المسائل التي مستندها الفاظ الشارع ، وغير الاجتهاد في المسائل التي مستندها أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وكل نوع من هذه الأنواع يمكن العلم به مع عدم العلم بغيره فيمكن أن يكون الواحد ماهرا في القياس وشروطه ومراتبه وموارده ولا يكون عالما بتفاصيل الاخبار ولا مطلعا على صحيحها وفاسدها والعكس ، هذا بالنظر الى جملة الانواع وكل نوع مشتمل على صور ايضا فان القياس يستعمل في مسائل متعددة في البيوع والنكاح والقصاص فيمكن ان يكون الواحد منا مطلعا على مسائل النكاح عالما باقيستها مفتيا فيها ، ولا يكون مطلعا على مسائل البيع فليس الاجتهاد خطة واحدة لا تقدر أنواعه ، ولا تتكثر مسائله ، فعند هذا يمكن ان يكون الواحد مجتهدا في بعض المسائل بحيا

عن البعض ولا يكون عالما بالبعض فليس من شرط المجتهد ان يكون مجيبا عن كل ما يسأل عنه ولذلك توقف كثير من الائمة في الجواب عن بعض المسائل فلا يجوز لاحد أن يفتي في مسألة من المسائل الا اذا كان محيطا بأدلتها ومالا فيمسك عن الفتيا فيها ولا يبقى بعد هذه الحالة الا تحصيل الادلة الجزئية في آحاد المسائل من نصوص اواقيسة فاذا اطلع على دليل مسألة كان من أهل الفتيا في تلك المسألة ولا يضر كونه غير مطلع على دليل المسألة الاخرى

(ثم قال) واعلم ان الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد في طلب حكم من الاحكام الشرعية بما هو عارف سلوك طرقها وله شروط وهي قسمان قسم في المنظور فيه وقسم في الناظر ، أما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون في محل القطع فان محال القطع لا مجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بأدلة قطعية لا يسوغ خلافها ، وأما الناظر فيشترط فيه أمران احداهما ان يكون عارفا بقوانين الادلة وشروطها وكيفية استخراجها ، والثاني أن يكون متمكنا من استخراج الدليل خاصا في المسألة التي يجتهد فيها ، ثم اطال الكلام في ذلك . اه

اللغة العربية (*)

﴿ من هم الاصليون في الجزيرة العربية ﴾

(القحطانيون (١) أم العاديون (٢))

هذه المسألة على ما يخيل لي من المسائل الصعبة التي لم يتصد لها أحد بعد فيما أعلم ليزيح عنها الخفاء أو ليقطع فيها الالتباس وكأني بالشائع المتعارف ان العاديين والعمالقة

(*) تابع لما نشر في الجزء السابق وهو خطاب للاستاذ جبر الكندي ضوضط

(١) أعني بالقحطانيين هذا الفرع الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها

(٢) وأعني بالعاديين الذين كانوا يتكلمون بالعربية تسمية بأشهر قبائلهم عاد

وغيرهن من القبائل العادية هم الاصليون وان القحطانيين تغلبوا عليهم وحلوا محلهم فانقرض هؤلاء وبقي أولئك . والذي أراه ان القحطانيين هم قرارة سكان العربية والاصليون في اليمن وجباله وما يليها من المواطن كحضرموت ونجد وأرض البحرين وجنوبي الحجاز مما يتصل باليمن . وان العاديين جاءوا اليها متأخرين ومع الايام وبالاستيلاء على طريق التجارة تقووا شيئاً فشيئا الى أن دانت لهم العربية كلها واخضعوا القحطانية لسلطتهم واستمروا على ذلك زمانا الى أن أصابت احدى دولهم جائحة سماوية في الراجع فذلوا وقامت القحطانية تطلب الملك والاستيلاء ورفع سلطة العاديين عنها فتم لها ذلك . وما زال النزاع بين الفريقين يتجدد من زمن الى زمن الى أن قام الفرع الحميري الظفاري فتغلب على البلاد واشتدت وطأته على أهل مأرب فارتحلوا في البلاد فمنهم من قصد نجران ومنهم من أمّ عمان ومنهم من استمرت به رحلته حتى بلغ العراق وهم لخم وغسان . وأذلوا من بقي في البلاد من العاديين وأشياعهم من العدنانيين في الحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين ذلا شديداً فاشتدت بسبب ذلك البغضاء بين القحطانيين والعدنانيين حتى ضرب بها المثل واستمر ذلك فيهم الى أن ظهر الاسلام فأخمد ظهوره شيئا من تلك الثائرة بما كان له من التأثير في نفوسهم وبما شغلهم به من المغازي والفتوحات وامتداد السلطة والغلب . على أن تلك العداوة لم تلبث ان عادت الى شدتها في أيام المروانيين من بني أمية وانتقلت مع القوم حيث انتقلوا . وبلغ من حدتها في الجيل الرابع للهجرة المبلغ الذي وصفه أبو الطيب المتنبي في احدى كافورياته حيث يقول في شبيب الخارجي وكان خرج فيمن تبعه من قيس على كافور وحاصر دمشق وكاد يفتحها عنوة

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على الصلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

والذي يظهر لي أيضا ان العدنانيين الذين بقيت فيهم اللغة العربية كانوا من العاديين (الا من انضم اليهم بأخرة من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل) ولذلك أذلتهم القحطانية وناصبتهم العداء من حين ظهرت على العاديين أسلافهم في أوائل المسيحية ولم تألُ جهداً عن اذلالهم والتحكم فيهم الى أن عادت لهم الدولة بواسطة قريش وبفضل الاسلام

فان لم يكونوا أي العدنانيين من العاديين والمبالغة في النسب فلا أقل من انهم كانوا حلفاءهم ينقلون لهم تجارتهم وبقوا على ذلك أحقابا متطاولة جعلت لسانهم

وعصبيتهم مع لسان العاديين وعصبيتهم أمرا واحدا . أقول هذا وأنا أرجح ما قلته أولا أي ان العدنانيين (معظمهم ان لم يكن كلهم) عاديون (١) داراً ولساناً . واقامة الدليل على ذلك خارج عن موضوعي ولعلي أعود اليه في فرصة أخرى

﴿ بيان أن القحطانية أصلية في شبه جزيرة العرب ﴾
(وأن قرارة دارهم اليمن)

قلت ان المسألة صعبة الحل لما في الاخبار المنقولة الينا من التشويش والتضارب وكان يمكنني أن أضرب عنها صفحا الا أني لا أرى هيئة من أهل العلم والادب أرقى من الهيئة التي أمامي الآن تستطيع أن تتبعني في هذه المزالق التاريخية ولذلك لا أرى بدأ من الاشارة الى البراهين التي حملتني على ترجيح ما قلت أي ان القحطانيين هم أصليون في جزيرة العرب وقراراتهم منها اليمن وهم سابقون فيها على العاديين . وبيانه

(أولا) انه لا خلاف أصلا بين العدنانيين والقحطانيين لا في تاريخ ولا في تقليد أن القحطانية هي العريقة بسكنى اليمن وانها هي التي بقيت في البلاد بعد انقراض الدولة العادية . وقد أجمع المؤرخون عن آخرهم على تسمية العاديين بالعرب البائدة بعد ما نقلوا عنهم ما نقلوه من الغنى والقوة وضخامة الملك . ولو كانوا عريقين في البلاد كالقحطانيين ولهم مثل ما لهم من العدد والتأصل في السكنى لكان يستحيل انقراضهم حتى لا يبقى من يشار اليه منهم فالاقرب الى المعقول إذن ان المعنى بانقراضهم انقراض دولتهم . ولما انقرضت دولتهم وزالت السلطة من أيديهم ظهر بعدهم بالضرورة سكان البلاد الذين كانوا خضعوا لدولتهم وظهورهم معناه خروجهم من ربقة العاديين واسترداد استقلالهم أولا ثم منازعة العاديين الغلبة والملك في ديارهم التي نزلوها الى ان تم لهم ذلك وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملة . وهذا معنى انقراضهم

(ثانياً) كانت عاد في هذا الرمل من الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت فكيف يعقل انهم انقرضوا ولغتهم باقية في هذه البلاد لحد هذه الساعة . ثم كيف

(١) من أكبر الفروع العدنانية قيس عيلان . وقيل في عيلان هذا انه عبد لقيس وقيل فرس له ولكنني ارجح ان عيلان تحريف عيلام . وعيلام بلاد شرقي راس خليج فارس وهي خوزستان او قسم من خوزستان . وخوزستان تركيب فارسي يعني به بلاد خوز . وخوز وكوش احدهما محرف عن الآخر . وكوش وقيس كذلك في الارجح . وعليه فقيس عيلان تعني به كوش عيلام اي اضيفوا الى المكان الذي جاؤا منه وهو ليس ببعيد

يفرض أهل اللغة وتبقى اللغة نفسها ؟ ان هذا لغريب واغرب منه ان يكون العاديون الذين انقرضوا هم أهل البلاد الاصليون والذين قرضوهم من القحطانيين دخلوا عليهم البلاد فاتحين ولهم لغة خاصة بهم ثم بعد ان استمر ملكهم ولغتهم مئات سنين عدنا فرأينا في آخرها أن لغة البلاد حينئذ كانت لغة العاديين الذين انقرضوا لا القحطانيين الذين بقوا

(ثالثاً) يكاد يكون كالمجمع عليه ان اليمن دار القحطانية واليك ما نقل في ذلك. قال الامام العلامة الطبري : وولد لسبا ابنان احدهما نالغ ومعناه بالحبرية قاسم وأنا سمي بذلك لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه وسمي الآخر قحطان فولد قحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عامر بن شالخ فنزلا أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك اليمن (جزء أول طبع ليبسك وجه ٢١٧) وقال ايضا وجه ٢٢٢ ولحقت بنو قحطان ابن عامر باليمن فسميت اليمن حيث يامنوا اليها

وقال ابن خلدون: فاما عاد فكانت مواطنهم الاولى باحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت . ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وأطام وقصور حسبما نذكره الى ان غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . (قال) وكان ابوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده ـ وعاش الف سنة ومتي سنة ـ وذكر المسعودي ان الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق (الجزء الثاني طبعة بولاق وجه ١٩) . وقال ايضاً وجه ٢٠ ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال الف سنة او يزيد . ولم يزل ملكهم متصلا الى ان غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا

وقال ايضاً (قال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد قال كانت مواطن العمالقة تهامة من ارض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق امام النمارقة من بني حام وجه ٢٧ وقال أيضاً واما (جرهم) فقال ابن سعيد انهم امتان امة على عهد عاد وامة من ولد جرهم ابن قحطان ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك اخوه جرهم الحجاز — وجه ٣١

وظاهر من هذه النقول وغيرها ان القحطانيين اصليون في الجزيرة وقرارتهم منها اليمن واما العاديون واخواتهم العمالقة فجاءوا على اثر مضايقة الملوك النمارقة لهم. فنزل العاديون احقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر ونزل بقية

اخوانهم من العمالقة وطسم وجديس وجاسم ارض البحرين وعمان ونجد والحجاز الى تيماء . ولم يلبثوا مدة بعد دخولهم حتى صار لهم الغلب على كل الجزيرة وشادوا لهم دولة من اعظم واقوى الدول التي قامت في تلك البلاد ومن ثم غزوا (١) الشام ومصر والهند والعراق وما زال الملك فيهم الى ان ضعفوا في اواخر دولتهم الثانية فغلبهم على الملك يعرب بن قحطان وازال سلطتهم عن اليمن

﴿ نتيجة ما ذكرناهُ ﴾

ان المتدبر ما مرّ بنا ه ان مهد السامية هو جزيرة العرب وأن القحطانيين هم الاصليون في البلاد وقرارتهم اليمن وان العادين قدموا عليهم من ارض بابل » يحكم على ما ارجح ان القحطانية الاولى انشعبت الى فرعين فرع بقي في شبه جزيرة العرب وفرع ذهب شمالا الى العراق واستمر بابل وهناك تأثل هذا الفرع وما زال اهله حتى زاحمهم الناردة ابناء كوش (٢) فخرج من هناك اشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح وراسن بين نينوى وكالح على ما جاء في التاريخ المقدس الاصحاح العاشر من سفر التكوين . وخرج ايضاً عاد وعماليق وقبائلهما فعادوا الى العربية بعد زمن طويل ونزلوا بين اظهر القحطانيين وكان قد تميز لسانهم واستقل كما تميزت قبائلهم واستقلت عن غيرها ايضاً

والارجح ان الذين رحلوا الى نينوى وكالح كانوا من الحضر اهل المدن والقرى بدليل انهم بنوا المدن حالا واما الذين رحلوا الى الجنوب فكان اكثرهم اهل ظعن وخيام . وعبارة العلامة ابن خلدون واضحة في ذلك فانه ذكر أنهم لما زاحمهم بنو حام انتقلوا الى جزيرة العرب وسكنوها بادية مخيمين . ويقوي ذلك ما هو متواتر مشهور من سكنى العادين رمال الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت والشحر . وسكنى بديل وراحل وغفار من العمالقة بنجد وبنو الارقم منهم بالحجاز الى تيماء . وكل هذه البلاد من منازل اهل البادية والغالب على اكثر اهلها الترحل والانتقال كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة

(١) لا يبعد ان يكون غزوهم الهند غزو تجارة ومهاجرة اكثر منه غزو نهب وسلب

(٢) كانت البلاد تسمى باسم الشخص او الشخص يسمى باسم البلاد وعليه فكوش هذا اما تسمى باسم البلاد كوش أو البلاد تسمت به فيكون اصل الناردة من كوش أو غوز وتعرف اليوم بالاهواز أو خوزستان وهي بلاد عيلام القديمة أيضاً

وارى اني وصلت على غير قصد مني الى التقليد المشهور الذي يجعل السريانية اقدم من العربية لانا رأينا الدليل التاريخي في جانب ان القحطانية متقدمة على العادية وسابقتها في الزمان . والقحطانية كما بينا من نص المؤرخين هي السريانية كما ان العادية هي العربية

﴿ تجريح ما قاله العلامة نولدكي ﴾

لنرجع الآن الى ما قاله العلامة نولدكي في شأن لغة سبأ . قال هذا العلامة ما يؤخذ منه أن اللغة السبئية هي قسيمة اللغة العربية وأخت لها انشعبتا من الفرع الجنوبي ونسبتها الى العربية كنسبة الحبشية اليها أي الى العربية . وأنا أقول ان كان يقصد بالسبئية الحميرية فبه لكن تكون السبئية والحبشية شعبتين من القحطانية أو السريانية لان القحطانية والسريانية كما بينا بالنص التاريخي هما لغة واحدة أو هما شعبتان من جذم واحد هو القحطانية القديمة . وان كان يريد أن السبئية هي لغة أخرى غير الحميرية الظفارية أي لغة الدولة التي قامت قبل التاريخ المسيحي بقليل وتعرف عند القوم الآن بدولة سبأ وريدان وانها كانت أيضا لغة بلاد سبأ التي عاصمتها مأرب وفيها السد المشهور فالاستاذ نولدكي واهم والتاريخ يعارض رأيه لان لغة أهل هذه البلاد أعني أرض سبأ (١) كانت منذ أوائل التاريخ المسيحي ولا تزال الى الآن اللغة العربية العادية العدنانية والتاريخ مؤيد ذلك واليك البيان .

جاء في كتاب وصف جزيرة العرب للعلامة الهمداني طبع ليدن وجه ١٣٤ الى ١٣٦ قطعة خصها هذا العلامة بوصف لغات أهل الجزيرة العربية في أيامه «فليطالع هذه القطعة في موضعها من أراد » والذي يظهر منها ان الحميرية كانت لا تزال لغة حية في كثير من جبال اليمن واليك ما يقول في لغة بعض تلك البلاد « حقل قتاب قالى ذمار » الحميرية القحة المتعقدة (وظفار مدينة هذا القسم). حراز والا خروج وشم وماضح والأحبوب والجحادب وشرف أقيان والطرف وواضح والمعلل — خليطي من متوسط بين الفصاحة واللكنة وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة لاسيما الحضورية من هذه القبائل — نجديّ بلد همدان البون منه المشرق والخشب — عربي مخلط حميرية — من ذمار الى صنعاء متوسط — صنعاء في أهلها بقايا من

(١) أرض سبأ على ما يظهر من الهمداني هي بلاد عاد لانها الفلاة التي يشرع عليها بيحان ومأرب والجوف ونجران والهجيرة همداني وجه ٢٧ وصف جزيرة العرب

العربية المحضة ونبذ من كلام حمير — شبام أقيان والصانع وتخلى حميرية محضة

والنفيس في هذه القطعة لهذا العلامة انه فرق بين الحميرية والعربية . وسمى البلدان التي كان يُتكلم فيها بالعربية أو بالحميرية الى أيامه . وأنفس منه انه بين الفرق بين لغات المتكلمين بالعربية فقال في بعضهم انهم فصحاء وفي آخرين انهم أفصح وفي آخرين ان لغتهم متوسطة أو خليطي كما بين الفرق في لغات المتكلمين بالحميرية فقال عن بعضهم انهم غثم وعن آخرين ان لغتهم حميرية محضة وعن آخرين انها حميرية متعقدة وعن آخرين انها داخلة في الحميرية المتعقدة أو فيها عسرة من اللسان الحميري

ثم اليك ما قاله في لغات أهل حضرموت وسبأ قال ما نصه بالحرف الواحد : حضرموت ليسوا بفصحاء وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . سرو مذحج (١) ومأرب وبيحان وحريب (وهي من بلاد سبأ) فصحاء وردىء اللغة منهم قليل . سكن الجوف (٢) فصحاء الا من خلطهم من جيرة لهم تهامين . ثم الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران الى يام فارض سنحان فارض نهد . اه همداني وجه ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

يظهر من شهادة هذا العلامة ان أهل مأرب والجوف ونجران وهي البلاد التي كانت فيها الدولتان السبئية والمعينية كانوا في أيامه أفصح من الكنديين قبيلة امرؤ القيس وقبيلة المتنبي أشهر شاعرين قبل الاسلام وبعده . وكذلك كانوا في صدر الاسلام . فان مذحج وبني مرة وطيّ والاشعريين أبناء عريب بن زيد ابن كهلان بن سبا والهمدانيين أبناء مالك بن زيد بن كهلان بن سبا كلهم كانوا من فصحاء أهل العربية العدنانية المضرية في صدر الاسلام وقبله ومع انهم كانوا يدعون انهم هم والحميريين أبناء عم « لان كهلان بن سبأ وحمير بن سبأ » لم يكن في لسانهم شيء من الحميرية بل كانوا في فصاحتهم العربية كفصاحة قبيلة امرؤ القيس المشهور أن لم يكونوا أفصح منهم . واذا نظرنا اليهم أي الكهلانيين من وُلد سبأ وممن كان منهم بسكن مأرب والجوف في الجيل الاول للمسيح أو في بدأ الجيل الثاني رأيناهم أيضا عربا يتكلمون بهذا اللسان العربي . وبيانه ان الأزد من ولد كهلان وكانوا في مأرب

(١) وفي الصحاح مذحج مثال مسجد أبو قبيلة من العرب وهو مذحج بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (٢) فمن أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب فمخرجه المبر . همداني وجه ٨٤

فلما اشتدت عليهم وطأة الحميريين ملوك ظفار على الارجح ارتحلوا من ديارهم جماعات كثيرة فمنهم من وصل العراق ومنهم من وصل الشام ومنهم من وقف بنجران ومنهم بمكة ومنهم بيثرب ومنهم وهم الطائيون (وكانوا يسكنون الجوف) رحلوا أولا الى فيدو صيدا ثم احتلوا الجبلين اجا وسلمى وكل هؤلاء كانوا عرباً ومن الفصحاء الذين ترتضى فصاحتهم في العربية لم يسمع ولم يعرف اصلا عن ملوك الحيرة من المناذرة ولا عن ملوك الشام من الغساسنة ولا عن الاوس والخزرج من أهل المدينة ولا عن الطائيين في جبليهم (وهؤلاء هم الذين ارتحلوا من ارض سبا قبل سيل العرم او بعده بقليل) انهم تكلموا غير هذا اللسان العربي المضري . ولو كانت لغتهم الحميرية « اوالسبئية» لاستحال ان تقرض فلا يبقى لها أثر في مدى اربعة قرون كما لم تقرض الحميرية من ظفار ولا من بلاد صنعاء في مدى اربعة قرون مع انهم كانوا في ملكهم المضريين ودولتهم الغالبة القاهرة بعزها وعن الاسلام وقد اسلم القوم عن آخرهم منذ بدء الاسلام

﴿ ماذا نصدق اذاً ﴾

« التاريخ والعقل ام الآثار التي وجدها القوم مؤخراً »
« في مأرب والجوف ونجران »

الجواب . أولى بنا ان نصدق التاريخ والعقل من غير ان نجرح في صدق الآثار وذلك بأن نقول ان دلالة الآثار مغلوط في تأويلها ويمكننا ان نؤولها بما يوافق التاريخ والعقل — وبيانه ان الآثار التي اكتشفها القوم (العلامة ادورد غلازر ويوسف هاليفي وبوليوس اوتين وتومس ارنو وآخرون) على ما نقله العلامة تزيدان في كتابه التفيس (العرب قبل الاسلام) هي آثار واقعية لا نشك بها . ولا يشك ايضا أنها من آثار الدولة الحميرية الظفارية التي استولت على بلاد سبا في الجيل الاول قبل المسيح . نسلم بكل ذلك . ولكنا نقول ان هذه الدولة كان حكمها في بلاد سبا حكم دولة الاتراك الاخيرة في اليمن فانا لا نعدم آثارا ونقوشا كثيرة في صنعاء وغيرها من مدن اليمن مكتوبة باللغة التركية وكذا لا يصدق الاستدلال بمثل هذه الآثار على أن لغة اليمن هي اللغة التركية كذلك لا يصدق الاستدلال بهذا

القدر الذي وجده القوم من القوش على ان لغة بلاد سبا أعني بلاد مأرب والجوف كانت لغة حميرية . وهذا التلميح يري منه العارف المتدبر مايغنيني عن اطالة الشرح والاسهاب فان مقالتي والغرض منها لايحتملان من اطالة الشرح فوق ما أطلته . ولكني ارجح ان المستقبل سيكشف لنا آثارا غير التي اكتشفت لحد الآن وتكون دلالتها وفقا لما نقلته وفوق كل ذي علم عليم

﴿ في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة الفاظها وعباراتها ﴾

(واقتدارها على التعبيرات الفلسفية والاجتماعية وما الى ذلك)

« مما فاقت به سائر اخواتها ولا تقل فيه عن اعظم واشهر لغات العالم سواها »

ان العلامة نولدكي يُعجب باتساع قاموس هذه اللغة الشريفة ويذهب الى ان ذلك مقتبس عن الارامية بما كان لاهلها من مخالطتهم الاراميين بالتجارة والجوار . والذي حمل العلامة الموما اليه على هذا التعليل هو على الراجح ما كان يظنه ان اللغة العربية هي لغة القبائل العدنانية في الحجاز ونجد فاستبعد من ثم ان يكون لمثل هؤلاء القوم الذين غلبت عليهم البداوة مثل هذه اللغة الواسعة . اما وقد تبين لنا ان هذه اللغة كانت لغة الدولة العادية دولة غلبت على البلاد العربية كلها وامتدت سلطتها الى الشام ومصر وافريقيا ودامت سيدة التجارة على ما نظن مايزيد على الف وخمسمئة سنة اولا تحت اسم الدولة العادية وعلى نحو من ثمانمئة سنة تحت اسم الدولة السبئية (١) فلا داعي لمثل تعليل العلامة نولدكي . وما زال العاديون ومن خلفهم باسم السبئيين أرباب تجارة وزراعة حتى بعد ان غلب عليهم القطفاريون

(١) اذا كان يعتمد على اشارات اللغة البعيدة فالرجح ان اسم سبا جعل لقبا لهذه الامة التاجرة لان معنى « سبا » تاجر او تجارة وان الحبشة ومن جاورهم من البلدان لقبوهم بهذا اللقب وفقا لما عرفوه عنهم . فان هذا الاصل اي « سبا » يفيد في اللغة الحبشية معنى التجارة على ما سمعت ولا يزال مألوفا بهذا الاستعمال اما في لغتنا العربية فقد خرج عن هذا المألوف وبقي فيه ما يدل على سابق استعماله في قولهم سبأ الخمر وسباها . وفي السباء بمعنى بيام الخمر وفي السبأة بمعنى السفر البعيد الذي كانت تقتضيه تجارة العاديين . وفي السباء والسبا بمعنى العود يحمله السيل من بلد الى بلد . وشاع هذا الاستعمال حتى اطلق على بلادهم الاصلية فعرفت به أخيرا عند الحبشة والقحطانيين من اهل اليمن

بمئات من السنين وسدهم شاهد يؤيد ماذكرنا . ان الامة التي بنت مثل سد مأرب وقصر غمدان وغيرهذين من السدود والقصور والمصانع ووصلت من الغنى الى الدرجة التي ضربت بها الامثال لايستبعد ان تكون لغتها في الغنى والاتساع كاللغة العربية .

والمرجح عندي انه لم يقم في سوريا ومصر والعراق دولة اعظم غنى وتجارة من الدولة العادية في عمان وحضرموت واليمن . ولم يقتصر العاديون على التجارة — والتجارة لوحدها من اكبر الاسباب لارتقاء لغة الامة واتساع دائرة الفاظها وتراكيبها — بل كان لهم في الزراعة شأن لم يبلغ البابليون ماهو اعظم منه على خصب بلادهم وان فيها النهرين العظيمين الفرات والدجلة فانهم بنوا سد مأرب وثمانين سدا غيره في يحضب العلو

وبالربوة الخضراء من ارض يحضب ثمانون سدا تقلس الماء سائلا (١)

وسد مأرب هو احدى اعاجيب الدنيا وكان لهم عن يمينه وشماله الجنتان اللتان مازال صدى ذكرهما يتردد في أوديه التاريخ مئات سنين بعد خرابهما . ولعلي لاأكون مبالغا اذا قلت ان نسبة سد اصوان على ضخامته في عصرنا الحاضر الى سدمأرب هي كنسبة الصبي الصغير الى الرجل الكبير وأما قصورهم وهياكلهم التي بنوها فمنها قصر غمدان . وقد بقي هذا القصر والهيكل قائما الى خلافة عثمان ابن عفان وكان من الفخامة والضخامة على مايضارع أعظم القصور البابلية . واليكم ماجاء في وصفه نقلا عن ياقوت الحموي

قال مانصه — فقال « ليشرح » ابنوا القصر في هذا المكان فبني هناك على أربعة أوجه وجه ابيض ووجه احمر ووجه أصفر ووجه اخضر . وبني في داخله قصرا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعا . وكان ظله اذا طلعت الشمس يرى على عينان (٢) وبينهما ثلاثة أميال . وجعل في اعلاه مجلسا بناه بالرخام وجعل سقفه رخامة واحدة وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم مايكون من الاسود . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل

(١) همداني وجه ١٠١ (٢) ارجح عثمان على مافي وصف جزيرة العرب

دخلت من مؤخره وخرجت من فيه فيسمع لها زئير كزئير السباع . وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فاذا اشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقا او مطرا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح . اه

وقد نقل ياقوت هذا الوصف عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ولا يبعد ان يكون هشام هذا قد أخذ ما نقل عنه من الوصف عمن شاهدوا القصر قبل ان ان هدم بأمر الخليفة عثمان . ويوافق هذا الوصف المنثور ماجاء منظوما عن ذي جدن الهمداني قال

دعيني لاأبالك لن تطيقي ... لحاك الله قد انزفت ريقي
وهذا المال ينفد كل يوم ... لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذي حدثت عنه ... بناه مشيدا في راس نيق
بمرمرة واعلاه رخام ... نعامٌ لايغيب بالشقوق
مصابيح السليط يُلحن فيه ... اذا يمسي كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رمادا ... وغير حسنه لهب الحريق

والظاهر مما قاله هذا الشاعر في بيته الاخير أن آثار هذا القصر كانت ظاهرة في ايامه وكان يظهر عليها اثر النار لانهم استخدموها في هدمه على مايرجح

وقد ذكر الهمداني عدة محافد وقصور في كتابه وصف جزيرة العرب واليك ماقال ـ ونذكر الآن المشهور منها ذكرا مرسلا فاولها واقدمها غمدان ثم تلفم. وناعط. وصرواح . وسلحين بمارب . وظفار وهكر . وضهر . وشبام . وغيمان. وبينون وريام وبراقش. ومعين . وروثان . وارياب . وهندوهنيدة . وعمران والنجير بحضرموت اه وجه ٢٠٣

والارجح عندي ان معظم هذه الآثار كان في ايام الدولة العادية والسبئية الاولى دون الحميرية فان هذه كانت دولة ظلم وبغي اكثر مما كانت دولة تجارة وزراعة او دولة عدل وأمن . فان في زمانها خرب السد المشهور وأقفرت الجنتان في ارض سبا وفي ايامها كانت ملوك حمير تسطو على الاعراض وتحرق المخالفين

في الدين وتذل الكهلانيين والعدنانيين وتسومهم كل نوع من الخسف فاضطروا الى مهاجرة اوطانهم مرة والى الاستنجاد بالحبشة مرة اخرى وما زال سوء الحال والتدبير وشدة الظلم مرافقا هذه الدولة حتى انقرضت ولم تطل ايامها كثيرا. ولعل الاحباش كانوا خيرا منها للبلاد. فاني ان اذكر أن هذه الدولة اعني العادية اولا والسبئية ثانيا اعتنت بالتعدين كما اعتنت بالتجارة والزراعة والصناعة ولا تزال آثار عشرات من معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والحجارة الكريمة في اليمن ونجد والحجاز وعلى جانب افريقيا المقابل شاهدة على ما كان لهذه الدولة والامة من الاقتدار والهمة والنشاط. وارجح ان المستقبل سيرينا من آثارهم التي لا تزال تحت الردم والرمال ما يزيد عن آثار اخوانهم الكنعانيين والفينيقيين

قلت واعيد القول ان امة كهذه الامة وشعبا كهذا الشعب الذي من بقاياه العرب العدنانية في نجد والحجاز والكهلانية في ارض سبا وحضرموت وعمان حري بان يكون له لغة كاللغة العربية سيدة اللغات السامية. ولعلها سيدة اللغات القديمة كلها فقد ماتت تلك وبقيت هذه وستبقى بعدُ اجيالا لا يعلمها الا الله مهما عورضت واضطهدت او صودرت واتهمت

• أرى أني استوفيت كل ما في وسعكم من الاصغاء فلا يليق بي من ثم ان احملكم فوق ما حملتم فدعوني اختم بذكر خلاصة ما اراني وصلت اليه بالمسلك التاريخي الذي سلكته في شأن الارومة السامية ونسبة اللغات المعروفة منها بعضها الى بعض فاقول (١) ان اللغة السامية كان مهدها في البلاد العربية والارجح ان قرارتها كانت بلاد اليمن وما اليها من السروات (٢) انشعب منها فرع الى بلاد بابل وبقي فرع في قرارته الاولى وهم القحطانية الاولى. ثم الفرع الذي اتجه شمالا الى العراق انشعب منه شعبتان شعبة تسكن المدن واخرى تسكن البدو. (٣) ما زال هذان الفرعان متجاورين الى ايام دولة النماردة (* فضيقت هذه الدولة

(*) النماردة ملوك كوشيون من كوش او خوز وهي بلاد خوزستان الآن وكانت لغتهم الارامية كما يظهر فان نمرود او نمرودو مصغر نمرو باللغة الارامية وارجح انهم جاءوا من بلاد =

عليها واضطرت كثيرين منهم الى الجلاء عن البلاد فجلا اهل بابل العظيمة وغيرها من مدن العراق الى ارض الجزيرة وعمروا راسن وكالح ونينوى وغيرها من المدن الاشورية وجلا كثيرون آخرون معظمهم من اهل البدو الى جزيرة العرب موطن اسلافهم الاقدمين ونزلوا الحجاز ونجد وارض سبا وعمان . وكانت لغتهم قد استقلت وتمايزت عن القحطانية التي فارقها اجدادهم الاولون في اليمن ثم ما لبثوا ان استولوا على ملك القحطانيين وضيقوا عليهم في يمنهم كما كان العاربة قد ضيقوا عليهم في جوار بابل فهاجر جماعة كبيرة منهم الى الحبشة وكان هاجر قبلها او اثناءها جماعة اخرى الى الاهرة والشطوط المقابلة من أفريقيا فكان منهم هناك الاهرية والحبشية . ثم هاجرت جوال اخرى من العمالقة والعادين الى الشام وشطوط المتوسط اما راسا من العراق هربا من العاربة او من البلاد العربية بقصد التجارة والاستعمار . والارجح أن كان الامران معا . ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وامم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية الفينيقية والعربية شعبتين من الفرع العادي والحميرية والحبشية من الفرع القحطاني

هذا ما تدل عليه التقاليد وما وصلنا اليه من شذرات التواريخ واظن ان الابحاث الفيلولوجية لا تنافيه ان لم تطابقه . ومعرفتي القليلة بالعبرانية والسريانية تسوغ لي بعض التسويغ ان اقول ان العبرانية اقرب الى العربية مما هي الى السريانية . ولو لم يكن بينهما من المقاربة الا ان في كليتهما اداة التعريف « ها » في العبرانية و « آ » في العربية فوُقف عند العرب مع الحروف القمرية على اللام بدلا من المدّوادغم اي حرف المد بالحروف الشمسية — لكفى ذلك شبها في ان يجعل اللغتين صنوين من فرع واحد . وكذلك اقول ان الارامية ويدل فيها على التعريف بالوقوف على الالف (اي حرف المد) ينبغي ان تكون صنوا لتلك التي يدل فيها على التعريف بالوقوف على حرف الغنة اي « النون او الميم » فان

= العرب من اليمن عن طريق البحرين عبروا الخليج الفارسي من هناك ثم لما قويت شوكتهم غزوا بابل وطردوا من كان سبقهم الى هناك فذهب بعضهم شمالا الى بلاد اشور وذهب آخرون جنوبا الى الحجاز ونجد والاحقاف وهي بلاد سبا كما مرت بنا الاشارة الى ذلك

هذين الحرفين اعني حرف المد وحرف الغنة يبدل احدهما بالآخر. وفي العربية ما يدل عليه ويسمى تنوين الغنة ومعناه الوقوف على حرف الغنة بدلا من الوقوف على حرف العلة. واظن ان الحميرية (وهي التي سموها السبئية) هي التي رأوها وفيها هذا الضرب من الدلالة على التعريف اعني الوقوف على حرف الغنة (اي النون) فالاولى من ثم ان تقرن بالسريانية وتجعل صنوا لها

لكن هنالك من المشابهة بين العربية والعبرانية في الاضافة ما يؤيد المشابهة الحاصلة من حرف التعريف ويدعمها فان طريقة الاضافة في هاتين اللغتين اعني العربية والعبرانية واحدة. وكذلك هي في السريانية والحميرية (او التي سموها السبئية) قريبة الشبه جدا ان لم تكن واحدة.

ومما يزيد المشابهة بين العربية والعبرانية طريق استعمال الفعل فان الماضي والمضارع يوضع احدهما موضع الآخر كثيرا في كلتيهما كما يظهر ذلك لمن تأمل وهو عارف باللغتين. ويقل اعتمادهما على الصفة واقامتها مقام الفعل كما هو الشائع او الكثير في السريانية. ومن التهجم ان اقول ان السريانية في هذا تشابه الحميرية نظرا لقلة ما وقفت عليه من هذه اللغة ولكني اوجه انظار الباحثين الى هذا الامر

وهنالك مشابهات اخرى بين العربية والعبرانية في الضمائر وحروف المضارعة مما لو جمعت كلها معا لرجح بها جانب الكفة من الوجهة الفيلولوجية كما رجح من الوجهة التاريخية اي ان العربية والعبرانية صنوان من جذم واحد

ان كنت وصلت في طريقة بحثي هذا الى الحقيقة او ما يقاربها او الى ما يدل على الوجهة التي هي فيها فحسبي ذلك. والا فيكفيني أني نبهت الى اهمية مقارنة البحث التاريخي بالبحث الفيلولوجي ولعل الحقيقة اقرب ان تكون في الجانب الذي يتفقان فيه أو على الاقل في الجانب الذي لا يعارض فيه احدهما الآخر او ينافيه. واسمحوا لي ان اختم بتقديم مزيد شكراتي لرئيسنا الفاضل الدكتور هورد بلس الذي دعاني الى درس هذا الموضوع اولا ولكم على ما اوليتموني من المجاملة وحسن الاصغاء ثانيا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. اه

العالم الاسلامي (١)

(مقالة مهمة عنه في العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة)

« بقلم السر هنري جونستون »

يذكر قراء الافكار الكرام ان السر جونستون هذا قد كتب مقالات شتى عن السياسة الشرقية خصوصا ، وعن الاسلام والمسلمين عموما ، فكانت كتاباته تهم الدوائر السياسية في أوربة وتقعدها ، ليس لانه ضليع بالمواضيع الهامة فقط ، بل لانه ذو مكانة سامية أيضا في عالم الادب والاجتماع والسياسة فضلا عن سعة معارفه الجيوغرافية لانه قضى نحوا من عشرين سنة في البلدان الاسلامية يبحث وينقب ويراقب

والسر جونستون هذا هو أول من جهر بأسرار مقابلة ريفال بين المرحوم الملك ادوارد والقيصر نقولا الروسي واتفاقهما على أملاك تركيا في أوربة هلا لمشا كل مكدونية والاستانة . وهو من كتب في العام الماضي يمتدح من أعمال فرنسة وانكلترة التمدينية في المستعمرات الاسلامية بقارة افريقية ويقول بوجوب تسليم المانيا لفرنسة في اعلان حماية هذه على مراكش حتى يصبح العالم الاسلامي كله في افريقية تحت رايات الدول الافرنجية القادرة على ترقيته وتمدينه (٢) بعكس الحكومات الاسلامية التي لا تتمكن من ذلك لمجرد كونها اسلامية — على قوله — وأخيرا رأيناه يجهر بعبارة صريحة قائلا : ان العالم كله سوف يعترف بعد مئة سنة بحقيقة واضحة وهي ان ظهور النبي محمد كان أعظم ضربة على التمدن في كل الممالك التي استولى عليها المسلمون (٣)

(١) منقولة عن جريدة الافكار العربية التي تصدر في البرازيل (٢) قد كاد يمر قرن كامل على الجزائر ولم نر فرنسة مدنت أهلها ولا رقتهم (٣) هذه المكابرة دليل على تعصب المصنف فما استولى المسلمون في القرون الاولى على بلاد الا وصارت خيرا مما كانت عليه علما ومدنية وهل اقتبس هو وقومه المدنية الا من مسلمي الاندلس والشرق ؟

وليس المقام مقام أخذ ورد في هذه المقالة ولا هو مقام انتقاد وتخطئة فان المستشرقين الفرنجيين من علماء الفرنجة ذواتهم يسفهون هذه الاراء ويقولون ان الاديان كلها كانت في كثير من الازمنة آلات بيد السياسة الخداعة تهدم بها كل العمران والرقي بحاول التعصب الذميم فتترك وراءها الجهل العميم. والجهل أبو المصائب كلها وأولها التأخر والانحطاط

يجيء ان نشر مقالات كهذه بين معاشر الشرقيين تخطها اقلام الباحثين من علماء الافرنج وكبار ساستهم له فوائد جلى لا تخفى على أحد. وطالما رأينا كثيرا من وصيفاتنا الجرائد العربية المعتبرة تنقل عن الافكار تعريب هذه المقالات الهامة علما منها بفائدة نشرها بين عموم المشارقة سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين وأمامنا اليوم العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر وفيها مقال عنوانه «أوربة والعالم الاسلامي» بقلم السر جونستون ذاته هذا تعريبه باختصار وتصرف :—

(ليت الجريدة لم تتصرف)

ان الحرب الايطالية العثمانية الحاضرة قد جدّدت المباحث عن الشرق والغرب، وعلى الخصوص عن علاقة الدول العظمى بملايين عديدة من البيض والصفر والسود يدينون بدين الاسلام. وهؤلاء المسلمون متحدون بعض الاتحاد — وليس اتحادا كاملا كما يزعم فريق من الكتاب بجهل حقائق الامور لانه لم يبرح بلاده قط، أي ان هذا الفريق لا يكتب عن تحقيق واختبار — واتحاد المسلمين الجزئي هذا موجه ضد أوربة النصرانية وخصوصا ضد الدول المستعمرة منها

واذا نظرنا الى عمل ايطالية الاخير في غزوتها طرابلس الغرب نظرة عمومية نرى انها فجأة خطأ فاحشا لانها شهرت الحرب على تركيا فجأة ومن دون سابق مفاوضات تجيز لها هذا العمل، فضلا عن ان جنودها بعد احتلالهم طرابلس اجروا من الفظائع البربرية على النساء والاولاد ما ذعر له العالم المسيحي قبل العالم المحمدي، ولا عذر الايطاليين سوى قولهم ان امتلاكهم ولاية طرابلس الغرب ضروري لكيانهم كأمة مستقلة. وهذا العذر غير مقبول منطقيا، ولا جائز شرعا، أو في عرف الدول. بيد ان الصحافة الطليانية وساسة الايطاليين الذين حادثتهم

في هذا الموضوع كانوا يقولون لي ان النمسا والمانيا كانتا عاقدتين اتفاقا سريا مع تركيا على امتلاك طرابلس الغرب برضاها وانهما اذا امتلكتا هذه ولايه القريبة منا تصبح حياتنا القومية مهددة بالاخطار المميتة ويصير استقلالنا تحت رحمة المانيا والنمسا . وسواء صح هذا القول أو لم يصح فان ايطالية تظل مخطئة لدى الشرائع والحقوق الدولية لانها فاجأت تركيا بهذه الحرب من دون أن تمهلها ريثما تكذب هذه الاشاعة أو تثبتها (١)

على ان الطليان ما برحوا يؤكدون مزاعمهم قائلين « ان الالمان كانوا أشد الناس حقدا علينا وأكثرهم تهجما ، وليس ذلك حبا بسواد عيون الاتراك ، بل لاننا منعناهم من تحقيق آمالهم ألا وهي بسط نفوذهم السياسي والتجاري من طرابلس الغرب شمالا حتى الكونغو والقمران جنوبا »

وايطالية غير قادرة على تمدين الغير بعد ، فلذلك لم يتجاسر أحد من ساستها الذين باحثتهم على القول أمامي بأنهم غزوا طرابلس بقصد تمدينها وترقيتها . فان كثيرا من السياح الالمان وسائحين من الانكليز قد كتبوا مرارا ان ايطالية لم تأت عملا تمدينيا هاما لا في مصوع ولا في مقاطعة ارتيرة بالحبشة ، ليس ذلك فقط ، بل ان السائح في بلاد الصومال يرى البون شاسعا بين الصومال الطلياني والصومال الفرنسوي مثلا . فالبلاد الاولى باقية على ما كانت عليه قبل الاحتلال الايطالي من حيث الفقر والجهل والتأخر . أما الصومال الفرنسوي ففيه المخطوط الحديدية والمزارع الجميلة وكل آثار الارتقاء والتمدن في العلم . ومثل فرنسة في اسعادها مستعمراتها مثل الانكليز في السودان والمانيا في زنجبار

ولكن تسرع ايطالية الاخير في طرابلس الغرب لا يحوج أوربة أن تناوئها وتقاومها في أعمالها الاحتلالية هذه ، بل بالعكس ، يجب على أوربة أن تناصرها وتؤيدها بكل قوتها لان ايطالية اذا عادت خاسرة من هذه الحرب فالعار

(١) قد نشرت السفارة العثمانية في لندن تكذيبا رسميا لهذه الاشاعة التي راجت لاول مرة في الصحف الانكليزية . وبمجرد عدم وجود المال ونمسويين في طرابلس الغرب وعدم ذكر ألمانيا ايهم طرابلس الغرب أمام الباب العالي في كل السنين الماضية كاف لتفنيد مزاعم الايطاليان هذه الفاسدة

الافكار

لا يلحق بها وحدها بل بهم كل الدول الاوروبية النصرانية . فالمسلمون اذا نجحوا يصيرون يضمرون طرد الانكليز من مصر والسودان وطرد الفرنسيين من تونس والجزائر ومراكش وطرد الروس من أواسط آسيا الاسلامية . وعليه فمن الواجب على ايطالية خصوصا وعلى أوربة كلها عموما أن تبقى ساعية جهدها في الحرب الحاضرة كي ترسخ قدم الافرنج في شمالي افريقية من دون نظر الى كميات الخسائر الباهظة من المال والرجال في سبيل تحقيق هذه الامنية (١)

يعسر على الباحث الغربي أن يقترب من موضوع المسألة الاسلامية من دون حذر زائد . فان المسلمين يعدون اليوم ٢٣٠ مليونا بينهم أقوام من البيض نجمعنا واياهم جامعة الاصل الابيض الواحد (الاصل الآري) و ٦٠ مليونا منهم هم مثل الافرنج تماما من حيث جمال الهيأة وقوة البنية والاستعداد الكامل للارتقاء العقلي . وبعض المسلمين هو من أصل أوربي بحت لان كثيرا من القوط والايطاليين والارواميين والسلاف والارناؤوط والقوقاسيين اعتنقوا الدين الاسلامي سابقا بحكم أحوال قاهرة وهم الآن في مقدمة اتباع محمد رقيا وتهذيبا لا يقلون عن اخوانهم نصارى الافرنج قوة ونشاطا وجمالا وحسن استعداد لقبول التمدن الصحيح . وفي الهند وحدها ٦٤ مليونا من المسلمين هم أرقى الشعوب الهندية على الاطلاق . ومجرد وجود هذا العدد الكبير من المسلمين في الرعية البريطانية يجعل الحكومة الانكليزية أن تكون أكثر حكومات الارض اهتماما بالحرب الحاضرة

فان انكلترة اذا رفضت السعي لاجل مصلحة تركية مركز الخلافة الاسلامية العظمى تكون قد أحدثت سببا لاغضاب رعاياها مسلمي الهند الذين تعتمد انكلترة عليهم وحدهم عند الخطوب في تلك البلاد واذا هي سعت لمصلحة تركية فتتضرر ايطالية وبضرر الايطاليان يزيد المسلمون حركة وهياجا ضد الافرنج النصارى ويعلق في اذهان زعمائهم سهولة النجاح في محاولتهم التخلص من حكم النصارى

(١) ليعتبر المتعبرون بتعصب هؤلاء القوم وخذلهم للحق ونصرهم للباطل فان الكاتب على اعترافه ببغي ايطالية وكونها ليس لها عذر ما في الاعتداء على طرابلس بحث أوربة كلها على نصرتها وتأييد باطلها لانها نصرانية تريد الاستيلاء على المسلمين ، ولئلا يطمع المسلمون الآخرون بتحرير نفسهم من رق النصارى !!

الافرنج في تركستان ومصر وتونس والجزائر وعندي ان الكلمرة وغيرهامن دول الاستعمار العظمى تفعل حسنا اذا صمت بضمير صالح في سبيل تعليم المسلمين العلوم الطبيعية التي تحارب العلوم الدينية علما منا بأن آفة الاسلام العظمى هي العلوم الدينية المبنية على القرآن وحده وهذه سدوتها الجمود ولحنها التقيد بقيود الخرافات والاوهام (١)

وحالما يتحرر المسلمون من ربقة الاستعباد للعلوم الدينية عندهم يصيرون قادرين على ادراك الحقائق السياسية بأكثر جلاء ووضوح أي انهم يصيرون يميزون بين المصالح السياسية والاغراض الدينية كما صارت أوربة تفهم ذلك بعد أن تحررت من ربقة الاستعباد للتعاليم الدينية التقليدية التي كانت ضاغطة على حرية القول والعمل والفكر . ولما يصل المسلمون الى هذه الدرجة من الارتقاء العلمي فنصير مساعدتنا لهم نافعة للفريقين أي انهم لا يعودون يمزجون الدين بالسياسة وبكل شيء بل يصبحون عالمين أسرار المنافع الاقتصادية والسياسية فيصادقون من ينفعهم نصرانيا كان أم مسلما ويعادون من يضرهم قطع النظر عن دينه ومعتقده

(كلامه عن الاديان الثلاثة)

والقرآن ليس سوى مجموعة اقوال مقتبسة عن التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس (٢) . ولما كان محمد يكره يهود بلاد العرب كرها شديدا صارت آياته في القرآن أشد وطأة عليهم مما هي على النصارى . وتعاليم القرآن فيها بعض المنافع مثل

---

(١) لا يوجد كتاب ديني في الارض كالقرآن يطهر العقول من الخرافات والاوهام ويكسر قيود التقاليد ويزلزل أركان الجمود وهذا هو السبب الحقيقي في حث هذا الكاتب قومه على مقاومة كل تعليم بني على القرآن لئلا يرتقي المسلمون به فيخرجوا من العبودية التي يريدها لهم كما علم من سابق قوله . ولو كان القرآن كما قال لكان هو وأمثاله أشد الناس حثا للمسلمين على اتباعه ليدوم ذلهم وقبولهم للعبودية . ولكن المسلمين كفوه مؤنة التنفير عن العمل بالقرآن من عدة قرون فهم يحرمونه على أنفسهم لانهم يسمونه من الاجتهاد الممنوع عند جماهيرهم

(٢) هذه فرية افتراها الكاتب فليأتنا من تلك الكتب بمثل ما في القرآن من التوحيد الخالص المفصل بالبراهين العقلية والطبيعية ، ومن هدم بناء التقليد وفك العقول من رق الرؤساء ليأتنا منها بجعل أمر الامة شورى بينها وشرعا بين جماعة أهل الحل والعقد من أفرادها الخ

النظافة وعدم وأد البنات والامتناع عن المسكر والزكاة والصدق في المعاملات ولكن ازدراءه بالنساء واباحة تعدد الزوجات وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمرأة تجعل تلك التعاليم الاسلامية حجر عثرة في سبيل الارتقاء العقلي والاجتماعي كيف لا والقرآن يحتقر المرأة والمرأة هي أم الرجل (١)

نعم ان الدين اليهودي لم يحسن التصرف تجاه النساء وهن نصف الجنس البشري ولكن التوراة صارت اليوم مرنة بيد الحاخامين يفسرونها كما يشاؤون مما يطابق روح العصر ولا يخالف التمدن . وكذا الكنيسه الكاثوليكية في القرون الوسطى على الخصوص فانها كانت تضطهد العلم وتعيق مسير العرفان ولكنها لم تمكث على هذا الاضطهاد زمنا طويلا بل رأيناها بعد ذلك تبني المراصد الفلكية وتنشط نشر العلوم الطبيعية والطبية واللغوية والجيوغرافية و بالاختصار فان التعاليم المسيحية في أي مذهب من المذاهب لا تبقى جامدة بل نراها تتكيف وتتبدل حتى تطابق مجرى الاحوال بمرونة وليونة تامة

ليس ذلك فقط بل اننا نرى الكنيسة البابوية كانت وما زالت تؤيد الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقي والكنائس البروتستانية تؤيد الاعمال الخيرية الآئلة الى منفعة بني الانسان وتخفيف ويلات المصابين وسد عوز المحتاجين وذلك في انشائها الجمعيات الخيرية لبناء المستشفيات والمدارس والملاجئ ، والكنيسة الارثوذكسية نراها على أشدها في روسيا والرُّوس رغما عن شيوع السكر بينهم شيوعا عاما معيبا وعن تفشي الرشوة والمحسوبية وسائر ضروب الفساد في محاكمهم فهم أرقى بكثير من جيرانهم الاتراك علميا واجتماعيا وأفضل آدابا واخلاقا هذا مع علمنا بان روسيا حديثة العهد نوعا في العمران

واذا انعمنا النظر جيدا نرى البون شاسعا بين الممالك المسيحية والممالك الاسلامية من حيث العلوم والصنائع والفنون والاقتصاد والتدابير الصحية والعلاقة الزوجية بين الجنسين — اي اننا نرى البلدان المسيحية والبلدان التي هي تحت

(١) هذه شبهة أخرى وحسبنا في ردها قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف »

حكم النصارى أرقى بكثير من البلدان الاسلامية (١) ليس ذلك فقط بل اننا إذا نظرنا الى المجر مثلا نرى ان المجريين والاتراك هم من اصل واحد قدموا الى اوربة من اواسط آسيا في بدء القرون الوسطى وكانت لغتهم واحدة و بعد ان حلّ المجر في النمسا واعتنقوا الدين المسيحي صاروا على تمادي الاجيال أرقى من اخوانهم الاتراك الذين حطوا في مكدونيا وعلى ضفاف البوسفور و بقوا معتنقين مذهبهم المحمدي وترى الفرق كبيرا اليوم بين المجر والاتراك من حيث الارتقاء والتمدن فالاولون نبغوا في الموسيقى والشعر والنقش والبناء والآداب والاقتصاد بينما الاتراك لا يزالون على حالة واضحة من التأخر في كل هذه الفنون

ورب معترض يقول ان الاسلام أبقى على كثير من العلوم والصنائع التي كانت النصرانية تحاربها على زمن الرّوم والاقباط والسوريين والرّومان فالاسلام أبقى آداب الرّوم والرّومان وعلومهم وأنعش العلوم الطبية والفلكية والرياضية وزاد في فنون البناء والهندسة وزخرفة القصور والجوامع وكان صلة متينة بين علوم الشرق والغرب بل كان الحلقة الوحيدة التي وصلت علوم اليونان والرّومان بالافرنج في القرون الوسطى ولولا هذه الحلقة لضاعت العلوم الطبية والفلكية وغيرها كثيرا نعم انني اعترف بصحة هذا الاعتراض ولكني أجيب عليه قائلا ان علماء المسلمين الذين عنوا بالعلوم والمعارف ونشطوا الحركة الفكرية والعقلية من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر للميلاد لم يكونوا عربا ولا اتراكا بل كانوا يهودا او فرسا او قبطا او اروام جبروا على اعتناق الدين المحمدي (٢) و بعضهم بقي على دينه لان

---

(١) لم تكن الحبشة النصرانية أرقى من مصر الاسلامية قبل الاحتلال ، ولم تكن انكلترة وفرنسة لتبلغ حذاء الاندلس أيام كانت الاندلس اسلامية ، فالحضارة لها سنن اجتماعية بينها القرآن وما عمل بها المسلمون كانوا أرقى البشر ثم تركوها فهبطوا بعد ان أخذتها عنهم أوربة دون دينهم الذي هداهم اليها

(٢) كذب مبني على مثله فان العرب كانوا أئمة هذه العلوم وعنها أخذها أخوتهم الذين تبعوهم في دينهم من الامم الاخرى والتاريخ شاهد عدل وعلماؤه المجردون من التعصب الديني والسياسي عدول أيضا كالدكتور غوستاف لوبون مؤلف (حضارة العرب) فليرجع اليه من شاء ثم ان العرب لم يجبروا أحدا على الاسلام كما فعلت أوربة في الاندلس وغيرها ولا خادعوا كما خادعهم غيرهم الآن في كل مكان

اميره أنهم عليه في إمكانية ذلك البقاء منة وكرما ، (وهنا يسهب السر هنري جونستون في وصف البلدان الاسلامية وما هي عليه من التأخر كمصر وتونس وطرابلس الغرب والجزائر ومراكش واواسط افريقيا وتركيا وبلاد العرب زاعما ان علة هذا التأخر الوحيدة هي الدين الاسلامي ، الى ان يأتي الى مسألة طرابلس الغرب فيقول ان سبب انحطاطها هو حكم المسلمين عليها ايضا لانها من الزمن التي دخلت به في حوزتهم من القرن الثامن للميلاد حتى الساعة لم ترَ إلا عوامل التخريب والتدمير فتركيا لذلك غير محقة بمحافظتها على هذه الولاية من النظرة الادبية كما ان ايطاليا غير محقة في اعتدائها عليها) ثم يستأنف الكلام فيقول :

ويظهر من كل ذلك ان الاديان كلها قاومت التقدم الانساني زمنا من الازمان ولكن الدين الاسلامي اشتهر بكونه غير قابل التكيف لما يطابق احوال الزمان والمكان كالدين النصراني والدين اليهودي (١) ولو فقه المسلمون ذلك وصار علماؤهم يبحثون عن طريق لحل تعاليمهم الدينية من قيود الجمود هذه لما تأخروا عن اللحاق باخوانهم المسيحيين في السير نحو الارتقاء والنجاح ، اي ان عليهم البحث في إيجاد طريقة لجعل دينهم مرنا ليناً يقبل التكييف والتأويل والتفسير لما يطابق روح الزمان والمكان

أما من حيث قضية طرابلس الغرب فأكرر القول ان ايطاليا مخطئة في اعتدائها عليها من دون مسوغ شرعي او ادبي قط ، ولكن غيرها من دول الاستعمار فعل ذات الشيء عينه انما بهيئة مختلفة ، فإطلاقنا القنابل على الاسكندرية سنة ١٨٨٢ واحتلالنا وادي النيل وغزو فرنسا مراكش الآن وزحف روسيا على شمالي العجم وامتلاك المانيا جزءا من شرقي افريقيا — كل ذلك يؤيد حجة ايطاليا في قولها للدول انها فعلت ما فعلته تلك الدول ذاتها ، وعندي لو كانت طرابلس الغرب سهلت دخول الاجانب اليها واستثمار اموالهم فيها لما اقدمت ايطاليا على غزوتها ،

(١) الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتفق بأصوله مع العلم والمصلحة العامة في كل زمان ومكان من غير حاجة الى ترك شيء منه ولا تحريفه ، وابعد الاديان عن ذلك المسيحية التي هي نقيض الحضارة والمدنية المبنية على توفير الثروة واباحة الطيبات والزينة وهي تأمر بالتجرد من الغنى ومن كل زينة ونعمة والحضارة الاوربية الحاضرة لا تتفق مع تعاليم الانجيل قط

فان البرتوغال واسبانيا اقفلتا باب مستعمراتهما الامريكانية في وجه الاجانب وكانت النتيجة ان العلمين الاسباني والبرتوغالي اختفيا عن الفارة الامريكية ، واملاك البرتوغال الباقية لها في افريقيا مهددة بالضياع إلا إذا كانت البرتوغال ترعوي فتفتح باب الاتجار والاستثمار أمام المتمولين واصحاب الشركات الاجانب

ورغماً عن كل ذلك فان الامم الضعيفة والدول الصغيرة لم تتمكن من المحافظة على كيانها او على املاكها إلا لانه يوجد في هذه الدنيا شيء يدعى « الضمير الادبي العام » وان شئت فسمه « محكمة الضمير الدولية العامة » . وهذه المحكمة الادبية هي وحدها التي منعت فرنسا والمانيا من تقسيم سويسرا وبلجيكا بينهما ، وهي التي منعت النمسا من ابتلاع الصرب وانكلترا من زيادة املاكها في غينيا على حساب فنزويلا ، وليس من يريد موت هذه المحكمة الادبية او ضعفها وخصوصا نحن المسيحيين الذين نعتقد ان للاديان علاقة مهمة في ارتقاء البشر وتمدنهم

نعم ان بالدين المسيحي كثيراً من الخرافات والزوائد المضرة وبالدين المحمدي كثيراً من الحسنات والفضائل ولكن البلدان التي تدين بالنصرانية لم تضطهد المسلمين وخصوصاً في القرنين الآخرين كما انها لم تجبرهم على رفض طقوسهم وعاداتهم مطلقاً ، فالمسلمون لهم تمام الحرية في السفر الى اية جهة ارادوها في اربعة اقطار المسكونة ولهم تمام الحرية في الدخول الى معابد النصارى واليهود في كل مدن الارض ولكن النصراني لا يقدر حتى هذه الساعة على الدخول الى مكة والمدينة كما انه لا يقدر على الدخول الى جوامعهم إلا ويكون معرضاً في اغلب الاحيان الى الاهانة ، وماذا نقول عن نوع المعاملة التي يلاقيها النصارى الموجودون تحت حكم دولة مسلمة حتى في هذه الايام ، فان حالة اقباط مصر الآن كحالة مسيحية سوريا وارمينيا ومكدونيا — ليست مما تشرح الصدر وتفرح القلب

نعم انني لا اعتقد بامكانية صيرورة احدي مسيحياً وخصوصاً في هذه الايام كما انني لا اتوقع من اليهودي في القرن العشرين ان يعود فيعترف بالمسيح حالة كون المسيح يهودياً من النظرة البشرية بل هو اعظم يهودي على الاطلاق ولكنني اعتقد ان عقلاء المسلمين وعلماءهم يقدرون على اقناع حكماء النصارى واليهود في القرون الاخيرة واعني حذف الزوائد المضرة من دينهم والاستغناء عن كثير من تقاليدهم وعاداتهم وخرافاتهم العديدة حتى يجعلوا دينهم أهلا لكل حالة وصالحا للاتباع في كل زمان ومكان — أي حتى يفكوا عنه قيود الجمود كما فككناها نحن عن ديننا من قبلهم فيصير من السهل عليهم السير في سبيل الارتقاء والتقدم . اه

اخبار العالم الاسلامي

﴿ روسية ومسلمو تركستان ﴾

نشرت جريدة (نوفي فريميه) الروسية الشهيرة مقالات بامضاء (يا . ذ . ف) عنوانها (سياسة عدم الالتفات) أو سياسة الاغضاء خطأ فيها التعجيل بتغيير الادارة في تركستان بأخذها من الادارة العسكرية وتسليمها الى الادارة الملكية وبين انه لايجوز النظر الى تركستان من حيث انها سوق تحضر قطناً للروسية فقط، بل يجب ان ينظر اليها من حيث هي بمنزلة القلب للعالم الاسلامي في الشرق الاقصى ولها أهمية سياسية كبيرة بالنسبة الى الروسية ، وهو بوجس خيفة من تركها على حالها قال :

يستيقظ الشرق ، وليست مسئلة اتحاد المسلمين جميعا على أساس المدنية الحديثة الاسلامية — وهي بغي (في الاصل تجاوز) ظهر من جهة الاتراك سحي الجامعة الاسلامية — من المسائل التي تمر من غير التفات من الروسية التي يسكن فيها قدر ثمانية عشر مليون مسلم . كانت نتيجة عدم الالتفات الى أحوال التتر المعنوية في أطراف فولغا أنهم سقطوا تدريجا في نفوذ الاتراك المستنيرين . مسلمو تركستان هم متأخرون في المدنية عن التتر في أطراف نهر فولغا والقريم، ومع ذلك أخذوا ينهضون من نومهم الطويل الذي مر عليه قرون كثيرة ونرى مع الاسف أن الآخذين في أيقاظهم ما كانوا مناوئين من الاغيار وعلى وجه غير مطلوب البتة . ولا شك ان لذلك أسبابا : ان مسلمي تركستان كانوا أولا يخافون الروس جدا ويعدونهم أصحاب القوة والسطوة ، وقد ضعف هذا الاعتقاد فيهم بمرور الايام ، وبعد أن غلبنا في حرب اليابان وظهر عدم الانتظام بين المأمورين نقص نفوذ شوكة الروس من انفسهم، وارتفت حالهم من جهة الاقتصاد وغنوا فكان ذلك أيضاً سبباً في ضعف شوكة الروس شيئاً فشيئاً . هم لم يقربوا في روسية فقط بل ساحوا في الممالك الاجنبية واخذوا بعد رجوعهم ينتقدون ادارة تركستان التي فيها شيء كثير من الخلل حقيقة . ظهر لهم وجه الحاجة الى المعارف العصرية وعدم امكان تحصيلها في المكاتب والمدارس القديمة، وبهذه الكيفية تولد فيهم الميل الى المعارف المتيرة للأفكار . وان ذلك الانقلاب المعنوي التدريجي في مسلمي

تركستان لم يظهر لعمال الحكومة فيها من أول وقته ولكن جمعية الاتحاد والترقي من الاتراك والتتر من أهل وطننا قد راقبوا ذلك من زمان ودققوا النظر فيه .

حقاً ان تركية الجديدة تدقق النظر من زمان بعيد في آسيا الوسطى . وإن آمال الترك فيها كبيرة جداً حتى انهم فتحوا قبل عدة سنين جمعية مخصوصة في الاستانة لنشر المعارف في تركستان ومقصدهم الاصلي من ذلك نشر فكرة الاتحاد بين المسلمين جميعا . والتتر من أطراف قزان وأورنبورغ أخذوا يشتغلون بنشاط وينشرون أدبيات اتحاد الاسلام بين مسلمي تركستان بصفة معلمين في المكاتب الجديدة هناك وكذا أصحاب المطابع وتجار الكتب . وعمالنا في تركستان لم يروا تلك الحركات الا في الوقت الذي تعذر فيه عدم الرؤية ، وبعد ما عرف ذلك الأجانب والحال أن ذلك الانقلاب الآخذ في الظهور بين ستة ملايين من مسلمي تركستان مهم جدا لا يصح عدم الاحاطة به

ان الضغط والتضييق على الافكار الجديدة قد جعل القشر التحتين المحيط بالعالم الاسلامي ينشق من بعض جهاته ويرى من وراء شقوقه انقلاب عظيم جدا بين مسلمي تركستان . وكان المحرك الاول لاولئك المسلمين والسبب في ذلك الانقلاب انما هو نحن معشر الروس : أدهشنا خيال وأفكار أولئك الاهالي بمعجزات المدنية الحاضرة مثل السكة الحديدة والتلغراف والكهرباء ولكن لم نقدر على التقرب من حياتهم المعنوية ولم نخطر في بالهم بعد التقرب منهم كيف ينبغي أن تكون المدنية وجهاتها المعنوية ، وكان يجب ذلك علينا عند ما كانوا يفركون عيونهم من ذلك النوم الذي لبثوا فيه عدة قرون ، فبقيت أحوالهم المعنوية في ناحية من نظرنا

فاتح تركستان (نون قا او فان) الذي هو اكثر الولاة نشاطا وعملا كان في ضلال مؤسف اذ فكر في مكاتب ومدارس المسلمين التي لا تناسب اقتضاء الزمان في شيء فجزم بأنها ستفنى وتزول من تلقاء نفسها ، وهذا القدر من فكره وحكمه معقول صحيح ولكنه ما فكر في ان محلاتها لا تبقى خالية أبدا . فها هي ذي قد أخذت تجدد بناء المدارس الجديدة على انقاض القديمة بقصد معين معلوم وبرنامج يمهد السبيل لاتحاد المسلمين عامة تحت نفوذ تركية الفتاة

الحكام الروسيون يعلنون للناس أن الاحوال هناك حسنة للغاية والامن في نصابه ، ولكن الحقيقة أن الخلاف الآن فيها والجدال مدهش جدا بين الروحانيين (علماء الدين) وأصحاب الافكار الجديدة : الروحانيون يحافظون على المكاتب والمدارس

القديمة الاصول ويحرصون على بقائها . أما الاعلام فيحاربهم أشياع المذاهب الجديدة . ومن المؤسفات أن هذه الحكومة هدفت لا شك في بعض الخلافات والاختلافات السياسية المهمة بين المسلمين بل تتعمل بالتشجيع بعضها من بعض . ما علم الحكام الروسيون هناك وجود مذاهب جديدة قصدها نشر فكرة اتحاد الاسلام الا منذ سنتين فقط . على أنهم ما علموا ذلك بأنفسهم مباشرة ، بل بالمصادفة وقت تفتيش (عراف بالين) والحال ان تلك المذاهب وجدت منذ عشرات من السنين

مسألة تربية مسلمي تركستان بروح القومية الروسية دون روح الترك « الجامعة الاسلامية » مسألة مهمة جدا لا يجوز تركها على حالها من غير التفات ولا عناية . ولكن يؤسفنا أن كثيرا من الفرص السياسية المهمة فاتت من غير التفات من الحاكمين اه

المقالة الاولى من مقالات نوفي فريمية روسية مترجمة عن جريدة وقت ومنها يعلم مقدار يقظة روسية رفضها طريق العلم على المسلمين قبل ان يسلكوه ويعرفوا العالم وما فيه وما فتح لها باب الحذر والخوف الا ما يظهره أغرار الاتحاديين من الميل الى جذب مسلمي تركستان اليهم لتقوية العنصر التركي وبهذا يضرون أنفسهم ودولتهم وأولئك المساكين ، وعملهم هذا مخالف للجامعة الاسلامية ولكن روسية تتهمهم بها وان اعلنوا في جريدتهم طنين براءتهم منها

***

﴿ حركة الجامعة الاسلامية وسياسة ألمانية ﴾

تقول جريدة نوفيه فريميه الروسية في مقالتها الاولى (عدد ١٢٨٤٠) المعنونة بهذا العنوان :

منذ زمان غير بعيد قبل عاهل ألمانيا رسميا مقابلة رئيس المبشرين الكاثوليك في مستعمراتها في افريقية وحاوره طويلا في حركة الجامعة الاسلامية . وما قاله الرئيس للامبراطور في ذلك ، وما في اللائحة التي قدمها اليه غير معلوم لأحد (١) أما ما نشرته شركة (فولف) من الخبر الرسمي فهو أن الامبراطور ويالهم ما وجد من الضروري أن يعد الجامعة الاسلامية شيئاً يخاف منه على مستعمرات ألمانية ولا رأى حاجة الى المقاومة الجدية لحركة الجامعة الاسلامية الحربية

---

(١) المنار نقلت البرقيات العمومية أن الامبراطور صرح بوجوب الضغط على الاسلام ودعاته ثم صححت بصفة رسمية ذلك البلاغ وقالت انه وقع فيه غلط

هذه المذاكرة في حركة الجامعة الاسلامية بين الامبراطور ويلهلم ورئيس المبشرين لم تهتم بها جرائد روسية اهتماما يذكر ولكن جرائد آلمانيا كتبت فيها كثيرا وأوفتها حقها .

فجرائد حزب الكاثوليك اللاتي لهن ولع دائما باثارة شيء من الحركة الصليبية اهتممن جداً بقبول الامبراطور لرئيس المبشرين — ذلك الرجل الذي قدم من افريقية خصيصاً لاثارة الافكار العمومية الالمانية ضد الجامعة الاسلامية . أما جرائد حزب المحافظين البروتستان فلا يرين اندفاع آلمانية في مقاومة الجامعة الاسلامية لافكار فرقة « الكاثوليك الحربي » من الرأي السديد . فمن مجموع ذلك يفهم أن سياسة آلمانية فيها شيء من التردد في اختيار أي خطة من الخطط التي يجب السير عليها بازاء الاسلام . حقاً ان المسألة فيها نزاع الى الآن مثاره هذا السؤال : هل يمكن للجامعة الاسلامية أن تلعب دورا مهما في سياسة العالم . أم هي خيال محض طلع من رءوس شراذم قليلة من متعصبي المسلمين البعيدين عن حقيقة الاحوال ؟ فهذه المسألة لم يقطع فيها بعد

منذ زمان غير بعيد نشرت في جريدة (الطان) الفرنسية مقالة ذات أساس متين (٢) لواحد من علماء العرب في مسلك الجامعة الاسلامية وبرو جرامها المفصل . تلك المقالة تجيب جوابا قريباً من الصحة عن كون هذه الجامعة ذا روح أو شبحاً من غير روح . ويفهم من تلك المقالة أن الدول اللاتي لهن السلطة على المسلمين ومن جملتهن دولة الروسية لاينبغي لهن ترك الاهتمام بحركة الجامعة الاسلامية . وقال صاحب المقالة أيضاً أن مؤسسها الاول رجل افغاني ولد سنة ١٨٣٩ في بلدة كابل وباشر الحروب الدموية كلها في الافغان (يريد السيد جمال الدين)

ذلك الرجل ساح في بلاد الهند وايران وجزيرة العرب وبلاد تركية ومصر ونشر فيها فكرة اتحاد الاسلام . كما انه انتحل مذهب الماسونية في جهة أخرى . وذلك يدل على أنه ما نظر الى الاسلام من جهة الاعتقاد فقط بل اتخذه آلة وتكأة للمقاصد السياسية . ولرنان الشهير من محرري فرنسة ثناء مهم جدا على الافغاني . وفي آخر عهده جاء الاستانة ولقي فيها احتراما عظيما ثم توفي فيها . وظهر كثير من العلماء المروجين لفكر الافغاني فأسسوا في الاستانة مسلكا مخصوصا لنشر فكرة الاتحاد الاسلامي وظهرت آثارهم بين المسلمين لافي تركية وحدها بل أخذت ترى في جميع بقاع العالم التي يوجد فيها المسلمون وسهل أمرهم هذا كثيراً كون لغة العرب

(٢) قد نشرنا ترجمة هذه المقالة في جزء سابق مع التعليق عليها

لسانا عموميا بين المسلمين أجمعين . فبناء على ذلك لايستغرب وقوع الدعوة الى مؤتمر اسلامي عام من اسماعيل غصبرنسكي محرر (جريدة اسلامية تصدر في بلدة باغجه سراي)

تنشر مجلات الاتحاد الاسلامي مثل (المقتبس) في نواحي العالم كلها ويقرأها المسلمون في جزيرة العرب وبلاد الهند حتى جزر البحر المحيط الكبير وفي أمريكا . وبواسطة أمثال تلك المجلات يعيش مسلمو لاهور الهندية مثلا ومسلمو تركية وهم متعارفون عن كثب وتشتد رابطة الاخوة بينهم

ليست حركة الجامعة الاسلامية في طور العدوان الآن بل هي خفية ومقتنعة بنشر فكرة الاخوة بين المسلمين جميعاً وليس عليها عيب في الظاهر . ولكن مع ذلك لايمكن للدول اللاتي لهن منافع تمس بالسوء من ناحيتهم غير المقاومة لهم في صورة قطعية .

نعم يظهر بين المسلمين حيناً بعد آخر بعض الآثار الحادة في نشر فكره الاتحاد الاسلامي مثل « أم القرى » ولكن الجامعة الاسلامية ترى الآن وجوب الامتناع عن كشف الستار عن خريطتها وتجتهد قبل كل شيء في تحصيل التعاون والاخوة بين المسلمين في أطراف شتى . على أن أرباب هذه الجامعة ليسوا جاهلين بالسياسة . ومن برنامج سياستهم المدبرة أن ما تسميه أوربة « خطر الجنس الاصفر » ينبغي أن يبقى بمثابة أحلوبة صيانية . وهم يستفيدون من جميع الفرص لاخراج بروغرامهم من القوة الى الفعل واثارة أفكار أبناء جنسهم بعد ايجاد اتحاد الافكار بينهم . وتلك الفرص توجد دائما وتزيد عما يحسبه الموظفون والسياسيون الاوربيون أضعافاً مضاعفة

مثال ذلك في حرب تركية وايطالية الآن ان الايطاليين قتلوا بالرصاص كثيرا من عربان طرابلس الذين استولوا عليهم وهم عراة لوجود الاسلحة الممنوعة عندهم والعربي عند الاوربيين يعد في الدرجة الثانية بالنسبة الى جزاء الاعدام ، وليس له كبير أهمية ، ولكنه يعد أمراً كبيراً وتحقيراً دينيا عند المسلمين ، لذلك أثر على الطليان هذا تأثيرا سيئاً جداً في العالم الاسلامي فحصل بينهم هياج وغليان في الافكار واستفظعوا عمل ايطالية فوق العادة

كان الامبراطور ويلهم الى الآن عونا كبيراً لحركة الجامعة الاسلامية وكان الالمان يظنون ان هذه الحركة تصل الى درجة توجب الخوف عليهم في الوقت القريب وانها على ذلك تحدث صعوبات جمة للانكليز في الهند ومصر ، وتكون عوناً لهم لقرارهم في الايا ضول . ذلك كان ظنهم . فسياحة الامبراطور ويلهم في الشرق وذهابه

لى مراكش وإلقاء خطبته في طنجة كل ذلك كان مبنياً على ما ذكر من الاعتقاد في أمر الجامعة الاسلامية . لكن تبين الآن وجود هوة عميقة لا يسهل اقتحامها مع الصداقة للمسلمين والمحافظة على مناصبهم الحقيقية ، ولذلك ضحت ألمانيا بمنافع الملايين من المسلمين في مراكش توصلا الى امتلاك قطعة من الارض في الكونغو . فكسرة مطروحة لها في أفريقية كانت كافية لهدم تلك الصداقة

ويوجد أيضا كثير من المسلمين في مستعمرات ألمانية نفسها في افريقية ، فكل حركة يراد بها الضرر على انكلترة من مساعدة الجامعة الاسلامية وازالة العقوبات من سبيلها تكون من غير شك حركة ضد موظفيها ومبشريها في أفريقية . والذي قاله الامبراطور ويلهلم للرئيس المار ذكره هو عبارة عن تدبير وقتي فقط

(وبعد ذلك كله) هل تريد ألمانية أن تسلك في مسلك واحد مع أوربا جمعاء ؟ أم هي تقصد أن تهيج تعصبات المسلمين الدينية وتخلق مشاكل وصعوبات هائلة وتلقيها على رأس أوربة ؟ عن قريب تضطر ألمانية الى الاجابة على واحد من هذين الشقين اه مترجما عن جريدة (وقت) الروسية

الدين كله من القرآن (*)

نكتب هذه الكلمة المختصرة بياناً للنصارى الذين يطعنون على القرآن ويرمونه بالتحريف لعدم وجود ذكر رجم الزاني المحصن فيه فنقول : —

قد استنبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحكام شرعية قليلة نخص ما أخذها لأول وهلة على الناظر في الكتاب العزيز وهذه المسائل مع كونها قليلة جداً معروفة ومتواترة بين المسلمين وأهم هذه المسائل هي :

(١) تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها
(٢) رجم الزاني المحصن
(٣) تحريم استعمال أواني الذهب والفضة
(٤) تحريم لبس الحرير على الرجال
(٥) النهي عن أكل الحمر الاهلية (وكان ذلك في واقعة خيبر)

---

*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

(٦) منع بيع الامة اذا افترشها سيدها وولدت له

أما الامر بقتل المرتد فهو كما قلنا وقال السيد صاحب المنار كان خاصاً لظروف خاصة تقتضيها الحالة في ذلك الوقت لمنع تشكيك ضعاف المسلمين في دينهم بتلاعب بعض الناس بالدين ودخولهم وخروجهم منه كما قالوا (آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) ولمنع إفساد أمرهم وإفشاء أسرارهم وتشتت كلمتهم وإضعافهم باظهارها أمام أعدائهم شاكين منقسمين متفرقين ولمنع عبث المعتدين بهم الذين كانوا يظهرون الاسلام اذا تمكن المسلمون منهم ثم يرتدون ويؤذونهم اذا أفلتوا من أيديهم أو قووا عليهم . أما في غير هذه الاحوال فلا يجوز للمسلمين قتل أحد لمجرد الارتداد قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأوجب تأمين المشرك الذي كان أبيح لهم دمه اذا جاءهم تاركا الأذى راغبا النظر في الدين وطالبا البحث فيه لكي لايدخله مكرها كما قال تعالى في سورة التوبة (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أي يجب تركه حتى يسمع القرآن ثم نرده الى أهله آمنا مطمئناً ليتروى فيه ويتدبر فان شاء آمن بعد ذلك وان شاء لم يؤمن بشرط أن يعد ونعرف منه انه لا يعود لايذاء المسلمين فان ذلك كان كل مقصودهم . وأما الايمان والكفر فهما متروكان لحرية الشخص (ولو شاء ربك لآمن من في الارض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فهل بعد ذلك يقال ان الاسلام يكره الناس على الدخول في الدين ؟؟ !!

أما تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها فذلك لان العمة أو الخالة تعتبر كالأم وتسمى أما كما أن العم والخال يسمى كل منهما أبا قال تعالى في يوسف (ورفع أبويه على العرش) مع أن أمه كانت ماتت من قبل . وورد أيضا في سفر التكوين تسمية خالته أما له (راجع اصحاح ٣٥ : ١٩ مع ٣٧ : ١٠) وقال تعالى عن لسان بني يعقوب (نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا) فسموا (اسماعيل عمه أبا له

أما رجم الزاني المحصن فهو لان الزنا مع الاحصان إفساد في الارض وموجب لخلط الانساب (١) واضاعة حقوق العباد في المواريث ومؤد لوجود الشحناء والبغضاء

(١) حاشية : عند كثير من أمم الافرنج على مانعرف لايسمى جماع غير المتزوجات (بالزنا) وبخصوص هذا الاسم بوطء المتزوجات فقط لانه هو الذي يجر الى خلط الانساب ونسبة الابناء =

والاقتتال بين الاشخاص والبيوتات وذلك يضعف الامة و يفرق كلمتها . والقتل في القرآن لا يباح إلا قصاصا للقتل وللافساد في الارض قال تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) وهذا هو حكم لنا أيضا لقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الارض فسادا أن يقتلوا) الآية ولا شك أن الزنى محاربة لله ولرسوله بالعصيان وسعي في الارض بالفساد . وقوله (يقتّلوا) يشعر بأن القتل لا يكون دفعة واحدة بل تدريجيا كما في الرجم والرجم معروف في الشرائع الالهية القديمة كالموسوية كما لا يخفى فلا عيب فيه . فبهاتين الآيتين خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم العام الوارد في قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الآية أي إن ذلك خاص بغير المحصن ونقل المسلمون عنه هذا التخصيص نقلا متواترا . أما عدم التصريح في القرآن برجم المحصن فهو للاشارة إلى أن الزنا مع الاحصان ومع ما في الاسلام من التسهيل في مسائل النكاح من حقه أن لا يكون معروفا بين المسلمين ولا فاشيا فيهم ومن الواجب أنه إذا وقع فلا يكون الا نادرا جدا وعجيبا غريبا بينهم فكأنه لا يحتاج لتشريع خاص به لشدة ندرته . وكأن لفظ الزاني اذا اطلق لا ينصرف عندهم الا الى غير المحصن وفي القوانين الوضعية كثيرا ما يدمجون الاشياء النادرة الوقوع في حكم واحد مع غيرها بحيث لا يتيسر إلا للمتضلع فيها استنباط حكمها من النص العام فكذلك مسألة رجم الزاني المحصن في الاسلام التي لم يذكرها القرآن للتنزه عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين

= لغير أبيهم . وفي الانكليزية اسم الزنا (Adultery) يفيد معنى الخلط فلذا كان في الشريعة الاسلامية عقاب الزاني غير المحصن من الذكور والاناث أخف من عقاب المحصن لان الاول لا يؤدي الى الفساد الذي يؤدي اليه الثاني ويلتمس لفاعله بعض العذر وكذلك في الشرائع المدنية لا يعاقبون الزوج اذا قتل زوجته والزاني بها ولا عقاب عندهم للزاني في غير المتزوجات اذا كان برضاهن وكن رشيدات ويعاقبون قاتله ولو كان أباها أو أخاها فان حق العصمة بيد الزوج فقط

وعليه فالرجم حق مما كتبه الله علينا في شريعته وإن لم يصرح به في القرآن لما وضحنا . هذا وفي اللغة العربية كثيرا ما يراد بلفظ (كتاب) المكتوب أي المفروض كما في قوله تعالى (كتاب الله عليكم) في سورة النساء وقوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا له اوقات معينة وقوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) الآية . فمن ذلك نشأ خطأ كثير من المحدثين والرواة إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه يقول مثلا (إن الرجم من كتاب الله تعالى) أي مما فرضه الله على المسلمين . فظنوا حديث (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما) (١) أنه آية من القرآن وشتان ما بين الفاظ القرآن وتراكيبه العالية وما بين هذا الحديث . وكذلك أخطأوا وخلطوا في كثير من الاحاديث الواردة في هذه المسألة كقول عمر ما مثاله (ان الرجم فريضة من كتاب الله تعالى ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها فيه) أي هذه الفريضة . فلو كان هذا الحكم معروفا بين المسلمين أنه من القرآن لكتبه عمر فيه ولما خشي أحدا ولما قال الناس إن عمر زاده . فقوله هذا يدل على أنه ليس من القرآن وانما يريد عمر به المبالغة في أنه فرض كفروض القرآن ولولا أنه ليس منه لكتبه فيه يعني أنه حكم كاحكام القرآن لا يجوز الشك فيه لعدم ذكره في القرآن (كتاب الله) . فلفظ كتاب الله في هذه العبارة الممثل بها هنا له معنيان (الاول) بمعنى المفروض الواجب (والثاني) بمعنى القرآن وفي اللغة من مثل هذا كثير كقوله تعالى (يكاد سنا برقه يخطف بالابصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لآية لاولي الابصار) فالابصار الاولى بمعنى العيون والثانية بمعنى البصائر والعقول . وقال علي رضي الله عنه فيمن جلدها ورجمها (جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسوله) أي لان الجلد صريح في القرآن والرجم صريح في السنة وهذا يدل على أن الرجم ما كان معروفا بين المسلمين أن فيه آية صريحة في القرآن وإنما هو يستنبط منه استنباطا . وجميع الاحاديث التي تدل على أنه كان من

(١) حاشية هذه العبارة رويت في كثير من كتب الحديث على أنها حديث لا على أنها قرآن كما في الجامع الصغير

(كتاب الله) اما أن يكون منشؤها ما ذكرت فخلط فيها الرواة وخبطوا لعدم فهمهم المراد منها واما ان تكون من الاكاذيب التي ادخلها المنافقون على الغافلين من المحدثين افتراء على الله وعلى رسوله وعلى أصحابه (وكثير ما هي) والا فان القرآن باجماع المسلمين نقل متواترا عن رسول الله لفظا ومعنى مكتوبا في السطور ومحفوظا في الصدور عند جماهير الامة في كل زمان ومكان وكل ما ليس متواترا فهو ليس بقران كما لا يشك في ذلك أحد من المسلمين وانما هو من الاكاذيب والمفتريات لغش المسلمين في دينهم أو تشكيكهم فيه أو لتأييد رأي أو مذهب لبعض أهل الاهواء والاغراض أو لبعض الفرق الضالة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابة أي شيء آخر عنه سوى القرآن لمنع مثل هذا الخلط وأن يختلط كلامه بكلام الله تعالى

وأما تحريم استعمال اواني الذهب والفضة فهو لان ذلك إسراف وكنزلهما مؤد الى الحرج على الامة والعسرة المالية . وكل من الاسراف والكنز مذموم في القرآن الشريف . قال تعالى (ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين) وقال (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) وقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)

وأما تحريم استعمال الحرير على الرجال فهو لانه ينافي الرجولية والشهامة ويؤدي الى الاعجاب بالذات والفخفخة والخيلاء فضلا عما فيه من الاسراف وكل ذلك مذموم في القرآن قال تعالى (ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك) الآية فقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية هو مخصص بهذه الآيات أي إن الزينة مباحة إن لم تؤد الى الاسراف أو الكنز أو الاعجاب والخيلاء والغرور والا كانت محرمة كما في الآيات السابقة

وأما النهي عن أكل الحمر الاهلية فهو إما انه كان للحاجة اليها في ذلك الوقت أو لمرض فيها يخشى منه على المسلمين إذا أكثروا من الاقتراب منها وتناولها بالايدي (كالسقاوة والسراجة Glanders) أو لان اكلها مكروه لانها لم تخلق لذلك كما في قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)

الى قوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) والخلاصة أن حرمتها لا يمكن أن تكون كحرمة لحم الخنزير بالاجماع فهي (إذا سلم أن النهي عنها كان عاما) اما أن تكون مكروهة واما أن تكون من الصغائر ولذلك لم يذكرها الله تعالى في آيات تحريم المأكولات كقوله (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وغيرها وهذه الآية واردة في السور المكية والمدنية فلا يأتى فيها قولهم (إنها نسخت)

وأما منع بيع الامة إذا ولدت لسيدها فذلك لان بيعها تقطيع للارحام وذلك مذموم بقوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى أبصارهم) .فليتأمل في هذه الآية المكثرون من الطلاق ! !

والخلاصة ان الاسلام كله من القرآن وقد تخفى مآخذ بعض شرائعه اللهم إلا بعض المسائل العملية القليلة التي توضيحها بالعمل خير من توضيحها بالقول وكانت تتكرر بين المسلمين كثيرا ككيفية الصلاة والحج فلم يأت تفصيلها في القرآن الشريف . فأين تذهبون أيها النصارى . و بماذا تطعنون في الدين الحنيف ؟؟ . اه

تقريظ المطبوعات

﴿ معيار العلم ﴾

كتاب معيار العلم في المنطق لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي سارت بذكره الركبان ، وكان المشار اليه دون كتب هذا العلم بالبنان ، ثم طوت صحفه أيدي الحدثان ، حتى لم تعد تكتحل برؤيته عينان ، الى ان ظفر به وطبعه في هذا العام الشيخ محي الدين صبري الكردي وشريكاه وهو متن مبسوط تبلغ صفحاته ١٧٥ صفحة كصفحات المنار ، وناهيك بعبارة الغزالي في بسطها وسهولتها وانسجامها وجلاء

أمثلتها ، وما فيها من ايقاظ العقل ، وتحريك الفكر ، والحث على العمل بالعلم ، وترتيب هذا الكتاب مخالف لترتيب الكتب المتداولة في المنطق فهو يقدم التصديقات على التصورات ، فيبدأ بمقدمات القياس فالقياس ، ثم يتكلم على الحد والنظر ، ويختم الكتاب بأقسام الوجود وهي المقولات العشر

لا تكاد تجد أحداً قرأ المنطق في هذه البلاد يستعمل أقيسته وحدوده أو يراعي اصطلاحاته في الاستدلال والمناظرة ، أو يشير اليها في مسامرة أو محاضرة ، بل لك ان تجزم بأنها قلما تخطر في بال أحد منهم في المواطن التي يحتاج اليها فيها . وسبب ذلك قراءة تلك المتون الموجزة التي يشتغلون عند قراءتها بحل عباراتها وفهم اصطلاحاتها لاجل أداء الامتحان بها ، فاذا وصلوا الى هذه الغاية واقتحموا عقبة الامتحان ، نسي القصد ، وقضي الامر ، وليس في تلك الكتب جاذب يجذب الفكر الى الاشتغال بهذا العلم ومراجعته وترقية العقل به كما ترى في مثل هذا الكتاب للغزالي

مثال ذلك اختصارهم المخل في مادة القياس تراهم يكتبون فيها أسطرا قليلة ويذكرون لكل منها مثالا واحدا ، وأما الغزالي فقد كتب في (المحرمات) زهاء صفحتين كصفحات المنار وفي (المشهورات) صفحتين ونصفا بين فيها خمسة اسباب لاثبات الذهن لها ووضح ذلك بالامثلة المتعددة ، ومن مزايا اسلوبه أنه يورد المسائل مورد الاستعمال والوقوع تارة بالخطاب وتارة بالحكاية عن الغائب أو المتكلم ، وهذا الاسلوب أوقع في النفس وأقوى في تقرير المعاني فيها من الاسلوب المعهود في الشمسية والبصائر وغيرهما وهو تجديد المطالب مجردة من لباس الاستعمال

وقد صدر هذا الكتاب بترجمة مطولة للمؤلف وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ جواهر القرآن ﴾

مصنف للغزالي مشهور طبع من قبل واعاد طبعه في هذا العام الشيخ محيي الدين صبري الكردي كما طبع من قبل ضمنه المسمى كتاب الاربعين وهما في الحقيقة كتاب واحد ينبغي جمعهما في غلاف واحد وقد سبق لنا تقريظ كتاب الاربعين

﴿ تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

تاريخ آداب اللغة العربية فن توجهت اليه نفوس المعلمين والمتأدبين حديثا بعد ان رأوا الافرنج يعنون به و يصنفون فيه ، وقد كنا قرظنا في اول المجلد الرابع (١٣١٨) كتابا بهذا الاسم الذي جعلناه عنوانا هنا من تأليف محمد بك دياب . وقد ظهر في هذا العام جزء من كتاب آخر بهذا الاسم للكاتب المؤرخ المشهور جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال قال انه « يحتوي على آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي - اي من اقدم أزمنة التاريخ الى سنة ١٣٢ هـ » وسيعززه بجزء آخر أو أجزاء في تاريخها فيما بعد ذلك الى زماننا هذا

بدأ المؤلف هذا الجزء بمقدمة في تاريخ التأليف في هذا الموضوع بين فيها ان الافرنج لم يكونوا يعرفون هذا العلم وانما التفتوا اليه وعنوا به أخيرا وان العرب قد سبقوا إلى التأليف فيه « مثل سبقهم في غيره من المواضيع » وعدمن كتبه (كتاب الفهرست) لابن النديم ، وكتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) المعروف بموضوعات العلوم ، و (كشف الظنون) و (ابجد العلوم) ولكن هذه الكتب ليست على النهج الحديث الذي سبق الى التأليف فيه المستشرقون من الافرنج بلغاتهم ، ورجى المؤلف ان يكون هو أول من كتب على هذه الطريقة بالعربية وأول من سماه بهذا الاسم

ثم بين فيها الغرض من الكتاب وهو « (١) بيان منزلة العرب بين سائر الامم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي (٢) تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم ... (٣) تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره ... (٤) تراجم رجال العلم والادب .. (٥) وصف الكتب العربية باعتبار مواضيعها وكيف تسلسل بعضها من بعض .. » ثم بين تقسيم الموضوع وما يشتمل عليه هذا الجزء وهو الاول منها - وهوما بيناه في أول الكلام

ونحن نرى ان هذه الاغراض لا يضطلع بها رجل واحد يريد التحقيق

والتحرير فان تاريخ كل علم من هذه العلوم ـ وهو أحد الاغراض ـ لا يحرره الا من عرف هذه العلوم كلها ، فلا بد من الاستعانة فيه الا لمن يقنع بمثل ما كتبه ابن خلدون في مقدمته أو يزيد عليه قليلا مما كتبه ابن النديم أو غيره وإن لم يفهم الكاتب ذلك حق الفهم لعدم تلقيه لهذه العلوم عن أهلها

وجملة القول ان هذا الكتاب مفيد لقراء العربية في ترتيبه واسلوبه ومسائله فنشكر لمؤلفه عنايته ولعلنا نوفق الى توفيته حقه من التقريظ بعد إتمامه

***

﴿ الحراب ، في صدر البهاء والباب ﴾

كتاب جديد ألفه وطبعه في هذا العام محمد افندي فاضل بعد مجيء عباس افندي زعيم البابية البهائية الى القطر المصري ذكر في مقدمته مجيئه وما كتبته الجرائد فيه ثم قسمه الى مناطق في تاريخ البابية وديانتهم وكتبهم وهدم أصولهم ورد أباطيلهم وقولهم بالوهية ميرزا حسين الملقب بالبهاء . وذكر في المقدمة انه عرف من دعاة هذه الديانة بمصر أناسا يحذر المسلمين اربعة منهم هم أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وهم (١) المرزا حسن الخراساني الناجر بالقاهرة وهو عميدهم في أمورهم المدنية

(٢) المرزا ابوالفضل محمد بن محمد رضى الجرفادقاني الابراني وهو داعيتهم ومؤلفهم

(٣) فرج الله زكي الكردي صاحب مطبعة كردستان « وهو داعية كبير »

(٤) حسين افندي روحي ابن الملا علي التبريزي وهو صاحب مجلة تدعو الى هذا الدين ... كان يصدرها في القاهرة باسم (لسان الامم) ـ الى ان قال ـ وهو الآن صاحب مدرسة في القاهرة بخط الحسينية تسمى (المدرسة العباسية) نسبة الى عباس افندي زعيمهم . ومن الغريب ان يلقي المسلمون اولادهم في هذه المدرسة وهي ـ اذا صح انها للبابية كما هو الظاهر ـ فانها أشد افسادا لعقائدهم من مدارس دعاة النصرانية لان جعل المسلم نصرانيا عسر جدا وأما افساد عقيدته بتأويل القرآن وتحريف كلمه عن مواضعه كما تفعل الباطنية والبهائية منهم فهو اسهل من كل افساد ولكن أي غفلات المسلمين ليس بالعجيب ؟ ؟

قبل كتابة هذا أخبرني بعض نبهاء النجديين عن فرج افندي الكردي أنه حذف من بعض فتاوى ابن تيمية التي طبعها حديثا على نفقة بعض أهل الخير والدين فتواه البديعة في بيان كون سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وما كنت اظن ان التعصب للبابية يحمله على التصرف في كتب المتقدمين التي يطبعها ، لان هذا يبطل الثقة بجميع مطبوعاته

***

﴿ بشرى العالم ، بترك المحاربات واتفاق الامم ﴾

رسالة لفرج زكي افندي الكردي ادعى انها « تتضمن البشارات الالهية ، والبراهين العقلية ، بقرب حصول السلام ، بين الآنام » وهي عبارة عن ايهام وابهام ، واستمساك بعرى الاوهام ، وجمجمة وغمغمة منها ما لم يفهم ، ومنها ما يفهم ولا يعقل ، نشرها يبشر بها المسلمين بالسلام العام ، وصواعق المدافع تمزق منهم الاجسام ، وتدك المعاقل والآطام ، وقد استولى الافرنج على مملكة الغرب الاقصى من ممالكهم ، وزحفت جيوشهم الى بلاد فارس وطرابلس الغرب لاجل القضاء على الدولتين الباقيتين لهم ، كما صرحت بذلك صحفهم »

وقد بث كاتب هذه الرسالة روح دعوة البابية البهائية في رسالته والظاهر انه ما كتبها الا لاجل هذا ، واظهر بشارته عنهم فيها هو ما نقله عن القس (وليم مور) انه « أخبر بان الرب ينزل في سنة ١٨٤٣ ميلادي (كذا) وتبعه (كذا) ألوف من الناس » (قال فرج) « وهذا الكتاب مطبوع في امبركا فعلى رأي هذا القائل يكون قد مضى من ظهوره لهذا العام (اي سنة ١٩٠٥) اثنان وستون سنة » اه يعني بهذا ظهور الباب والبهاء فان الباب اظهر دعوته الباطلة بالقرب من تلك السنة التي ذكر ذلك القس ان الرب ينزل فيها ولعلهم يطبقونها عليها . وتلك السنة توافق سنة ١٢٥٩ للهجرة وهي السنة التي قالوا ان الباب اراد ان يحج فيها ويظهر دعوته بمكة . ولكن الله صرفه فلم يتح له ذلك

فيا تعسا لدين هذه دلائله ، والقس وليم ميلر وامثاله انبياؤه ، ويا شقاء من يضيع شيئا من وقته بقراءة أمثال هذه السخافات الا من يحذر الاغرار منها ، والى الله المشتكى

باب الاجتهاد والاستئناف

سفر صاحب المنار الى الهند

(اجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء اياه لحضور احتفالها السنوي)

جمعية ندوة العلماء في لكنوء اشهر من نار على علم وقد سبق لنا التنويه بها في المنار والكلام عن احتفالها بتأسيس مدرستها (دار العلوم) فهي جمعية اصلاحية من أنفع ما توجهت اليه همم المسلمين في هذا العصر لاحياء العلوم الدينية ووسائلها بأخذها من لغتها (العربية) مباشرة والعناية بتعليم هذه اللغة بل جعلها لغة المدرسة الرسمية . وبنشر هداية الاسلام والتأليف بين أهله ، كل ذلك معروف مشهور ، وامراء المسلمين وعقلاؤهم في الهند يؤيدون الندوة ويمدونها بالمال ، وحكومة الهند نفسها راضية عنها وتعطيها من خزينتها إعانة سنوية

كتب الي صديقي العلامة الشهير الشيخ شبلي النعماني أحد الاساطين التي قام عليها بناء هذه الجمعية ومحور مجلتها (ندوة العلماء) بأن اركانها وأعضاءها العاملين قرروا دعوة هذا العاجز الى حضور احتفال الندوة الذي يكون في أول إبريل من هذا العام ، والتصدر في محفلها الشريف الذي يحضره العلماء الاعلام ، والامراء الكرام ، وقال أعزه الله انهم يرجون باجابتي لدعوتهم ، مزيد الاقبال من عظماء البلاد على ندوتهم ، وهذا من المبالغة بحسن ظنهم بهذا العاجز او المجاملة له ، تعارض في إجابة هذه الدعوة الشريفة المانع والمقتضي بل ثم موانع كثيرة أهمها قرب العهد بتأسيس مدرسة (دار الدعوة والارشاد) وشدة الحاجة الى ان

يكون ناظرها ومديرها هو الذي يتولى أمرها بيده ، ولكن حق هؤلاء الاخوان المظام أركان ندوة العلماء مما لا يمكن التقصير فيه ، ولسائر اخواننا مسلمي تلك الاقطار حقوق علينا . يجب أداؤها وان لم يطالبوا بها ، كما اننا نرجو ان نستفيد في مثل هذه الرحلة من علومهم ومعارفهم ، ومن مشاهدة اهتمامهم بالعلم والاصلاح ما نحن في أشد الحاجة اليه ، فان مسلمي الهند ومسلمي مصر هم الذين يتمتعون بالحرية التي يمكنهم ان يخدموا بها دينهم وأنفسهم دون سائر المسلمين

شاورت في هذه الدعوة اخواني أعضاء مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد فأجمعوا على استحسان الاجابة وأن أكون فيها ممثلا لهم لان مقصدنا ومقصد الندوة واحد وهو إصلاح التعليم الاسلامي وترقية شأن الاسلام والمسلمين . وكذلك شاورت غيرهم من الاخوان فكانت كلمة الجميع واحدة فأجبت الدعوة وعزمت ، وعلى الله توكلت ،

وكان سفرنا من القاهرة الى بور سعيد قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الأنور وركبنا الباخرة (مولتان) من بواخر الشركة الشرقية الانكليزية وفيها كتبنا هذه السطور ، ونسأل الله التوفيق وبلوغ المقصود ،

***

﴿ مدرسة دار الدعوة والارشاد ﴾

اخترنا ان يكون فتح دار الدعوة والارشاد في ليلة تذكار المولد النبوي الشريف تفاؤلا وتيمنا بأن تكون هذه المدرسة محيية لدعوته صلى الله عليه وسلم في العالمين ، وناشرة لهداية سنته بين احق الناس بها من المسلمين ، وقد وفق الله عز وجل وأقبل طلاب القسم الداخلي في تلك الليلة المباركة على المدرسة فباتوا فيها وكانت ليلة الجمعة الشريفة . ثم بدئ بإلقاء الدروس فيها للقسمين الداخلي والخارجي يوم السبت ١٣ لربيع الأنور ولله الحمد ، ويتذكر القراء اننا نشرنا النظام الاساسي لجماعة الدعوة والارشاد في ليلة المولد النبوي من العام الماضي أيضا

وقد كان من قضاء الله وقدره ان اسافر إلى الهند في هذا الشهر بعد افتتاح المدرسة وانتظام الدروس فيها ، فاخترت ان ينوب عني في أعمالها الادارية الموقتة

الشيخ احمد العبد (بن الشيخ سليمان العبد شيخ الشافعية في الجامع الازهر) وهو مدرس للعربية والفقه فيه وان يكون ذلك تحت مراقبة لجنة المدرسة ، وان يكون الذي يمضي عني والمسؤول عن عمل الناظر هو من يعينه مجلس ادارة الجماعة نائبا عني في رياسة اللجنة مدة سفري . وقد عرضت هذا الاختيار على مجلس الادارة فأقره .

﴿ مدرسة علمية في الكويت ﴾

العرب أعرق الامم في العلم والمدنية والفضائل تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة . ويشهد لهم به التاريخ ، فشريعة حمورابي أقدم الشرائع المعروفة كانت عربية والشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع ومكملتها عربية ، والمدنيتان الاشورية والمصرية اصلهما عربي وكل ما بعدهما مقتبس منهما ومبني على اساسهما كالمدنية اليونانية والرومانية

وللعرب في التاريخ القديم نومات طويلة ، تلوها هبات ووثبات قوية ، وكانت نومتهم قبل الاسلام اطول نوماتهم زمنا ، وهبتهم بعدها اشرفها واعلاها أثرا ، وقد عادوا الى النوم بعدها وتاريخهم يصيح بهم من ورائهم ، وتلاميذهم في الحضارة يهبون من أمامهم : النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ، ومن مات فات ، ونحمد الله ان نراهم يستيقظون ، وان انشأوا يفكرون ويعملون ، ولكنهم في عملهم متحيرون ،

ومن أكبر المشروعات العلمية التي هي مناط الرجاء وموضع الامل ما توجهت اليه همة الشيخ مبارك آل الصباح صاحب الكويت من إنشاء مدرسة علمية دينية في بلده تكون مثابة للتربية القويمة والتعليم النافع الذي يحيي البلاد ويرقي أهلها في أنفسهم وفي أعمال معايشهم ، ويستوري زناد الذكاء العربي الكامن في فطرتهم ، وان هذا الشيخ الجليل في عقله وغيرته وسعة تجاربه ومكانته من الندرة في الامة العربية لجدير بأن يأتي هذا العمل من بابه ، وينوطه باربابه ،

اختار ان يكون لهذه المدرسة لجنة تتولى جمع المال لها ، وتتعاون على إنشائها

وإدارتها، ليكون ذلك من تربية الامة على الاعمال الاجتماعية التي يرجى دوامها ويحمل كثيرا من الفضلاء يغار عليها، ولو شاء لأنشأها من ماله الخاص وما ذلك على كرمه وسخائه ونجدته بكبير، وما اختاره هو الأولى والانفع إن شاء الله تعالى

تألفت اللجنة برياسة نجله الكريم الشيخ ناصر مبارك الصباح وجمعت من التبرعات لأول وهلة ما يبشر بحسن العاقبة ونجاح العمل. وكان أول من لبى الدعوة، وسبق الى تأييد هذه المبرة، صديقنا المحسن العظيم، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم، فقد تبرع لها بألفي جنيه وتبرع غيره من آل بيته الكريم بمبالغ عظيمة يليه منهم الشيخ عبد الرحمن ابراهيم

وقد كتب إلي هذا الصديق الابر الاوفى من بومباي أن لجنة المدرسة كلفته أن يطالب مني وضع برنامج للتعليم في هذه المدرسة وان أختار لها المعلمين الاكفاء فكان هذا الطلب نعمة له ولأعضاء اللجنة أن يمنوها عليّ إذ رأوني أهلاً لمشاركتهم في هذه الخدمة الجليلة. وقد كتبت اليه ثم الى اللجنة اسأل عن وقت فتح المدرسة وعدد من يرجى أن يكون فيها من الطلاب ودرجة معرفتهم، وغير ذلك من المسائل التي يتوقف عليها تنفيذ ما شرفوني بطلبه مني. وقد كتبت هذه النبذة قبل أن يجيئني الجواب منهم ببيان ما سألت عنه، وكنت أخرت الكتابة انتظارا لجوابهم ليكون الكلام أوسع فائدة

واتفق في اثناء ذلك ان جاءتني دعوة جمعية ندوة العلماء الهندية الى حضور احتفالها السنوي في هذا العام، واقتضت الحال أن أجيب الدعوة وأن أزمع السفر قبل مجيء الجواب من الكويت في بيان ما سألت عنه، وستكون المذاكرة الاولى في ذلك بعد وصولنا الى بومباي ان شاء الله تعالى

﴿ الحرب في طرابلس الغرب وبنغازي ﴾

بلغت أخبار انتصار المسلمين على الايطاليين في طرابلس الغرب وبنغازي الى درجة التواتر لكثرتها وتعدد رواتها بالبرقيات والرسائل ومشافهة من حضروا من ميادين القتال وهم كثيرون

وقد قال لنا غير واحد ممن شهدوا الوقائع بأنفسهم أنهم لو لم يشاهدوا بأعينهم لما صدقوا ان الامر وصل الى هذا الحد الذي يكاد يكون من خوارق العادات . وقد علمنا منهم أن الموسم في هذه السنة لم ير أهل البلاد مثله من أعوام كثيرة وان الغنائم عظيمة ، وان الايطاليين قد أسرفوا في اطلاق قذائف مدافعهم من البر والبحر من غير حاجة في الغالب حتى أن العرب صاروا يقولون : هلموا بنا نضحك عليهم : فينصبون لهم قبل الفجر أشباحا فاذا رأوها في أول النهار بنظاراتهم أمطروا عليها ناراً من مدافعهم قبل أن يتبينوها ، وان الشجاعة التي ظهرت من العرب قد أدهشت العالم كله ، فنسأل الله تعالى حسن العاقبة

﴿ في مستقبل ايران ﴾ (*)

كتب ميلشيقوف في جريدة (نوفيه فريمه) بمناسبة ارسال الجنود الروسية الى ايران هكذا

يجب أن نتبصر ونتأمل جيدا في فرقنا الجزائية المرسلة الى ايران حتى لا تكون النتيجة جزاء علينا ، ربما يستقبل الفدائيون عساكرنا في شمال ايران بعد الاتحاد مع أهل الخيام وعامة الايرانيين ويثورون جميعا علينا في جهات شتى وهذا الشكل من الحرب أصعب من الحروب النظامية الكبيرة لاسيما في بلاد مثل ايران التي ليس فيها شيء من السكك الحديدية وأبناؤها لا يزالون بين التوحش والتمدن وهم مسلحون ببنادق الروس . وايران الشمالية ليست قوقاسا ولكنها تشابه القوقاس مشابهة تامة من جهة طبائع أبنائها وانتسابها الى مدنية الاسلام وأحوالها الاخرى. حروب فرقنا الجزائية في القوقاس امتدت ٥٠ عاما وأنفق عليها من الاموال أكثر مما أنفق على حرب بروسية في زمن القيصرة يليزاويته ولكن كانت نتيجة تلك الحروب أن ملكنا تلك البلاد الواسعة والاراضي الجيدة . لو كان الانكليز في محلنا أو النمساويون لكانوا استفادوا فوائد حتى بنسبة الالف الى المئة مما أنفقوا من

(*) معربة عن جريدة (وقت) نمرة ٨٩٥ في ٢٣ ديسمبر الشرقي سنة ١٩١١ الموافق ١٦ محرم سنة ١٣٣٠

الاموال لأجل استيلائهم عليها . اما ايران فأي فائدة يمكننا أن نستفيد منها ؟ ومن المعلوم أننا لانحارب حكومة ايران؟ فإذاً كيف نسترد الاموال التي ننفقها هناك ؟ توجد عساكر الروس في ايران منذ ثلاث سنين فاذا لم يكن وجودها فيها من غير شغل سببا في استتباب الامن بل سببا في تقوية الحكومة الاحتلالية فلا تكون نتيجة سكوت عساكرنا الجدد الآن غير الذي عرفنا من قبل وان كانوا الان قد ازدادوا عددا . وأما اذا أظهرت جنودنا شيئا من الحركة الفعالة فهذا يعد من الحرب

اسأل مرة ثانية من أين نسترد أموالنا التي ننفقها في ايران وجرت العادة أن يستولي المحاربون على أراضي المدو ضمانا للنفقات التي ينفقونها على الحرب ؟ فالواجب علينا اذاً اما ان ننفق النفقات الكبيرة لاجل الايرانيين تبرعا ونخدمهم الثورات في بلادهم واما أن نحارب حقيقة ونستولي على مقاطعتي اذربيجان وخراسان ولكن إنفاق الذهب وإراقة الدماء لنفع الاجانب عادة قد قدمت فلا نعلم هل ترضى بذلك وكالة الامة (مجلس الدوما) أم لاترضى؟ . يظهر أن المقصد من إرسال فرق الجزاء هو استتباب الأمن تماما في شمال ايران وذلك لايتم الا باقامة عساكر الروس فيها مدة طويلة كما هي الحال في مصر وولايتي بوسنة وهرسك . ولا يخفى أن إشغال إيران بالجنود على هذه الكيفية يكون مقدمة لتقسيمها تماما . وأرى أن عمل ماهو المقصود بالذات حالا من غير تأخير أولى وأحسن من التطويل في الأمر من غير فائدة . لم يتداخل أحد في ضم اليابان لكورية ولا في ضم النمسة لولايتي البوسنة والهرسك . وكذلك عملت فرانسة ما أرادت في مملكة فاس ـ وان تداخلت بعض الدول ـ . وبقيت تركية وحدها (من غير نصير) في تسلط ايطاليا من غير حق على طرابلس الغرب وهكذا ...

فينبغي لروسيا اذا كانت تتوقع منافع دولة كبيرة في ايران أن لا تحجم عن أي شيء ولا عن انفاق النقود الكثيرة. لو صادف روسيا في ايران أدنى شيء من عدم التوفق وسوء الحظ ولو وقتيا يتولد منه ثلاث فتن وهي من جهة تركية والقوقاس وتركستان فيجب علينا إنهاء العمل في ايران بسرعة زائدة و بصورة توافق مصالحنا . حفظنا الله اذا كانت تشبه حركة جنودنا في ايران الآن بحركتها في حرب

(تكه التركمان) وامتد بها الزمان حينئذ يجب أن نحسب أن قيام الثورات في القوقاس وفي تركستان واقع لامحالة . رؤساء الحركة ضد الروس في القوقاس هم الارمن وفي تركستان اليهود . أهالي تركستان أخذوا ينسون الآن تمام النسيان ما رأوا من يرمولف وأسقوبلف ويفدوكيموف وشير نايف وما دهاهم من ضربات هؤلاء الابطال . ومن الاسف أنه لايرى في الدور الاخير في تاريخ الروس مثل أولئك البواسل . وفي السنين الاخيرة أخذت البغضاء والعداوة بالتيقظ في تركستان لكل شيء أتى من جهة الروس . ووقائع انديجان وبخارى تدلان على وجود النار تحت الرماد . ومما يدهش له الانسان عدم القبض على سليم خان في القوقاس الى الآن . فاذا أصاب عساكر الروس شيء من الهزيمة في ايران فمن المؤكد بدء دور جديد سليم خان يشبه دور الشيخ شامل في السنين الماضية . فيلزم مع إرسال العساكر الى ايران في آن واحد تقوية جنودنا في حدود تركية وفي القوقاس وتركستان . واذا لم نفعل ذلك يمكن ظهورا أحوال مؤسفة جداً

وقال مينشيقوف في آخر مقالته هذه : الانكليز والروس لايستعبدون الاقوام الذين يستولون على بلادهم بل يخلصونهم تخليصا وأنا أمين ومطمئن جدا أن أهالي بولونيا والهند ومصر وكوريا وفاس يستقلون من جديد بعد قرون عديدة وتكون كل واحدة من هذه الامم دولة متمدنة بعد الفوضوية الاولى ويصرن ذوات اقتدار على حفظ استقلالهن . لعل ذلك يكون أيضا أحسن وأمثل طريق لايران

﴿ أخبار شتى ﴾

(عن احوال العالم الاسلامي)

أخبار بخارى

يستعدون لاصلاح الطرق ورصف شوارع بخارى ، وعدد الشوارع التي يراد رصفها بالحجارة ثلاثة وستون شارعا على ما يسمع . ولكنه بناء على احتمال أن بعض العلماء يوهمون الاهالي عدم جواز ذلك في الشريعة استنسبوا الآن اصلاح بضعة شوارع فقط . وكذلك يتقلون كراهة بعض العلماء ومعارضتهم لمشروع

تدابير وتنوير البلد بالكهربائية . ومن العجب ان أرمنيا استأجر قصرا كبيرا لمدة عشرسنين يريد فتح سينما وغراف فيه ولم يسمع من أحد كلمة في جواز ذلك أو عدمه

بخارى

ستة من ضباط أركان الحرب يتنقلون في بلاد بخارى حيث يفتشون الاحوال ويأخذون الحساب . كثير من هؤلاء المأمورين اشتهروا بموالاتهم وتحقيقاتهم في بخارى ومعهم كثير من الفرسان اه عن وقت نمرة ٨٣٦ أغسطس سنة ٩١٢

السكك الحديدية الجديدة في بخارى (*

فرقة من أغنياء تركستان رئيسهم اسكوتسكي « روسي » أخذوا الرخصة من حكومة بخارى لوصل كثير من بلاد بخارى بالسكك الحديدية القصيرة الى محطات السكك الحديدية في آسيا الوسطى . وكذلك صدق السفير الروسي هذه الرخصة

ايركوتسكي

قرر أي مجلس بلدية ايركوتسكي على اعطاء ١٦٨٠ روبل لمدرسة المسلمين هناك كل سنة . وصدق الوالي ذلك القرار بشرط افتتاح قسم اللغة الروسية للبنين والبنات في المدرسة . والمسلمون الآن هناك يطلبون أن يكون المعلم والمعلمة من المسلمين لتعليم اللغة الروسية في تلك المدرسة

حول دار المعلمين

هي مدرسة روسية خاصة بالتتر تهيء منهم المعلمين لتعليم اللغة الروسية . كان في بلدة قزان في يومي الثاني والثالث من شهر أغسطس امتحان الدخول في دار المعلمين والذين يريدون الدخول فيها في هذه السنة يزيدون على سبعين . ولا يقبل منهم الا خمسة وعشرون تلميذا . وبينهم كثير من طلبة المدارس الاسلامية حتى من الذين أتموا الصفوف العالية فيها واستلموا شهادة التدريس من المشيخة الاسلامية في بلدة أوفا . وكانت تلك المدرسة تحار في أول افتتاحها من جهة عدم وجود الطلبة الراغبين بالانتساب اليها

*) عن وقت أيضاً

مسلمو الصين في منشورية

بناء على دعوة اسماعيل افندي امام بلدة خار بين في منشوريا ذهبنا الى بلدة « فوذزه دن » وتفرجنا على مساجد مسلمي الصين ومكاتبهم . الفرق قليل بين مساجدهم ومساجدنا . وهذا الفرق هو مثل عدم وجود المنارة وصورة الهلال في مساجدهم ووجودها في مساجدنا، ومزين داخل مساجدهم بأنواع البسط وخصوصا بمصابيح الكهرباء (كذا)

يرى الداخل قرب الباب من الطرف الايمن صورة ثعبان كبير من الحجر مصبوغ بعدة ألوان وهو شعار دولة الصين وقد بلغنا انهم مجبرون على وضعه في كل مسجد من مساجدهم . وهم لا يصلون في مساجدهم غير الجمع والاعياد . ولا يوجد في الجمع أكثر من ثمانين شخصا

ورأينا في فناء المسجد بيتا للمسافرين يوجد فيه في كل وقت مقدار عشرة من الغرباء والمسافرين . ويبلغ عددهم في أيام الجمع والاعياد أربعين أو أكثر والخدمة في هذا البيت واطعام الضيوف (المسافرين) فيه مجانا في يد واحد من أغنيائهم، وسائر الحاجات منوطة بأهالي المحلة . ويوجد بقرب دار المسافرين حمام ذو ثمان حجرات لاغتسال من يريد . وفيه الماء الفاتر والمناشف والخدمة وهو مفتوح في كل وقت، ودخلنا مكتبهم فاذا هو أحط وأدنى من حمامهم . ولكن بنوا في هذه السنة مكتبا بهمة واحد من أغنيائهم ولا بأس به . وعمروا القديم وجعلوه لسكنى الامام . والطلبة في مكتبهم قليلون جدا وكان عددهم في الشتاء عشرة فقط وهم أولاد أئمة القرى . أما التجار والزراع فهم لا يفكرون في تعليم أولادهم ولا يشعرون بالحاجة اليه فلا يوجد في المكتب تلميذ واحد من هذه البلدة وفيها ٣٠٠ بيت فقياس على حال تلك البلدة أحوال مسلمي بلاد الصين الأخرى

مسلمو هذه البلاد لا يطلبون العلم إلا بقدر ما يوجد امام بعد موت كل امام وهم مع جهالتهم هذه متعصبون لدينهم غاية التعصب فهم لا يختلطون بالتتر قط

لانهم أي « التتر » يأكلون لحم الفرس و يشربون الدخان ومنهم من لا يقصون الشارب حتى انهم يعدونهم من الكافرين . يوجد في محلة التتر عشرة من بيوت مسلمي الصين رجال بيتين منهم قد يصلون الجمع والاعياد في مسجد التتر أما الباقون فهم يذهبون الى مساجدهم في (فودزه دن) وان بعدت عليهم الشقة

تفتيش كتبخانه شيلابي

في ١٩ يوليو وقت الظهر تماما أجرت شرطة شيلابي تفتيشا في دار كتب (كتبخانة) المسلمين ودام التفتيش ساعة ونصف ساعة وأخذوا الكتب التي تذكر أسماؤها بعد للنظر والمطالعة وهي: تفسير الفاتحة، الاسلام والنصرانية، ترجمة تاريخ أفغان، فرياد ، سياحت الكبرى، وجدان محاكمه سي خيوه ، صلاح الدين أيوبي، دور عالم ، أوكى بالار (يعني الايتام) ، بابون محاربه سى ، روسيه مسلمانلرينك احتياجلرى، روسيه ايله تركيه محاربه سى ، زندان ، ملت قايغوسى ، مرآت مجله سى ، دارونكيكه ردیه يعني (الرد على دارونكين) ، حقيقت يازغى توياش، الشمس الربيعية، اشعار مير عزيز الاوقامى، صبح صادق ، مجلات المنار، العصر الجديد ٥٧ كتابا أيضا جادت بتلك الكتبخانة المار ذكرها . وكان التفتيش بسعاية واحد من شبان التتر المستفيد باستعارة بعض الكتب من هذه الكتبخانة

الاعانات الطبية

خصصت الحكومة لصحة المهاجرين في ولايتي أورغال وتورغاي ١٨١٠٠٠ روبل وقد لا يصيب جميع مسلمي الولايات الشرقية هذا المقدار من الاعانات الطبية

استفادة الناس من الكتبخانة

استفاد بمطالعة الكتب في الكتبخانة الاسلامية « نجات » ببلدة طرويسكي من أول السنة الى شهر يوليو (أو أغسطس) أحد عشر ألف شخص وأكثر الاستفادة كان في شهري فبراير ومارس ثم يناير وفي يونيو كان ٧٣٤ شخصا فقط

وفاة عالم مأسوف عليه

توفي في أول أغسطس امام قرية بيوك قاراماني في لواء نتوش التابع لولاية « قزان » محمد عالم بن خالد وكان عمره خمسا وثمانين سنة رحمه الله . ومدة امامته في تلك القرية ٥٥ سنة . كان رحمه الله على ما يروون يشتغل زمن شبابه في الصيف على شاطئ نهر فولغا بسبب فقر أبيه أو يعلّم أولاد القوزاق ويكسب من ذلك شيئا من النقود ثم يدخل المدرسة ويجتهد في تحصيل العلم . وبعد امامته كان مثالا حسنا لقومه باجتهاده وجوده وأعماله المفيدة الاخرى . بنى باجتهاده مدرسة لتعليم أولاد المسلمين وعلم كبار القرية علم تربية النحل وتربية الحدائق والاشجار المثمرة مثل التفاح حتى صارت القرية مثل مصيف محاطة بالحدائق والاشجار المثمرة . وكان لا يطمع بشيء من الناس وفضلا عن ذلك كان ينفق كثيرا من أمواله في الخيرات مثل تعمير المسجد والمدرسة ومجاري المياه

منذ زمان غير بعيد بنى أهالي هذه القرية التي كانت أولا مشهورة بالفقر المدقع مسجدا كبيرا ومدرسة جيدة من غير طلب اعانة من الخارج . ويعلمون أولادهم فيها على الاصول الجديدة . وكذلك فتحت فيها مدرسة ابتدائية لتعليم اللغة الروسية ويوجد الآن فيها كثير من متخرجي المدارس الثانوية الروسية ، كل ذلك باجتهاد وارشاد ذلك العالم الفاضل الذي توفي يوم الاثنين أول هذا الشهر

وخلف أربع بنات وستة بنين ، واحد منهم الآن في مدرسة الصنائع في بلدة قزان والثاني في مكتب التجارة والآخرون أئمة مثل أبيهم ، وكان رحمه الله حليما سخيا ولم يدع مدة عمره احدا جاء بيته من طالبي المعروف من غير أن يسعفه حتى انهم ينقلون عنه انه دفع عدة مرات ثوبه الاخير للمحتاجين ، وكان يشتغل الى حد مرض موته في حديقته وهو محتذ حذاء الفلاحين وكان جيد السمع ويطالع الكتب والجرائد من غير عوينات (نظارات) ولم يترك صلاة ولا صياما منذ بلوغه جعله الله في رحمته الواسعة وألهم أهل بيته الصبر الجميل

واحد من الحاضرين لجنازته

السيد حسين وصفي رضا

﴿ أقوال أهل الفضل فيه ﴾

وعدنا في الجزء الماضي بكتابة نموذج من تعازي سائر البلاد والاقطار وانجازا للوعد ننشر ما يلي

(١٢)

وكتب الينا علم العلم والفضل في العراق العربي العلامة السيد محمود شكري افندي الآلوسي الحسني

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى حضرة الامام الهمام ، وقدوة العلماء الاعلام ، سيدي السيد محمد رشيد رضا ، الهمه الله الصبر والرضا على ماقدر وقضى ، أما بعد فقد طرق سمعي ، ماأجرى دمعي ، من الخبر الذي نشرته صحف بلاد الشام ، وكدرت به قلوب الاسلام ، من نعي الصنو الكريم ، والاخ البر الرحيم ، سمي جده الامام الحسين ، ووارثه في الفوز بالشهادتين ، ووالله لقد تجددت عليّ مصيبة ابن العم فابتليت بمصيبتين

وفي كل يوم للمنايا وزية ... تكاد لها الاكباد ان تتفطرا
تهيج احزانا وتبعث زفرة ... وترسل في فقد الاحبة منذرا
تكدر اخوان الصفا في انبعاثها ... وأي صفاء لامرئ ماتكدرا

فأسفا على شبابه ، ولهفا على فضائله وآدابه ، ولعن الله قاتله وضاعف عليه مزيد عذابه ، ولعمري انها لمصيبة تفتت لها القلوب ، وتتصدع منها الصخور وتذوب ، الهمك الله الصبر الجميل ، وضاعف لك الاجر الجزيل ، وصرف عنك فوادح

الضراء ، ووقاك محذور الارزاء ، ووفقك فيما أصابك لعزائم العزاء ، واحق كلمة يقولها المحزون ، انا لله وانا اليه راجعون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

بغداد في ٢٠ صفر سنة ١٣٣٠ العبد

السيد محمود شكري

(١٣)

وكتب الفاضل المخلص والعامل في سبيل الاصلاح السيد عوض سعيدان

الحمد لله

مولاي الاستاذ الرشيد أدام الله وجوده

سلام الله عليكم أهل البيت

قرأت بالجرائد نعي اخينا السيد حسين وصفي شقيقكم الفاضل فأظلمت الدنيا في عين محبكم هذا . وقد حصل لنعيه رنة أسف بين أدباء هذه البلاد وستقام صلاة الغائب عليه بكما (يوم الجمعة) بالجامع الكبير وقد عرف السيد هذا بعلو الهمة والغيرة الوطنية التي تجلت فيه عند بزوغ شمس الدستور بالبلاد العثمانية وان مثل الفقيد اذا ظهر بذاك المظهر فهو اليق الناس به اذ هو من صميم السادات الاشراف ، الذين لهم على الناس الاشراف ، فهم صنائع ربهم ، والناس بعد صنائع لهم . فأحسن الله عزاكم وعظم أجركم واخلفه علينا وعليكم بخلف صالح . وقد وصلني كتب أعظم تعزية من بعض الاخوان وأحدهم يقول : ان المسلمين بهذه الاطراف يكابدون من أنواع الهموم ما الله عالم به وزادهم نعي ثقة الاسلام بفاس وذبول غصن الادب بالشام . (يعني الفقيد) فانا لله وانا اليه راجعون . رحمه الله وغفر له آمين

سنغافوره ١٩ صفر سنة ١٣٣٠ محب الفقيد

عوض سعيدان

(١٤)

وكتب العالم العامل السيد عبد الله بن محمد بن صالح الزواوي مدرس التفسير في الحرم المكي الشريف

الحمد لله وحده

حضرة محترم المقام الفاضل الأمجد الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا افندي حفظه الله

بعد اهداء جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته. موجبه

بعد السؤال عن عزيز الخاطر العاطر اعلامكم بتكدر خاطرنا مما رأيناه في جريدة المضارة بوفاة من قدس الله روحه الى الجنة اخيكم المرحوم المغفور له السيد حسين وصفي رحمه الله رحمة الابرار، واسكنه جنات تجري من تحتها الانهار، ولقد ساءني جدا هذا النبأ الفاجع عظم الله اجركم واحسن عزاكم وطرح البركة في عمركم وعملكم وفي عمر اخوانكم وتكونون خير خلف لخير سلف

ثم اني واجهت محب الطرفين الشيخ محمد حسين افندي نصيف وزاد كدري ما اخبرني به من انه رأى في جريدة طرابلس انه كان وفاة الفقيد المرحوم العزيز بيد اثيمة كافأها الله سبحانه بعدله بما تستحقه، وأنال الفقيد المرحوم بها السعادة وفاز بها، فلقد كان في حياته مجاهدا اعز جهاد وعضدا لفضيلتكم في جهادكم الذي ارجو من الله سبحانه وتعالى لكم به زيادة الاجر وحصول النتاج الظاهر الذي ترونه وتقر به عينكم مع طول عمركم وحصول البركة في اعمالكم وتنالوا بذلك سعادة الدارين ويحصل لكل محبيكم كل ما املوه من النتايج الحسنة ثم اني ارجو ابلاغ جزيل سلامي مع سنة العزاء اخوانكم الكرام وكل من يحبون وان لا تروا علي في عدم المكاتبة فانكم لا تزالون في خاطري على الدوام وقائم بوظيفة الدعاء لكم بمجاورة بيت الله الحرام ولما ذكر هو والسلام عبدالله محمد صالح الزواوي

من مكة المشرفة ١٥ ص سنة ١٣٣٠

(١٥)

وكتب العالم المحقق والدراكة المدقق السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني صاحب مجلة « العلم » بالنجف . ننشر من كتابه ما يأتي قال :

بتاريخ ٢٤ شهر صفر ١٣٣٠ ه

(الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الخ قرآن عظيم

حضرة العلامة الكامل استاذ الافاضل دام ظله وكثر مثله

بعد اهداء اسنى سلام وازكى تحية ، الى تلك الحضرة القدسية ، ادامها رب البرية ، وبث الاشواق الخالصة القلبية ، ولا يذهب عن فطنتكم ما اصابنا لما اصابكم فاحزن القلب وأجرى الدمع ومن مصيبة ما اعظمها ورزية ما اكبرها وامضها وقد اثارت في صدورنا الاحزان بها الشرار ، وأسدلت الهموم على قلوبنا منها الاستار ، منذ أبلغنا الصحف نعي سعادة الاخ الفاضل قطب رحى الفضايل وانه مضى شهيدا بعد ما عاش سعيدا ولا غرو فانه من اهل بيت اصبح القتل لهم عادة ، وكرامتهم من الله الفوز بالشهادة ، وقد اخذ الحزن منا مأخذه ، واسفنا عليه اسفا فايق الوصف لولا سلوتنا بمثل سيادتك ، ملاذاً للامة ، ومعاذا من كل غمة ، ومقدا آمال الباقين ، وجمالا للاسلام وثمالا للمسلمين ، وقد بلغني هذا النبأ الموحش ، وانا اذ ذاك في كاظمية بغداد مهاجرا اليها مع علماء النجف فذكرت لهم ذلك النبأ المفجع ليشتركوا معي في الحزن فعمنا الاسف جميعا والتفجع على فقيد العلم والدين والادب الخ

(٢٦)

وكتب العالم المستشرق الفرنسي موسيو لويز ماسنيون وهو من اصدقاء الفقيد المخلص ننشر كتابه كما ورد وهو

الى حضرة الشيخ الافضل ، شقيق صديقنا المرحوم وصاحب القلم الصدوق السيد رشيد رضا الافخم سلمه الله تعالى

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فقد وجمنا كثيرا خبر وفاة

شقيقكم المرحوم السيد حسين وصفي رضا لان له في قلوب اصحابه مقاما خاصا من الخواص وكان في رجائي ان ألتقي معه لو شاء الله عن قريب لتجدد بالمخاطبات صداقتنا ، كان فتى كامل الفتوة من اشرف الناس همة ومنصبا ، ولما كنا بلطف الرب عز وجل نجتمع معه في مصر كنا نفهم انه فوقنا رتبة عند الله تعالى لشجاعته واجتهاده وصفاء نيته رحمه الله تعالى رحمة واسعة

زكي النفس ازكى الحياة مثله مثل الذين « كانت مطاياهم من مكمد الكفلم » مضوا ولا عين ولا اثر وراءهم الا الألم يبقى في قلوبنا تحت توكل عقولنا للخالق مثل خمود نار الغبوق تحت الرماد في الليلة بين الاثافي. مثل الموت مثل الغروب وما انسى ما قال ابو بكر الشبلي البغدادي في المعنى

« انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان المقام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه فانه يخاف المقام ، واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة كذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضيء »

هذا ولكم منا السلام وكل احترام لكم ولآلكم ولمن يعز عليكم ودمتم سالمين مجتهدين مع « منارکم » المنير

الفقير اليه سبحانه

عبده

لويز ماسنيون

في باريز يوم السبت ١٠ شباط سنة ١٩١٢ ٢١ صفر سنة ١٣٣٠

(للتعازي بقية)

(تنبيه) وقع غلط في ترتيب سطور صفحة (٩٢) من الجزء الثاني فان حق السطر الاول فيها وأوله (ولا يحسبوا) ان يكون في آخرها وقد رجحنا السطر المذكور وطبعنا مثله وألصقناه في آخر الصفحة المذكورة في بعض الاجزاء فليتنبه له في البعض الآخر

المنار

١٣١٥

تقتدي الكنيسة بفقهاء وعبّاد ملكة سبأ
فجاءوا كما جاء سليمان الأحبار والرهبان

تقتدي بمبادي القرن بنتصور القول بتصور أمر
الله الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ ربيع الآخر ١٣٣٠ هـ ق ـ ٢٧ الربيع الاول ١٣٩١ ه ش ١٧ ابريل ١٩١٢ م

اخبار العالم الاسلامي

﴿ المقالة الثانية من المقالات الروسية عن تركستان ﴾

تلك ترجمة المقالة الاولى من مقالات سياسة عدم الالتفات التي تنشر في جريدة نوفي فريمية تحث الحكومة الروسية على مقاومة تعليم مسلمي تركستان ، وأما المقالة الثانية فملخصها ان مدارس التتر لم يقبل عليها مسلموا تركستان في أول الامر وبعد بنائها عشر سنين نالت حجة قسم كبير منهم ، وتألفت في مدينة طاشقند لجنة غير رسمية من المسلمين لادارة تلك المدارس ، وأخذت تبث سلطتها ، وعمال الحكومة الروسية لم يلتفتوا الى ذلك وهو بمثابة نظارة معارف غير رسمية تمهد طرق التعليم وتستحضر له الكتب والمعلمين وقصدها نشر مذاهب (الجامعة الاسلامية) في تركستان فهي لذلك توجه نظر الشبان الى العالم الاسلامي ولاسيما تركية ، وكتب الدراسة تعين على ذلك ، ففي كتب المطالعة مسائل في المملكة التركية وبلادها المشهورة ، ومثلها في دروس التاريخ والجغرافية . والمعلمون على هذا الرأي وهم من تتر قزان وأورنبوغ ينفخون روح الاسلام الذي أخذ ينهض من جديد ، ويلبسون الطرابيش التركية الحمراء ليكونوا ذوي مهابة في أعين تلاميذهم ، وهم من أصحاب المدنية ، وقد باتت هذه المدارس بجدهم في طاشقند وحدها عشرين مدرسة قبل انتباه الحكومة ، وكذلك كان في خوقند زهاء هذا القدر من المدارس قبل تنبه الحكومة

بعد تنبه عمال الحكومة تحيروا ولم يقوموا بالواجب وهو منع معلمي التتر من تعليم مسلمي تركستان ، وبغضهم تمكنت تلك اللجنة غير الرسمية للمعارف أن ترسل بعض تلاميذها النجباء الى الآستانة ليستعدوا لخدمة بلادهم اذا رجعوا اليها ، فيوجد مدارس في تركستان للترك فوق مدارس التتر قبل أن يستقر رأي عمال الحكومة هناك على أمر ويخرجوا من مضيق حيرتهم

أنهم مترددون فيما يعاملون به تلك المدارس يقولون : أنعدها دينية كأنها ذات رخصة ؟ أم خصوصية فتنفذ فيها نظام المكاتب الخصوصية ؟ أم نقفلها البتة ؟ أم الاسهل

أن نستمر على التغافل عنها ؟ . ومن العجائب ان (غيور غيفسكي) معاون نظارة المعارف لم يدخل تلك المدارس عند مجواله في تركستان لئلا يكون دخوله اعترافا بها واقرارا لها فاذا كان رجال الحكومة متحيرين لا يدرون أي التربية يختارون لنابتة تركستان وهي مسألة من أهم المسائل فلا عجب اذا انتشرت فكرة الجامعة الاسلامية في هذه النابتة . نحن متحيرون حقيقة وأما غيرنا الذين لا يحبون أن يندغموا في الشعب الروسي اندغاماً يفنى فيه الضعيف في القوي فتضيع قوميتهم فهم يعرفون ماذا يعملون

المستنيرون من التتر قد أظهروا في الميدان برنامجا للتعليم يدافع عنه حزب المسلمين في الدوما (مجلس النواب الروسي) وقد أخذوا يحتجون بمسلمي تركستان . فيظهر أنهم يريدون جذب مسلمي روسية كافة اليهم ثم ينشرون فكرة الجامعة الاسلامية والجامعة التركية بينهم ، لذلك يريدون توحيد المسلمين كافة باللغة التركية العامة ، ويعرف مقدار اهتمامهم بما ذكر من عناية جناب مقصودف رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) (١) بالسفر الى تركستان والطواف في بلادها لرؤية فرقه الذين تتألف منهم قوته الحربية في المستقبل ، نعم ان مقصودف لم يرجع منها بفوائد كثيرة وربما قل طمعه في الرياسة السياسية القريبة على مسلمي تركستان ولكن لا شك في نيله بعض مطالبه من ذلك السفر ، مثال ذلك أنه لم يمض زمن طويل على سياحة رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) حتى جاء من أهالي طاشقند كتاب احتجاج على نظام نظارة المعارف الحديث لمدارس المسلمين وأمثاله ليقدمه الى الدوما ، وهو كتاب بيان حقوق مسلمي تركستان ، ولا شك في أن ذلك من تأثير سياحته ، ومقتبس مما قاله حزب المسلمين في الدوما ولم يسبق لمسلمي تركستان مثل هذه الحركة

سياحة مقصودف هذه ليست في نفسها أمرا مهما ولكن اطلاق حرية السياحة للذين يلقون فكرة الجامعة الاسلامية ويغرون المسلمين بها لا يمكن أن يكون مما يرغب فيه رجال الحكومة ومع هذا نقول آسفين أنه قد كثر الجوالون في تركستان أخيرا لاجل بث الافكار السياسية في المسلمين . والسائحون في آسية الوسطى ليسوا من التتر فقط بل يجول فيها كثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومراقبة هؤلاء لا ترجى من عمال الحكومة ، المشغولين بوظائفهم ، فالترك يتعرفون أولا الى سراة القوم ثم يمشون الهوينا الى مقصدهم على خط مستقيم . برونهم ان تركية مملكة عظيمة

(١) لعل صاحب الجريدة يشير بعلامة الاستفهام الى أن مقصودف ليس رئيس حزب المسلمين

قوية ويخبرونهم بأنها ستستولي على البلاد الاسلامية من البحر الاسود الى بلاد الصين وتأخذها من الروس فتصير تركستان تحت حكم تركية وكلهم اخوان في الدين وبهذه الوسيلة يجمعون الاعانات للاسطول . ولا ريب في أن فكرة الجامعة الاسلامية قد انتشرت بين كثير من المستنيرين في تركستان

العلوم والمعارف في تركستان ضئيلة جداً ومع ذلك ترى القراء يشتركون في الجرائد التركية وخصوصاً التي تتكلم في الاتحاد الاسلامي مثل « صراط مستقيم » و « تعاون مسلمين »

أهالي تركستان مولعون جداً بنشر الاخبار بينهم ولو كانت تافهة لا يؤبه لها كحركة عسكر الترك في حدود ايران أو تقوية الاسطول العثماني بعدة مدرعات من طراز دير دنوط ، وان هذه الاخبار التي تنتشر بسرعة زائدة لتؤثر في نظرهم السياسي

فما هي الوسائل التي يتخذها عمال الحكومة لتلافي تلك التحريضات السياسية ؟ لاشك عندنا انه لا يمكن لاولئك العمال الجاهلين غير الأغبياء عن حياة مسلمي تركستان المعنوية لانهم لا يعرفون شيئاً منها الآن كما كانوا لا يعرفون شيئاً عنها من قبل ، وهذه سياسة مؤسفة ظهر عدم نفعها من تطبيقها على مسلمي (القرم) وأطراف (فولغا) — فالواجب اذاً الاسراع بتبديل الادارة هنالك وتفويضها الى الادارة الملكية وجعلها بحيث توافق منافع الحكومة واقتضاء الزمان . وقد كان صدر بذلك فرمان نال منذ عشر سنين اه

(المنار) هذا بعض ما كتب في هذه الجريدة الروسية النبيهة بالرسمية في عاصمة هذه الدولة ، فليعتبر بها المسلمون كافة والعثمانيون عامة والمعنيون منهم خاصة ، فروسية التي سكتت لها الامم كلها عن معاملتها للمسلمين لا تريد أن يجتمع تجارهم بتركيهم ولا أن يتعلموا كما يريدون ولا أن يمر بلادهم سائح مسلم ، وأما الدولة العثمانية فهي على حرية الشعوب والملل فيها ووصولها الى درجة الفوضى وعلى السماح لكل ملة بأن تعلم كما تريد من غير أن تعرف الحكومة لها طريقة تعليمها وتقرها عليها — هي على هذا كله تهم بهضم حقوق النصارى وتطالب بأن تجعل مدارس جميع الطوائف المسيحية الدينية وغير الدينية في حكم المدارس الرسمية تعتمد شهاداتها ويقبل المتخرجون فيها في وظائف الحكومة وأعمالها

هذا وانا نرجو أن تنبه هذه الوساوس التي يصرح بها القوم أفكار المسلمين الى ما يتهمون به وهو لم يخطر لهم على بال ، وقد ذكرت جريدة (وقت) التركية بعد نشر هذه المقالة مثلا فيه موعظة وعبرة للمستبصرين وهذه ترجمته

﴿ عرّاف ﴾

صادف عرّاف تاجرا في السفينة ذاهباً الى سوق كذا في بلد كذا فقال له : ألا أنبئك بما تفكر فيه الآن ؟ قال التاجر كم تأخذ على ذلك ؟ قال ما تسمح به حالك قال التاجر لك ذلك . فأخذ العراف يده وهجهج وقال : انك تقول في نفسك اذا أعلمت افلاسي بعد الوصول الى السوق وصالحت الغرماء أصحاب الديون على عشرين في المئة فانني أربح ربحا كثيرا . فلما سمع التاجر هذا الكلام ظهر على وجهه أمارات التغير والاهتمام . فقال العرّاف : أما أصبت المرمى ؟ قال التاجر لا ولكنك نبهتني الى فكرة حسنة ما كانت في بالي اه

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

(١)

(ارساليات التبشير البروتستانية)

مقدمة المسيو شاتليه (١)

قلنا في سنة ١٩١٠ عند ما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة في موضوع السياسة الاسلامية :

(*) عربها جريدة المؤيد عن مجلة العالم الاسلامي التي تصدرها في فرنسة (الارسالية العلمية المراكشية) ونحن ننقلها عنها مع شيء من التصحيح والتصرف . وقد أنشئت هذه المجلة منذ خمس سنين وكانت مباحثها علمية ولم تكن تتعرض للمسائل السياسية الا قليلا وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية

(١) المسيو شاتليه رئيس تحرير هذه المجلة هو أستاذ المسائل الاجتماعية الاسلامية ، ومن يكتبون فيها المسيو لويز ماسنيون المستشرق الذي أقام في بغداد سنين عديدة وقد كان في مصر منذ سنتين وهو من أصدقاء فقيدنا الشقيق السيد حسين وصفي وقد رثاه بتعزية أرسلها الينا ونشرت في الجزء السابق . ويكتب فيها كثير من العلماء الذين لهم اطلاع على اللغة العربية والعلوم والآداب الاسلامية واللغات الاخرى التي يتكلم بها المسلمون صالح مخلص رضا

« ينبغي لفرنسة أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتحقق من فائدته . ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الرهبان المبشرون وغيرهم لان لهذه المشروعات أغراضاً خصوصية وليس للقائمين بها حول ولا قوة في هيأتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التي يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة الى الغرض العام الذي نحن نتوخاه . وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذي يكون تحت إشراف الجامعات الفرنسية نظراً لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الارادة

« وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام الاوضاع المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية »

هذا ما ارتأيناه يومئذ وسيظهر ما يؤيده في الفصول التالية المتعلقة بارساليات التبشير البروتستاني الانجلو سكسونية والجرمانية الدائبة على العمل في العالم الاسلامي حتى أصبحت أهميتها تفوق بكثير ما اعتاد الفرنسيون أن يتصوروه لان النشاط وقوة الجأش التي يظهرها القائمون بأعمال هذه الارساليات تختلف عما تمتاز به أمتنا

وكنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفاصيل أعمال هذه الارساليات التي اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الاسلام

وحسبنا أن نستشهد بارسالية التبشير الكاثوليكية في بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل في فرنسة . إن (كلية القديس يوسف) اليسوعية التي تدير أعمالها هذه الارسالية لا تأثيرها على النشوء الفكري في المحيط الاسلامي ولكن التعليم الذي تنشره وتبثه كان له الحظ الاوفر من نشر الافكار الفرنسية في سورية والقطر المصري

نعم أن غاية المدرسة اليسوعية وطريقة التعليم فيها تختلفان عن غاية وطريقة المدرسة الكلية الفرنسية في غلطة (الاستانة) الا أن النتائج كانت متقاربة من حيث تعميم المبادئ والافكار التي تنشرها اللغة الفرنسية . ومن هذا يتبين لنا أن ارساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الاسلامية من حيث انها تبث فيها الافكار الاوربية

الا أن لارساليات التبشير مطامع أخرى كما يتبين من الجملة الآتية التي أستخرجها من رسالة أرسلها الى من جزيرة البحرين (قرب عمان) في ٢ أغسطس سنة ١٩١١

حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر منشئ مجلة العالم الاسلامي الانجليزية ، وهو يبني فيها صروح آمال شاخة على أعمال المبشرين البروتستانيين قال :

« ان لنتيجة ارساليات التبشير في البلاد الاسلامية مزيتين ـ مزية تشييد ومزية هدم ، وبعبارة أخرى مزيتي تحليل وتركيب . والامر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الاخلاقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وبلاد أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه. ولا ينبغي لنا أن نعتمد على احصائيات (التعميد) في معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين لاننا هنا واقفون على مجرى الامور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي » اه

ولا شك في أن ارساليات التبشير من بروتستانية وكاثوليكية تعجز عن أن تقتلع العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها أو تزحزحها ، ولا يتم لها ذلك الا بث الافكار التي تتسرب من اللغات الاوربية ، فينشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية بحكاك الاسلام بصحف أوربة وتمهد السبيل لتقدم اسلامي مادي وتقضي ارساليات التبشير لباناتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلتها وانفرادها ؟ !

أما مايقوله حضرة مكاتبنا من وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سرا وهم ينتظرون فرصة للجهر بها فذلك أمر لا يمكننا البت فيه مع حضرة المكاتب . على انه ليس من الحوادث الغريبة أن يتنصر بعض أفراد ينتمون الى أصل فارسي أو هندي لان اختلاف النحل والاعتقادات في هذه العناصر هو من مزاياها الاجتماعية وكذلك الحال في الوسط السامي المتصل بالاصل العبري ولكن من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصر في بيوت السادات العلوية وبين الباثان (الافغانيون الخاص الموجودون في بلاد الهند) ومشائخ الهند وجيرانهم الافغانيين والاتراك والتركمان والعرب الحقيقيين والبربر .

ولا ينبغي لنا أن نتوقع من أكثرية العالم الاسلامي بأن تتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى اذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية اذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الاسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاض والاضمحلال اللازم له سوف يفضي ـ بعد انتشاره في كل الجهات ـ الى أخلال الروح الدينية من أساسها لا الى نسفها بشكل آخر

على أن المناقشة في هذه المسألة لا طائل تحتها لان الآراء تنبعث عن وجهة التفكير فلنقتصر اذن على القول بأن سير العالم الاسلامي يتدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها وذلك أمر طبيعي ممكن التحقق ، أما فرض تدرج المسلمين في اعتناق المسيحية فخارج عن حد الامكان لان المسلم كالمسيحي واليهودي لا يجذبه التعليم العصري الى الاعتقادات الدينية

ولكننا نعود فنقول انه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم (الهدم) فان نزع الاعتقادات الاسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسي الذي طرأ على الاسلام سيمهد السبيل لاعمال المدنية الاوربية ، اذ من المحقق أن الاسلام يتحول من الوجهة السياسية وسيكون بعد زمن في حكم مدنية محاطة بالاملاك الاوربية .

قد يظهر لاخواننا المسلمين أننا نتصرف في مستقبلهم بحرية وعدم تكلف ، ولكن من منهم ينكر أن العالم الاسلامي أصبح هدفا لغلطات فتيان جمعية الاتحاد والترقي الذين ورثوا عبد الحميد واستعاروا وسائله السياسية بعد أن خلعوه ، ولم تكن أمامهم وسيلة لانفاذ السلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية غير تنظيم حكومة مؤلفة من ولايات اسلامية متحدة ، وكل وسيلة غير هذه كانت لنتيجة لا بد منها وهي تقسيم المملكة؟

اننا لم نكن نرمي الكلام على عواهنه وما كنا نقصد غير تقرير حقيقة راهنة ، عندما نبهنا المسلمين من قراء مجلتنا — قبل احتلال طرابلس الغرب بستة أشهر — الى ما تخبئه الايام للاستانة التي ستقع بين مخالب ألمانية وروسية

ان ارساليات التبشير البروتستانية الانجلوسكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التي ظهر بها العالم الاسلامي وقد رأينا أن نذكر منها ارساليات التبشير الالمانية لما عقد بينها من الاواصر والروابط في مؤتمري سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ولم يبق ارتباطهما مقتصرا كسابق عهده على تناوب كرسي الاسقفية البروتستانية في بيت المقدس

وليس من المستغرب ونحن نبدي اعجابنا بأعمالها أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها ، خصوصاً وان السيطرة على أهم الاسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة ، وكنا نود لو كان في الوقت متسع لبسط القول وايضاح مجرى الامور في هذه المسألة بجذافيرها لانها جديرة باهتمام رجال فرنسة بلا اضاعة وقت ، الا أننا اضطررنا الى الاقتصار على جمع بعض أمور وقفنا عليها وسنبينها هنا بقدر الامكان

ونحن نكتفي بعرض هذه الامور من غير تعليق عليها لاننا اقتطفناها من مؤلفات وفصول شتى ونظمناها على الترتيب المتبع في مثل هذه الظروف ، وان المسألة التي تهمنا سوف تتبدد شكوك ذوي البصيرة والروية لدى اطلاعهم على ما نعرضه أمام أنظار قراء مجلة العالم الاسلامي

ونؤمل من ذوي الشأن في ارساليات التبشير البروتستانية أن لا ينكروا علينا انتهاج هذه الخطة التي هي خطة محدثنا ، وهم أعلم الناس بمواطفنا وشعورنا نحو عملهم الذي لا يمكننا أن نذكر أهميته الا مقرونة بالحاحنا في ذكر الضرورات التي تقتضيها السياسة الفرنسية الوطنية لاجل تحول مجهوداتنا الى التعليم التابع لطريقة المدارس الجامعة الفرنسية وذلك أشد العوامل تأثيرا على بلادنا للدخول في حلبة المسابقة لنشر التعليم العقلي

(٢)

﴿ تاريخ التبشير ﴾

اقتصرت مجلة العالم الاسلامي في هذا الفصل على تلخيص كتاب (مشروع التبشير) الذي ألفه المستر (ادوين بلس) البروتستاني ثم أعاد طبعه قبل عشر سنوات فزاد عليه زيادات أخرى وسماه (ملخص تاريخ التبشير) ذكر فيه تاريخ ارساليات التبشير البروتستانية على اختلاف نزعاتها منذ نشأتها في القرون الغابرة الى تاريخ الطبعة الثانية لكتابه ، مع بيان ما بين هذه الارساليات من ارتباط وتضامن

ثم قالت : « ان هذا السفر نفيس في بابه يتمنى لقارئه أن يقف على حقيقة أعمال الارساليات البروتستانية في بلاد الاسلام حتى أواخر القرن التاسع عشر ، الا أننا نأخذ على مؤلفه عدم اشارته الى الارساليات الكاثوليكية وهذا موضع الضعف في كتابه بل في أعمال ارساليات التبشير جميعاً على اختلافها ، ولو كان المبشرون الكاثوليك والبروتستان الذين يجتمعون في بلاد اسلامية ينتهون الى أن انقسامهم يحط من قدرهم ويقلل هيبتهم ، يوطد أركان الاسلام لكانوا على الاقل يوهمون الناس بأنهم متفقون ظاهرا ، خصوصا وان انقسامهم هذا يمهد للاسلام السبيل لاستمداد مبادئ الحضارة من ارساليات المبشرين من غير أن يقتبس أفكارها الدينية ، ولا ريب ان نخبة الاذكياء المسلمين في مصر وسورية — عند ما يقفون على هذه التفرقة الموجودة بين الارساليات الكاثوليكية والبروتستانية والعلمانية التي تجاهل كل منهن الاخرى —

لا يترددون في الحكم على مذاهب النصرانية بأنها قد فقدت التوازن بالرغم من الخدم التي تأتي بها الحضارة الاوربية

واستأنفت المجلة بعد هذا الاستطراد كلامها على كتاب المستر بلس فقالت : انه ينقسم الى قسمين الاول في تاريخ التبشير العام وطرائقه ، والثاني في وصف موقف الارساليات البروتستانية وأعمالها في البلاد الاسلامية

ويقول المؤلف ان تاريخ التبشير المسيحي يرجع الى صدر النصرانية ومبدأ أسيسها، وذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية في القرون الوسطى فقال ان (ريموندلول) الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد ان فشلت الحروب الصليبية في مهمتها. فتعلم (لول) هذا اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة

وذكر المؤلف في الفصل الثالث المبشرين الكاثوليك والدور الذي لعبوه في ثورة (البوكسر) الصينية وتداخلهم في شؤون القضاء ، وهنا انتقدت مجلة العالم الاسلامي الكاثوليكية على هذا المؤلف البروتستاني اقتصاره على ذكر تاريخ المبشرين الكاثوليك في ثمان صفحات فقط وقوله ان المسلمين ينظرون الى الطقوس والاحتفالات الكاثوليكية باشمئزاز . ووصفت المجلة هذا القول بأنه لا يشف عن محبة مسيحية.

وفي الفصل الرابع وصف المؤلف تنظيم ارساليات التبشير في القرون الوسطى في الهند وجزائر السند وجاوه واختلاط المبشرين بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وأشار الى (بترهيلنج) الذي احتك بمسلمي سواحل أفريقية والى اهتمام هولندة بالتبشير في جاوه في أوائل القرن الثامن عشر حتى قسمت جاوه لهذه الغاية الى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة ، وقال ان عدد الذين تنصروا فيها سنة ١٧٢١ بلغ ١٠٠،٠٠٠ وكان عدد النصارى في سيلان سنة ١٧٢٢ — وكانت يومئذ تحت سلطة هولندة — يبلغ ٤٢٤،٠٠٠ وتساءل عما بقي منهم الى الآن ، وقال ان المسلمين كانوا فيها قليلين فصاروا الآن فئة كثيرة

ثم ذكر تحريك البارون (ده ويز) ضمائر النصارى سنة ١٦٦٤ الى تأسيس مدرسة كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي تعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التبشير ، فارتأى أحد أحبار الكنيسة أن تعهد الى الارواح مسئولية تبشير الاتراك ثم فشل البارون في مشروعه

ثم سرد المؤلف تاريخ تنظيم الارساليات البروتستانية من دنمركية وانكليزية والمانية

وهولندية واتصال بعضها ببعض وما كان من مساعدة فردريك الرابع وكرستيان السادس ملكي الدانمرك وحكومة هولندة وتأييدهم لاعمالها في القرن السابع عشر وما بعده في كل أقطار العالم

وانتقل الى البحث في أعمال هذه الارساليات في القرنين الاخيرين فقال : ان المستر (كاري) هو الذي فاق أسلافه في مهنة التبشير فدرس لغة اللاتين واليونان والفرنسيس والهولنديين والعبرانيين كما تعلم كثيراً من العلوم ، ولما نشر كتبه في التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ففتح له باب الاكتتاب وذهب الى الهند لهذا الغرض وصارت الاموال ترسل اليه ثم طلب أن يرسل اليه ناس يؤازرونه في التبشير فتأسست سنة ١٧٩٥ (جمعية لوندرة التبشيرية) وسرعان ما تأسست جمعيات على شاكلتها في « اسكوتلندة » و « نيويورك » وانتشرت هذه الفكرة في ألمانية والدانمرك وهولندة والسويد ونروج وسويسرة وغيرها وتعذر على الفرنسيين أن يقوموا بشيء من هذا القبيل لانشغالهم بالثورة التي آلت الى الانقلاب المشهور

وتأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل (جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية) وبلغ الشغف بهذا العمل أن أسست (ارساليات تبشير طبية) لتلحق بالارساليات العامة فنجحت نجاحاً باهراً لذلك أخذت تنمو وتزداد وتألفت لها أقسام نسائية وأرسل بعضها الى الهند والانضول

وفي سنة ١٨٥٥ تأسست جمعية (الشبان المسيحيين) من الانكليز والامريكان ووظيفتها ادخال ملكوت المسيح بين الشبان ، وعقد تلاميذ المدارس النصرانية في (نورثفيلد) مؤتمراً اجتمع فيه ٢٥٠ مندوباً عن ٨٠ مدرسة تكلفت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع في نشر الدين المسيحي ، ومن هؤلاء تألفت (جمعية الشبان المتطوعين) للتبشير في البلاد الاجنبية

ويقول المؤلف انها لعبت دوراً هاماً في تبشير المسلمين على الخصوص ! لان شعارها كان نشر « الانجيل بين أبناء الجيل الحاضر » ثم تبع ذلك تأسيس جمعيات التبشير في كل بلاد البروتستان . وفي سنة ١٨٩٥ تأسست (جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم) وهي تهتم بدرس أحوال التلاميذ في كل الاقطار وبث روح (المحبة) بينهم

فالتحق بها ١٠٠٤٠٠٠ طالب وأستاذ يمثلون ٤٠ قوما ، فتولد من وجود هذا العدد العظيم ميل الى الانتفاع به ولذلك تأسست سنة ١٩٠٢ (جمعية تبشير الشبان) ومن وظائف هذه الجمعية الاخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة الى استماع صوت المبشرين . ثم تقرر سنة ١٩٠٧ أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول وقد تأسست بالفعل وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن

هذا ملخص القسم الاول من كتاب المستر (بلس) فيما يتعلق بتاريخ ارساليات التبشير وأعمالها في بلاد الاسلام . وأما القسم الثاني فخاص بذكر مراكز تنظيم هذه الارساليات وادارة أعمالها في كل قطر على حدة . والى القارئ ملخص هذا القسم :

﴿ أفريقية ﴾

قال المستر (بلس) : ان الدين الاسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية . والمسلم وحده هو العدو الالد لنا لان انتشار الانجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ولا من مناضلة الامم المسيحية وغير المسيحية وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق — لان هذه التجارة صارت صعبة — بل ان هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس . فالشيخ أو الدرويش يجوبان شواطئ البحر الاحمر والنيجر ومراكش وواداي ويبثان في الاهالي أن المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الاسلام في كل الاقطار . وقد ظهر مهدي منذ سنين فحارب الانكليز ثم توفي فتولى الامر بعده خليفة غلب على أمره

أما الشيخ السنوسي العدو الالد للنفوذ الفرنسي والانكليزي فله تقاليد أخرى . ويقول المستر (بلس) ان طلبة الازهر يعتقدون بالمهدي . وأما المراكشيون فلا يزال يدور في خلدهم امكان الجهاد وهو يرى أن الملحمة الكبرى بين أوربة والاسلام ستنشب في غربي أفريقية أو في شماليها . ولا ينبغي أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر (أي في أثناء الاكتشافات البرتغالية) وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إليها ارساليات التبشير البروتستانية من انكليزية وألمانية وكذلك ارساليات التبشير الفرنسية

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتستانية بالتبشير في أفريقية الغربية الا منذ سنة ١٨٠٤ حيث تعاضدت ارساليتها وانكفأت على الكونغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الاستف (صموئيل كروثر) الزنجي سلطة الاسلام المتدفق في النيجر وأفريقية الغربية . وفي سنة ١٨١٩ اتفقت هذه الجمعية مع الاقباط وألفت في مصر ارسالية عهدت اليها بنشر الانجيل في أفريقية الشرقية وقررت ارسال مبشرين الى الحبشة ولكنها فشلت على أثر المناظرة بين اليسوعيين والبروتستان . ثم أخذ المبشرون السويديون والانكليز يرتادون غربي أفريقية وتبعهم مبشرو المدرسة الجامعة فهبطوا مدينة (منبسة) ثم عززت ألمانيه ارساليتها عقب اتساع مستعمراتها لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستان وكان أهم ذلك في (أوغندة) بين مبشريها الوطنيين والرهبان البيض الذين ألف ارساليتهم (الكاردينال لافيجري) (١)

وتوافد المبشرون على أفريقية الوسطى عقب بعثة (لفنستون) و (ستانلي) سنة ١٨٧٨ فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألماني واسكتلندي وانكليزي وموراني وهؤلاء انتشرت ارسالياتهم دون انقطاع من شرقي افريقية الى أواسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا . وجاءت هذه الارساليات بنتائج حسنة

أما بلاد المغرب فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم (جمعية تبشير شمال أفريقية) وهم منتشرون في مراكش والجزائر وتونس وسائر بلاد الغرب ومنهم المبشرون والاطباء التابعون لهم . ولقد شاع ان ذوي الامر في فرنسة وايطالية حاقدون على رجال التبشير الا أن حاكم الجزائر طمأن بال الاسقف (هارتزل) في الايام الاخيرة وصرح له بأنه ينظر الى أعمال المبشرين بعين الاستحسان

وقبل الانتهاء من الكلام على أفريقية لا ترى بدا من الاشارة الى جزيرة مدغشكر التي يقوم فيها المبشرون البروتستان بخدمة مهمتهم بكل جد ونشاط

﴿ آسية الغربية ﴾

كان للمبشر (هنري مارتين) يد طولى في ارسال المبشرين الى بلاد آسية الغربية فبعد أن أقام في الهند مدة عرج على فارس والبلاد العثمانية وتوفي سنة ١٨١٢ وهو

(١) (المؤيد) هو الذي كان طعن على الاسلام في مسألة الرق فألف سعادة احمد شفيق باشا كتابا بالفرنسية رد به عليه وترجمه سعادة احمد زكي باشا الى العربية باسم (الرق في الاسلام)

الذي ترجم التوراة الى الهندية والفارسية والارمنية ومن بعده أخذت ارساليات التبشير تشد الرحال الى الانضول وفلسطين واتخذت لها مراكز في أزمير والقسطنطينية وبيت المقدس وتصدرت للتبشير في صفوف النسطوريين على حدود فارس والسلطنة العثمانية وفي صفوف اليعقوبيين في ما بين النهرين . وفي مقدمة هذه الجميات لجنة التبشير الامريكية الا أن جميات اليهود الانكليزية سبقتها الى بعض البلاد العثمانية مثل أزمير والاستانة وسلانيك فافتتحت فيها مدارس دينية ومعابد . ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد ارساليات أخرى على هذه البلاد فقسمتها الى مناطق وأصابت لجنة التبشير الامريكية منطقة قبائل النصيرية في سورية فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل وذهب قسم من هذه الجمعية الى بلغاريا لينفذ خطته هناك

ولما حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ في سورية توجهت الانظار الى جبل لبنان وبعد عشر سنوات انتشرت لجنة التبشير الامريكية في البلاد العثمانية عدا سورية . وعلى أثر تأسيس الكنيسة البروتستانية في الآستانة سنة ١٨٤٦ صارت الآستانة مركزاً عاماً آمنا لاعمال المبشرين ؟ !!

أما موقف الحكومات الاسلامية أمام ارساليات التبشير فكان يختلف باختلاف البلاد . فالقبائل المستقلة في بلاد العرب عدوات لدودات للمبشرين ، وبلاد الفرس سائد فيها نفوذ روسية . والسلطة الاسلامية في القطر المصري اسمية فقط . وكانت الحكومة العثمانية تبدي ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم بسبب الدور السياسي الكبير الذي يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية . وكانت معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين تحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة

وقد اجتهد المبشرون في ترجمة الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) الى كل لغات الشرق بأسلوب سهل يتسنى فهمه لكل الطبقات

وأكبر ما يثير قلق المستر (بلس) مؤلف هذا الكتاب هو الدور الذي ستقوم به الدولة العثمانية في الحوادث المقبلة !. . . مادامت أنظار القبائل السنوسية الشديدة البأس متجهة نحو السلطنة العثمانية التي يحكمها أمير المؤمنين وفيها بيضة الاسلام . ومثل السنوسيين الامم الاخرى البعيدة عن الاستانة مثل بخارى وخيوة والهند والبلاد الاسلامية الشاسعة

﴿ الهند ﴾

انتشرت ارساليات التبشير في الهند عقب ارسالية (جمعية لوندرة التبشيرية) التي

قام بها (كاري) ثم تبعتها الارساليات الامريكية والاسكوتلندية والهولندية والنروجية وكلها تؤدي وظيفتها بنشاط وتقوم بأعمالها بكل دقة

وكان كل هؤلاء في بادي الامر قد وقعوا في الحيرة ، لانهم لم يعلموا بمن يبدأون التبشير، وهل يسهل بث النصرانية في البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندي العامي !

ثم اهتدوا الى التقاط الاطفال الذين يعضهم ناب الفاقة والفقر وجعلوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم نحوهم

ومؤتمر التبشير الذي عقد في (شيكاغو) قرر أن ينظر في وسائل تعميم التبشير في الهند ونشر النصرانية وتفسير تعاليمها بين كل طبقات الاهالي

﴿ جزائر الملايو ﴾

يوجد في شبه جزيرة الملايو وجزائرها المجتمعة عقائد ونزعات سقيمة لان اهل هذه البلاد اعتنقوا الاسلام في القرن الثالث عشر ومزجوا به ما علق بهم من عقائدهم القديمة ثم اقتبسوا شيئا من مذهب الكاثوليك عقب ظهور البرتغاليين ومن مذهب البروتستان بعد استيلاء الهولنديين على هذه البلاد والهولنديون أبدوا قسوة وعدم تسامح في القرون الوسطى في نشر عقيدتهم وفي هذه الايام ذهبت ارساليات كثيرة الى الملايو لتبشيرهم بالنصرانية

﴿ الصين ﴾

في هذه المملكة مسلمون كثيرون بعددهم قليلون بالنسبة الى مجموع سكان البلاد وتاريخ ذهاب ارساليات التبشير الى الصين يرجع الى سنة ١٨١٣ ولما افتتحت الثغور الصينية بعد ذلك انتشر فيها المبشرون والاطباء والممرضون التابعون لهم انتشاراً هائلا واتسع نطاق أعمالهم وجاء بثمرات كثيرة (يتلى)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٣

﴿ جور العمال ﴾

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان أنواعاً من الجور والشدة الصادرة من عمال بني أمية ونحن نذكر بعضاً منها مع كشف الحقيقة

قال يذكر جور العمال « واذا أتى أحدهم بالدراهم ليؤديها في خراجه يقطع الجابي منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها » (الجزء الثاني صفحة ٢٢ واستند في الهامش الى كتاب الخراج لابي يوسف صفحة ٦٢)

أيها الفاضل المؤلف ! أليس لك وازع من قلبك ؟ أليس لك رادع من ديانتك ؟ أتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر ؟ والمين الفاحش جهرة ؟ فان القاضي أبا يوسف ما تكلم في شأن عمال بني أمية ببنت شفة وانما ذكر من عمال هارون الرشيد واساءتهم العمل في جباية الخراج وكتاب الخراج لابي يوسف بين أيدينا وقد طبع في مصر وتداولته الايدي وتناقلته الالسن . قال المؤلف

« وفي كلام القاضي أبي يوسف في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج ما بين الطرق التي كان أولئك الصغار يجمعون الاموال بها قال : « بلغني انه قد يكون في حاشية العامل أو الوالي جماعة منهم من له به حرمة ، ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بأبرار ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم في أعماله ، يقضي بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملونه انما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية ثم انهم يأخذون ذلك كله فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي . . . . ويقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم عن الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام (الجزء

الثاني صفحة ٢٣ و ٢٤ مستنداً الى كتاب الخراج صفحة ٦١ و ٦٢)

الله أكبر ! هل سمع أحد بأعظم من هذا التدليس والتلبيس ؟ يشتكي القاضي أبو يوسف من عمال هارون الرشيد ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه عما يرتكب عماله في أخذ الاموال من الرعايا ، فيأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي الطرق التي كان عمال بني أمية يجمعون الاموال بها !! هاهو كتاب الخراج بأيدينا قرأناه وقلبناه ظهراً لبطن وكررنا فيه النظر لا كرة أو كرتين بل مرات متوالية متتابعة فما وجدنا فيه كلة في شأن عمال بني أمية وانما قال ما قال أبو يوسف بعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى أن خاطبه بقوله

« فلو تقربت الى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلساً واحداً تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوت أن لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلساً أو مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم . . مع انه متى علم العمال والولاة انك تجلس للنظر في أمور الناس يوما في السنة ليس يوما في الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وأنصفوا من أنفسهم (كتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فض فوك يا أبا يوسف ! فقد صدعت بالحق وأمرت بالمعروف واجترأت على النهي عن المنكر وأخذت على ملك جبار كهارون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة ، وما أكبر جرأتك أيها الفاضل ؟! (جرجي زيدان) أنك تتبعت سيرة عمال بني أمية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فأعوزك كل هذا وما وجدت في أعمالهم شيئاً من مثل تلك الفظائع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد وأوهمت القارئين أنها سيرة عمال بني أمية !

قال المؤلف « وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من أهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم أنها فيء لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٧٥)

الذي أشار اليه بقوله « تقدم » هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه :

« وكان من جملة نتائج تعصب بني أمية للعرب واحتقارهم سائر الامم انهم اعتبروا أهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم ... يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق : ما السواد الا بستان قريش ما شئنا أخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما سأله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو : انما أنتم خزانا فان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلا على أن العرب وبني أمية كانوا يتصرفون في أموال الناس كيفما شاءوا ظناً منهم ان أموالهم واعراضهم ابيحت لهم مطلقا

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد في خلافة الفاروق تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا : ان الارض مقسومة بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وفق الى الاستناد بنص القرآن فسكتوا ورضوا والقصة مذكورة بتفاصيلها في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف . ثم ان بعض البلاد فتحت صلحاً فمتى كان الخراج أو الجزية شيئاً مسمى معيناً ما كانوا يرون الزيادة عليه وان اكثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها . وفتح بعضها عنوة فكان الخراج أو الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمرو « ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم » وقد اشار الى ذلك المقريزي في تاريخه والعلامة السيوطي في حسن المحاضرة . فأما قول سعيد بن العاص الذي استند اليه المؤلف فتحريف للكلام عن موضعه على جاري عادته فان المؤلف نقل هذه الرواية من الأغاني والمذكور فيه ما حاصله « ان أحدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم : نعم ويا ليته كان لاميرنا ، فقال بعض من حضر : لا نعط أرضنا للامير فقال الرجل : ولو شاء الامير لاخذه ، فأنكروا قوله فقال سعيد بن العاص « السواد بستان قريش الخ » فقال الرجل لا ! انه مناع رماحنا فأنت ترى ان النزاع بين الجند وأمير البلد هنا هو النزاع الذي كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق وأي متشبث في ذلك للمؤلف ؟ فان سعيد بن العاص قال ما قال رداً على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحي البلاد بل هي تحت يد الخليفة أو من ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشاً لان الخلافة على زعمهم لقريش خاصة ،

*

قال المؤلف « فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا يبالون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد « اصطف لي الصفراء والبيضاء » فكتب زياد الى عماله بذلك وأوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهباً ولا فضة » (الجزء الرابع صفحة ٧٥ واحال الرواية في الهامش على العقد الفريد صفحة ١٨ من المجلد الاول)

تنقل مأخذ هذه الرواية كما صرح به المؤلف في الهامش لترى خيانات المؤلف واحدة بعد واحدة ، قال صاحب العقد

« ونظير هذا القول مارواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمر الغفاري وكان على الطائفة ان امير المؤمنين كتب اليّ ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب اليه «اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين» الخ ما كتب ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء » (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٧ أو ١٨)

فانظر ! (اولا) انه ليس في هذه الرواية ان معاوية كتب الى زياد بل ان زياداً كتب الى الحكم ان امير المؤمنين كتب اليّ الخ ولعل زيادا كذب في ذلك أو فهم غير ماأراد معاوية بقوله ،

(ثانياً) ان المؤلف حذف كل ماقال الشعبي وما عمل به من تقسيم الفيء لدلالته على ان في عمال بني أمية من لايمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب أحد ، لاولاة الامصار ولا من فوقهم اي الخليفة نفسه

(ثالثاً) انه ليس في هذه العبارة مايستدل به على استئثار معاوية بالمال لنفسه فان مراده ان العمال ليس لهم تقسيم الفيء بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة أن يضعها موضعها ،

قال المؤلف « فكان العمال يبذلون الجهد في جمع الاموال باية وسيلة كانت ومصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور . وأهمها في أول الاسلام الجزية لكثرة أهل الذمة فكان عمال بني أمية يشددون في تحصيلها فأخذ أهل الذمة يدخلون في الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدوا اسلامهم حيلة للفرار من الجزية وليس رغبة في الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم . وأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بني امية في افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام وهم يودون البقاء فيه وخصوصاً أهل خراسان وما وراء النهر فانهم ظلوا الى أواخر أيام بني أمية لايمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم » (الجزء الرابع صفحة ١٦)

ذكر المؤلف هذه الواقعة أي أخذ الجزية بعد الاسلام في غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطأة على القلب يتراءى للناظر فيها ان الناس أحيطوا من كل جانب جوراً وعدوانا فاذا بقوا على الكفر يعانون من الشدة مايلجئهم الى الاسلام واذا أسلموا فالجزية باقية على حالها لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ،

﴿ تحقيق مسألة الجزية في الاسلام ﴾

١ — اعلم ان الجزية ليست الا بدلا عسكريا فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير مأخوذ بها اما من ضن بالنفس أو كان لا يصلح لذلك فعليه ان يؤدي شيئا من المال ليكون عدة للعسكر وعونا له . وأول من سن الجزية وجعل لها وضائع كسرى انوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بأنها هي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب ، وكم نجد في البلاذري والطبري وغيرهما ان أقواما من النصارى في عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك أو دخلوا في الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب من الجزية وأضعف عليها الصدقة . وجملة القول ان الجزية لم تكن في الاصل شيئا يحدد بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان أهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود كانوا اصحاب حرث وزرع وعمالا في الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحرب لذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طائعا او مكرها — صارت الجزية كأنها حد فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم .

٢ — ولما لم ينفصل الامر بتة وبقي للاجتهاد موضع ومتسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام

٣ — ولكن مع هذا لم يتفق ذلك في مدة الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصي وامرار النظر والكد في البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فاما أن تكون الامة هي التي تقيم التكير على العامل أو يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع في مثله آتيا فمي سنة ١٠١ لما كتب الحجاج الى البصرة يرد من أسلم من أهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضج القراء وخرجوا يبكون مع البكاة من أهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمرين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح في تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمي بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يأمره بإسقاط الجزية والواقعة مذكورة في حوادث سنة ١٠٠ في تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن أبي مسلم في أفريقية سنة ١٠٢ هجرية ألب الناس عليه وقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم

اني ما كنت مستحسنا عمل يزيد والقصة مذكورة في الكامل تحت حوادث سنة ١٠٢ وكان آخر ما وقع من مثل ذلك ما فعل الأشرس في خراسان فأورث ثورة واشتراك العرب مع الثائرين ونصروهم أما خلفاء بني أمية فلم يثبت عن أحد منهم مثل ذلك وانما كان أراد عبد الملك وضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمه ابن حجيرة فتركه . والقصة مذكورة في المقريزي بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٢٨ من الجزء الاول) . والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف

(١) ذكر واقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبعثهم على يد ابن الاشعث انكاراً على صنيع الحجاج

(٢) ذكر واقعة الجراح (الجزء الثاني صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم

(٣) ذكر واقعة يزيد بن أبي مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد ابن عبد الملك استصوب صنيعهم أي قتلهم يزيد بن أبي مسلم

(٤) ذكر واقعة الأشرس ولم يذكر أن العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام لم يأمر به أحد من خلفاء بني أمية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناء على أن اسقاط الجزية يورث نقصا في الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عليهم وانه كلما وقع مثل ذلك قاتل العلماء والخيار من الناس وأقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله، فهل للمؤلف أن يحمل أوزار بعض العمال على بني أمية كافة ؟ وهل يسمع قوله

« ولم يكن عمال بني أمية يأتون هذه الاعمال من عند أنفسهم دائماً بل كثيرا ما كانوا يفعلونها بأمر خلفائهم كما قد رأيت مما كتبه معاوية الى وردان » (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

أما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمؤلف موضع حجة قال المؤلف « ورأى هؤلاء (اي أهل الذمة) أن اعتناق الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم . فأدرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان . وأول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فأمر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب ديناراً » (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٣٩٢ من الجزء الثاني)

أيها الفاضل المؤلف! ماهذا الاجتراء ؟ ماهذا الاختلاق؟ ماهذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي « ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومئة ضربت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي ايامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فاحصوا وأخذت منهم الجزية على كل راهب دينار وهي أول جزية اخذت من الرهبان » (الجزء الثاني من المقريزي صفحة ٣٩٢ أو ٣٩٤)

فهل تجد في هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز أو أحداً غيره شدّد في الجزية فاختاروا الرهبنة طلباً للنجاة من الجزية فما نفعهم ؟ لا وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شيء فان الرهبان وان كانوا معافون من الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصاً لا في الكتاب ولا في السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز وأخطأ

﴿ انهاء هذا البحث ﴾

لو سردنا كل ما قال المؤلف عن جور بني أمية وعمالهم واستئثارهم بالاموال وإسرافهم في استلابها وبيناما في كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة في النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلأجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسائسه مع انه قل من كل وغيض من فيض ، (١)

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فأي متعلق في ذلك لابداء مساوئ بني أمية ؟ ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الاسلام

(١) ومما يناسب ذكره في هذا المقام ان المؤلف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الي فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات في كل موضع وذلك لاجل اني كنت اخاف عليه التدليس ، فاظهر المؤلف في مقدمة الجزء الثاني انه عمل بذلك ، ويذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما احدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت في تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اي نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدينا الى أكثر خياناتها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئاً من التحريف والتغيير ومن كان في ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة واندهاش ـ ١٢

من بيان منهج السياسة وانها هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بني أمية عرضا . ولكن أناشدك بالله اما كان لاحد منهم مأثرة تذكر، ومنقبة تنقل، وسياسة تنفع البلاد، ومعدلة تعم الناس؟؟ نعم ان بني أمية لايوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عاراً عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم أمر خارج عن طوق البشر، وليس فيه مطمع لاحد، ولا موضع رجاء لمجتهد، ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسيء، والعادل والجائر، والناسك والخليع، والحازم والمغفل، بل الذي اعدلهم سيرة واشلهم طريقة وأوفاهم ذمما وأرضاهم طورا لايخلو من عثرات لاتقال وهنات لاتذكر - فلو لزم المؤلف جادة الانصاف ووفى لكل أحد قسطه وأعطى كل ذي حق حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فأطرى في مدحه، ونال من الآخر فاسرف في تهجينه وذمه، ثم انه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أي ذم العرب والحط من شأنهم فانه ذم بني أمية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لالانهم العرب أوانهم من سلالة هاشم اومن اقرباء النبي (ص) بل لان دولتهم دولة أعجمية وقد مر نصه في ذلك سابقا

وحان لنا أن نذكر طرفا من مآثر بني أمية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتسيير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني أمية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فأما ماعداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم إن أحسنوا أو أساءوا

﴿ سيرة معاوية في دولته ﴾

فأما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال :

« كان من أخلاق معاوية انه كان يؤذن في اليوم والليلة خمس مرات ، كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له فيقول: ظلمت، فيقول: أعزوه، ويقول: عدي الي، فيقول: اعطوا معه، ويقول : ضم بي، فيقول: انظروا في أمره، حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس

على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوساً قال : يا هؤلاء انما سميتم أشرافاً لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا ، فيقوم الرجل فيقول : شهد فلان ، فيقول : افرضوا له ، ويقول آخر : غاب فلان عن اهله ، فيقول : تعاهدوهم واقضوا حوائجهم ، ثم يؤتى بالغداء والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه حتى يأتي على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغداء »

واطال المسعودي في بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد حكاية معترضة « فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما وسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات » ثم ذكر بعد ذلك عدة وقائع تركناها هربا من الاطناب

﴿ سيرة عبد الملك بن مروان في دولته ﴾

وأما عبد الملك فقال المدايني « كان يقال معاوية احلم ، وعبد الملك احزم ، وهو الذي جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حياة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومي (وهو نصراني) وحول الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض معاوية للموالي خمسة فبلغها عشرين ودخل في بيعته عبد الله بن عمر ومحمد بن الحنفية » ذكر كل ذلك صاحب العقد في ترجمته وقد سبق من نسكه وعبادته ما فيه كفاية فيما مر

ومما يقدم عليه تأمره الحجاج ولكن الدولة تحتاج في إتمامها واول نشأتها الى أمثال ذلك وهذا ابو مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية قتل سبعمئة الف رجل صبراً وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير في الاسلام ومع ذلك فاني اعوذ بالله ان اقوم ذاباً عن الحجاج ومدافعاً عنه .

﴿ سيرة الوليد في دولته ﴾

وأما الوليد فكان أهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد « كان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحا ، وأعظمهم نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى اغناهم عن سؤال الناس واعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائداً ، وكان يمر بالقتال

فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول بفلس فيقول: زد فيها فانك ترجع » وهو الذي وسع مسجد النبي وذهب البيت

قال اليعقوبي « ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد رسول الله فليبعث فيه فبعث اليه بمئة الف مثقال ذهبا ومئة فاعل واربعين حملا فسيفساء » وبعث الوليد الى خالد بن عبدالله القسري وهو على مكة بثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة ، فكان أول من ذهب البيت في الاسلام وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وما أصلح منه والى البيت وتذهيبه »

وقال اليعقوبي « كان أول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة ، وأول من أجرى على العميان والمساكين والمجذومين الارزاق »

وقال السيوطي في تاريخه للخلفاء « وكان مع ذلك (أي كونه جباراً ظلوما) يحتفل الايتام ويرتب لهم المؤدبين »

﴿ فتوحات بني أمية ﴾

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها ويقضي بفضلها بعملها واخلد الآثار التي تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب أمور الملك والرعية وتوطد دعائم العدل وانتشار العلم ودولة بني أمية قد أخذت من كل ذلك قسطا وضربت في كل ذلك بسهم

أما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مطلع لطامح . اقتضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه في جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنم بنو أمية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا ، واتسعت ممالكه وغلب سلطانه ، وامتدت سطوته ، ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف في حوزة حكمه ، فملكوا ما لم يملكه أحد من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم . فتحوا طرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والخزر والسند وقبرص واقريطش (كريد) ورودس وغيرها من جزائر البحر . وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطينية وضربوا السيف على أبوابها ، وافتتح السند محمد الثقفي أحد أبناء فواده وهو ابن سبع عشرة سنة ، وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم ، وحدود بلاد الهند ، وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ،

ودخل في حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة وطرابلس وتونس ومراكش والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند . فمن يدانيهم من الملوك في سعة الملك ؟ ومن يباريهم في كثرة الفتوح ؟

﴿ استتباب امور الملك والرعية ﴾

ليس في سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تأنق في أمور المملكة ، ونظر في أمور الرعية ، وقيام بمصالح العباد ، وتشمير في عمارة البلاد ، ولذلك كان الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا في أمور أهلها ليسوا عند ذوي الخبرة من أهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعيثون في الارض مفسدين . أما ملوك بني أمية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر في أمور العباد ، وكثرة الفتوح وعمارة البلاد ، حفروا الانهار ، وعمروا الطرق ، وشادوا المصانع ، وابتنوا المساجد ، وبذلوا الاموال ، وقضوا الحوائج ، وكشفوا المظالم ، وعمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان ، واجروا لهم الارزاق . ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور وقد مر من ذلك شيء كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التي هي كالطل من الوابل (يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في العهدين العتيق والجديد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله . أما بعد فلا خلاف بين أحد من المسلمين أن أسفار أنبياء بني اسرائيل قد بشرت بالمسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلا ننكر على النصارى كثيرا مما يستشهدون به من العهد القديم على نبوة عيسى وكثير من أحواله وأخباره ، والذي ننكره عليهم إنما هو استشهادهم بالعهد القديم على صلبه وألوهيته. فتتميما لبحثي السابق في (القرابين والضحايا) (١) أردت أن آتي هنا على أعظم حجج النصارى من كتب اليهود على صلب المسيح وألوهيته وأظهر بطلانها واحدة بعد أخرى ، ثم آتي ببعض الدلائل على فساد كتب العهدين وأختم مقالي ببيان أن التوراة والانجيل الحاليين ـ وإن كان قد دخلهما التحريف والتبديل ـ لا يزالان يشتملان على كثير من البشائر الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون)

ولا يخفى على الباحثين أن أساس الديانة المسيحية انما هو العهد القديم

(*) رسالة للدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره بمصر

(١) نشرت رسالته المنوه بها في الجزء الاول من هذا المجلد

وما يستشهدون به منه على عقائدهم ولولاه ما كانت لهم حجة واحدة على عقيدة من عقائدهم التي يخالفوننا فيها ، فعلى العهد القديم مبنى اعتقادهم وهو أساس دينهم ، ولذلك كان البحث في هذه المسألة ونقضها بالدلائل نقضا للدين المسيحي الحالي كله من أساسه ، ولولا اعتداؤهم علينا في ديننا ما تعرضنا لهم بشيء من مثل هذا فهم البادئون ، والبادئون هم الظالمون ، فنقول وبالله تعالى وحده نستعين :

﴿ الفصل الأول ﴾

في بيان فساد ما يستشهدون به على الصلب في العهد القديم

(برهانهم الأول) قالوا إن النبي دانيال أخبر في كتابه عن صلب المسيح وأن ذلك كفارة لذنب أمته وأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده ، ومع أن اليهود ينكرون مسيحنا إلا أن هذا الكتاب لا يزال عندهم وهم يعتقدون صحته (١) وهاك عبارة النبي دانيال في هذه المسألة . قال في الأصحاح التاسع من كتابه إن جبرائيل قال له (٩ : ٢٤ سبعون اسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين ٢٥ فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة ٢٦ وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب

(١) حاشية كتاب دانيال هذا يقول فيه صاحب كتاب (اظهار الحق) انه لم يكن مسلما عند اليهود القدماء قبل عيسى عليه السلام ولا في زمنه ولم تكن اليهود تعترف بنبوة دانيال أيضا وانما كان تسليمهم بصحة هذا الكتاب ونبوة دانيال بعد عصر عيسى عليه السلام وعليه فجميع ما يأتي في هذه الرسالة هو على فرض أن هذا الكتاب كان معترفا به بين اليهود القدماء وهو وان كان مسلما به عند جميع النصارى الاقدمين الا أن البروتستنت تعترف أنه قد زيد فيه الاصحاح الثالث عشر والرابع عشر وكذلك نشيد الفتيان الثلاثة المقدسين فلذا حذفوا هذه الاشياء من نسخهم ولكن أبقاها الكاثوليك الآن عندهم

فلا يبعد أنه قد زيد فيه أشياء أخر ودخلت في أصله البري قبل أن تعترف به اليهود ويعولوا عليه فانطلت عليهم هذه الزيادات فيما بعد (وايهم الفصل الثالث من هذه الرسالة)

وحزن قضى بها ٢٧ ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) وقبل تفسير هذه العبارة نأتي هنا على نبذة تاريخية في هذه المسألة فنقول

إعلم أن الله تعالى سلط على اليهود بختنصر ملك بابل بسبب عصيانهم وتمردهم فحاربهم عدة مرات وأخذ في أول مرة بعضهم أسرى الى بابل وفيهم دانيال النبي وفي آخر مرة سبى أكثر الشعب واخذ الملك صدقيا وقتل أولادهُ وأحرق الهيكل المقدس وخرب المدينة وكانت مدة هذا السبي سبعين سنة ، وكان اتيان بختنصر إليهم في المرة الاخيرة سنة ٥٨٨ قبل الميلاد وفي سنة ٥٣٦ ق . م . أذن كورش (وهو مؤسس المملكة الفارسية) برجوع اليهود من بابل وكان ذلك في السنة الاولى من ملكه فلما رجع اليهود إلى أورشليم شرعوا في بناء الهيكل وفي بناء بيوت لهم وتوفي كورش بعد أن حكم ٧ سنوات فقط وقد تم بناء بيت الله (الهيكل) في السنة السادسة من ملك داريوس (راجع سفر عزرا ٦ : ١٥) و بعد ٦٩ سنه من صدور أمر كورش برجوع اليهود الى أورشليم لبناء بيت الله وسكناهم فيها ولد لليهود في بابل رجل صالح تقي يدعى (نحميا) ولما كبر عين ساقي الملك أرتحشستا ولما بلغه أن سور أورشليم متهدم وابوابها لا تزال محروقة بالنار حزن وتكدر (راجع سفر نحميا ١ : ٣) وبكى ودعا الله كثيرا ولما رآه الملك كئيبا حزينا ارسله الملك إلى أورشليم لبناء سورها وعينه حاكما عليها وكان ذلك في سنة ٤٤٥ ق . م وعمره نحو ٢٣ سنة وكمل هذا السور في ٥٢ يوما وصار عزرا الكاتب يعلمهم شريعة موسى ليعملوا بها واحتفلوا بأعيادها وأول عيد كان عيد المظال ومدته سبعة أيام في الشهر السابع (نحميا ٨ : ١٨)

وحكم نحميا في أورشليم ١٢ سنة و بعد ذلك عاد إلى بلاد فارس إلى حين ، وفي مدة غيابه خالف الشعب شريعة الله وتزوجوا بالنساء الوثنيات (نح ص ١٣) ولما رجع إليهم أصلح هذه الامور وبقي فيهم مصلحا إلى أن مات أو قتله بعض أعدائه (راجع ص ٦ من كتابه) والراجح أن عمره كان ٦٢ سنة فان آخر عمل عمله كان في السنة الخامسة عشرة من حكم داريوس نوثاس أي سنة ٤٠٨ ق . م

ثم مات سنة ٤٠٥ ق.م وبعد موته لم يعين ملك فارس على أورشليم أحدا من اليهود لان بلادهم صارت جزءاً من ولاية الشام فكان الحبر الاعظم يمارس الامور السياسية والدينية معا من قبل والي الشام وبعد مدة الفرس صارت أورشليم إلى اليونان واستقلت زمنا في عهد المكابيين وهم كهنة من سبط لاوي ومن عشيرة هارون ثم خضعت للرومان وفي أيام الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد حاربهم (تيطس) بعد أن كان طلب منهم أن يسالموه ويعاهدوه ولا يأخذ منهم خراجا سبع سنين وكان أمر ببقاء الهيكل فاخذ احد الرومانيين نارا وألقاها في الهيكل فاشتعل الملتهب وأمر تيطس أن يوقفوا النار ولكن تهافت الرومان على النهب والسلب والتخريب وبعد أن شتتوا اليهود منعوهم عن السكنى في أورشليم وبقي هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال فرجع إليها حينئذ كثير من اليهود وحسنوها وشيدوها

وكان قد بلغ الامبراطور أدريانوس أن اليهود يحصنون المدينة ليخرجوا عن طاعته فأرسل عساكره فقتل اكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحا إشارة الى ابادتها وفي هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت قوة اليهود وانتشروا في الاقطار ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وكانت هذه الحرب سنة ١٣٢ بعد الميلاد وبذلك تمت نبوة المسيح عليه السلام إذ قال (لا يترك حجر على حجر) «راجع تاريخ القدس لخليل افندي سركيس»

ثم دخل الفرس أورشليم سنة ٦١٤ ميلادية وخرجوا منها سنة ٦٢٨ أي بعد أن مكثوا فيها ١٤ سنة منعوا فيها اضطهاد النصارى لليهود فبطل إلقاء قاذورات النصارى في الهيكل عنادا لليهود وباعوا النصارى الذين في أورشليم لليهود وأحرقوا الكنائس ونزعوا خشبة الصليب من أورشليم وأرسلوها الى فارس

وفي سنة ٦٣٦ ميلادية أخذ المسلمون القدس وطهروه وبنى عمر رضي الله عنه مكانه المسجد الاقصى وصار اليهود في حمى الاسلام واستراحوا من ظلم المسيحيين وصاروا أحرارا في دينهم يسوسهم الاسلام جميعا بعدله ورحمته، وصار هذا المسجد معبدا للمسلمين ولن يدخل في دينهم من أهل الكتاب ونجت أورشليم من الخراب وعاد إليها المجد والعمران والاكرام وكثرت ذبائح المسلمين فيها في عيد الاضحى

تذكارا لحادثة ابراهيم خليل الله وتمت نبوة حجي حيث قال (٢ : ٦ قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والارض والبحر واليابسة ٧ وأزلزل كل الامم ويأتي مشتهى (١) كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود ٨ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود ٩ مجد هذا البيت الاخير يكون أعظم من (مجده) الاول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود . فمن تخريب الرومان لأورشليم وتشتيت اليهود سنة ١٣٢ الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٢ تكون المدة ٤٩٠ سنة ولا يخفى أن الهجرة النبوية هي مبدأ التشريع الاسلامي ومبدأ عظمة النبي وظهور أمره وأيضا من سنة ١٣٢ الى دخول المسلمين أورشليم سنة ٦٣٦ تكون المدة ٥٠٤ سنين فاذا طرحنا منها ١٤ سنة وهي مدة الفرس التي فيها استراح اليهود من ظلم الرومانيين والمسيحيين تكون مدة الظلم والاضطهاد الخالصة هي ٤٩٠ سنة كان فيها اليهود في أتعس الحالات وأسوإها فكأنه بعد ٤٩٠ سنة من تشتت اليهود عظم شأن الاسلام وظهر أمره وأيضا بني الهيكل وعاد المجد لبيت الله وأنقذ اليهود من الظلم والاضطهاد وصاروا يرتعون حول هيكلهم في حمى الاسلام وحريته

هذا وقبل البدء في تفسير نبوة دانيال أقدم مقدمة أخرى وهي ان الاسبوع في اللغة العبرية والعربية معناه سبعة فهناك أسبوع أيام وأسبوع شهور وأسبوع سنين والاسبوع من الطواف هو سبع مرات وهكذا والقرينة هي التي تعين المراد ثم إن أعظم أعياد اليهود ثلاثة، عيد الفطير وهو أسبوع أيام وعيد الاسابيع وهو بعد سبعة أسابيع من الايام وعيد المظال وهو أسبوع أيام أيضا والسنة اليوبيلية كانت بعد سبع مرات سبع سنين . واليوم من أيام قضاء الله وعقابه لليهود بسنة كما في سفر العدد ص ١٤ عد ٣٣ (وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ٣٤ كعدد الايام التي تجسستم فيها الارض أربعين يوما للسنة يوم) أما في غير ذلك فاليوم هو اليوم المعتاد . واذا قيل للمسلمين مثلا (بعد خمسين عيدا من أعيادكم

(١) حاشية في الاصل العبري (مشتهى) محمد أي الذي تحمده الامم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله أعطي السلام اشارة الى تحية المسلمين بقولهم السلام عليكم

يحصل لكم كذا وكذا) كان المعنى بعد خمسين سنة لان أي عيد من اعيادنا لا يتكرر في السنة الواحدة وكذلك عند اليهود فاذا قيل لهم (بعد خمسين فصحا) كان المعنى (بعد خمسين سنة) ولما كان أعظم أعيادهم أسبوع أيام جاز أن يقال لهم (بعد خمسين أسبوعا) أي من هذه الاسابيع العيدية يحصل كيت وكيت والمعنى بعد خمسين سنة . وعليه فالاسبوع في مقام القضاء والجزاء غيره في مقام الفرح والسرور والاول بمعنى اسبوع سنين والثاني بمعنى اسبوع أيام من أسابيع الأعياد وهي لا تتكرر في السنة الواحدة فبعد اسبوعين منها أو ثلاثة مثلا يراد به بعد سنتين أو ثلاثة لان كل اسبوع منها يقع في سنة واحدة . اذا علمت ذلك فاسمع الآن معنى نبوة دانيال :

كان دانيال مع الاسرى في بابل وكان حزينا جدا لاجل حالة أمته وكان يعلم أنه لابد لأمته أن تقضي سبعين سنة في الاسر والذل فكان يسأل الله تعالى دائما أن يعيد مجد أورشليم و يعمر خرابها و يمحي بينها و يعتق أمته من الذل والاسر فأخبره الله تعالى بما سيحصل لأورشليم ولأمته و بأنه قضى عليها قضاء آخر اطول من قضاء السبعين سنة فقال ٩ : ٢٤ (سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة) والسبعون اسبوعا في مقام القضاء والجزاء هي ٤٩٠ سنة كما قلنا قضاها الله تعالى على بني اسرائيل وعلى مدينتهم أورشليم وهي تبتدئ من سنة ١٣٢ التي فيها تلاشت كل قوة لهم وتبددوا في الارض ولم تقم لهم قائمة ومحيت مدينتهم محوا تاما وتنتهي بسنة ٦٢٢ التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها كمل أمره وعظم شأنه أو سنة ٦٣٦ وهي سنة فتح المسلمين لأورشليم أي بعد إسقاط ١٤ سنة وهي المدة التي استراح فيها اليهود من ظلم النصارى واستراح فيها الهيكل المقدس من إلقاء القاذورات والنجاسات فيه حينما استولى الفرس على بيت المقدس فالمدة من سنة ١٣٢ إلى هجرة المصطفى سبعون اسبوعا من السنين ومن هذه السنة أيضا إلى فتح أورشليم سبعون أسبوعا بعد اسقاط السنين التي استراح فيها اليهود من الظلم والاضطهاد ثم قال (لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الأثم) فالكلمة المترجمة هنا بتكميل المعصية أصلها في العبري يفيد معنى التغطية

والستر. والكفارة هي الغفران والستر كذلك والمعنى: أن معاصي اليهود وأعمالهم السيئة تنهي في مدة السبعين أسبوعا وتبطل لشدة ضعفهم وتبددهم وذلك أنهم في زمن المسيح عليه السلام كذبوه وعصوه وحاولوا قتله وصلبه وكان يقول لهم كما في متى ٢٣ : ٣٢ (فاملأوا انتم مكيال آبائكم ٣٣ أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ٣٤ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ٣٥ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح — الى قوله — ٣٨ هوذا بيتكم يترك لكم خرابا) فلم يكن ذنبهم اكمل في زمن المسيح عليه السلام . وهذا التعبير العبري قد ورد مثله في سفر التكوين في مقام آخر فقال (١٥ : ١٦ وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا لأن ذنب الاموريين ليس الى الآن كاملا) وقال في سفر دانيال (٨ : ٢٣ عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه) وبعد زمن المسيح صاروا يملأون مكيال آبائهم بقتل بعض الحواريين واضطهادهم وإخراجهم من مدينة إلى أخرى وإيذائهم المسيحيين وبعد حرب طيطس عادوا إلى أورشليم وحسنوها وشيدوها. ولما ظهر منهم مدعي النبوة كذبا وهو الذي سمى نفسه (المسيح بن الكوكب) انضموا إليه وأيدوه وفتكوا بكثير من النصارى وجاءهم كثير من اخوانهم المشتتين في الآفاق وحاربوا الرومان فغلبوا وقتل مسيحهم هذا . وأخذ كثير منهم أسرى ومنعوا من الاقتراب من مدينة أورشليم إلا يوما واحدا في السنة ليبوحوا على خرابها وكان ذلك في سنة ١٣٢ وحينئذ كان قد كمل ذنبهم ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة لشدة ضعفهم وتفرقهم وذلهم وتشتتهم في جميع الآفاق تشتتا لم ترجع لهم بعده أدنى قوة في أورشليم على الرومان ، ففي مدة السبعين أسبوعا انتهت معاصيهم بعد أن كملت وبطلت آثامهم وأصبحوا أذلاء مضطهدين مبددين معذبين وذلك هو جزاؤهم على ذنوبهم وتكفير لآثامهم الماضية بصفتهم أمة ومن آمن منهم بمحمد عليه السلام غفر له ما تقدم من ذنبه في الدنيا والآخرة . قال تعالى في القرآن الشريف « إن احسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة

ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

ثم قال جبريل لدانيال (وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم والبر الأبدي هو الدين الاسلامي الذي بدأ يظهر ويعلو وتوحى شرائعه العالية بعد سنة ٦٢٢ التي كانت فيها الهجرة النبوية وبمحمد صلى الله عليه وسلم ختمت الرؤيا والنبوة كما قيل لدانيال فالسبعون أسبوعا بدأت بعد أن كمل اثم اليهود سنة ١٣٢ التي بعدها زالت منهم كل قوة وأصبحوا أذلاء وتمت بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح خليفته أورشليم وبنى بيتها المقدس وعمره بعبادة الله ومنع الظلم والأذى عن اليهود وصاروا فيها أحرارا إلى اليوم فكأن الله تعالى قال لدانيال إني سأجيب دعاءك لليهود ولمدينتهم ، لكن ذلك بعد أن اقتص منهم على ذنوبهم وأكفرها عنهم بتعذيبهم سبعين أسبوعا وهو القضاء الآخر الذي قضيته عليهم غير قضاء السبعين سنة التي أسروا فيها في بابل

ثم بدأ الله تعالى يبين له حال أمته وما سيحصل لها بعد نجاتها من أسر بابل الى حين مجيء هذا القضاء الثاني عليهم . وأنه بعد هذا القضاء الثاني يمكنهم أن يسكنوا في أورشليم حول هيكلهم في حمى الاسلام آمنين مطمئنين ويبنى هذا الهيكل لعبادة الله تعالى ويعود اليه مجده كما أنبأ بذلك حجي الذي سبقت نبوته هنا فقال جبريل لدانيال (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها) وهذا الأمر قد خرج من كورش سنة ٥٣٦ قبل الميلاد برد اليهود الى أورشليم وبناء هيكلها الذي هو أعظم شيء فيها ولذلك قال لتجديد أورشليم وبنائها فكأنه إذا بني الهيكل فقد جددت أورشليم وبنيت وعمرت لانه صرح لهم بالرجوع اليها والسكنى فيها فمن الضروري أن يبنوا لهم فيها بيوتا فتعود المدنية كما كانت. وقوله (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر الخ) يشعر بأن هذا الامر كان قد خرج في زمن دانيال وعلم به وهذا صحيح فان دانيال مات بعد صدور هذا الامر بسنتين أي في سنة ٥٣٤ ق.م ولو كان هذا الامر صدر بعد مماته كما تقول النصارى لقال له (فاعلم وافهم انه سيخرج

أمر تجديد اورشليم وبنائها ومن بعد هذا الامر إلخ إلخ) فمن خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها وبناء هيكلها (إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) والمسيح الرئيس هو نحميا الذي ولاه ارتحشتا الملك هاكما على اليهود فبنى سور أورشليم وأصلح أمورهم وأقام شريعة موسى لهم وهو أعظم من ولي عليهم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود وأول من جدد مجد أورشليم وأعاد اليها رونقها القديم ولذلك قال الله عنه لارميا ٣٣ : ١٥ و١٦ (في تلك الايام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلا وبرا في الارض . في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تسمى به الرب برنا) وسمى نحميا بالمسيح الرئيس لانه كان كذلك لهم وكانوا يسمون ملوكهم مسحاء وكذلك الكهنة والانبياء والرؤساء لانهم يمسحونهم بالزيت أو الدهن عند ابتداء تعيينهم لخدمة الله أو الشعب (راجع سفر الخروج ٤٠ : ١٩ إلى ١٥) وسمي كورش أيضا (مسيح الرب) كما في أشعيا (٤٥ : ١) وقيل في سفر أخبار الايام الاول ١٦ : ٢٢ (لاتمسحوا مسحائي ولاتؤذوا أنبيائي) وقال في سفر الملوك الاول ٥ : ١ (وأرسل حيرام الى سليمان لانه سمع أنهم مسحوه ملكا) أي ولوه وقال في ١ ملو ١٩ : ١٦ (وامسح اليشع نبياعوضا عنك) . وسمي عيسى بن مريم بالمسيح لانه أعظم من بعث بعد موسى من أنبياء بني اسرائيل وأفضل من جميع كهنتهم وملوكهم

وقوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) معناه ٦٩ سنة لان الاسبوع هنا غيره في مقام القضاء والجزاء فيراد به أسبوع الفرح والسرور أي الاعياد لان أعظم أعيادهم كانت أسبوعية كما سبق وكل أسبوع من أسابيع الاعياد يقع في سنة ولا يتكرر فيها فيكون المراد بالاسبوع السنة كلها فكأن باقي السنة الخالي من الاعياد الاسبوعية لاقيمة له ولا يحسب عليهم . ومن عرف قدر فرح اليهود وسرورهم لخلاصهم من أسر بابل وعودتهم الى مدينتهم وأنهم حفظوا عيد المظال وغيره في أورشليم كما كانوا يحفظونه من قبل (راجع سفر عزرا الاصحاح الثالث والسادس) علم معنى التعبير عن السنة هنا بالاسبوع كأن السنة كانت تمضي

عليهم كما يعفي أسبوع العيد هذا اذا صح أن أصل العبارة كانت كما وصلت الينا ويجوز أن يكون وقع فيها سهو أو خطأ من الكاتب فكتب هنا بدل سنين وسنة أسابيع وأسبوعا قياسا على الجملة السابقة وهي قوله سبعون أسبوعا والاعتذار عن مثل ذلك بخطأ الكاتب معهود عند النصارى في ألوف الغلطات الواقعة في كتبهم المقدسة (راجع كتاب خلاصة الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية صفحة ٥٦ ـ ٥٩ و ١٠٢) ولعل في قوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) إشارة الى مدة حكم (كورش) فانه أصدر أمره في السنة الاولى من حكمه ومات بعد سبع سنين ولما كان هذا الملك عادلا محبوبا مبجلا عندهم حتى دعته كتبهم مسيح الرب كما سبق كان جديرا بأن تعرف مدة حكمه وتمتاز عن غيرها تذكارا له واجلالا لمقامه . وانما عبر في هذه النبوة بالاسابيع بدل السنين لان المعتاد في جميع نبوات العهدين أن يوجد فيها مثل هذا الغموض كما قلنا وكون المراد بالاسابيع هنا السنين مسلم به عند النصارى واليهود فهو ليس تأويلا خاصا بنا . ومن صدور هذا الامر الى ولادة نحميا ٦٩ سنة كما سبق بيانه في النبذة التاريخية

ثم قال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) ومعنى ذلك عندهم بناء نحميا للسور حول أورشليم كما تقدم . وفي الترجمة الانكليزية بدل هذه الجملة (يعود ويبني الشارع والسور في أزمنة مضايقة) وذلك لانهم كانوا محاطين بكثير من الأعداء الحاقدين عليهم المهددين لهم الواشين بهم كما يعلم من سفر نحميا (وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له) أي وبعد ٦٢ سنة من ولادة نحميا يموت أو يقتله أعداؤه كما سبق فعمره كان ٦٢ سنة فقط وقوله (وليس له) (١) معناه ليس له ولد أو ليس له وارث فانه لم يعين عليهم أحد بعده واليا وكان نحميا من الاشراف ومن بيت داود ومع ذلك لم يذكر في الكتاب المقدس أنه كان له أولاد

(١) حاشية قال أرميا في مراثيه ٥ : ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين) ومن وضع بعض كلمات هذه العبارة في الترجمة الانكليزية بأحرف ايطالية (Italic) يفهم أن الاصل العبري كان (آباؤنا أخطأوا ليسوا) فالظاهر أن الايجاز في العبرية يكون بحذف بعض كلمات تفهم من المقام كما هو في العربية في نحو قوله تعالى (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) ويوجد لذلك أمثلة أخرى كثيرة في اللغتين وفي القرآن وفي كتبهم المقدسة

فهذه العبارة تشبه قوله في سفر التكوين ٣٨ : ٩ (فعلم أونان أن النسل لا يكون له) و يحتمل أنه سقط من الكاتب خطأ لفظ (ولد) وكان الاصل (وليس له ولد) وأمثلة سقوط كثير من الالفاظ من الكتاب المقدس كثيرة تراجع في كتاب إظهار الحق في فصل اثبات التحريف بالنقصان . ولنا أن نقول فيها أيضا نحو ما يقول النصارى أن نحميا قتله أعداؤه الكثيرون بعد أن فكروا في ذلك كما يفهم من سفره (اصحاح ٦ : ١٠ - ١٤) ولم يقتل لاجل نفسه أي في سبيل مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية بل قتل في سبيل المصلحة العامة ونفع الامة فلم يكن أعداؤه ينقمون منه سعيه في سبيل نفع نفسه بل سعيه في نفع أمته وتقويتها والمحافظة عليها و بناء سور أورشليم وتحصينها ضد أعدائها فهو قتل لامته ولم يكن قتله لاجل نفسه أي لتحصيل منفعة خاصة به، و بعد موت نحميا كان اليهود حصلوا على شيء مما فقدوه من القوة ولكنهم بقوا في بلادهم خاضعين للاجانب الازمنا يسيرا الى أن حاربهم (طيطس) الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ولذلك قال (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة والى النهاية حرب وخرب قضي بها) وقد خرب القدس (طيطس) وقتل منهم الالوف كما قال (و يثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد) وفي الترجمة الانكليزية (لاسبوع واحد) والمراد بالاسبوع هنا أسبوع سنين لانه ذكر في مقام القضاء والجزاء والمعنى كما قال علماء اليهود أن طيطس طلب منهم أن يسالموه و يقطعوا معه عهدا ولا يأخذ منهم خراجا لمدة سبع سنين فخرج إليه كثير من كبراء اليهود فأمنهم وكان ينصحهم بعدم العصيان وأظهر لهم أنه لا يريد تخريب الهيكل ، ولما علم العصاة منهم بخروج كبرائهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم وأمر طيطس بابقاء الهيكل ولكن ألقى عليه أحد الرومانيين نارا فأحرقه وكان طيطس يسعى في إطفاء النار ولكن الرومانيين كانوا ينهبون ويقتلون ويخربون (وفي وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة) لاحراق الهيكل وإبادته وقد بدأت حرب الرومان لهم سنة ٦٨ وتم خذلانهم واحراق هيكلهم في أواخر سنة ٧٠ أي في نحو ٣ سنين فأبطل الرومان الذبيحة والتقدمة في وسط الأسبوع . وكان (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير مع طيطس وينصح أمته ويقول لهم (أني لست أعجب من خراب هذا البيت وهدم

المدينة لكنني أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب دانيال النبي وتعلمون ما ذكره من إبطال الذبيحة وزوال القدمة وترون ذلك قد صح وثبت) فلم يسمع عصاة اليهود له وهذا يدل على أن المراد بما ذكر في كتاب دانيال هو ما قلناه هنا وكذلك قوله (وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) وقرئ في بعض النسخ العبرية وفي الترجمة السبعينية (وفي الهيكل رجسة الخراب) وفي ترجمة الكاثوليك (تقوم رجاسة الخراب وإلى الفنا المقضي ينصب غضب الله على الخراب) وقال المسيح عليه السلام كما في انجيل متى (٢٤ : ١٥ فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس إلخ) فكل ذلك يدل على أن المراد بما ذكر في نبوة دانيال هو حرب الرومان لليهود لا صلب المسيح الذي يدعي النصارى أنه أبطل به الذبيحة والقدمة فانها لم تنته بعد صلبه بل كان اليهود يحافظون عليها حتى خرب الهيكل وأحرق فبطلت حينئذ على أننا لا ندري لماذا يبطل الصلب الذبيحة والقدمة فان كانت تعمل قبله رمزا إليه فلماذا لا تعمل بعده للتذكير به ؟ فان قيل إنها بعد الصلب لم يبق لها فائدة في غفران الذنوب قلت وكذلك هي قبل الصلب كما يزعمون فان الغفران لم يكن حينئذ لأجلها بل لأجل الصلب المنتظر كما يدعون (راجع مقالة القرابين والضحايا)

و بعد حرب سنة ٧٠ بمدة قليلة عاد اليهود الى أورشليم و بنوا وشيدوا ولا يبعد أنهم أقاموا محرقات في الهيكل و إن كان خربا كما أقامها الذين أتوا من بابل قبل بنائهم للهيكل الذي كان أحرقه بختنصر وخربه كما في سفر عزرا (٣ : ٦) ولكن بعد حرب سنة ١٣٢ محيت مدينتهم وتشتتوا في الأرض ومنعهم الرومان من الاقتراب من أورشليم و بعد سبعين أسبوعا قضيت عليهم وعلى مدينتهم جاء الاسلام فبنى بيت المقدس وأمن اليهود من ظلم المسيحيين وايذائهم لهم وانصب غضب الله على المخرب (دولة الرومان) فأزال ملكها المسلمون من الأرض المقدسة وغيرها

وفي قوله (وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها) إشارة إلى دوام الحرب مدة طويلة فانه بعد ٧٠ سنة أتى الرومان سنة ١٣٢ وأهلكوا اليهود وشتتوهم ومحوا مدينتهم محوا تاما

أما قول النصارى (إن السبعين أسبوعا) تبتدئ من صدور أمر أرتحشتا لنحميا بالرجوع إلى أورشليم لبناء سورها فغلط لعدة وجوه

(١) إن نص عبارة دانيال أن الأمر كان لبناء أورشليم وبناء السور ليس بناء لأورشليم فان أورشليم كانت بنيت قبل نحميا لان هيكلها بني وبنيت بيوت اليهود حوله للسكنى فيها ولم يبن نحميا سوى السور كما هو ظاهر من كتابه والدليل على أن البيوت كانت مبنية قوله في كتابه ٣ : ٢٨ (وما فوق باب الخيل رمم الكهنة كل واحد مقابل بيته) وفي هذا الأصحاح يذكر بيوتا أخرى فالبيوت كانت مبنية قبل مجيء نحميا ولذلك قال ١ : ٣ (وسور أورشليم متهدم وأبوابها محروقة بالنار) فهو أصلح السور فقط وأبوابه وأما قوله للملك ٢ : ٣ (والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار) فالمراد به سورها وإنما أورده كذلك مبالغة ليرثي الملك له وليشفق عليه فيرده إليها

(٢) قوله (من خروج الامر لتجديد أورشليم) يشعر بأن هذا الامر يعلمه دانيال وهو الواقع كما بينا وعلى قول النصارى يكون حصل بعده وما كان يعلمه وهذا يخالف مفهوم عبارته

(٣) إنهم إختلفوا في تاريخ صدور هذا الامر فقال بعضهم إنه صدر من أرتحشتا لنحميا سنة ٤٤٤ أو سنة ٤٤٥ وقال آخرون سنة ٤٥٤ فعلى القول الاول تكون نهاية السبعين اسبوعا سنة ٤٦ بعد الميلاد أو سنة ٤٥ وفي هذه السنة كان قد مات المسيح لان عمره كان ٣٣ سنة وعلى القول الثاني تكون نهاية السبعين اسبوعا سنة ٣٦ ميلادية وهي بعد موت المسيح بثلاث سنين

(٤) قوله (من خروج الامر إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون اسبوعا) قال فيه صاحب كتاب الهدايه إنه فصل السبعة أسابيع وحدها لانها مدة بناء أورشليم وهو خطأ لان سور أورشليم تم في ٥٢ يوما ولم يبن نحميا غيره (نح ص ٦ : ١٥)

(٥) قول دانيال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) صريح في أن المراد بالمسيح هنا هو نحميا فقد حصل ذلك في زمنه

(٦) قوله (وبعد ٦٢ اسبوعا يقطع المسيح) لا يفهم أيضا معناه على قولهم لانه لم يقطع بعد مجيئه باثنين وستين اسبوعا وتفسيرهم لها في غاية الركاكة والتعسف كما لا يخفى على من نظر كتبهم

(٧) قوله (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس الى قوله ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة الخ) صريح فيما ذهبنا اليه وفي حمله على المسيح عيسى عليه السلام تفكيك للعبارة وقلب لجلها بالتقديم والتأخير ومع ذلك فالمسيح لم يبطل الذبيحة والتقدمة كما بينا ولم يثبت عهدا مع كثيرين لأسبوع أوفي أسبوع لان مدة نبوته كانت ثلاث سنين فقط

(٨) من تأمل في هذا الاصحاح كله علم أن دانيال كان يطلب من الله أن يرأف بأورشليم ويرحم أمته فجاءه جواب جبريل على قولنا بأنها ستعمر من تاريخ صدور الامر الى حين تخريب الرومان لها وفي هذه المدة يعين نحميا (وهو المسيح الرئيس) فيحصنها ويبني سورها ، وبعد تمام تخريب الرومان لها تمكث سبعين أسبوعا على تلك الحالة ثم يأتي البر الابدي لامته ويغفر ذنبها ويمسح قدوس القديسين (محمد) وهو الذي تعيد أمته لها العمران والمجد وأما على قول النصارى فيكون جواب جبريل لدانيال أن مدينتك ستمكث سبعين أسبوعا وبعدها تخرب خرابا أبديا فأي الجوابين هو الانسب لطلب دانيال ودعائه وصلواته ؟ وقوله ان السبعين اسبوعا قضيت عليهم يشعر بأنها أسابيع عذاب وخراب كما هو قولنا لا أسابيع راحة وعمران كما هو مقتضى قول النصارى والخلاصة أن تفسير النصارى لعبارة دانيال ركيك ومتكلف فيه وغلط وفيه من التعسف والخلط والخبط مالا يخفى على بصير

(برهانهم الثاني) قالوا ان أشعيا النبي أخبر بحادثة الصلب وبحمل المسيح ذنوب الناس وبتقديم نفسه كفارة عنهم وذلك حسبما ورد في الاصحاح الثالث والخمسين من سفره

ونقول ان هذا الاصحاح متصل بالاصحاح الثاني والخمسين الذي قبله وكلاهما في موضوع واحد لاعلاقة له البتة بالمسيح عليه السلام وموضوعهما أمر بني اسرائيل الى بابل فهما نبوءة عن حصول الاسر وعن نجاة بني اسرائيل منه قال ٥٢ : ١

(استيقظي استيقظي البسي عزك يا صهيون البسي ثياب جمالك يا أورشليم ..... انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون ٣ فان هكذا قال الرب مجانا بعتم وبلا فضة تفكون ٤ لانه هكذا قال السيد الرب الى مصر نزل شعبي أولا ليتغرب هناك ثم ظلمه أشور بلا سبب ٥ فالآن ماذا لي هنا يقول الرب حتى أخذ شعبي مجانا الى قوله ٨ .... عند رجوع الرب الى صهيون ٩ أشيدي ترنمي يا أورشليم لان الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم ١١ اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا شيئا نجسا اخرجوا من وسطها تطهروا يا حاملي آنية الرب ١٢ لانكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين لان الرب سائر أمامكم وإله اسرائيل يجمع ساقتكم ١٣ هوذا عبدي يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جدا) والمراد بالعبد هنا شعب إسرائيل فان الكتاب المقدس يتكلم عنه كثيرا كشخص مفرد فمن ذلك قوله في سفر أشعيا هذا ٤١ : ٨ (وأما أنت يا اسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل ابراهيم خليلي .... وقلت لك أنت عبدي اخترتك) وقوله ٤٣ : ١ (يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا اسرائيل ... ـ ٢ اذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الانهار فلا تغمرك ٣ لاني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك ـ ١٤ كما اندهش منك كثيرون . كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم) وذلك اشارة للشعب ولتشوهه في بلاد الغربة وهو أسير ذليل ولما أخذوا لبابل مات كثير منهم ومن رجع من اولادهم كان منظره متغيرا ٥٣ : ٢ (نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة) وهذا إشارة لآبائهم الذين كانوا في التيه فأبناؤهم الذين حضروا الى الارض المقدسة نبتوا في الارض اليابسة كما قال أرميا النبي ٢ : ٦ (الذي أصعدنا من مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض يبوسة ٧ وأتيت بكم الى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها) وهذا لا يفهم له معنى في حق المسيح عليه السلام ثم قال ٥٣ : ٢ (لا صورة له ولا جمال) فلما أتوا من التيه الى الشام كانت صورتهم متغيرة كتغيرها بعد أسر بابل من الذل والفقر والمشاق وغير ذلك ٥٣ : ٣ (محتقر ومخذول من الناس) لانهم كانوا أسرى أذلاء ضعفاء وقوله ٦ (والرب وضع عليه اثم جميعنا ٧ ظلم أما هو فتذلل)

يفسره قول النبي أرميا الذي شاهد بنفسه حادثة أسرهم الى بابل فقال في مراثيه ٥: ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم ٨ عبيد حكموا علينا . ليس من يخلص من أيديهم ١٠ جلودنا اسودت كتنور من جرى نيران الجوع) وهذا كقول أشعيا فيما سبق لا صورة له ولا جمال الخ ١١ (أذلوا النساء في صهيون العذارى في مدن يهوذا) وقوله ظلم هو كقوله في الاصحاح الذي قبله ٥٢ : ٤ (ثم ظلمه أشور بلا سبب) وقوله (كشاة تساق الى الذبح) معناه أن ملك بابل ساقهم وهم أسرى كما تساق الشاة الى الذبح وقدمات أكثرهم هناك من الاضطهاد والتعذيب والقتل والجوع والتعب وغيره مما حل بهم ثم قال ٥٣ : ٨ (وفي جيله من كان يظن انه قطع من أرض الاحياء انه ضرب من أجل ذنب شعبي) وقد سبق تفسير ذلك من مراثي أرميا ٩ (وجعل مع الاشرار قبره ومع غني) لانهم كانوا يدفنون مع الوثنيين وهم أغنياء في بابل مدة سبعين سنة وأما المسيح فدفن وحده في قبر جديد في بستان لم يدفن فيه أحد قبله (يو ١٩ : ٤١) ولم يكن معه أحد من الاشرار ولا من الاغنياء كما قال أشعياء عن بني اسرائيل مدة أسرهم هذه ١٠ (أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن) وصحة الترجمة أراد وفي نسخة الكاثوليك (رضي أن يسحقه بالماهات إن جعل نفسه ذبيحة إثم) والنص العبري هكذا (أراد الرب أن يضربه بالحزن لانه جعل نفسه آثما) وهذا مثل ما سبق في مراثي أرميا وقال أشعياء أيضا ٥١ : ٩ : (إثنان هما ملاقياك « وذلك خطابا لأورشليم » من يرثي لك ؟ الخراب والانسحاق والجوع والسيف. بمن أعزيك؟ ٢٠ بنوك أعيوا اضطجعوا في رأس كل زقاق) وقد لاقوا كل ذلك من ملك بابل فخرب أورشليم ومات منهم كثيرون بالقتل والجوع وغيرهما . ثم قال ١٠ (يرى نسلا تطول أيامه) إشارة لرجوعهم الى وطنهم وتناسلهم فيه . وأما المسيح فلم يكن له نسل حتى تصح هذه العبارة فيه

ثم قال (وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين . وآثامهم هو يحملها) وقد حصل ذلك فأضطهد البار منهم وعذب وأسر بسبب ذنب الاشرار منهم . قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أي تعم الصالح والطالح ويؤخذ البريء بذنب المذنب في مثل هذه الاحوال . ويصح ان يكون المراد أن الشرير

منهم إذا أطاع الصالح وتاب واستقام تمحى ذنوبه فكأن الصالح حملها ورفعها عن عاتقه أي أزالها عنه بهدايته له . ثم إن الله تعالى في مثل هذه الاحوال ينجي الاشرار ولا يهلهم إلا لأجل إكراما للابرياء الذين ظلموا معهم وأخذوا بذنبهم فكأنهم حملوا آثامهم عنهم وقد قال في أرميا ٥٠ : ٣٣ (إن بني اسرائيل وبني يهوذا مظلومون وكل الذين سبوهم أمسكوهم) وقال أيضا ار ٣٣ : ٧ (وأرد سبي يهوذا وسبي اسرائيل . . . . ٨ وأطهرهم من كل اثمهم وأغفر كل ذنوبهم) وقال أر ٥٠ : ٢٠ (في تلك الايام يطلب اثم اسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجد لاني أغفر لمن أبقيه) فأسرهم إلى بابل وهم مظلومون طهرهم من الذنوب والآثام فحملت عنهم وغفرت كلها والحامل لها هم المأسورون المسبيون . وقوله ١٢ (وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين) صحة ترجمته (وللعصاة يدعو) أي يدعو الله لهم بالتوبة والهداية . فالكلام كله في شعب إسرائيل ولا علاقة له بالمسيح عليه السلام ومما يؤيد ذلك قوله فيما سبق (ضرب من أجل ذنب شعبي) فان أصله العبري (ضربوا من أجل ذنب شعبي) بالجمع لان الكلام في بني إسرائيل ولكن أبى النصارى إلا أن يترجموها بالافراد ليحملوها على المسيح تحريفا منهم للكلام وكذلك قوله (أحصى مع أثمة) ينطبق على بني اسرائيل أكثر من انطباقه على المسيح فانهم عدوا في بابل مع الكفرة الوثنيين وأما المسيح فقالوا إن ذلك إشارة لصلبه مع اللصين وكذلك قال مرقس في إنجيله ١٥ : ٢٨ مع إن لوقا يقول ٢٣ : ٤٣ إن المسيح قال لاحدهما (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) فكيف يكون هذا آثما فحينئذ لم يكن معه آثم سوى واحد فقط ولكن أشعياء يقول (وأحصي مع أثمة) فلذا قلنا إنه أظهر في قولنا منه في قولهم . على أن صلب اللصين عجيب غريب لان شريعة موسى لا توجب القتل على السارق إلا إذا سرق إنسانا ولا توجب عليه الصلب وإنما يعلق على الخشبة بعد موته (راجع خر ٢١ : ١٦ و٢٢ : ١ وكذا تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣) والشريعة الرومانية لا يوجد فيها الصلب للصوص وهم أحياء بل كان الجلد عندهم عقاب

السارق . فكيف صلب هذان اللصان وهما أحياء ؟ وبحسب أي شريعة كان ذلك ؟ وكيف يجمع بين قول انجيل مرقس ١٥ : ٣٢ ان اللصين كانا يعيران المسيح وقول لوقا ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٣ إن الذي عيره واحد منهما ؟ فان قيل إنهما عيراه في اول الامر ثم تاب أحدهما . قلت هذا تلفيق واختراع لم يرد في الانجيل ما يشير إليه بل يفهم منه خلافه

وجملة القول ان الاصحاح الثاني والخمسين والثالث والخمسين لا علاقة لهما بالمسيح مطلقا وهما مختصان بشعب اسرائيل . وما في الاصحاح الثالث والخمسين من التعبيرات والافكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام وعقاب البرىء بذنب المذنب حمله اليهود المتنصرون في مبدأ المسيحية كبولس وأضرابه الى ديانتهم الجديدة فأدخلوا فيها هذه العبارات والافكار وطبقوها على المسيح ثم توسعوا فيها شيئا فشيئا حتى وصلت عقائدهم الى ما نعرفه عنهم اليوم ومما ساعد على انتشارها بين الناس وجود أمثالها عند الأمم الوثنية من قديم الأزمان كما أثبته صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فأفكار اليهود في الخلاص من مصر ومن بابل تحورت في المسيحية وولدت عقائد الصلب والخلاص والفداء فيها وبعد أن كانت هذه العقائد في مبدأ المسيحية صغيرة كما في الاناجيل فان مؤلفيها كانوا يفهمون أن المسيح يخلص شعبه من خطاياهم (متى ١ : ٢١) ثبت ونمت حتى وصلت الى ما وصلت اليه في رسائل بولس (راجع مثلا الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية) وصار الخلاص لجميع البشر من ذنب أبيهم آدم ولم يقل ذلك المسيح ولا مؤلفوا الاناجيل ثم توسعوا في هذه الافكار وهذه الخيالات حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم مما نسمعه منهم ونقرأه في كتبهم التي صدعوا رؤوس العالم بها لاعجابهم بهذه العقائد التي لا تروق إلا لهم ولا تعجب الا عقولهم

(برهانهم الثالث) المزمور الثاني والعشرون وخصوصا قول داود عليه السلام فيه ١٢ (أحاطت بي ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتني الى قوله ١٦ ثقبوا يدي ورجلي ١٧ أحصي كل عظامي . وهم ينظرون وينفرسون في ١٨ يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وفي النسخة العبرية بدل (ثقبوا يدي ورجلي) قوله (كأسد يدي ورجلي) ولذلك قال البروتستنت ان الكلمة المترجمة هنا (بثقبوا)

يراد بها أيضا كأسد . والسيد داود عليه السلام يشير في هذا المزمور الى حادثة وقعت له وهي مذكورة في سفر صموئيل الاول (إصحاح ٢٩ و ٣٠) وكانت هذه الحادثة مع العمالقة في صقلغ وكان معه من بني اسرائيل جماعة ومنهم من أرضهم في باشان وهم الذين هموا برجمه لما سبيت نساؤهم وأولادهم (اصمو ٣٠ : ٤ ـ ٦) وقد سبيت امرأتاه أيضا فبكى هو ومن معه بكاء مرا ولكنه تشدد بالرب إلهه ودعاه بهذا المزمور فقوله (أقوياء باشان اكتنفتني) هم الذين كانوا معه من بني جاد ومن بني منسي لان أرضهم في باشان وهم الذين قالوا برجمه وقد سماهم ثيران (مز ٢٢ : ١٢) وقوله بعد ذلك (جماعة من الاشرار اكتنفتني) هم العمالقة الذين سبوا زوجتيه ولا بد أنهم أخذوا ملابسه معهم أيضا ولذلك قال ١٨ (يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وقوله (كأسد يدي ورجلي) اشارة لشجاعته وشدته وقد نصره الله على العمالقة واسترد منهم كل ما أخذوه . فأي علاقة لهذا بالمسيح ؟ نعم انهم اخترعوا له أشياء تشبه بعض ما ذكر في هذه الحادثة ليطبقوها عليه فقالوا ان العساكر اقتسمت ثيابه يوحنا (١٩ : ٢٣ و ٢٤) مع ان المسيح ما كان يلبس شيئا فاخرا لتقشفه وزهده ولا يعقل أن الولاة أعطوه وهو محكوم عليه لباسا نفيسا حتى تهتم العساكر بقسمته بينهم ولكن النصارى كما قال السيد جمال الدين (فصلوا ثوبا من العهد العتيق وألبسوه للمسيح) فضلوا وأضلوا هداهم الله (يتلى)

اتفاقيات سرية (*)

﴿ على مراكش والجزم وطرابلس الغرب ﴾

من المعلوم ان في بلاد الانكليز حزبين كبيرين يعود تاريخ انشائهما الى مئات من السنين . وهذان الحزبان هما حزب الاحرار المتولي اليوم زمام الاحكام وحزب المحافظين . ومن المعلوم أيضاً ان سياسة اوربة في الوقت الحاضر تحوم حول قوتين هائلتين احداهما ألمانية ومناصروها من النمساويين وغيرهم والثانية انكلترة واصدقاؤها

(*) نقلا عن جريدة الافكار (عدد ٦١٥) التي تصدر في سان باولو (البرازيل)

من فرنسيين وغيرهم . وكل مايجري في العالم السياسي تكون علله ومعلولاته راجعة الى احدى هاتين الدولتين

ولا جرم أن توازن القوات هو مايحدو برجال السياسة المفكرين الى الخوف من نشوب حرب طاحنة بين تينك الدولتين وحليفاتهما على نحو ماجرى بين فرنسة وانكلترة في زمن نابوليون بونابرت وما جرى بين روسية وانكلترة في النصف الاخير من القرن الماضي . فان الحروب العظيمة التي افنت قوى أوربة على زمن بونابرت لم تكن سوى نتيجة معقولة لسبب كبير هو اختلال التوازن الدولي وسعي رجل أوربا العظيم نابوليون الاول (؟) لجعل فرنسة نقطة الدائرة في سياسة العالم يومئذ وقيام الانكليز بوجه ذلك الثابغة خوفاً على الهند وسائر مستعمراتهم بل خوفاً على كيانهم أمة مستقلة تشغل المقام الاول بين الأمم . وما الحرب الروسية اليابانية الاخيرة سوى تكرار مافعله الانكليز مع نابليون الاول واعني ضرب مطامع الروس ضربة هائلة من قبل انكلترة وحليفاتها حتى تبقى السكفة الراجحة في جانب الانكليز وخصوصاً في المشاكل الاستعمارية

وبعد هذا التمهيد فلنعد الى الحزبين الكبيرين عند الانكليز وهما الاحرار والمحافظون كما قلنا . فالمحافظون سقطوا بسبب حرب الترنسفال واصبحت الاكثرية في جانب الاحرار منذ ذلك الحين ولا يزال هؤلاء اصحاب الحول والطول حتى هذه الساعة . ومن المعلوم ان اختلاف الاحزاب السياسية ضروري لجلاء الحقائق وبقاء معارضة تكون شبه شكيمة تردع الحكام والمتنفذين عن الانقياد الى اهواء النفس وامیالها . والنفس امارة بالسوء . وهاانا اليوم في موقف حرج للغاية فقد اصبحت فيه اوربة مثل بركان امتلأ جوفه بكل معدات الهلاك الهائلة . والعياذ بالله من يوم ينفجر به ذلك البركان فانه سوف لايبقي ولا يذر والمسؤلية كل المسؤلية على المستلمين زمام الاحكام وخصوصاً في لندن وبرلين — أي حيث نرى قوتين هائلتين واقفتين بالمرصاد بعضهما لبعض وكل منهما تعد العدة وتبالغ في اتخاذ الاحتياطات لذلك اليوم العصيب أبعده الله عن العالم وابعد الحروب وويلاتها رحمة ببني الانسان

ولما كانت المسؤلية عظيمة كما قدمنا فلا غروَ اذا اكثر الباحثون من التدقيق والتمحيص تارةً بالنقد وطوراً بالنصح واخرى بالانذار والتحذير حتى تبتعد مخاطر الحروب عن اوربة فتقترب القلوب بعضها من بعض ويحدث التفاهم والسلام الذي هو ضالة العقلاء المنشودة ولا سيما في هذه الايام . ولا يخفى بان خطر الحرب كان قريب الوقوع في اواسط العام الماضي بين المانية وفرنسة بسبب مراكش ولولا ان الانكليز ابدوا

تواجدهم باخطار المانية بالانسحاب من مياه اقادير (الغدير) والاتفاق مع فرنسة بمفاوضات حبية لقصفت اصوات المدافع ولمع البارود واستلت السيوف من اغمادها ووقع المحذور الذي يسعى محبو السلم الى اتقائه

ولما انفرجت تلك الازمة الشديدة انبرى احرار الانكليز الى نقد وزارتهم الحاضرة وقام المعارضون يخطئونها ويظهرون للملأ مخاطر سياسة الاحرار الحاضرة فاكثروا من المباحث بهذا الصدد وما برحوا حتى الساعة يكتبون ويخطبون وينشئون قائلين — ولهم الحق فيما يقولون — ان الامر جليل والحادث جسيم ومن جراء غلطة سياسية صغرى ، قد يكون سقوط امم ونهوض أمم أخرى

ولا غرو اذا حامت مباحث المعترضين على مسألة مراكش ومسألتي العجم وطرابلس الغرب لان هذه المعضلات الاستعمارية هي سبب الخلاف وهي المحور الذي تدور حوله مفاوضات الدول العظمى في الوقت الحاضر . فمن مشكلة مراكش نقول ان الامر قد انقضى والحمد لله(؟!) ولكن الجرح لم يلتئم بعد واذا التأم فعلى دغل وهذا ماحدا بالحزب المعارض في انكلترا الى رفع عقيرته بالاحتجاج على سياسة بلاده الخارجية وفي عرض الكلام عن تلك السياسة فضح اسراراً سياسية هائلة وانذر الامة بسوء العقبى فقال ما ملخصه حسبما ورد في العددين الاخيرين لمجلة القرن التاسع عشر الشهيرة : —

«ان الخطة التي اتبعها السر ادوارد غراي ناظر خارجية انكلترة هي خطة عوجاء سوف تجرنا الى حرب طاحنة مع المانيا . وبامكاننا اجتناب هذه الحرب بسهولة تامة . واللوم في ذلك على سفيرنا في باريز الذي أصبح يبغض الالمان وينفذ غايات بعض ذوي الاغراض الشخصية في نفس الوزارة الخارجية عندنا . ومن سوء الطالع ان وزير خارجيتنا أخذ بصفي لهم غير حاسب للعواقب حسابا . ففي شهر يوليو (تموز) سنة ٩١١ اجتزنا ازمة هائلة لاننا كنا على وشك الحرب مع المانية . ولماذا ؟ ارضاء لخاطر سفيرنا في باريز ليس الا

«فما هي المنافع التي تعود علينا اذا اشتبكنا بحرب بسبب مسألة مراكش ؟ لاشيء مطلقاً . فاننا اذا خسرنا فالويل لنا . واذا ربحنا ففرنسة وحدها هي التي تغنم تلك الارباح . ولا ندري هل بقاء هذا التفاهم الودي مع فرنسة نافع لنا ام ضار — ونحن الى ما قبل سبع سنين فقط كنا نجهر على رؤوس الاشهاد ببغض فرنسة واحتقار كل شيء فرنسي . اما الآن فصرنا اصدقاء ! وكذا قد صرنا اصدقاء الروس ايضا .

فيالعجب كيف سعينا جهدنا لمحق الروس في حربهم مع اليابان؟ (ولطالما كرر الانكليز هذا الاعتراف الصريح في السنين الاخيرة) وما زلنا نسعى لنضع حواجز في سبيل تقدمهم الاستعماري . وكيف يعقل ان فرنسة وروسية تخلصان لنا الود وهما لم تنسيا بعد مساعينا المتواصلة ضدهما ؟ . فلو كانت الحرب قد نشبت في شهر تموز الماضي بين المانية وفرنسة بشأن مشكل أقادير (الغدير) وكانت انكلترا قد انجزت وعدها فنزلت الى ميدان القتال مناصرة لصديقتها فرنسة فمن كان يضمن لنا بقاء اصحابنا مخلصين لنا ؟ او ما هي المنافع التي نجتنيها من حرب كهذه لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؟

الاتفاقات السرية

« ان السر ادوارد غراي في خطبته الرسمية التي القاها في مجلس البارلمان في ٢٧ اكتوبر (ت ٢) المتضمن جهر بصراحة تامة قائلا انه استدعى اليه سفير المانية وصرح له باستعداد انكلترة لمناصرة فرنسة مناصرة فعلية اذا لزم الامر، وسبب ذلك حسبما علمنا اليوم اتفاق سري أبرم في شهر ٨ إبريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ ومن يعلم مضمون ذلك الاتفاق ؟ ولكن دلت الحوادث على ان فرنسة وانكلترة وضعتا امامهما يومئذ البحر المتوسط فقالتا هكذا : ـ

« مصر للانكليز من دون معارضة . مراكش لفرنسة مع السماح لاسبانية بالثغور الشمالية وقطعة من الداخلية ضرورية لتلك الثغور . طرابلس الغرب لايطالية لقاء سكوتها عن هذا الاتفاق (وربما كان لقاء سلخها من المحالفة الثلاثية) وها ان الاميرال فرمانتل قد نشر مقالة في مجلة البحرية البريطانية مضمونها انه لم يعد ذلك الاتفاق سرا. فان كل رجال الحكومة الانكليزية وقفوا على مضمونه . ولكن الصحافة الانكليزية سكتت سكوتا تاما عن هذا الاتفاق فلم تشر اليه ولا بكلمة . ونحن مدينون لجريدة الطان الفرنسية التي فضحت هذه الأسرار ومثلها جريدة « لهجورنال » الفرنسية أيضاً التي اسهبت في الكلام على تلك الاتفاقيات السرية التي نحن بصددها الآن . وكل ذلك نشر في صحافة باريز بالشهرين الفائتين (اي ديسمبر ك ١ ويناير ك ٢) والامة البريطانية لا تدري من هذه الاتفاقيات السرية شيئا بفضل سكوت صحافتها التي تطلع كل ايماز من دار نظارة الخارجية

« ليس ذلك فقط بل ان في جريدة الطان بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر (ت ٢) الفائت تصريح هائل مضمونه ابرام اتفاق حربي بيننا وبين الفرنسيين في سنة ١٩٠٥

اولا ثم في ١٩٠٨ ثانياً واخيراً في سنة ١٩١١ وحسب شروط تلك الاتفاقيات الحربية ان على انكلترة انزال ١٥٠ الف جندي من جيشها البري في بلجيكا حال نشوب حرب بين المانية وفرنسة فضلا عن وجوب تحريك الاساطيل البريطانية حالا . وهذه القوة الهائلة التي استمدتها فرنسة من تلك المعاهدات الحربية السرية هي التي جعلتها تستأسد في مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ حينما أبت المانية ان روسية وايطالية والولايات المتحدة وانكلترة هنّ في جانبها . وفي العام الفائت أيضاً لما احتدم الخلاف بسبب مسألة اقادير (الفدير) كانت فرنسة تظهر من الحزم والسداد شيئا كثيراً . ولما قيل لها : وكيف توفق بين مطامعك الآن في مراكش وبين تعهداتك في مؤتمر الجزيرة بحفظ استقلال تلك السلطنة المغربية ؟ كانت تراوغ في الجواب وتقول : هكذا اريد (!) وان يدي يجب ان تكون مطلقة التصرف في مراكش (؟ !)

«وبكلمة اوضح نقول ان المؤتمرات الدولية اصبحت من دون اعتبار ولا قيمة . لان الاتفاقيات السرية تفسدها(١) والمعاهدات الحربية تتهدد من يرفع صوته باشهار الحرب في اقل من لمح البصر . وهل يليق هذا بشعب راقٍ مثل الشعب الانكليزي الذي يرسل نوابه الى تلك المؤتمرات والذي يضرب المثل بمحافظته على كلامه ووعوده فيقال في اوربة « كلمة انكليزية » و « موعدٌ انكليزي » اي صادق ومضبوط ؟ . وامامنا الآن مسألة العجم ومسألة طرابلس الغرب . فما ذنب العجم يأتى حتى تتركها تتألم ؟ لا ذنب لتلك المملكة الشرقية سوى كونها ضعيفة . هذا هو الحق الصراح . وما ذنب تركيا في مشكلة طرابلس الغرب ؟ ان مؤتمر برلين يقول بحفظ سلامة تركية . ولكن الاتفاق السري المبرم بين انكلترة وفرنسة واسبانية وايطالية على البحر المتوسط يناقض قرار مؤتمر برلين . ومن يجسر على الاحتجاج ؟ لا احد . فان دون الاحتجاج اعلان حروب واحتلال ممالك وولايات وإمارات . والويل للضعيف الذي لا يقدر على الدفاع عن حقوقه بقوته الوحشية (٢)

« قد رأينا الشعوب الاوربية وفي مقدمتها الشعب الفرنسي مذهولة امام هذه الحقائق المتناقضة فالفرنسيون هاجوا وماجوا لما دروا ان اسبانية زحفت الى ما وراء الثغور المراكشية وطلبوا من وزارة كايو الحزم ازاء هذا الزحف والمسير

(١) ليعتبر الذين يؤلهون اوربة ويقدسون كل تسمية لها وليعلموا انهم اذا تعطل احساسهم فان في مقدسيهم من لم تعمه الاغراض عن التصريح بالحقائق « والفضل ماشهدت به الاعداء » راجع مقالات المسألة الشرقية في المنار والمجلد الرابع عشر (٢) راجع مقالات المسألة الشرقية ايضا

صالح مخلص رضا

كايو المعروف « ببرودة الدم » والحزم والذكاء النادر المثال وقف حيران لا يدري ماذا يفعل . فالاتفاقات السرية غلت يديه عن العمل كما انها غلت يدي زميله ناظر الخارجية المسيو دي سلف ولا بد من سقوط وزارة كايو (*) لهذا السبب المهم . واهل اوربا ينظرون الى تركية الآن بعين العطف والشفقة لانها مظلومة ومعتدى عليها (١) ولكن الحكومات المرتبطة مع ايطالية بمعاهدات سرية تخالف اميال شعوبها وتقول للناس : ان المؤتمرات الدولية وحقوق الامم ليست سوى حبر على ورق . وها انتا الآن في زمن نرى به الروس يزيدون في قوات أساطيلهم زيادة فاحشة . والاسبان يفعلون كذلك تحت مراقبة وزارة البحرية الانكليزية ذاتها . وبذات الوقت علمنا ان المانية قررت زيادة عدد جيوشها واعادة تنظيم فيالقها كما انها قررت زيادة مدرعاتها في السنين المقبلة زيادة مضطردة . وعلى نبهاء الانكليز ان يفقهوا حرج الحال فيوقفوا وزارة خارجيتهم عند حدها حتى لا تعود تتمادى بعقد معاهدات حربية وسرية لان الحروب لا تلائمنا مطلقاً ، وكيف تلائمنا ونحن أمة تجارية وصناعية ؟ . اه

(*) قد سقطت وزارة كايو بعد نشر هذه المقالة بقليل — الافكار

(١) يؤيد قول الكاتب ما كنا نسمعه ونقرأه من ان الدول منعن ايطالية عن ضرب الثغور العثمانية الآمنة مع محاولتها ذلك مرارا وما كتبته « جريدة الشرق الانكليزية » وخلاصته « ان سلوك الدول في الحرب الحاضرة مع ايطالية حملها على الاحتجاج عليهن اذ لم يضغطن على تركية ويلجئنها الى ترك الحرب ولم يسمحن لها بتوسيع الحركات البحرية في الثغور العثمانية لتضطر هي نفسها تركية لقبول شروطها

ثم قالت الجريدة المذكورة ماحصله : انه كان على ايطالية ان تتروى اولا بخرج الموقف قبل سوق القوى الحربية الى طرابلس الغرب . وان الاجدر بها ان تشكر الدول على مخالفتهن معاهدة برلين التي تلزمهن بضمان سلامة املاك تركية وان تخص منهن دولة بريطانيا لانها زادت على نقض معاهدة برلين بأن حالت دون مرور النجدات العثمانية في أرض مصر التي هي بلاد عثمانية تحت سيادة السلطان العثماني

ثم قالت : على انه لو تسنى لتركية سوق قواتها بطريق مصر لكان الفوز النهائي بجانبها ولوضعت الحرب اوزارها . اه (أي وكان في هذا أعظم خدمة للانسانية من جهة وللمحاربين من جهة أخرى اذ يقف كل عند حده ويعرف مقامه ويلتفت الى اصلاح شأنه

ونقول ان الحركات الاخيرة التي ابدتها ايطالية من ضرب بيروت وبعض ثغور اليمن تدل على ان الدول سمحن لها بأن تعيث في بلاد الدولة ماشاءت وان تجوس خلال الديار العثمانية ان قدرت فتعين عليها ان تزيد في شكر دول المدنية ! وانصار الانسانية ! وان تسبح بحمدهن وتسجد لعظمتهن ! ولا بد ان تجرأ على ضرب الجزر والثغور في بحر سفيد بعد ذلك صالح مخلص رضا

ثم أتبعت « الافكار » المقال بما يأتي :

﴿ في مجلس الشيوخ الفرنساوي ﴾

ونحن نكتب هذه السطور وردتنا التيمس الصادرة بتاريخ ٨ مارس (اذار) الجاري وفيها مما له علاقة بهذا الصدد الكلام الآتي عن فرنسة : —

« اشتغلت ندوة النواب بالبحث في الاتفاقيات السرية فخطب المسيو بو منتقداً تلك المادة في الدستور التي تمنح رئيس الجمهورية وحده الحق في عقد معاهدات سرية مع دول اجنبية واقترح تأليف مجلس شورى مؤلف من ستة اعضاء من الندوة وثلاثة آخرين من مجلس الشيوخ يستشيرهم رئيس الجمهورية في مثل تلك الظروف وهؤلاء التسعة يمثلون رأي الامة ويمنعون رئيس الجمهورية من الشطط . ولكن وزير الخارجية رفض هذا الاقتراح وقال ان الوزارة لاتقدر ان تقيد هي أو تقيد رئيس الجمهورية بشرط كهذا لان أحوال السياسة الخارجية تجبر الحكومة على ابقاء ذلك الحق في عقد اتفاقيات سرية بيد الرئيس وحده . وللرئيس ملء الحرية في اشهار مواد الاتفاقيات او حفظها مكتومة طبقاً لاحكام الظروف . وتاجلت المناقشة في هذا الموضوع لوقت آخر اه

التقريظ والانتقاد (*)

﴿ كتاب البنين ﴾

(تأليف بول دومر ، وتعريب عبد الغني العريسي)

تمهيد

توجد في غريزة الانسان والحيوان عاطفة الحنو والرفق بصغار النسل ما وجدت الحاجة اليها ، وكلما اشتد ساعد الوليد اشتداداً يمكنه من الاعتماد على نفسه نقص من تلك العاطفة بقدر ذلك النمو حتى اذا ما بلغ الوليد اشده واستغنى عن معونة والديه باستعداده للقيام بشؤونه انفصل عنهما واتخذ لنفسه منهجا يسلكه في حياته معتمداً على

*) ما يكتب في هذا الباب بهذا الجزء انما هو بقلم السيد صالح مخلص رضا

نفسه محافظاً على ذريته بمثل ماحوفظ عليه ، وعلى هذه السنة تسلسلت انواع الحيوان وعظمت وكثرت وملأت البر والبحر .

كذلك نرى في طبيعة النبات وتركيب جسمه من المواد المختلفة الطعم والخاصية فتقل الهوام والحشرات التي تسطو على ازهاره وبزوره وتحاول استئصال نوعه — ومن الالياف والاشواك والحراشيف والزغب والحمل مايمنع هجوم الطير والحشرات عن تلك البزور والازهار ويخفف وطأة فواعل الطبيعة عنها — وبهذا حفظت انواع النبات التي نراها ونتنفع بها الى اليوم

حب البقاء موجود في غريزة كل كائن ومساور لطبيعة كل موجود واذ لم يمكن بقاء الذات فقد امكن بقاء النوع بحكم الغريزة لايعمل يعمله المخلوق مختارا

هذا هو المشاهد في هذه الكائنات الواقعة تحت حواسنا بحكم طبيعتها ، ولكن المخلوق العجيب (الانسان) ابى الا مساعدة الطبيعة فكون البيوت (العائلات) في الصور الحالية واختص كل بزوج يكون عونا له على اعالتها وتسلسلها — هذا هو مبدأ تكون العائلات واتخاذ الوطن لها بالطبع

ثم لما كان لابد لكل عمل من روح مدبرة حافظة كيانه توجهت النفوس للعبادة بالهام حرك ماهو مغروس في الجبلة من الخضوع لقوة هي فوق القوى ووراء عالم الحس — ولما كانت تلك القوة لم تظهر له الا بآثارها ولم تكن قد استعدت عقول البشر للبحث فيما وراء الحس أو تعقل مالبس يدرك بالحواس الظاهرة — اتخذت كل عائلة معبوداً لها تلتف حوله ويكون مظهر خضوعها لتلك السلطة غير المدركة وهذا هو مبدأ تكون الاديان

فيظهر من هذا ان الدين والوطن هما كالروح والجسم في كيان المجتمع الذي هو البيوت لاحياة كاملة لاحدهما بدون الآخر وبهذا يتجلى معنى « حب الوطن من الايمان »

الحب لغة روحية انفرد بالتمتع بها الانسان عن أنواع تشاركه في الحيوانية (١) وهو قوام كل عمل أدبي أو مادي — فهو روح كل فضيلة وملاكها . ولذلك قال بعضهم وقد سأله تلاميذه عن حقيقة الله تعالى — وقد عجز عن ان يحده — : الله محبة هو :

حب الانسان للبقاء هو الذي أوجد له أسبابه ، وهيأ له طلابه ، فتعاقب وتناسل ولكنه لما لم يكن قد توغل في الحياة العقلية — كما مر — ما كان له ان يقدر الفضيلة

(١) ان ميل بعض الحيوان لبعض أو للانسان أو للبيئة لايعد مما نريده من معنى الحب ولا يخرج عن الفة بعض العناصر الى البعض الآخر في تكون أشخاص الموجودات

قدرها ولا ان يعرف معنى لمقابلة الاحسان بالاحسان ـ الذي هو ثمرة أدبية مهبطها السماء ومقرها قلب الانسان بعد استعداده لتلقيها ـ

كان الانسان مهما هو مفروض فيه من الاستعداد للكمال النفسي اشبه بمادي محض ـ لذلك لم يخاطبه المصلحون من الانبياء والحكماء الا بما استعد لفهمه والعمل به ، ولما كانت المحافظة على البيت (العائلة) هي التي تجلى فيها حب الوطن ، ولا قوام لها الا بنبل الاخلاق ـ واجلى تلك المظاهر انما هو الرابطة الحية الموجودة بين الوالدين وأولادهم ـ وكان الانسان الى انتشار أعم دين قبل دين الاسلام لا يعلم شيئا أعظم لديه من حب البقاء على وجه هذا البسيط ـ قالت له التوراة « اكرم أباك وأمك لتطول ايامك على الارض » وهذه الوصية هي أعظم أساس لما يتلوها مما هو أعلى منها واسمى في دين عمومي يأتي بعد ذلك (دين الاسلام) حيث يقول الله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها ـ الخ الآيات وقوله ـ « ان اشكر لي ولوالديك اليك المصير ، وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي » الخ الآية

اوضحت الاديان سابقها ولاحقها طرق التربية بحسب الزمان والمكان، واستعداد الانسان، ـ وكلها كانت توطئة لذلك الدين العمومي الذي هو دين الفطرة وخاتمة الاديان، فجاء الناس بواضح التبيان ، وشرع لهم طريق التربية ووضع لهم اساس الرقي الادبي على اوثق بنيان، ولم يدع من فضيلة الا هيج مهابها ، وأوضح سبلها. وبعث نبيه ليتمم مكارم الاخلاق، فادب الناس بالتربية العملية . وعندما جاء دور تدوين الكتب وتحديد المسائل العملية كتب علماء الاسلام في التربية والاخلاق ما لم يغادروا بعده صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها، ونشأ في الامة رجال هم مثال الفضيلة وعنوان الكمال النفسي، ثم خلف من بعدهم خلف تنكبوا طريقتهم، وخالفوا سيرهم فتقطعت بهم الاسباب ـ اسباب الرقي والسير الى ذروات الكمال الممكن للانسان نواله ـ ولم يبق من تلك الكتب وسيرة مؤلفيها الا الاسماء، فتأخر المسلمون وتأخر بتأخرهم الشرق، وهب الغرب من سباته بما ازعجه من حركة الاسلام التي قلبت وجه البسيطة ودكت عروش الجبابرة وفتحت للعقل طرقا يسير فيها الى نوال المنافع الدنيوية والاخروية ـ هب هبوب المذعور واخذ يتلمس الاسباب الى الخروج من تلك الظلمات التي وقفت به حينا من الدهر بين الانسان المطلق والحيوان الاعجم ـ حتى كاد ان يكون هو الحلقة المفقودة كما يقولون ـ وعكف على الدراسة وقرن العلم بالعمل فأخذ حظه من التربية المادية وفوق حظه

ونال قسطا من الرقي الادبي . واصبحنا بحاجة الى تتبع حركاته ، وتأثر خطواته ، ونقل صناعة وترجمة مؤلفاته ، ولكن مخدري الاعصاب معطلي الشعور منا لاهون عما نحن في اشد الحاجة اليه — اللهم الا افراداً منا تنبهوا أو نبهوا لتعريب شيء من الكتب النافعة في التربية البيتية (العائلية) والقومية (الاجتماعية) مثل كتاب (التربية الاستقلالية) أو اميل القرن التاسع عشر وكتاب « سر تقدم الانكليز السكسونيين » واصول الشرائع لبنتام ومونتسكيو وروح الاجتماع وروح الاقوام والدولة والجماعة وغيرها ، ولكن بقيت الحاجة ماسة الى تعريب شيء من كتب الاخلاق فسد هذه الخلة عبد الغني افندي العريسي (احد صاحبي جريدة « الفيد » بتعريب كتاب البنين)

الكتاب

يوجد في اطواء كتاب « البنين » اربعة ابواب (١ — الرجل ، ٢ — البيت أو الاسرة (العائلة) ، ٣ — ابن الوطن ، ٤ — الوطن) وقد تفصلت في ثمانية وعشرين فصلاً ، تسطر في غضونها من الحكم العملية التي تنشأ عن اعمال الروية ما يدل على علو همة المؤلف وكبر نفسه ، وقوة ارادته ، ووفرة تجاربه . ولو كانت الحكمة وحدها كافية لتقويم الاخلاق وتربية الارادة لضمنت لك بانها تخرج الحي من الميت وتوجد — حتى بين ظهرانينا — رجالا خيراساة لادوائنا التي جعلتنا حرضاً ، وكادت تقضي على هذا الذماء الذي بقي لنا من الثروة والاستقلال بانشغال الامم الحية عنا ، واول فصل من فصول الكتاب هو

الارادة والملكة

الارادة : — قصدك الى شيء تعمله بعزيمة ونفاذ ، وقوة الارادة هي الدأب بثبات لاهوادة فيه على تحقيق ما عزمت عليه « ولا يتم ملاك ذلك بالرغبة ، بل بالهمة والارادة والقوة والاسرة على النفس » (كما قال المؤلف)

يقال : فلان حسن الارادة ، كما يقال : فلان سيء الارادة ، وحسن الارادة ان توجه النفس لتقويم ما اعوج من الملكات ، وما ازور من الاخلاق ، فتكب بصاحبه سبل الهداية وصراط الصواب ، وسوء الارادة هو سوق الهمة الى ما يحط من قدر صاحبها وينزل به الى مهاوي الضلال ، وحفر الدمار ، « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات »

أبتدأ المؤلف هذا الفصل بالكلام على الارادة وابتدأ الفصل الذي يليه بالكلام على عمل

الواجب فجعلها المبدأين الذين تدور على محورهما جميع مبادىء الحياة الطيبة، ولا مشاحة بان من ارتقت به همته الى الاحساس بعمل الواجب وكان ذا ارادة قوية، واخلاق قويمة، وعقل رصين، ورأي حصيف، دمثاً هينا لينا فقد انتهى الى باب الحياة الطيبة، والعيشة الراضية، إن لم يدخله اليوم فغدا، واذا كان من المتسلحين بسلاح العلم وقوة اليقين فقد خلص من اوشاب هذه الحياة الى السعادة فكان قرة عين لذويه وامته، باعثاً روح حياة جديدة في قومه، وبمثل هذا تنهض الامم وتحيا بعد موتها (للمقال بقية)

***

﴿ البرهان ﴾

جريدة نصف اسبوعية سياسية يصدرها في طرابلس الشام الشيخ عبد القادر المغربي الشهير - غرضها تأييد جمعية الاتحاد والترقي في المملكة العثمانية ومناواة من عداها وقيمة اشتراكها ريالين مجيديين ونصف في البلاد العثمانية . و١٣ فرنكا في جميع الممالك

***

﴿ البيان ﴾

« مجلة دينية علمية عمرانية تاريخية ادبية لمنشئها الشيخ مصطفى وهبي البارودي من علماء طرابلس الشام ومديرها المسئول جميل افندي عدره »

تبحث في بعض تفسير آي القرآن الكريم، وفي الاخلاق والآداب والتاريخ ولكنها دينية في كل مواضيعها ومباحثها

وسعة اطلاع منشئها وغيرته الدينية يكفلان نجاحها والانتفاع بها سيما والبلاد الشامية في حاجة لمثل هذه المجلة اذ لا يوجد فيها مجلة دينية اسلامية، وهذه نبذة من العدد الاول منها وبودنا لو اقتصر على تسميتها بالدينية فقط لكان ادعى لانطباق الاسم على المسمى

(الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(ولتكن منكم أمة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
قرآن كريم

لا بد للانسان من رابطة تربطه ببني نوعه تكون فيها المصلحة العامة وينقاد لها بحكم النفس وهذه لا تتم الا بنظام كلي تعلم النفس انه جاء لاجل سعادتها وهناء عيشتها ممن أوجدها وتصرف فيها بقدرته وهو الاعلم بصالحها فتذعن له وتلقي زمامها اليه،

وحيث حصل لها هـذا النظام وتمت منه المصلحة فلا بد أن يصحبه مذكر دائم وواعظ مستمر يهديها الى قصد السبيل وجادة المحجة لان الانسان موضع للسهو ومحل للنسيان ومورد للاهواء والشهوات التي باتباعها يدخل الخلل ويقع الفساد فمن ذلك أوجب تعالى أن لا يخلو زمان من طائفة صلحت افهامهم وصدقت عزائمهم وعرفوا أجناس الخير وأحاطوا به علما وميزوا أنواعه من الشرور المشتبهة به تكون وظيفتهم دعاء الناس للخير وصرفهم عن ناحية الشر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتلاحظهم في جميع حركاتهم لترد الجاهل منهم وتذكر الغافل فيهم فلا نلبث الا وقد ساد شأن الناس بحصولهم على ثمرات ذلك النظام الذي فيه المصلحة العامة وحصلت الرابطة الحقة ثم يسري القبول الى النظامات الجزئية والمصالح الخاصية وأولى شيء من الخير بالتقديم في الدعوة هو اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات وفي هذا الخير كله ولذلك فسره بعضهم بالاسلام ويقويه « قل هذا سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» (١) ثم الامر بالمعروف لما فيه من الترغيب على فعل ما ينبغي . ثم النهي عن المنكر لما فيه من الترهيب مما لا ينبغي فالآية الشريفة أوجبت هذه الاشياء الثلاثة على المسلمين لتنتظم لهم سعادة الدنيا والآخرة وأمرت بوجود طائفة منهم تفرغ أنفسها لتحصيل الطريق السهل سلوكها في الناس فيمتثلون ما أمروا به ويجتنبون عما نهوا عنه بعد احاطتهم بالعلم النافع والضار في هذا الطريق والعلم بالمتجددات الزمانية لتكون أعمال تلك الطائفة مطابقة للحكمة فتنجح في قصدها وتبلغ بالناس سبيل رشدها . اه

وصفحات المجلة ٣٢ صفحة بقطع المنار وتصدر في طرابلس الشام في الشهر مرة واحدة وقيمة الاشتراك فيها ثمنية ريال مجيدي واحد وفي عموم المملكة العثمانية ريال وربع ريال و٧ فرنكات في سائر الممالك

***

﴿ تاريخ حرب فرنسة والمانية ﴾

من الكتب التاريخية ما يقرأ لمجرد الفكاهة واللذة ومنها ما يقرأ للعظة والاعتبار، والانتفاع بقصص الماضين وأنباء السابقين ، وكتاب (تاريخ حرب فرنسة والمانية)

(١) ليست الدعوة الى الله تعالى بالدعوة الى مسمى علم التوحيد أو الكلام وانما الدعوة الى الله هي تلك الطريقة التي سنها القرآن وسار النبي (ص) ومن تبعه عليها وفيها من اثبات عظمة الله تعالى وقدرته الخ مالا يوجد في تلك العلوم

الذي كتبه للمؤرخ الشهير جرجي افندي يني صاحب مجلة المباحث المعروف من قراء العربية بعلمه وابحاثه فيه من العبر والحكم ما يفيد العظة ويبعث العبرة ، سيما وان هذه الحرب كانت خاتمة تاريخ وفاتحة تاريخ آخر في أوربة

وقد استخلصه من مجلة الجنان يوسف توما افندي البستاني باذن من الكاتب وطبعه على حدة فجاء كتابا حافلا تبلغ صفحاته ٢١٥ صفحة مزينا برسوم قواد ورجال هذه الحرب ، وجعل ثمنه عشرة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز ومن طابعه

وكنا تمنى أن يعرض الكتاب على المؤلف قبل الطبع فقد جاء فيه أغلاط كثيرة منها ما هو بديهي متسامح فيه ومنها مالا يغتفر على انه قلما يخلو كتاب من غلط

***

(البصائر)

مجلة علمية فنية اجتماعية لمنشئها ومحررها جميل بك العظم تصدر في بيروت مرة واحدة في الشهر . ولمنشئها شغف بالعلم وميل الى البحث والتدقيق فالمرجو ان ينفع الامة بمجلته ، واليك فهرس الجزء الثاني منها : التربية ، تنازع البقاء ، البدع ، السكوت على المنكرات ، التجارة ـ تاريخها ومبدأها ، الخط والخطاطون ، خواطر وسوانح ، مسألتان ، المثمن والمربع ، وصف حكيم للبلاد . ثم التقريظ والانتقاد

ولعلي أوفق لمطالعتها واقتباس شيء منها وهي مطبوعة على ورق نظيف وتبلغ صفحاتها ٤٠ صفحة بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ريال ونصف ريال مجيدي في بيروت وريالان في الجهات

***

﴿ الدولة والجماعة ﴾

رسالة في علم الاجتماع البشري تأليف احمد شعيب بك الكاتب الاجتماعي العثماني وقد عربها محب الدين افندي الخطيب المحرر بجريدة المؤيد وطبعها فجاءت صفحاتها ٦٧ بقطع تفسير سورة الفاتحة ومشكلات القرآن

والرسالة مصدرة بمقدمة لرفيق بك العظم تحث في « علم الجماعة في الشرق » وناهيك برفيق بك العظم اذا اطلق لقلمه العنان في المباحث التاريخية والاجتماعية ،

ويليها مقدمة أخرى للمعرب في ترجمة «الاستاذ احمد شعيب والحالة العلمية والاجتماعية في القسطنطينية» ولو لم تشتمل هذه الرسالة الا على هاتين المقدمتين لكانت جديرة بالاهتمام، كبيرة الفائدة في هذا العلم ولان تكون موضوع رغبة الراغبين خصوصا مع قلة الكاتبين منا في هذا العلم الذي هو زبدة العلوم وما ذاك الا لقلة المستعدين بعلمهم وتجاربهم واخلاصهم لخوض غماره، ونكتفي الآن بكتابة مجمل مواضيعها وهي

الفرد والجماعة، نظام الامة وأوضاعها، لا طفرة في الارتقاء، نشأة الدول، الفطرة البشرية، تأثير الاقليم في تكوين الدول، سبب وجود الجماعات، سلطة الفرد، تأثير الحرب والصناعة والسلطة الدينية في تعيين شكل الحكومات، الحكومة السياسية وتأثير التضامن في تكوين الامة، حياة الجماعة، توزيع الوظائف، الاجهزة الحيوية في الدولة، سنن الاجتماع في المحافظة والتجديد، جمود الامم، اهتداء الانكليز الى مركز التوازن، الارتقاء، ثم ثورة الالمان على نابليون وايطالية على النمسة. ثم الكلام في طبيعة الثورة وفي الشيوخ والشبان وصعود الاراء الجديدة ودور النهضة وروح الزمان

فنحث التلاميذ والمفكرين على قراءة هذه الرسالة على اختصارها فانها تدل على فكر ثاقب وعقل كبير وعلم غزير وجرأة أدبية. ومن لنا بمثل احمد شعيب الاجتماعي الكبير ونحن في حاجة لامثاله من فلاسفة الاجتماع لتكوين دعائم الامة على اساس ثابت. هذا ويحق لكل عثماني أن يأسف على ذلك الشاب الذي توفي في باكورة عمله وبداية النفع بعلمه الغزير وعقله الكبير

ثمن الرسالة ١٥ مليما وتطلب من مكتبة المنار بمصر واجرة البريد مع التسجيل (السوكارتاه) ٧ مليمات في القطر المصري و ١٢ مليما في الخارج

***

﴿ العلم الكافي، لطلاب العروض والقوافي ﴾

كتاب يدل اسمه على مسماه وهو مرتب على طريقة السؤال والجواب مما يسهل الفن على طالبه تأليف السيد حسني عبد القادر قاسم كاتب (رواق الشوام) في الازهر المعمور يبلغ عدد صفحاته ١١٩ صفحة بقطع سورة الفاتحة وثمنه خمسة ملاليم ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز واجرة البريد كاجرة رسالة الدولة والجماعة

السيد حسين وصفي رضا

﴿ اقوال الفضلاء فيه ﴾

(١٧)

وكتب المخلص الودود والحر الكريم صاحب الامضاء في سورية

سيدي الاستاذ الجليل

لقد انقض عليّ ذلك الخبر المشئوم انقضاض الصاعقة بل أشد ، فخرت في أمري وضاقت الدنيا في وجهي ، واسود الضياء في عيني ، وانقبض صدري ، وحزن قلبي على ذلك الصديق الحميم الذي كنت أؤمل فيه وأنتظر منه خيراً جزيلا ونفعاً عظيما لهذه الامة المنكودة التي ضلت السبيل فاعتبرت المحسن مسيئا والمسيء محسنا ! !

ضلت هذه الامة السبيل فبدلاً من أن تراها تكافئ رجالها المصلحين العاملين لتقدمها ورقيها — بمثل ما تكافئ به الامم الحية رجالها — فانا نراها تجني عليهم بمثل تلك الجناية الفظيعة ! !

رأت الامة رشيدها ومرشدها يواصل ليله بنهاره سعياً وراء ما يرقيها ويسعدها في حالها ومستقبلها — فكافأته بهذه المكافأة العالية ايذاناً بفضله وتنشيطاً له وترغيباً لتلاميذه ومريديه والسائرين على سننه

فأنعم وأكرم بأمتنا الحكيمة التي تعرف كيف تكافئ رجالها ومصلحيها ! !

فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، انا لله وانا اليه راجعون

هذا واني أتقدم الى أستاذي وجميع أشقائه وسائر أفراد بيته الكريم ، بواجب العزاء كما عزيت نفسي على تلك الكارثة العظمى التي تذكر فتؤثر في الفؤاد أبما تأثير . وأسأل الله تعالى أن يطيل في عمره ، ويجعل هذا المصاب الاليم خاتمة أحزاننا — انه سميع مجيب

سليمان أباظه

(١٨)

وكتب الاديب النبيل أحد فضلاء الشبيبة العربية في سورية الشيخ نسيب افندي الخطيب

سيدي العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا أطال الله عمره

لست أملك من بحر الصبر وشالا ، ولا من قطره مداً ، فكيف تنزع نفسي الى العزاء ، وتدفع داء الحزن وليس له دواء ، فان نبأ اغتيال الحبيب السيد حسين وصفي حل عرى الجلد وخلفنا عرضا تتقل فيه طوارق الدهر وبوائق الايام ، فشلت تلك اليد الاثيمة التي قصفت غصن شبابه قبل الاوان ، ولم تخش عاقبة القتل وعقاب الديان ، ولعمري لا أدري من أعزي ، أأعزيكم أم أعزي نفسي ، أم اخوانه وأصدقائه ؟ لا بل أعزي الامة العربية بأسرها ، ولغتها التي بعده سيلقى حبلها على غاربها ، وتستعصي أصولها على طالبها ، فقد كان رحمه الله مطمح الابصار ومرمى الاماني ولكن ستحفظ له بطون المهارق ذكراً لا يمحوه كر الغداة ولا مر العشي وسيبقى اسمه لدى الكتاب مقدساً ما استنّ اليراع في حلبة الطروس ، وأحيا معالم اللغة بعد الدروس ، وأوردنا مشرعة التأسي بعده فانه قد نشط من عقاله الارضي ، ونبوأ منزله العلوي ، فهنيئاً له بما أوتي وعزاه لنا بما نالنا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

الداعي

نسيب الخطيب

(١٩)

وكتب العالم الفقيه الاصولي سيدي محمد بن راجح بن ابراهم في الايالة التونسية

الحمد لله المتفرد بالبقاء ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء ، وآله وأصحابه الاتقياء

(لا إله الا الله ، ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، إنا لله وإنا اليه راجعون)

الى حضرة الاستاذ الكامل ، والمرشد النصوح ، حجة الاسلام ، وعنوان التربية الصالحة ، والقدوة الحسنة ، أمتع الله الاسلام بطول بقائه ، أقدم جميل تعزيتي عن ذلك المصاب الاليم ، والخطب الجسيم ، ألا وهو انضواء غصن الكمال ، وأفول بدر المجد بوفاة الشقيق والمجاهد في اعلاء كلمة الله ونصرة الحق وازهاق الباطل ، الكاتب النحرير والشاعر الاديب والمصلح الناصح الشريف التقي ، السيد حسين وصفي رضا ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته — أنبأني هذا النبأ المحزن

صديقي الاستاذ النيفر فكان أشد على قلبي يعلم الله من كل مصاب ، فاشتمل الحزن علي وانطلق لساني بذم الزمان الخئون الغادر ومما كسته الاسلام حتى بالفتك بمن يدأب وراء ازاحة ما تكاثف حوله من الظلمات فاني أعلم ما للفقيد العزيز في ذلك من الآثار الصالحة واليد البيضاء ويكفي انه شقيق من ينير المنار على العالم الاسلامي وعضده ومساعده في كل أعماله . فرحم الله روحه الطاهرة ، واحسن جزاءه عن الاسلام والمسلمين — ومما زادني لوعة واسفاما أنبأني به هذا الصديق من أن الفقيد قتل رمياً بالرصاص من يد الاشقياء . شلت أيديهم ولعنوا بما فعلوا ، ثم زاد ذلك في الاسف لظني أن ذلك كان جزاء الفقيد عند هؤلاء الاشرار عن حريته وخدمته الحقيقة ونصرته الشريعة الاسلامية . تلك هي ذنوب الفقيد اليهم فيما أظن ، ولكن هذا كان مهونا للمصاب على جسامته لاعتقادي أن الله أكرم فقيدنا المجاهد في دينه بمزية الشهادة ومرتبة الشهداء . وتلك منزلة تتفانى فيها أرواح الصالحين والمسلمين الصادقين

فهنيئاً لفقيدنا بهاته الكرامة وطوبى له بما قدمت يداه من الاعمال الصالحة ، وما أبقاه من الذكر الحسن العاطر الخالد على مر الزمان ، فرحمة الله ومغفرته ورضوانه عليك ياحسين ياقتيل الحق ، سلام الله وبركاته عليك ياحسين ياشهيد الاسلام ، لا أعجب من موتك قتيلا لانك تجاهد في سبيل الله وتحارب الالحاد والاستبداد فتلك سنة الله في أجدادك وأسلافك الكرام قتلوا في مشارق الارض ومغاربها لانهم أبناء النبوة والمدافعون عن هيكلها المقدس والذائدون عن حياضها و

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

انك ياحسين ستلاقي عترتك الطاهرة وأسلافك الصالحين فتقص عليهم أمرك واشكو اليهم قاتليك فانك تقر أعينهم وتقيم لهم الدليل على انك فرع دوحتهم فيستقبلونك بين مظاهر الاجلال والسرور

سيدي الاستاذ . ماذا عساني أن أقوله اليكم وأنت مربي المسلمين ومرشدهم وداعيهم الى الهدى في هذا العصر ، فظني بل يقيني أن الاستاذ كما يرشد الناس بقوله يرشدهم بعمله . فيكون طود الصبر ومثال الصابرين الذين يقول الله تعالى تكريما لهم في كتابه الحكيم « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » مشاركم في الاسف

محمد راجح بن ابراهم

٣٠

وكتب الصحافي الحر والكاتب المحقق شكري افندي الخوري صاحب جريدة (ابو الهول)

حضرة المفضال السيد محمد رشيد رضا الافخم

وصلني عدد من جريدة الاقبال البيرونية في هذه الساعة وباليته لم يصل ، فرأيت فيه ما أبكى عيوني ، وصدع فؤادي ، رأيت فيه خبراً هو أن يداً أثيمة اغتالت زهرة شباتنا أخاكم المرحوم والطيب الاثر حسين ، فوقع على قلبي ، وقع الصاعقة ، وجهشت بالبكاء ، ولعنت بلاداً لاحياة فيها ، الا للكذبة الاسافل ، يقتلون فيها الاحرار ويصارون اصحاب الرأي الصائب

ألا لعنة الله على الاشرار القتلة

ان المصاب الذي أصابكم بفقد أخيكم اصاب كل من عرف فضلكم وفضل الفقيد وهذا الداعي من الذين شاركوكم بالحزن والاسى ، سائلا المولى جل جلاله ، ان يتغمد فقيدنا برحمته ورضوانه ويلهمكم الصبر الجميل على فقد هذه الجوهرة الثمينة . انا لله وانا اليه راجعون سان باولو برازيل في ٧ شباط ١٩١٢ الاسيف

شكري الخوري

٣١

وكتب العالم المحقق الشيخ احمد محمد الالفي

محررا في ١١ يناير سنة ١٩١٢

حضرة العالم الكبير والفاضل النحرير صديقنا وقدوتنا السيد رشيد رضا الافخم

فوجئنا اليوم بخبر مشئوم وأيناه بالمؤيد ألا وهو وفاة الكريم ابن الكريم سلالة العترة الطاهرة النبوية وأحد رجال القلم والاصلاح ألا وهو شقيقكم المرحوم السيد حسين رضا . مات شهيد الشهامة والمروءة بطرابلس الشام يد اثيم عجرم لم يرحم شبابه الزكي ولا نظر لاحتياج هذا الوطن الاسيف الى امثال هؤلاء العلماء الاحرار فعسا لهذا الزمن وبئس ما أعده للصالحين من العدوان ـ فوا أسفا على السيد حسين لقد كان عاملا مجتهداً وأديبا متضلعاً وقيا ورعا وشابا ذكيا وشريفاً كريما فرحمه الله رحمة

واسعة وعزاكم مع حضرة السيد صالح رضا وكافة اسرتكم الكريمة وعزانا معكم احسن العزاء ورزقنا وايا كم جميل الصبر وعظيم الاجر واقبل في البده والختام جزيل السلام وعظيم الاحترام ؟

خادم العلم الشريف
احمد محمد الاشي
المدرس بفاقوس شرقية

(٢٢)

وكتب العالم المؤرخ الشهير جرجي افندي زيدان صاحب (مجلة الهلال)

مصر في ١١ يناير سنة ٩١٢

صديقي الشيخ رشيد

اكتب هذا الكتاب على اثر قراءتي نعي المرحوم شقيقكم في الجرائد ولم أكن علما بمقدمات هذه الفاجعة فكان لذلك النعي وقع شديد على قلبي، لانه كان رحمه الله من نخبة الادباء ويرجى ان يكون لك فيه عون في الخدمة العامة التي أوقفت نفسك لها وقد ظهرت تباشير ذلك بما ظهر من أدبه ، وفضله وذكائه ، وعلو همته . ففقده خسارة على الوطن وصدمة قوية على قلب شقيقه وسائر آله وذويه ، فلا غرو اذا بكيتموه ورثيتموه فانه جدير بذلك واتقدم اليك ان تأكد مشاركتي لك في الاسف على هذا المصاب ولا حيلة لنا غير التمسك بحبل الصبر وانت اعقل من ان يكتب اليك بأسباب التعزية لانك حكيم عالم بمصير الانسان طالت حياته أو قصرت أجمل الله عزاؤك ورحم الفقيد رحمة واسعة

صديقك
جرجي زيدان

(٢٣)

وكتب الفاضل الوجيه صديق الفقيد محمد فؤاد افندي محمود

سيدي الاستاذ المحترم ألهمه الله الصبر الجميل

لقد وقع خبر موت حسين علي وقع الصاعقة فلا أدري ماذا أقول وماذا أريد ذهل منا العقل ، وطار اللب ، وانقطر القلب ، واحترق الفؤاد ، فاللهم صبرا اني أبكيه ، وأبكي معه آدابا جمة ، وأخلاقا فاضلة، وروحا طاهرة ، عرفته حسن

المعاشرة ، لطيف المحاضرة ، فانا لله وانا اليه راجعون . راح ذلك الشهم شهيد المروءة والنجدة ، فسلام على روحه الطاهرة ، ورحمة من الله عميمة

ياسيدي الاستاذ ، الناس كلهم واياك في الحزن سواء ، فلقد كان مناحسين مكان الروح . وبفقدها فقدنا كل شيء ، فاللهم أمطر على جثته شآبيب الرحمة والرضوان وروح روحه في روض الجنان

وأنت يا أستاذ لقد عرفناك في الشدائد صبورا ، فكن كما نعهد فيك والله عنده حسن الثواب

أخوك في الحزن
محمد فؤاد محمود

(٢٤)

وكتب الشاب الاديب أحد أعضاء الشبيبة العثمانية وأركان الناشئة السورية الامير احمد هدى الايوبي اللبناني في الاستانة العلية

لحضرة سيدي العلامة الفاضل المحترم أطال الله شريف وجوده آمين

لمن الدمعَ بعد هذا تصون ... وعلى م الصبر الجميل يكون
كل حزن بحسب كل فقيد ... وبحسب الاحزان يبكي الحزين

تباً لهذه الحياة ، وبئست هذه الدنيا التي هي للهموم أداة ، تسيء اختيارا ، وتوالي اضطرارا ، وتضحك مرة وتبكي مرارا ، لا يخلو يومها من شوائب الاكدار ، ولا ليلها من بوائق الاخطار ، ما المرء بناج من نكباتها ، ولو اختار العزلة في رؤوس الجبال ، فان فر من هم فر الى هم ، وان اعتصم من غم فالى غم ، والموت فيها ضار جشع ، ليس له ريّ ولا شبع ، سارق دق جسمه ، ورق عظمه ، يصول بلا كف ويسطو بلا رجل ، لا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيرا

ليت المحرم لم يخلق ، فكم دهى الاسلام منه مخطب جسيم ، وكرب عظيم ، نال الحسين بن علي ، وثنى بحفيده الحسين بن علي ، فأوقد في القلوب نارا ، وفجر من العيون جداول وأنهارا ، رحم الله السيد الحسين ، جاءني نعيه فعلمت كيف تقوم الساعة ، شيعت الصبر ، وغدوت على مثل الجمر ، غريق الدمع حريق الحسرات ، اذا بكيته فانما أبكي حزماً وعفافا ، وذكاء واقداما ، وأخلاقا حسنة وألطافاً وآدابا اشتهرت

بين الخلق ، وشاباً كان ملء آمال الشرق، ان تبكه سورية الفتاة فاغما تبكي ولداً بارا وان يندبه الشيخ لبنان فاغما يندب أحد خيرة أبنائه

أيها الراحل الذي زاده التقـ وى الى الله والعفاف هجين
أنت في الترب قد دفنت ولكن لك طي القلوب شخص دفين
إن تكن نمت نومة الدهر فالنو م علينا قد حرمته الجفون

إنا لله ، ولاحول ولا قوة الا بالله، ألهم الله قلوب عارفيه الصبر الجميل ، وكان للسيد وآل بيته العمر الطويل ، ووهب لهم السلوان ، وامطر على جدث الفقيد غيث الرحمة والرضوان ، آمين

الاسيف
احمد هدى الايوبي

(٢٥)

وكتب الاديب الفاضل خليل افندي نخول من وجهاء أدباء السورة في لبنان

سادتي الفضلاء أعزهم الله

ليس من بكى ويبكي الحسين للشباب الغض ، والادب الرائع فقط ، بل والوفاء في الود ، والاخلاص في الحب والنبالة في القصد ، وهو ما عز وجوده وندر ، في شبيبة هذا العصر ، ومن عرف السيد الحسين واتصل معه باسباب المودة حزن عليه وأسف أسف الاخ على أخيه وعليه فمن كان مثلي — وليس من مجاز بلخاء يله الا أن لنا أبوين — عرف مقدار أسفي ووجدي عليه ، ومع ذلك فأراني مقصراً بفاء يالى الآن ، دون تقديم عبارة العزاء فالله أسأل أن يتغمده بالرحمة والرضوان ، وأن يجمل بقائكم العوض الكريم ، ويجمل عزاءكم ولا يريكم مكروهاً لمن تحبونه اللهم آمين

شريك الأسف
خليل نخول

(٢٦)

وكتب الاديب الفاضل صاحب الامضاء

سيدي الاستاذ الجليل

لقد كان لحادثة المرحوم أخيكم تأثير في نفسي فنظمت هذه الابيات لك فيه رحمه الله تعالى ، وأجمل عزاءكم

تعز وأنت الحليم الرشيد ولو أن خطب الحسين شديد
فقدناه حراً كريم السجايا ففي ذمة الله ذاك الفقيد
لقد كان ذا همة وإباء وعزم وبأس كبأس الاسود
ومنه يد القدر في مأمن فأودت بركن الرجاء الوطيد
عجيب ! رصاص يفل حديداً وكيف يفل الرصاص الحديد
لنا سلوة وله أسوة بسبط النبي الحسين الشهيد

المخلص لكما
امين المدرسة السعيدية

(٢٧)

وكتب الاديب صاحب الامضاء مايأتي :

مولاي السيد الامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

أخط على الصحائف آيات الاسف من سويداء القلب مقدماً لكم التعزية على فقيد الاصلاح شقيقكم السيد حسين

نعم ان الرزء وقع في شخص ولكنه الحسين كان أمة وحده عند من يعرف قدره ، فالمصاب عظيم، والخطب جسيم ، ولكن ماالعمل؟

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

فأنت أيها الشهيد ابن الشهيد من سار قبلك اجدادك الكرام على هذا السنن فهنيئاً لك فانك نلت فضل الجهاد والشهادة

وعن أولي العزم لقد تناوبوا وجدهم فاحتلوها نوبا

كنت خير مشير لمن استشارك وخير هادلمن استهداك، وخير معين لمن طلب معونتك لا ترد قاصداً ، ولا تصد طالبا ، فمن استشير من بعدك يا أعز الفضلاء أو بمن استرشد يا أوحد النبلاء؟

فالله نسأل أن يلهمنا جميعاً على فقده صبراً جميلا ، وان يعوض هذه الامة المرحومة خيرا عن فقد أعظم وكن من أركان نهضتها الساعين في اصلاحها انه سميع مجيب

تلميذ الفقيد
عبد الغني صبره البيروتي

(ربما أتينا في الجزء القادم على بقية التعازي وأقوال الجرائد)

المنار
١٣١٥
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب
يقدر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق
(مصر ٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٠ هـ ـ ٢٧ الربيع الثاني ١٢٩١ هـ ش ١٧ مايو ١٩١٢ م)

الخطبة الرئيسية

(في ندوة العلماء بلكنهوه « الهند »)

« لصاحب المنار »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الذي أرسله ليخرج الناس من الظلمات الى النور . سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين . وعلى آله وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين

ثم انني بعد حمد الله وشكره عوداً على بدء ، أشكر لهذه الجمعية المباركة ـ جمعية ندوة العلماء ـ دعوتها إياي من مصر الى الهند لحضور الاحتفال السنوي العام الذي

تقيمه في هذا العام . وأن جعلت دعوتها هذه مبنية على حسن ظنها بي ورجائها الفائدة بحضوري ومشاركتي لاعضائها العلماء الاعلام .

أشكر هذه الجمعية بالقول كما شكرتها بالفعل بأن أجبت دعوتها وليت طلبها في وقت أنا أشغل فيه ما كنت منذ وجدت . فقد كنت مشتغلا بتأسيس دار الدعوة والارشاد والنظر في كل مايحتاج اليه التأسيس الحسي والمعنوي من حاجات البناء والاثاث واللاعون وأدوات التعليم والكتب واختيار المعلمين والمستخدمين وغير ذلك .

جاءتني الدعوة وأنا على ذلك ، بل الامر أعظم من ذلك ، فوافقت ما كانت تصبو اليه نفسي ويحن اليه قلبي من زيارة الديار الهندية واختبار حال التربية والتعليم الاسلامي فيها . ولكن تعارض المانع والمقتضي بل كان هنالك موانع عديدة كل واحد منها كان كافياً للترجيح فكيف بها قد اجتمعت ؟ .

مضت سنة الله في سجايا البشر وطباعهم في العمل الذي يندفعون اليه بمقتضى فطرتهم أن يرجحوا المانع على المقتضي اذا كان كل منهما نظريا مناطه الرأي والفكر ، أو وجدانياً مناطه الشعور والهوى النفسي ، وأما اذا كان أحدهما وجدانياً أو يعده الوجدان والآخر ليس كذلك فان الترجيح يكون في الغالب للوجداني ، أو مايعده ويؤيده الشعور الوجداني .

لهذا كانت تتغالبني نفسي على إجابة الدعوة وترك ادارة مدرسة دار الدعوة والارشاد بعد فتحها وما عليّ من الدروس فيها ، وترك ادارة المنار وأعماله واقتعاد غارب الاغتراب ، والنأي عن التلاميذ والمريدين والاصحاب ، وان لم أكن من الذين يرضون لانفسهم ترجيح مقتضى الشعور والميل على مقتضى المصلحة والرأي ، وان كان من الشعور والهوى ماهو عين الحق والهدى بدليل حديث « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » فتحت مدرسة دار الدعوة والارشاد وهي منتهى رجائي في خدمة الاسلام ، وغاية سعيي في اصلاح التربية والتعليم ، وأقر الله عيني برؤيتها والبدء بالقاء الدروس فيها ، ورأيتني مدعواً الى مفارقتها في أول العهد بوصالها والتمكن من التمتع بجمالها ، فتجدد لي شعور ووجدان لم يكن عندي في أيام السعي والنصب ، وكنت كالعاشق الذي دعي الى ترك معشوقه بعد طول العناء في طلبه

هكذا كانت تتنازعني الآراء المتعارضة وتتجاذبني أرواح الشعور المتناوحة . حتى عرضت ذلك على اخواني أعضاء ادارة جماعة الدعوة والارشاد ، بعد ان استشرت غيرهم من الاصدقاء ذوي الرشاد ، فأجمعت كلمة الجماعة على أن أجيب الدعوة ، وأن

أكون فيها سفيراً عنهم ووافداً من قبلهم ، أحيي بلسانهم ندوة العلماء ، وجميع من ألقاه من مسلمي هذه الديار الفضلاء ، وأعرض عليهم رأيي ورأي الجماعة فيما ينبغي لنا وما يجب علينا من خدمة الاسلام وترقية شأن المسلمين ، من طريق التربية والتعليم .

فأنا أيها السادة الاخوان ! ـ أخاطبكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جماعة من اخوانكم المسلمين في مصر الذين يشاركونكم في مثل شعوركم الشريف ، وسعيكم الحميد . فكان اجماع الاخوان هو المرجح الاخير الذي عليه التعويل وها أنا ذا بين أيديكم أليكم وأحيكم .

أيها الاخوة الكرام !

اذا كنت قد أضعت شيئا من وقتكم بذكر كلمات من خبر رحلتي اليكم فان لي نية صالحة تتعلق بغرضين : أحدهما أن يكون شفيعاً لي بين يدي مذاكرتكم في أمر التربية والتعليم بالاصغاء الى ما أقول فانه اذا لم يكن قول الخبير المدقق فهو قول المحب المخلص . ومن كان هذا شأنه فهو جدير بأن يتلقى ما يصيب فيه بالقبول وما يخطىء فيه بالعفو والسماح ، على انني مشتغل بهذه المسألة منذ خمس عشرة سنة بحثا ومذاكرة ومناظرة وكتابة وخطابة وتعليما . وان المقيم في مصر ليسهل عليه أن يعرف من أحوال المسلمين في تربيتهم وتعليمهم وسائر شؤونهم ما لا يسهل على المقيم في قطر آخر ، ولهذا قال بعض عقلاء الافرنج : ان مصر هي الدماغ المفكر للعالم الاسلامي

والغرض الثاني من تلك الكلمات أن أبين لكم أنني لست أنا الذي أهتم وحدي بزيارة بلادكم واختبار أحوالكم ، بل يشاركني في ذلك جمهور المفكرين من اخواننا المصريين وكذا غير المصريين من فضلاء المسلمين ، وكل ما يحبه المرء ويهتم به يدركه ويناله .

أيها الاخوة الكرام !

ان للاسلام عليكم وعلى سائر مسلمي بلادكم من حق احياء علومه وآدابه وأعماله مثلما له على مسلمي مصر من ذلك ، فانني علمت بالاختبار الطويل انه لا يوجد بلاد اسلامية فيها من حرية التربية والتعليم ويقظة الفكر وسعة الثروة مثل ما في الهند ومصر ، ويجب علينا شكر هذه النعمة باستعمالها والانتفاع بها

ان اخواننا مسلمي التتار في روسية أيقاظ منتبهون وعندهم نهضة في التعليم تذكر فتشكر ، ولكن حكومتهم تضيق عليهم السبل ، وتطارد الاساتذة المعلمين منهم ، وتعاقبهم على جريمة التعليم (؟!) بالنفي تارة وبالسجن تارة أخرى : كان الشيخ العالم الجليل الصالح عالجان منذ ثلاث سنين عندنا في مصر منفيا من وطنه ، مبعدا عن بلده ،

لانه يعلم المسلمين وينبه أفكارهم في مدرسته الشهيرة في مدينة قزان، وقد نشي أخوه ومساعده في التعليم معه أيضا

وان الاخوين النجيبين عبدالله بوبي وعبيد الله بوبي قد أنشآ مدرسة في قرية «بوبي» واجتهدا في أمرها ما استطاعا فألقت عليهما الحكومة الروسية القبض في شتاء العام الماضي وألقتهما في غياهب السجن بقصد محاكمتهما في محكمة الجنايات بقزان، وقد مضى العام بطوله ولم يطلبا للمحاكمة ولكن رأينا في احدى الجرائد الاسلامية الروسية انه ينتظر ان يحاكما في هذا الربيع والله أعلم، وقد نشرت جريدة «توفي فريمه» الروسية التي تصدر في بطرسبرج مقالات حثت فيها الحكومة على منع التتار من السعي لتعليم مسلمي تركستان (* ونبهتها الى خطر سياحتهم فيها لئلا ينبهوا الترك الغافلين (١)

هذه اشارة الى حال أقرب المسلمين الذين تحت سلطة دولة أوربية اليكم، وان حال مسلمي المغرب لشر من حالهم فان مسلمي التتار مجدون في أمر التربية والتعليم، على مراقبة حكومتهم لهم وضغطها عليهم، وهم دائما يرسلون الوفود الى مصر وسورية والحجاز ليتعلموا ويتقنوا اللغة العربية ليكونوا معلمين اذا رجعوا الى بلادهم، ومنهم من يذهبون الى الاستانة لاجل تعلم الفنون العصرية، والمراقبة على هؤلاء شديدة. أما مسلمو تونس والجزائر فلا يستطيعون أن يعملوا مثل عملهم، فان مراقبة فرنسة لهم أشد، واحاطتها بهم أقوى وأعم، وقد اعترف بعض المنصفين من الفرنسيين بهذا الضغط، وصرح بعضهم بأنهم يعتقدون أنهم سينسخون الاسلام واللغة العربية من الغرب، ولكن أناسا آخرين يرون ان حسن معاملة المسلمين أنفع لهم ويسعون في اقناع حكومتهم بذلك ولما ينجحوا في سعيهم. ولا أحب أن أزيدكم مما أعلم في ذلك

وأما مسلمو جاوه والملايو فحالهم أسوأ من جميع أحوال المسلمين. وقد أحاطتهم هولندة بسور من الجهل لا يتسلقه أحد. وان شئتم أن تعرفوا شيئاً مفصلا عنهم فاني أتيكم برسالة مطبوعة باللغة الانكليزية في ذلك فانقلوها الى لغتكم وانشروها في جرائدكم واعتبروا بها واشكروا نعمة الله عليكم وجدوا واجتهدوا في تعميم التربية والتعليم بينكم أيها الاخوة الكرام!

ان الحكومة الانكليزية أوسع الحكومات الاستعمارية حرية ويمكن لمن يكونون في ظل حكمها ان يرقوا أنفسهم اذا سلكوا في ذلك طريق العقل والحكمة

*) قد صدر قانون (لائحة) المدارس في تركستان هو منشور في هذا الجزء
(١) راجع الجزء الماضي ص ٢٥٦

ولا يمكن ذلك لكل من كان في ظل غيرها من الحكومات الاستعمارية ، ورب ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، ومن العقل والحكمة ان يعتقد المشتغلون بالاصلاح العامي والتهذيبي عن السياسة سرا وجهرا ، فان السياسة ما دخلت في عمل الا أفسدته كما قال الاستاذ الامام

لو كان الذين تضطهدهم بعض الدول وتعاقبهم على التعليم يمزجون علومهم بالسياسة لكنت أول من يعذرها . فانا علمنا من قواعد علم الاجتماع المستنبطة من التاريخ ان الدول لا تغفر أن تعارض أو تنازع في ملكها وسلطانها وقد تغفر ما دون ذلك من الذنوب اذا وقع ممن يخلصون لسلطانها أو تأمنهم عليه فذلك في دين السياسة كالشرك في الاسلام قال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »

قد عهد من بعض الدول الرقية العدل والرحمة في القضاء والادارة ولا توجد دولة في الارض تتسم بالرحمة أو العدل في السياسة . وأعني من السياسة حفظ الملك والسيادة ، وما يتعلق بالتعدي على السلطة ، ولكن الدولة العاقلة تزن الشدة في ذلك والقسوة بميزان العقل والحكمة ، والسياسة قد يكون لها عقل ولكن لا يكون لها قلب

كانت دول الاسلام في العصر الاول أعدل وأرحم ما عرف التاريخ من الدول حتى في أثناء الفتوحات والحكومة العسكرية التي كانت ولا تزال تظهر القسوة الشديدة وقد اعترف بذلك المنصفون من مؤرخي الافرنج وعلماء التاريخ فيهم ، قال غوستاف لوبون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » فاذا كانت حكومة الخلفاء الراشدين لا يقاس عليها لانها خلافة نبوة فهاتان الدولتان الاموية والعباسية كانتا أعدل دول الارض في القديم والحديث في القضاء وأوسعهن رحمة وجودا وفضلا على الرعية في الجملة ولكنهما استعملتا الشدة والقسوة في التنكيل بمن نازعهما السلطة حتى انهم كانوا يذبحون آل الرسول عليه الصلاة والسلام ويقتلونهم اينما ثقفوا — من فتنوا أو توهموا انه يسعى منهم الى الملك أو يسعى له فيه ، بل شهد التاريخ وروى لنا أن الأب كان يقتل ابنه والابن يقتل أباه لاجل الملك

أيها الاخوة الفضلاء !

اذا كانت حكومتكم تسمح لكم أن تربوا أولادكم على عقائد دينكم وآدابه وفضائله وعباداته وأن تعلموهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم كما تشاءون لا تشترط على جمعياتكم العلمية والدينية ولا على نظام مدارسكم الا احترام سلطتها ، وعدم معارضتها

في سيادتها ، فقد أعذرت اليكم ، واذا قصرتم ولم تبذلوا كل طاقتكم في تعميم التربية والتعليم فانما إثمكم على أنفسكم ، ولا لوم لكم الا عليها ، فكيف اذا كانت حكومتكم هي التي تحثكم حتى على التعليم الاهلي ، وتنشطكم حتى على التعليم الديني ، وقد فاجأني العجب وأخذ من نفسي كل مأخذ عند ما علمت ان الحكومة الانكليزية ترغب مسلمي الهند في تعلم اللغة العربية وتساعدهم على تعلمها ، وأنها خصصت مبالغ من المال لاجل تعليمها في بعض مدارسها ، ومبالغ لاعانة المدارس الاهلية على تعليمها ، كمدرسة العلوم الاسلامية في عليكره وغيرها ، كما اعطت المسلمين أراضي غالية الاثمان في عدة مدن لبناء مدارسهم الاهلية فيها وهذه ندوة العلماء جمعية دينية محضة ومن مقاصدها نشر الاسلام ، وقد أعطتها الحكومة أرضا غالية الثمن لبناء مدرستها فيها وخصصت لها مبلغ ستة آلاف روبية اعانة سنوية

لا أطيل في تفصيل ما سمعته منكم أي من أهل بلادكم من أخبار هذه المساعدات فانكم أعرف بها مني وانما أشير اليه لاذكركم بأن الحجة عليكم تكون أنهض اذا أنتم قصرتم في التعليم وان الحكومات لا تنهض بالامم اذا لم تنهض الامم بأنفسها ، فعليكم ان تعتمدوا بعد الاستعانة بحول الله وقوته على جدكم واجتهادكم وسعيكم (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وقد أعجبني جواب قاله لورد كرومر لبعض وجهاء المصريين اذ قال له ذلك الوجيه : انك ايها اللورد قد أصلحت المالية المصرية وجعلت خدمتك في مصر خالصة للحكومة ولم تعمل للمسلمين شيأ يرقيهم ، فقال له اللورد « ان الذي لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره ، فيجب أن تعملوا لانفسكم واذا علمتم وطلبتم مني المساعدة فاني أساعدكم »

حاجتنا الى اصلاح التربية والتعليم

أن حاجتنا معشر المسلمين الى اصلاح التربية والتعليم قد صار من البديهيات التي لا يماري فيها الا الراسخون في الغباوة أو المسرفون في المكابرة ، وقد اعترف به كبار علماء الازهر وهم أشهر علماء الاسلام وعلماء الاستانة ونفوذهم في المملكة العثمانية لا يعلوه نفوذ ، وقد عقدت في هذين السنتين لجان من الفريقين ومن رجال الحكومة للنظر في ذلك ووضعوا للاصلاح قوانين وبرامج جديدة ، واختاروا له كتبا لم تكن تقرأ فقرروها ورغبوا عن كتب كانت تقرأ فتركوها ، ورأوا الحاجة شديدة الى علوم وفنون جديدة فزادوها وكذلك فعلتم أنتم أيضا في ندوة العلماء

ومكانكم من علماء المسلمين مكانكم ، وفضلكم فيه فضلكم ، وكذلك علماء تونس قد بحثوا في هذا الامر منذ سنتين واحدثوا عدة تغيرات في نظام التعليم ، وبقي هنا وهنالك في كل مكان من يرون أن ماجروا عليه واعتادوه هو غاية الكمال ، التي لا تقبل الزيادة بحال من الاحوال ، ولكن أرقى الباحثين والمصلحين للنظام الماضي في تلك الاقطار يرون ان ما وضع لاصلاح التعليم في الازهر والاستانة ليس هو غاية الكمال المطلوب ، وانما هو ضرب من التدريج في الاصلاح

ليس هذا بدع في أحوال البشر فقد عرف من سنة الله تعالى فيهم أنهم لا يكادون يتفقون على شيء وان الجمهور الاعظم منهم لا يتفقون على تغيير ما في أحوالهم الاجتماعية الا في الزمن الطويل ، وان التغيير الفجائي السريع لا يخلو من خطر أو ضرر ، فليتمسك من شاء بالنظام المألوف فلا يضر طلاب الاصلاح شيئاً اذا كانوا يأخذونه بقوة ، ويدعون اليه على بصيرة ، وكان ذلك ناشئاً عن حياة جديدة تنفخ روحها في الامة ، فان العاقبة لهم « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

ليس موقفنا هذا موقف مناظرة ، ولا مقامنا مقام الادلاء بالحجة ، وانما هو موقف تذكير للناسي ، وحفز لهمة الآسي ، وحسبنا من الذكرى فيه قول الله عز وجل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وانا نحن المسلمين نعرف من تاريخنا ومن آثار سلفنا انا كنا نحن الأئمة الوارثين ، والسادة المتبوعين ، والحكام العادلين ، والعلماء العاملين ، والصلحاء المخلصين ، والاغنياء المنفقين ، والصناع الماهرين ، والزراع المعمرين ، والتجار البارعين ، بل كنا فوق جميع الامم في كل علم وعمل ، حتى كاد العدد القليل منا لا يطئون أرض قوم الا ويجذبونهم بأزمة قلوبهم وعقولهم الى اتباعهم في دينهم ولغتهم وآدابهم ، فهل نحن اليوم كذلك ؟ ألسنا قد تدلينا بل هبطنا من سماء تلك العزة والرفعة والسلطة وصرنا وراء الامم ، بعد أن كنا أئمة جميع الامم ؟ ألا تتفكر في ماضينا وحاضرنا ، ونعتبر بسبق كل أحد حتى الوثنيين لنا ؟ أولئك الذين كانوا قبل اشراق نور الاسلام على هذه الديار شراً مما ترون عليه عامتهم حتى الآن ـ عراة الابدان ، يعبدون الجماد والحيوان ، والانهار والنيران ، ويأكلون على ورق الاشجار ، فهل غير الله ما بنا الا بعد أن غيرنا ما بأنفسنا ؟ كلا انها سنته في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

نعم ان الله لم يغير ما بنا من نعمة ورفاهة وعزة وسيادة الا بعد أن غيرنا ما بأنفسنا من استقلال الرأي ، وصحة الحكم ، وحقائق العلم ، ومكارم الاخلاق ، وعقائل الصفات ، والاعتصام بحبل الله ، والتآخي في الايمان ، وعمل الصالحات ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترجيح المصالح العامة على الاهواء الخاصة ، وغير ذلك مما عده القرآن الحميد من صفات المؤمنين ، وقال فيهم « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » كذلك لا يغير ما بنا الآن من الضعف والفقر ، وسوء الحال والهوان على الناس ، والتحاسد والتباغض ، والتعادي والتفرق ، وغير ذلك مما نشكو منه ، ولا نقلع عن أسبابه ، حتى نغير ما بأنفسنا ، ونعود الى الهداية التي كان عليها سلفنا ورحم الله الامام ومالك حيث قال « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها » وانما يكون تغيير ما بالانفس بالتربية والتعليم . فان المراد من التغيير ما يترتب عليه تغيير العمل . وانما الاعمال آثار العلوم والاخلاق فمتى كان العلم بالحق والباطل وبالمصالح والمفاسد والمنافع والمضار صحيحاً ، والاخلاق فاضلة — كانت الاعمال كلها صالحة مؤدية الى رفعة الافراد وكمالهم الديني والمدني ، فلابد لنا من إصلاح طريقة التربية والتهذيب ، وإصلاح طريقة التعليم معا ، ولو كان التعليم الذي جرينا عليه من عدة قرون يخرج لنا رجالا ينهضون بالامة الاسلامية ويخرجونها من حجر الضب الذي نحن فيه لظهرت آثارهم ولما بقينا في هذه المهانة بضع قرون وكأننا مصابون بالفالج أو داء السكتة ، ولكن ماهي التربية التي نرجو بها صلاح أخلاقنا وارتفاع همتنا ، والتعليم الذي ترتقي به عقولنا ونعرف به ما ينبغي لنا ؟

أما تربية الصغار التي عليها المدار ، فهي ليست عندنا في محل البحث والتبيين ، ولا في حيز العمل والتنفيذ ، فأكثر المسلمين يتركون أولادهم سدى يجري كل منهم على ما عليه عشيرته وعشراؤه من هوى أو هدى ، الا أن بعض المتفرنجين في بعض الامصار الكبيرة منا قد فتنوا بالمربيات الافرنجيات يلقون اليهن بافلاذ أكبادهم فيعلمن الذكور والاناث منهم لغاتهن ، وينشئنهم على عادات أقوامهن . وأما تربية الكبار بالوعظ والارشاد فقد وكل عندنا عامتنا الى مشايخ الطرق وأكثرهم من الدجالين الجاهلين يزيدونهم بدعا وفساداً وغروراً وضلالا .

وأما التعليم الديني فقد أشرنا الى عقمه وسوء أساليبه والاختلاف في الحاجة الى اصلاحه والاشتغال بوضع القوانين والانظمة والبرامج له ، فهل هذا هو الاصلاح المطلوب ؟

التعليم صناعة من الصناعات ترتقي بارتقاء العمران كما يقول حكيمنا الاجتماعي ابن خلدون ، وقد جرى أوائلنا فيه على مقتضى العقل والاختبار بحسب الحاجة التي كانت تظهر لهم وتليق بحالهم ، فكان أول ماجروا عليه طريق الرواية والتحديث والاملاء ، كان أحدهم يحفظ مايتلقاه أو يكتبه أو يجمع بين الحفظ والكتابة ، ثم جروا على طريق آخر من وجه آخر وهو طريق الاستنباط من المحفوظ والمكتوب وبسط الدلائل والمقارنة والترجيح بينها ، باستقلال الفكر ، واتباع مايظهر انه الراجح ، ثم وضعت المصنفات في العلوم والفنون المختلفة فكان ما كتبه الاولون مبسوطا سهل العبارة كثير الشواهد والبينات . ثم صار الناس يدرسون مصنفات من قبلهم فيشرحون ماغمض منها ويستدركون على المصنف فيما قصر فيه ، ويبينون غلطه فيما غلط فيه مؤيدين أقوالهم بالدلائل والشواهد ، ثم ضعفت الهمم وونت العزائم فصار الناس يختصرون المصنفات فيذكرون أهم قواعدها ومسائلها بعبارة مختصرة خالية من الدلائل والشواهد والامثلة - الا قليلا - وتباروا في الاختصار والايجاز فيه حتى نقل عن بعضهم انه كان يقرأ الشيء الذي كتبه بعد عهد بعيد أو قريب فلا يفهمه ، ثم حدثت عندهم طريقة شرح المختصرات ثم شرح الشرح ووضع الحواشي والتقارير عليها ، وجعل هذه الكتب كلها كتب تدريس تقرأ للطلاب يبدأ الاستاذ منها بقراءة المتن فالشرح فالحاشية فالتقرير فيكون جل شغله في إشغالهم في عبارات أولئك الكاتبين لاجل حل رموز ذلك المتن المختصر وبيان المراد منه وما يرد عليه وعلى تلك العبارات وما يجيب به عنها ولو بالتعسف وتحميل الالفاظ مالا تحمل

هذه اشارة وجيزة الى كيفيات افادة العلم في الزمن الماضي بالتدريس والتصنيف ومنه يعلم انها كانت أطواراً مختلفة أقربها الى الصواب أقدمها ، ولم ينتقل المسلمون من طور منها الى طور دفعة واحدة لانها لم تكن تحصل من قبل ادارة عامة تضع لها القوانين والانظمة والبرامج والجداول وتوزعها على جميع المعلمين كما تفعل وزارات العلوم والمعارف في الدول المرتقية في هذا العصر ، وانما كان الانتقال من طور الى طور يحصل بالتدريج . وقد كان في زمن العباسيين شيء من النظام المعروف المتبع في المدارس الكبرى ولا سيما المدرسة النظامية ببغداد وما كان على طرازها فيها وفي غيرها ، ولم يرتق ذلك النظام ويدون ويعم لانه لما وجد كانت جراثيم الضعف والمرض الاجتماعي قد بدأ يظهر تأثيرها في جسم الامة ولذلك قام بعض العلماء الاعلام يبحثون في طريقة التعليم وأساليبه ويضعون القواعد له كما فعل أبو حامد الغزالي في كتاب

العلم من احياء علوم الدين ، وتلميذه أبو بكر العربي المغربي ، ثم ابن خلدون ، ثم الشيخ زكريا الانصاري ، وكان ينبغي ان يقرأ فن التعليم بالتصنيف وتحقق مسائله وتحمل معاهد العلم الكبرى على العمل حتى بما يظهر انه الصواب ، ولو بأمر الحكومة ، الى ان يظهر للعلماء شيء من الخطأ فيه فيرجع عنه كما تنسخ نظارات المعارف في دول الحضارة الآن كثيراً من مواد قوانين التعليم ونظام المدارس اذا ظهر لها انه ضار وان غيره أنفع منه وانما لم يفعلوا لان الامة كانت في طور التدلي والانحطاط ، فكيف تهتدي الى أوثق أسباب النهوض والارتقاء ؟

وقد بينت هذه المسألة في المقدمة التي وضعتها لكتاب أسرار البلاغة تصنيف امام فن البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني عند طبعه ، وهذا الكتاب في البيان وصنوه كتاب دلائل الاعجاز في المعاني هما خير مثل لما أشرنا اليه من تدلي التصنيف والتعليم فانهما على كونهما أول الكتب التي صارت بها البلاغة فنا مدونا ذا قواعد وقوانين كلية مقسمة الى أبواب وفصول لا يزالان أفضل وأنفع مما صنف بعدهما واستمد منهما ولا سيما الكتب المشهورة المتقنة الصنعة كالمفتاح للسكاكي والمطول والمختصر للتفتازاني - اللذين فتن بدقة صنعتهما جميع علماء المسلمين في بلاد العرب والعجم فجعلوهما من كتب التدريس فكان ذلك سبب موت البلاغة العربية في جميع المدارس الاسلامية ، ولذلك اجتهدنا مع شيخنا الاستاذ الامام في البحث عن نسخ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز في الحجاز والعراق والآستانة وتصحيح ما ظفرنا به وطبعه ، وقد قرأهما الاستاذ الامام في الجامع الازهر فاستفاد منهما كثير من الطلاب وانتعشت البلاغة العربية العملية في الازهر بل انبثت فيها نسمة الحياة بعد أن طال عليها زمن الموت وقررتهما نظارة المعارف المصرية في مدرسة دار العلوم وهي المدرسة التي يتخرج فيها مدرسو اللغة العربية ، وقررتهما ادارة معارف السودان أيضا في مدرسة غوردون الكلية ، ولو شئت أن أذكر الامثلة على تدلينا في التدريس والتصنيف في كل علم من العلوم الاسلامية لضاق وقت هذا الاجتماع عنه وفاتكم ما تنتظرون سماعه من كثير من العلماء الاعلام

ان ما أشرت اليه من التدلي في التصنيف والتعليم كان عاما شاملا لجميع البلاد الاسلامية ولا غرو فالمسلمون أمة واحدة وقد كان ارتقاؤها في العلوم والاعمال من آثار هداية دينها . وتدليها فيهما من الانحراف عن صراط دينها ولكن البلاد الاعجمية أصيبت بمرض آخر في تعليم الدين ووسائله وهو ان علماءها صاروا يدرسون تلك العربية التي لا تصلح لتعليم العرب أنفسهم على الوجه المؤدي الى الغاية من اللغة

والدين بالترجمة للطلاب فكان هذا مصابا على مصاب . اذ صار طالب العلم يشتري بالعشرات من سني عمره قواعد عامة للغة لا يعرفها كما تعرف اللغات فيعسر عليه أن يطبقها على جزئياتها وأن يصل بها الى الغاية المقصودة من اللغة وهي أن تكون ملكة له يقدر على التكلم والكتابة بها بغير تكلف ويفهم الكلام البليغ منها بغير تردد ويتأثر به من غير تصنع فان كان مقنعاً اقتنع وان كان وعظاً اتعظ وان كان سارا سر وان كان محزنا حزن

كان علماء العجم في القرون الاسلامية الاولى يشاركون اخوانهم المقيمين في بلادهم كالشام ومصر وأفريقية والاندلس في التأليف والتصنيف والانشاء والشعر ويضربون معهم بكل سهم فكانوا أحسن مظهر لوحدة الاسلام وانما كان ذلك لانهم كانوا يحذقون اللغة العربية بالعمل حتى تصير ملكة راسخة فيهم كرسوخها في أبنائها ولما تضاءلت الهمم وضعفت العزائم وفشت بدعة تعليم العربية والدين ذهبت تلك المزية وضعفت العلوم الدينية واللغوية وتراخت رابطة الوحدة الاسلامية وما عاد ينبغ في بلاد الاعاجم في تحصيل تلك الكتب التي أشرنا اليها على قلة الغناء فيها الا أفراد يعدون على الانامل ، بل يمكنني أن أقول انهم من القلة بحيث لم يصل اليناما نثرهم ونظمهم شيء خال من لوثة العجمة وقد كان السيد جمال الدين الافغاني الحكيم الكبير والمصلح العظيم هو الذي نفخ روح الاصلاح اللغوي والعلمي في مصر وحمل تلاميذه من طلاب الازهر على الكتابة والخطابة وأرشدهم الى طرقهما . وكان هو كاتبا بليغا ، وخطيبا مفوها ، حتى كان يخطب بالعربية عدة ساعات بلا تلعثم ولكنه مع هذا كله ظل الى آخر عمره يعرف الاعلام التي لا يجوز تعريفها وتظهر العجمة في لهجته وبعض ألفاظه فلم يصقل لسانه بفصاحتها كما كان الزمخشري وأمثاله ممن قال فيهم ابن خلدون انهم ليسوا أعاجم الا في النسب . وسبب ذلك انه تعلم العربية تعلما فنيا في الكتب ثم اهتدى في الكبر بثاقب عقله ونور بصيرته الى الطريقة التي بها تطبع ملكة اللغة في النفس واللسان فهدى تلاميذه من العرب بمصر اليها فكانوا أسلس منه عبارة وأنصع ديباجة وأسلم من تكلف الصنعة (للخطبة بقية)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٤

أما المصانع - فان هشاما حصن المنقب على يد حسان بن ماهون الانطاكي وحفر له خندقا وبنى حصن قطر غاش ، وحصن مورة ، وحصن بوقا من عمل انطاكية . وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذي هدمه الرشيد . وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين . وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا ، واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفاً من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح وأمر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها . واحدث الحجاج احد امرائهم في سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها ، واحدث سليمان بن عبد الملك في ولايته مدينة الرملة ومصرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج . وبنى احد قوادهم عقبة ابن نافع الفهري بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض في الاندلس وحدود بلاد الروم والسند

ثم امنوا الطرق وعمروا السبل فكان موضع قيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لابرام من السباع والحيات والعقارب القتالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فأصبحت طرق افريقية آمنة مستأنسة بعدما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك . وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجه الوليد اليها اربعة آلاف من الجاموس فنفع الله بها . واذكر ما كتب ابن الاثير في حوادث سنة ٨٨ « ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار » وكان الموضع الذي فيه نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك . ولما بنى سيل الجراف بمكة في سنة ٨٠ في زمن عبد الملك أمر عامله بعمل صفائر الدور الشارعة

على الوادي وضفائر المسجد وعمل الردم على افواه السكك . وحفر عدي عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدي .

ومن الاخبار التي تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم في ازاحة خللها واماطة أذاها — انه شكا أهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه : إن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فأنفقه عليه ، فحفر لهم النهر الذي يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجائرون الغاشمون (كما يقول جرجي افندي زيدان) وانتسبوا اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ، ونهر دبيس ، ونهر الاساورة ، ونهر عمرو ، ونهر أم حبيب ، ونهر حرب ، ونهر يزيدان ، ونهر سلم ، ونهر ناقد ، ونهر خيرتان ، ونهر صرة ، ونهر بشار ، ونهر بزور ، ونهر حبيب ، ونهر ذراع ، ونهر ابي بكرة ، وغيرها من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها (١) بالبصرة فما بال غيرها من البلاد ؟

أما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد في بناء المسجد النبوي وتذهيب البيت والمسجد الاموي الذي هو معدود من إحدى العجائب في كثرة نفقاته وعظمة بنائه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو أشهر من نار على علم

وبنو أمية هم أول من اتخذ دار الضرب في الاسلام فكسوا به الاسلام رفعة وأغنوه عن نقود الروم والفرس ونحوه مما أوعده الروم بنقش شتم النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية (٢) فزادت العربية انتشاراً ونفوذا ولم يمض برهة من الدهر حتى أصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان ، وهم أول من بنى مستشفى في الاسلام — بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين ، جعلوا فيه الاطباء وأمروا بحبس المجذومين وأجروا لهم الارزاق ، وهم أول من أنشأ داراً للعميان ، وهم أول من عمل دار الضيافة (٣) بعد عمر بن الخطاب ، وهم أول من رثى للايتام وتحنن عليهم ورتب لهم المؤدبين ليعلموهم (٤)

﴿ نشر المعارف والعلم ﴾

أما العلم — فقد زخر بهم بحره ، وأزهر بدره ، فالقرآن الذي هو عمود الاسلام ، ورأس العلوم ، وينبوع المعارف ، أدرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو

(١) راجع لكل ذلك البلاذري (٢) راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذري
(٣) اليعقوبي ذكر الوليد (٤) السيوطي ذكر الوليد

أموي . ثم بعد ذلك اختلطت العرب بالعجم واحتكت بهم ففسدت لغتها وأسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف في القرآن وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو أحد أمراء بني أمية الى كتابه فوضعوا النقط والاعجام (١) فعصموا به كتاب الله أن يتطرق اليه التصحيف والتحريف تطرقهما الى التوراة والانجيل ، ووالله هذا أعظم مبرة برّ بها الاسلام لا تساويها مبرة وأعظم منة منّ بها على الدين لا توازيها منة . ثم كتب الحجاج المصاحف وفرقها في الامصار وكان الوليد - الذي رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن - يحث الناس على حفظ القرآن وكان يجزل الصلات لحفظته ويضرب الذين لم يحفظوه (٢) فكثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم

أما التفسير - ففي أيامهم نبغت أجلة المفسرين من التابعين ، وفي أيامهم دون التفسير في الصحف فأول من وضع في التفسير ابن جبير بأمر عبد الملك (٣) ثم مجاهد

أما الحديث - فكانوا يدرون على أهله الصلات ويبعثون اليهم بالهدايا ويجرون لهم الارزاق ليتفقطوا الى حفظ الحديث وروايته ونقله وكانوا يكرمون الفقهاء ويجلون مقامهم ويراعون جانبهم ، فقد كان يصيح صائح من بني مروان في موسم الحج : ألا لا يفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح اجلالا لشأنه ولكثرة علمه بالمناسك (٤) وكان عبد الملك أمر الحجاج وهو أميره على الموسم أن يقدم ابن عمر في الحج ويقتص أثره في المناسك ، وكان سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبي وميمون بن مهران والزهري وأيوب ابن أبي تميمة وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحياه أعزة عند بني أمية وكان أكثرهم عمالا لهم وهم أساطين الحديث وأئمة الرواية وأعلام النقل . وأنت تعلم ان أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أنها استودعت بطون الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم ، فاسألك بحرمة التاريخ من أمر أهل هذا الشأن بتدوينها في الكتب - أليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي ؟ فجاء في الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وكتب الى أبي بكر بن حزم رأس المحدثين « أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه لي فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » وقد كتب ابن حزم كتابا في الحديث فتوفي

(١) ابن خلكان ذكر الحجاج (٢) العقد أخبار الوليد ص ٢٣٩ وابن الاثير سنة ٨٨
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي . ذكر عطاء بن دينار (٤) ابن خلكان . ذكر عطاء

عمر ثم وضع الكتب فيه ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه (١)

أما أصول اللغة ونحوها - فقد كان تدوينها بأمر أمراء بني أمية ، ذكر ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ٢٤٠) ان أبا الاسود الدؤلي استأذن زياداً بن ابيه - وهو والي العراقين يومئذ - ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فأبى ثم بدا له صواب رأيه فدعا الدؤلي وقال له ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم فوضعه وأخذ عنه ما وضعه عنبة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضرمي وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل (٢) وهؤلاء كلهم كانوا في عصر بني أمية وهم واضعو النحو ومدونو أصوله

أما الشعر - ففي عصرهم فتقت ألسنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم فتحول الشعر وأمراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمي وجرير الخطفي والاخطل التغلبي وعمر بن ابي ربيعة القرشي وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ونصيب وهؤلاء كلهم كانوا يقصدونهم بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فطفقت ألسنتهم بما اصبح زهرة للأدب وزينة للغة

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس أخبار الشعراء ، وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيدونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون أبناءهم الى البادية ليتلقوا الادب ويتلقفوا اللغة من أفواه الاعراب وأهل البادية ، وقد جمع الوليد بن يزيد بن عبد الملك ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وانسابها ولغاتها (٣)

أما علم التاريخ والسير والمغازي - فبعصرهم افتتح عصره ، وبأمرهم ارتفع أمره ، فتحول أصحاب السير والمغازي هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهري صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤ وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ وهؤلاء كلهم كتب في التاريخ والسير والمغازي (٤) ووضع في أيامهم عوانة المتوفى سنة ١٤٧ كتاب التاريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وكان لملوك بني أمية رغبة شديدة في استطلاع الاخبار الماضية وحوادث الامم الخالية . قال المسعودي : انه كان معاوية يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ثم ينام ثلث الليل ويقوم

(١) مقدمة الزرقاني على الموطأ (٢) ابن خلكان مجلد ٢ ص ٣٨٠ (٣) الفهرست صفحة ٩١
(٤) راجع كشف الظنون وتذكرة الحفاظ

فيأتيه غلمان وعندهم كتب فيقرأون عليه مافي الكتب من اخبار الامم وسير الملوك وسياسات الدول ، ولم يصبر على ذلك حتى استحضر عالم عصره عبيد بن شرية من صنعاء اليمن وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العجم وسبب تبلبل الالسنة وأمر افتراق الناس في البلاد ، وأمره أن يدوّن ماعلمه، وعاش عبيد الى أيام عبد الملك وتوفي وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب أخبار الماضين (١) وأخذ عنه اناس سماهم ابن النديم وكان من رواته زيد الكلابي في أيام يزيد بن معاوية عارف بأيام العرب وأحاديثها (الفهرست صفحة ٩٠) وقد كان هشام مشغوفا بالسير والاخبار فنقل له جبلة بعض كتب سير الفرس من الفارسية الى العربية (٢) وأمر هشام النقلة فنقلوا له كتاب تاريخ ملوك الفرس وقوانين دولتهم وتراجم رجالهم وكان هذا الكتاب مصوراً ، ثم نقله سنة ١١٣ رآه المسعودي سنة ٣٠٣ في مدينة اصطخر كما ذكر في التنبيه صفحة (صفحة ١٠٦)

أما علوم الفلسفة ومنها الطب والكيمياء ـ فكان لهم في نقلها الى العربية آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاوية كتب الطب من اليونانية وهذا أول نقل في الاسلام ، وكان في البصرة في ايام مروان بن الحكم طبيب ماهر يهودي النحلة عارف بالعربية اسمه ماسرجويه فنقل ماسرجويه هذا كناش القس اهرون بن اعين من السريانية الى العربية فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب في الشام فأخرجه للناس وبثه في أيديهم (٣) وخالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل أمية أول من طلب علوم الفلسفة في الاسلام، وخبره انه كان يطمع في الخلافة فلما وثب مروان عليها رغب خالد عنها الى طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ومنهم مريانوس الرومي الذي اخذ عنه صنعة الكيمياء والطب وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية والقبطية الى العربية فنقلوها له ولخالد كلام في الكيمياء والطب ـ وكان بصيراً بهذين العلمين متقنا لهما ـ وله رسائل دالة على معرفته وبراعته كما اخبر به ابن خلكان ، وقد ذكر له ترجمة صالحة ابن النديم في فهرسته ونقل سالم كاتب هشام ـ وهو ابو جبلة المار ذكره ـ رسائل ارسطاطاليس الى الاسكندر . فبناء على ماقدمنا من القول بنو أمية هم أول من استقدم الفلاسفة واستدناهم في الاسلام ، هم أول من أمر بنقل العلوم الى العربية في الاسلام ، هم أول من انشأ خزائن للكتب

(١) كتاب الفهرست صفحة ٢٤٤ (٢) راجع الفهرست ايضا (٣) أخبار الحكماء وعيون الانباء

في الاسلام ، وقد ضربنا صفحا عما كان لآل أمية بالاندلس في السياسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة . فهل لك أيها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل ، والى الرجوع عن ضلال الرأي من طريق ؟

﴿ صنيع المؤلف بالعباسية ﴾

عهدنا الوحوش انضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والارتواء بالدم واذا دخلت غابتها وأحاطت بها عائلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان ، فبينما أحدها عبوس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة ، وكذلك شأن قواد الجند وابطال الحرب فانك ترى أحدهم اذا قاتل الاكفاء وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ، ونار تلتهب ، وسعير تفور ، واذا عاشر الاصحاب فهو ألينهم جانبا ، واحلاهم خلقا ، وأوسعهم حلما ، وأرقهم طبعا ، وقد جربنا المؤلف وعجمنا عوده في معاملته مع اعدائه (بني أمية) فلننظر كيف حاله في معاشرته مع اصدقائه (العباسية)

قال المؤلف

« فحبب بعضهم الى المنصور أن يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها (١) في العراق وتكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيراً للكعبة وقطع الميرة في البحر عن المدينة » (الجزء الثاني صفحة ٣٠)

وقال « وأراد المعتصم أن يستغني عن بلاد العرب جميعا وكان قد بنى سامرا بقرب بغداد وأقام فيها جنده فأنشأ فيها كعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منى وعرفات الخ » (الجزء الثاني صفحة ٣٢)

وقال « فلما أفضت الخلافة الى المأمون الخ ـ ثم قال ـ فأخذ يناظر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن أي انه غير منزل » (الجزء الثالث صفحة ١٤١)

غير خاف على أحد ان العباسية ان افتخروا وتطاولوا على منازعيهم في الرئاسة فمظم فخرهم وأبين حججهم انهم بنو عم النبي وسدنة البيت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام وقباء القرآن (وصاحبنا يقول) ان المنصور وهو مؤسس دولتهم وفاتحة خلفائهم بنى القبة الخضراء إرغاماً للكعبة وقطع الميرة عن المدينة تضييقاً على أهلها

(١) كانت صحة العبارة ان يقول : ان يستبدل بالكعبة الخ اه مصححه

وان المأمون – وهو أفضل خلفائهم ديناً وورعاً – كان ينكر نزول القرآن . وان المعتصم – وهو فحلهم وواسطة عقدهم – بنى كعبة في سامرا وجعل لها طوافاً . ولعلك تقول : ان الحاكم بالعدل والقائم بالقسط ليس له حميم ولا عدو فهو يتحرى الصدق ويدور مع الحق كيفما دار . فالمؤلف اذا أتته سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة لهم ولا ميل اليهم ، وكذلك اذا عرضت له حسنة من بني أمية فهو يوفيهم حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر – هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهبت الثقة فان المؤلف لما ذكر بني أمية عقد لمثالبهم أبواباً منها : استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما سبق ذكره ، فلو كان مغزى المؤلف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية أيضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن ، وهنا موضع نظر الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف النقض من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموساً مبدداً تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز بغيتيه معاً

أما كشف الجلية عن أصل الحال فالامر ان من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلي الى خاصة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء (بنو أمية والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم أو يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما أراد أهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كف أصحاب علي عن القتال ولما قال علي هذه خديعة منهم قالوا : اذا لم تذعن لهذا خلعناك ، فلم يقدر على خلافهم ورضي بما لم يكن ونقق رضاه ، ولما فعل يزيد ما فعل ضج الناس وكادوا يسطون عليه لولا أنه مات عاجلا ولما أراد الحجاج قتال ابن الزبير أغراهم بأن ابن الزبير ألحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (رض) ولما جاهر الوليد بن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال أبو نواس يمدح الامين وصدر القصيدة بهذا البيت

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً فقد أمكن الجهر

اتخذ المأمون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين . فهل تصدق بعد كل ذلك بأن المنصور أو المعتصم كان يقدر أو يسوغ له أن يصغر شأن الكعبة ويمس من شرفها؟ وهل كان يقدر المأمون أن يحمل الناس على انكار القرآن والعياذ بالله؟ فأما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريف وتدليس وسوء تأول ولولا أني سئمت من كشف دسائسه مرة بعد أخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ هـ واصطنع الاتراك والفراغنة ازداد العرب احتقاراً في عيون أهل الدولة وتقاصرت أيديهم عن أعمالها حتى في مصر .... ـ الى ان قال ـ فأصبح لفظ عربي مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن أقوالهم : العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه وقولهم : لا يفلح أحد من العرب الا أن يكون معه نبي ينصره الله به (الجزء الثاني صفحة ٣١ و٣٢)

من احسن أعمال آل عباس عند المؤلف انهم صغروا شأن العرب وساموهم الحسف وسلطوا عليهم الاعاجم والاتراك وجعلوا هؤلاء ولاة البلاد يبدهم الامر والنهي والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام . ذكر ذلك في غير موضع وكلما ذكره وجد من نفسه ارتياحاً اليه وشفاء لحزازته وهزة لعطفه ونيلا لأربه ومع ان الواقعة مكذوبة أو محرفة على جري عادته فنحن لا نتنازعه في ذلك ونطوي الحديث على غرته ولكن تقول اذا مدح أحد مثلا دولة فرنسة وقال انهم ذللوا الفرنسيين وارغموا انوفهم واستلبوهم المناصب وقلدوا الولايات الاجانب وجعلوهم قابضي ازمة الامور يولون ويعزلون ، وينفقون ويمسكون ، فهل هذا يكون مدحاً ترضى به دولة فرنسة أو يكون هذا عارا يستحى منه ؟ ومسبة يستنكف عنها ، وشناعة تشمئز منها القلوب؟ وانصف من نفسك ما كان حظ العباسيين من تولية الاعاجم . اما آل برمك فلا تنكر فضلهم ومحاسن آثارهم ولكنهم مع كل ذلك استأثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتى لم يكن حظ الخلفاء من الخلافة الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم وازالة دولتهم . وأما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوا وعذبوا بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعاً يسألون الناس ولا يعطون . فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة يفتخر بها ؟ .

﴿ الخلفاء الراشدون ﴾

المؤلف حرفته تأليف الكتب متكسبا بها وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد

على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه ، وخابت صفقته ، فدبر لذلك حيلا لا يكاد يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رءوس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها في ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية ، وتارة بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها ، وتارة بذكرها محتالا لها عذراً . واذا كررت النظر في كلامه وتصفحت مافيه وجمعت ماهو مبدد ونظمت ماهو مفرق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من أشد أعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا أهل الذمة وجعلوهم أذلاء لا يؤذن لهم ولا يؤبه بهم

أما كونهم أعداء العلم فبين المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال « كان الاسلام في أول أمره نهضة عربية والمسلمون هم العرب وكان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس ولأجل هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ... ـ الى ان قال ـ وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن الخ »

« أما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام أن الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي أن ينظر في كتاب غير القرآن الخ

« فتوطدت العزائم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعدئذ هدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة » الخ (الجزء الثالث صفحة ٣٦)

« وبناء على ذلك هان عليهم إحراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس في الاسكندرية وفارس » الخ (الجزء الثالث صفحة ١٣٥)

﴿ حريق خزانة الاسكندرية ﴾

لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (١) نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالا

قال : أولا ـ « قد رأيت فيما تقدم رغبة العرب في صدر الاسلام في محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمي الصحابة »

(١) الجزء الثالث من تمدن الاسلام ص ٤٠

الذي ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحول عليه هنا أقوال منها: «ان الاسلام يهدم ما كان قبله» وكنا نعرف ان المراد به إبطال عوائد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب أو إحراق الخزائن ولكن لما كان المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله أو لعله عارف يتجاهل ويصير يتعامى

ومنها قول النبي عليه السلام «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد» وأي منطق في هذا؟ بل هو مخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يأمر بالايمان بما أنزل الى أهل الكتاب، أما الاغفال عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فلأجل كون أهل الكتاب غير موثوق بهم في الرواية، ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم «رأى في يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي» وهذا لا مستند فيه للمؤلف فان النبي صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لبت بها أيدي النقلة ولذلك قال ألم آتكم بها بيضاء نقية وهذا لا يستلزم بل ليس فيه أدنى إشارة الى محوها وإلحاق الضرر بها ونزيدك ايضاحاً للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القرآن وعليه المعول وهو المستمسك في كل باب وكان هو العروة الوثقى في ذلك العصر للصحابة وأهل القرن الاول، والقرآن له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذي نوّه بذكرهما وعظم شأنهما، فقال

«فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» (والمراد بالذكر التوراة) ـ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ـ ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ـ مصدقا لما بين يدي من التوراة ـ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه،» (أي التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من أجلة الصحابة منقطعين الى قراءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل أخذوا يروون ويتفاوضون كل ما وجدوا من أقاصيص أهل الكتاب ومروياتهم وقد اعترف بذلك المؤلف نفسه فقال

«وقد رأيت ان العمدة في التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبي فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ أميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من أسباب الوجود وبدء الخلقة وأسرارها سألوا عنه

أهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى ـ الى أن قال ـ فكانوا اذا سئلوا عن شيء أجابوا بما عندهم من أقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلأت كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤) (يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في المهدين العتيق والجديد)

٢

واذا ترجمنا عبارة داود هكذا (ثقبوا يديّ ورجليّ) كما يترجمونها كان المعنى أنهم أتلفوهما وهو كناية عن تعطيل جميع قواه وقهره واذلاله بسبي نسائه ونساء رجاله وبنيهم وأخذهم الغنائم الكثيرة منهم (١ صمو ٣٠ : ٣ و١٩) ألا ترى إلى قوله في نفس هذا المزمور ٢٢ : ١٤ (كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامي . صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي) إلخ فهل هذه الاشياء وقعت بالفعل ؟ وهل انفصلت عظام داود أو المسيح حقيقة وذاب قلبهما ؟ أم كل هذا كنايات كقوله (ثقبوا يديّ ورجليّ) ؟ وكان داود يدعو الله أن ينصره على أعدائه ويخذلهم وينجيه من تعيير رجاله له ورغبتهم في رجمه . وقد كان ذلك كله فنصره الله عليهم وقتلهم واسترد منهم جميع ما أخذوه كما سبق (١ صمو ٣٠ : ١٧ ـ ١٩)

وأمثال هذه الكنايات كثيرة في المزامير وغيرها راجع مثلا قوله مز ٣ : ٧ (قم يارب . خلصني يا إلهي . لانك ضربت كل أعدائي على الفك . هشمت أسنان الاشرار) ومزمور ١٨ و٣٥

أما المسيح عليه السلام فلم ينجه الله تعالى على قولهم من يد أعدائه بل أخذوه وعذبوه وصلبوه وقتلوه مع أن مقتضى المزمور الذي نحن بصدده أن الله استجاب

(*) تابع لما نشر في الجزء الرابع ص ٢٨٩

دعاء داود ونجاه من أعدائه ومن الكرب الذي كان فيه (انظر عدد ٢٤ منه) فكيف اذا ينطبق هذا على المسيح ؟!

(برهانهم الرابع) ما ورد في الأصحاح الثاني عشر والثالث عشر من سفر زكريا . إعلم أن الاصحاح الثاني عشر هو نبوءة عن يهوذا المكابي وملخص قصته كما في التواريخ المسيحية وكما في سفر المكابيين المقدس عند الكاثوليك وعند الأورثدكس أن ثلاثة من الكهنة الاشرار منهم واحد يسمى (الكميس) جمعوا حولهم نفرا من قومهم اليهود وذهبوا إلى انتيوخس ملك سوريا اليوناني ووشوا إليه بالآخرين من أمتهم وحرضوه عليهم فانقاد الملك لرأيهم وسار إلى أورشليم وسلب ما في الهيكل فهرب من بقي في المدينة وولى على اليهود واحدا من قواده وأمره أن يطلب من اليهود أن يسجدوا لأصنامه وأن يأكلوا لحم الخنزير وأن يتركوا الختان وكان يقتل كل من لم يقبل ذلك وكان أكثرهم طاعة الكهنة الثلاثة المذكورون سابقا وحزبهم فتسلطوا على اخوانهم الذين لم يطيعوا وفي سنة ١٦٦ قبل الميلاد قام كاهن من اليهود الصالحين رئيسا عليهم فقتل أحد عساكر الملك وهو يهودي منافق وقتل القائد أيضا فقويت بذلك قلوب اليهود

ولما توفي خلفه ابنه (يهوذا) فالتف حوله جمع عظيم وحارب جيش الملك فهزمه ، وأراد الملك أن يأتي بنفسه اليه ولكنه مات في الطريق ، ولما فرغ يهوذا من محاربة اليونان دخل أورشليم وأزال الأوثان وطهر البيت وبنى مذبحا جديدا ثم قتل بعد ذلك في بعض وقائعه مع اليونان وكان في جيش عدوه (الكميس) وكثير من منافقي اليهود فبكاه شعب إسرائيل بكاء عظيما وتولى أخوه يوناثان بعده (راجع الفصل ٩ من سفر المكابيين الاول عدد ٢٠) فلذا قال زكريا في كتابه ١٢ : ٢ (هانذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) . (وفي نسخة الكاثوليك ويهوذا أيضا تكون في الحصار على أورشليم) إلى قوله ٣ (يجتمع عليها كل أمم الارض) أي الشعوب التي حولها فلا يدل هذا على التعميم كما يقولون هم في مثل قول لوقا ٢ : ١ (وفي تلك الايام صدر أمر من

أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة) أي الارض التابعة للرومان فقط وفي قول التكوين ٤١ : ٥٦ (وكان جوع على كل وجه الارض ٥٧ وجاءت كل الارض إلى مصر) وكذا قوله تك ٧ : ١٩ (فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء) إلى قوله ٢٣ (فمحى الله كل قائم كان على وجه الارض) ثم قال زكريا ١٢ : ٤ (في ذلك اليوم أضرب كل فرس بالحيرة وراكبه بالجنون ٦ في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح ٧ ويخلص الرب خيام يهوذا ١٠ وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه كناثح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) وصحة الترجمة (ويسلمون اليّ « أمز » الذي طعنوا) بدون هاء الضمير وذلك أن الذين كانوا مع يهوذا المكابي تركوه خوفا من جيش العدو ولم يبق منهم إلا قليل هربوا أيضا حينما قتل وسلموا أمره إلى الله وإنما نسب الطعن إليهم لانهم تسببوا فيه بفرارهم من حوله . وايضا لان الجيش الذي طعنه كان فيه كثير من اليهود مع (الكهنس) الذي كان يرغب أن يكون كاهنا أعظم وأتى بجيش الملك لمحاربة يهوذا معه . وعلى فرض صحة ترجمة البر وتسلمت وأن المعنى (فينظرون إليّ أنا الذي طعنوه) فالذي طعنوه هو (يهوذا) وإنما أسند النظر والطعن إلى الله تعالى على حد قول الانجيل (متى ٢٥ : ٣٥ لاني جعت فأطعمتموني . عطشت فسقيتموني) إلى قوله ٤٠ (بما انكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم) وقوله تعالى في القرآن الشريف (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) ولما كان يهوذا المكابي هذا مرضيا عند الله ومحبوبا وأعماله إنما هي لله ـ نسب تعالى طعن أعدائه له لنفسه تعالى كما نسب جوع الفقراء وعطشهم له . وقد أشار دانيال (كما قالوا) في آخر سفره لحوادث يهوذا المكابي هذا (دا ١٢ : ١٢)

هذا وقول زكريا (وينوحون عليه كناثح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) الى قوله ١٤ (كل العشائر الباقية عشيرة عشيرة على حدتها) يؤيد تفسيرنا هذا وأنه في حق يهوذا لا في حق المسيح فان الذين طعنوه وهم عسكر الرومان (يو ١٩ : ٣٤) لم ينوحوا عليه في ذلك اليوم ولا عشائر اليهود الذين تسببوا في صلبه . أما

يهوذا فقد ناحوا عليه كثيرا كما تقدم في سفر المكابيين ، ويؤيد قولنا أيضا قوله قبل هذا ١٢ : ٢ (وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) فانه لا ينطبق على المسيح فان أورشليم لم تكن محاصرة بجيوش حينما كان المسيح عليه السلام فيها ولم يكن ثم حرب .

ثم قال زكريا في الاصحاح الثالث عشر ١٣ : ١ (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة) الى قوله (اضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يدي على الصغار) فالمراد بالراعي هنا (يوناثان) أخو يهوذا المكابي الذي تولى بعده .

ولما قتل يهوذا دخل جيش الملك ومعه اليهود المنافقون ونجسوا المدينة وكان رئيسهم (الكيمس) فظلم اليهود الصالحين وأمر بهدم حائط بيت المقدس فلذلك قال (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة) ثم أصيب (الكيمس) بفالج ومات فرحل الجيش وتولى يوناثان أخو يهوذا ودخل المدينة وطهرها وأزال عبادة الاصنام كما قال زكريا ١٣ : ٢ (إني أقطع أسماء الاصنام من الارض) ثم قتله قائد يسمى (تريفون) بالخديعة وأخذ من أخيه (سمعان) مئة قنطار من الفضة وولدي (يوناثان) أيضا كما في سفر المكابيين ولما قتل تشتت جيشه وحصل لليهود رعب شديد وفزع ثم جمعهم (سمعان) أخوه وشجعهم واستأصل كل اثيم شرير من اليهود المنافقين (مكابيين أول ١٤ : ١٤) وانتهت عبادة الاصنام من بينهم فهذا هو معنى قول زكريا (استيقظ ياسيف على راعيّ . . . . . إضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يديّ على الصغار (ولدي يوناثان) ويكون في كل الارض (أي أرض إسرائيل) أن الثلثين منها يقطعان (وهم الاشرار الذين قتلهم سمعان) ويموتان والثلث يبقى فيها) وبعد سمعان لم تعد اليهود لعبادة الاصنام فلذلك قال في آخر هذا الاصحاح (زك ١٣ : ٩) هو (أي شعب اسرائيل) يدعو باسمي وأنا أجيبه . أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي) فهذان الاصحاحان لا علاقة لهما بالمسيح عليه السلام البتة ولا ينطبقان عليه . وهل المسيح كان له ولدان فأسرا حتى يقول (وأرد يدي على الصغار) ؟ وهل مات بالسيف مع أنه ماضرب بالحربة إلا بعد موته ؟ (يو ١٩ : ٣٣ و٣٤) فما بالهم يريدون أن

يجعلوا كل شيء رمزا لدينهم ولو بالقوة وان خالفوا اللغة والتاريخ والعلم والعقل والدين ؟!

(برهانهم الخامس) قال متى في انجيله ٢٧ : ٩ (حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل واخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل) فادعى متى وادعوا تبعا له أن الانبياء أخبروا أن المسيح سيباع بثلاثين من الفضة وهذه النبوءة لا يوجد لها أثر في كتب العهد العتيق اللهم إلا في كتاب زكريا (لا أرميا) فانه يوجد بعض ألفاظ تشبه هذه العبارة (١١ : ١٢ و١٣) ولكن لا علاقة لها بالمسيح وانما النصارى كما قلنا مرارا يخترعون من الحوادث للمسيح ما يمكنهم أن يطبقوه على عبارات العهد القديم ليوهموا الناس أن الانبياء السابقين أخبروا بجميع أحوال المسيح حتى موته وصلبه وألوهيته المزعومة وفي هذه العبارة كما في غيرها لم يحسنوا التلفيق فأخطأوا وذكروا اسم أرميا وكان الاولى أن يحسنوا السبك ويذكروا زكريا بدله وان كان كل من العبارتين مختلفا لفظا ومعنى

(برهانهم السادس) جاء في سفر الاعمال ٢ : ٣١ أن داود أنبأ عن قيامة المسيح (من الموت بعد الصلب) بقوله (انه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فسادا) يشير بذلك كاتب هذا السفر الى المزمور السادس عشر الذي قال فيه داود عليه السلام ١٦ : ٩ (لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي . جسدي أيضا يسكن مطمئنا ١٠ لانك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا ١١ تعرفني سبيل الحياة ـ الى قوله ـ في يمينك نعم الى الابد) وظاهر أن داود في هذا المزمور يتكلم عن نفسه . ولفظ (الهاوية) هنا أصله العبري (شاَول) وهو اسم علم لدار الموتى سواء كانوا في سعادة أو في شقاء ولذلك قال يعقوب لبنيه حينما أرادوا أخذ بنيامين منه تك ٤٢ : ٣٨ (إن أصابته أذية في الطريق تنزلون شيبتي بحزن الى الهاوية)

وعليه فمعنى هذا المزمور أن جسد داود يسكن بعد الموت مطمئنا لانه يعلم أن الله لن يتركه ميتا الى الابد بل سيرد روحه اليه من عالم الارواح (شاَول) ويبعثه يوم القيامة للحياة الباقية فيخرجه من دار الموتى الى نعيم الجنة

وأما قوله (لن تدع تقيك يرى فسادا . تعرفني سبيل الحياة) فالكلمة

المترجمة هنا (بفساد) تفيد ايضا معنى (القبر) والمراد بها المعنى المجازي أي مكان الموت المعنوي وهو البعد عن الله فكأنه قال (إنك لن تدعني يا الله أرى مكان الموتى وهم الضالون الاشرار بل ستهديني إلى معرفتك التي بها الحياة الأبدية وتعصمني من الاقتراب منهم) فلهذا ولاعتقادي بالبعث والنشور أراني مطمئنا وسيسكن جسدي بعد موتي مستريحا واثقا بوعدك لي بالنعيم الخالد فلذا أحمدك وأشكرك لأنك نجيتني من الموت (الموت الادبي الروحاني) وذلك مثل قوله في مزمور آخر ٥٦ : ١٣ (لانك نجيت نفسي من الموت . نعم ورجلي من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الاحياء (أو الحياة) فالبعد عن الله هو الموت وهو الموصل للقبر ومعرفته تعالى هي الحياة الباقية . قال المسيح عليه السلام يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وقال يو ١١ : ٢٦ (كل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الابد) وقال أيضا يو ٦ : ٤٧ (من يؤمن بي فله حياة أبدية) فهذه الاقوال كلها هي كقول داود (لن تدع تقيك يرى فسادا (أو قبرا) . تعرفني سبيل الحياة) إذ أن من عرف الله وآمن به واتقاه لا يرى الفساد ولا الشر وينجو من الموت النفساني ويبتعد عن مأوى الاشرار الفجار الذين ماتت نفوسهم فيحيا إلى الابد (كما قال المسيح عليه السلام) حياة طيبة مع الاطهار الابرار بعيدا عن مواطن السوء والشر والفساد (راجع أيضا متى ٦ : ١٣ ويو ١٧ : ١٥) قال الله تعالى في القرآن الشريف (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟)

أما اذا أصر النصارى على أن المراد بعبارة داود هذه الحقيقة لا المجاز وترجمت هكذا (لن تدع تقيك يرى قبرا) كانت منافية لقوله قبلها مز ١٦ : ٩ (جسدي أيضا يسكن مطمئنا) أي في القبر فان ذلك يعين أن ما جاء بعد من عدم رؤية القبر يراد به قبر موتى النفوس البعيدين عن الله (أي القبر المعنوي) فان المؤمن لا يموت أبدا وليس المراد القبر الحقيقي والا فان داود والمسيح عليهما السلام قد رأيا القبر ودفنا فيه وبقي المسيح فيه ثلاثة أيام — كما يقولون — ومن راجع المزامير كلها علم أن المجازات فيها

ربما كنت أكثر من الحقيقة واني لاعجب لماذا يريد النصارى حمل كل ماجاء في العهد القديم على المسيح ولو كان بعيدا عنه حتى يج الانسان سماع هذه الاستشهادات منهم ! ! لكني أتذكر فأقول : انهم لو وجدوا لدينهم دلائل غيرها لما تهافتوا عليها تهافت الظمآن على السراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئا

فهذه هي براهينهم على الصلب من العهد القديم وقد انهارت جميعها على أسسها . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

﴿ الفصل الثاني ﴾

« في ابطال ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح من العهد القديم »

نبدأ هذا الفصل بالمقدمة الآتية ثم نتبعها بالكلام على شواهدهم التي يتمسكون بها من العهد القديم

المقدمة — لا يخفى أن اليهود من عهد موسى عليه السلام الى زمن المسيح كانوا دائما يميلون الى الوثنية فمع ظهور آيات الله تعالى لهم العظيمة ومع كثرة أنبيائهم وشدة نهيهم لهم عن الشرك وعبادة غير الله نراهم كثيرا ما ارتدوا وعبدوا الاصنام وقربوا قرابينهم لمولك ولعشتورث ولكموش (١ مل ١١ : ٣٣) (١) وسجدوا لها وعبدوا في زمن موسى العجل الذهبي وغير ذلك كما تشهد به كتبهم . ولعل منشأ حب الوثنية في قلوبهم وجودهم أزمنة طويلة بين الوثنيين الذين كانوا في كثير من الاوقات سادات لهم في مصر وبابل والذين تغلبوا عليهم في أرض كنعان والمغلوب يميل عادة لتقليد غالبه ويعجب بما عنده من مظاهر الأبهة والعظمة والجمال . فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس (اليهود) الذين أشربوا في قلوبهم حب الوثنية من قديم الازمان أن يقولوا في مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ويظنون أنه سيكون ملكا عظيما ينصرهم على جميع الامم ويخلصهم من ظلم أعدائهم ومن سلطانهم عليهم ويجعلهم سادة الارض ويكون دينهم أبديا كما قالوا في الختان (تك ١٧ : ١٣) وفي مواسمهم وقرابينهم (راجع الاصحاح الثالث والعشرين

(١) مولك اسم الله للعمونيين، وكان من نحاس جالسا على عرش من نحاس وعشتورث الهة الصيدونيين وكموش اله المؤابيين

من سفر الملوك) وكما قالوا في ملك سليمان إنه باق الى الابد (١) (٢ صمو ٧ : ١٢ ـ ١٦ وأخبار الايام الاول ٢٢ : ١٠) فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس الذين علمت ميلهم للوثنية وأوهامهم وخيالاتهم في ملكهم وأمتهم ودينهم أن يقولوا في مسيحهم هذا إنه أعظم المخلوقات وأن الله تعالى خلقه قبل كل شيء وبه عمل كل شيء وأنه صيره إلها وأن ملكه سيبقى إلى الابد وأنه سيدين الخلائق جميعا يوم القيامة الى غير ذلك من هذه الاحلام اللذيذة والخيالات الجميلة التي كانوا يقولون نحوها حينما يرتدون في معبوداتهم التي عبدوها مرارا من دون الله مع كثرة نهي موسى والانبياء لهم عن الشرك والوثنية (راجع الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية وغيره)

فلما جاء المسيح عليه الصلاة والسلام نمت هذه العقائد في قلوبهم وحاول كثير ممن آمن به عليه السلام عبادته فكان يحارب هذه الافكار بمثل قوله في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . إذهبوا عني يا فاعلي الاثم) وقوله مر ١٣ : ٣٢ (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب) وقوله يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح

---

(١) حاشية يقول النصارى ان ذلك اشارة الى المسيح عليه السلام لانه أتى من نسل سليمان . ونقول ان من راجع نسب المسيح عليه السلام كما في انجيل لوقا ٣ : ٢٣ ـ ٣٨ اتضح له أن المسيح من نسل ناثان بن داود لا من نسل سليمان فكيف يكون هو المراد بتلك العبارة ؟ وقد قالوا لرفع الخلاف الذي بين متى ولوقا في نسب المسيح أن ما ذكره لوقا هو نسب أمه مريم عليها السلام فهو نسبه الحقيقي أما ما ذكره متى فهو نسب يوسف النجار ولا يخفى أن يوسف ليس بأب المسيح وعليه فلا يكون المسيح عليه السلام من نسل سليمان الا بالادعاء من غير برهان وان كان يوسف النجار هذا من نسله كما في انجيل متى (١ : ٦) الا أن يوسف هو زوج مريم فقط وليس هو أبو المسيح عليه السلام ولا ندري لماذا ذكر لوقا الآباء الحقيقيين لبعض جدود مريم تارة والآباء الشرعيين كما يقولون لبعض الجدود الآخرين ؟ ولماذا لم يجر على طريقة واحدة كمتى فيذكر اما الآباء الحقيقيين كلهم أو الآباء الشرعيين ؟ وهل وجود ابن حقيقي للاب الشرعي يسوغ لهذا لوقا ومتى لذكره مع ذكر لوقا لبعض من لا ولد حقيقيا له لهذا السبب كما يدعون لرفع تناقضهما واختلافهما العظيم ولم يخجلوا من هذا الاضطراب والتضارب !!!

الذي أرسلته) وزجر من ناداه بقوله (أيها المعلم الصالح) فقال كما في متى ١٩ : ١٧ (لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) وقوله مر ١٢ : ٢٩ (الرب إلهنا رب واحد) وقوله متى ٢٢ : ٤٠ (بهاتين الوصيتين (أي محبة الله ومحبة القريب) يتعلق الناموس كله والأنبياء) وتسميته نفسه في أكثر الاوقات (بابن الانسان) إشارة إلى أنه إنسان مثلهم وقوله يو ٢٠ : ١٧ (اني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) أي إن الله أب له كما هو أب لهم وإله له كما هو إله لهم إلى غير ذلك من أقواله الشريفة التي أبقاها الله تعالى في الاناجيل إلى اليوم حجة ناهضة على النصارى، ولكن الناس في زمنه وبعده أبوا إلا أن يعبدوه من دون الله وإن رفض تواضعا منه أن يسمى صالحا وأولوا جميع أقواله هذه وغيرها بالتعسف والتكلف البارد الذي نسمعه اليوم من النصارى في هذه الاقوال الصريحة . وأي كلام لا يمكن تأويله بمثل هذه التأويلات السخيفة ؟ !

فاليهود الذين تنصروا حملوا إلى المسيحية وثنيتهم القديمة رغما عن جميع أقوال المسيح عليه السلام نفسه وتعاليمه وأولوها حتى أخرجوها عن معانيها الحقيقية الظاهرة منها ظهور الشمس في رابعة النهار

والذي يدلك على ميل اليهود في ذلك الوقت لهذه الافكار الوثنية قول يوسيفوس مؤرخهم الشهير في حق المسيح ما يأتي إذا صح أن النصارى لم يحرفوا كلامه (كما حرفوا غيره) على ما يقول كثير من فلاسفة العلم في أوربا اليوم . فمع أن يوسيفوس ما كان يعتقد صدق المسيح عليه السلام قال ما يأتي عنه في تاريخه القديم كتاب ١٨ فصل ٣ رأس ٣ (ونحو هذا الوقت نشأ يسوع إنسان حكيم إذا صح أن ندعوه إنسانا لأنه عمل أمورا عجيبة وكان معلما لجماعة قبلوا الحق بسرور وصار له مصدقون كثيرون من اليهود واليونانيين) (١) فانظر وتأمل ! وقد ساعد اليهود على هذه الافكار وجودهم في ذلك الوسط الوثني وسط الرومانيين ووسط الفلسفة اليونانية وغيرها وانتشار مثل هذه العقائد بين جميع الامم الاخرى

فجعل الذين تنصروا منهم في ذلك الزمن إلى دينهم الجديد أفكارهم القديمة في

(١) راجع الفصل الثالث من كتاب دين الله وسينشر في الاعداد الآتية

مسيحهم المنتظر وغلوهم فيه فقالوا إنه أفضل جميع المخلوقات وأنه خلق قبل العالمين (وهو بكر الخلائق) وأن الله خلق الخلق بواسطته وأنه صيره إلها مثله وأنه سيأتي ويدين الخلائق بدلا عن أبيه إلخ إلخ وهذه الافكار هي التي نقرؤها في الاناجيل المتأخرة (كانجيل يوحنا) وفي رسائل بولس أعظم اليهود المتنصرين في مبدإ المسيحية بل مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي تأمل في الاصحاح الاول مثلا من رسالته الى العبرانيين وفي قوله فيها ١ : ٤ (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم .) وفي رسالته الى أهل كولوسي (١: ١٥ ـ ١٧) فالظاهر من أقوالهم في تلك الايام أنهم كانوا يعتقدون أن المسيح لم يكن مساويا لله تعالى في الدرجة والمقام والجوهر بل مخلوقا منه قبل جميع الخلق (أي بكر كل خليقة كما قال بولس) وأقل درجة منه تعالى وهو الذي وهبه كل شيء حتى جعله بارا و إلها للعالمين كما جعل موسى إلها لفرعون على ما يقول سفر الخروج (٧ : ١) فلم تكن عقائد ألوهيته الأصلية الأزلية ولا عقائد التثليث ناضجة في اذهانهم كما هي اليوم ولذلك لا تجد بيانا مفصلا شافيا لهذه العقائد في العهد الجديد

هذه هي أفكار اليهود القدماء التي أدخلوها في المسيحية وكانت نشأت فيهم قبل وجود عيسى عليه السلام بسنين لاجل مسيحهم الذي ينتظرونه . ثم شبت ونمت حتى بلغت أشدها في زمن بولس وشابت وهرمت بعده فقال أكثرهم : إن المسيح مساو لله تعالى في الجوهر والمقام، وأنه هو هو ، وبقي الآخرون على عقائدهم القديمة في عدم المساواة وقام منهم فرق عديدة ورؤساء لهم كآريوس وغيره مؤيدين كلامهم بمثل قول بولس : أفسس ١ : ١٧ ـ ٢٢ (كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته ـ الى قوله ـ ٢٠ الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الاموات وأجلسه عن يمينه في السماويات ـ الى قوله ـ ٢٢ وأخضع كل شيء تحت قدميه واياه جعل رأسا فوق كل شيء الكنيسة) وقول بطرس أع ٢ : ٢٢ (يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون)

ولكن فاز الفريق الاقوى ولا كثر على الفريق الاقل لميل النفوس الى الغلو والمبالغة ولانتشار الوثنية في العالم . وبقي الاقلون الذين لا يعتقدون في مساواة المسيح بالله إلى أن جاء الاسلام فراق لهم وأعجبهم فدخلوا فيه أفواجا أفواجا واستمر فريق منهم في أوربة الى اليوم ولكنهم بثوا أيضا في نفوس بعض الغلاة من المسلمين شيئا من أفكارهم القديمة فجعلوا محمدا صلى الله عليه وسلم مخلوقا قبل كل شيء ولاجله خلق كل شيء ومن نوره (١) خلق كل شيء كما كانوا يقولون مثل ذلك في المسيح من قبل ولولا أن نصوص الاسلام أصرح وأكثر من نصوص غيره في التوحيد والتنزيه — ولولا ارتقاء البشر في زمنه عن سبقهم في العقل والفكر لعبد محمد صلى الله عليه وسلم من دون الله كما عبد غيره من الانبياء والمصلحين وغيرهم ولدخل المسلمون في عين جحر الضب الذي دخله من قبلهم

وعليه فاذا وجد في كتب اليهود ألف نص ونص على ألوهية بعض البشر أو مساواتهم لله تعالى في الازلية لما قبل منهم ولعلمنا أنه مما أدخلوه في عقائدهم ومما أفسدوه في دينهم

ولما وجد اليهود أن النصارى يتمسكون به عليهم لاقناعهم بدينهم وبمسيحهم ترك اليهود هذه الافكار القديمة في المسيح المنتظر شيئا فشيئا حتى محيت من بينهم تقريبا وأنسيت من أفكارهم ولم يبق لها الا آثار قليلة في بعض كتبهم القديمة وهذه الآثار هي التي يريد النصارى إقناع المسلمين بها اليوم

على أنها غير صريحة وليست نصا في الموضوع ويمكن تأويلها بنفس أقوال كتبهم الاخرى بدون تكلف ولا تعسف كما يفعلون هم في أقوال المسيح عليه السلام في التوحيد والتنزيه

وإذا سألت النصارى : لماذا لم تذكر عقيدة التثليث والتجسد والفداء في كتب أنبياء بني اسرائيل صراحة ؟ أجابوك لعدم استعداد البشر لها في تلك الازمنة . وأقول : قد أثبت العلماء الباحثون وجود مثل هذه العقائد تماما عند أكثر الامم

(١) حاشية : قال ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في الجزء الثاني صفحة ١٩٨ ان جميع هذه الاحاديث الواردة في خلق العالم من نور النبي (كلها كذب) ولا يخفى على أحد علم ابن تيمية في الحديث

الوثنية القديمة إن لم نقل كلها (راجع كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهل وصل إليها الناس بالعقل أم بالوحي ؟ فان كان الاول فما عدم الاستعداد إذا ؟ وإن كان الثاني فلم أوحيت إلى الناس كافة ولم توح إلى شعب إسرائيل ـ شعب الله المختار المفضل على العالمين ؟ ! وما معنى هذا الاستعداد ؟ هل كان الناس غير قادرين على فهم هذه العقائد ثم فهموها مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبدا ! ! فان قالوا : إنها أوقعت قديما كثيرا من الناس في الشرك الحقيقي فلذا لم توح إلى بني إسرائيل . قلت وهل سلمت اليهود من الشرك والوثنية وهم الذين عبدوا كثيرا من آلهة الكنعانيين والمشركين مع صراحة التوحيد في كتبهم وكثرة نصوصه ؟ وهل سلم النصارى من الشرك والوثنية وفيهم من عبد مريم العذراء والصليب والقديسين والقديسات ؟ وهم جميعا إلى الآن يعبدون المسيح كله مع قول جمهورهم إنه إنسان كامل وإله كامل وهم مع ذلك يعبدون الثالوث المركب من الآب والابن والروح القدس مع تصريحهم بأن الآب هو الاصل وأن الروح القدس انبثق منه والابن انبثق من أحدهما او كليهما (على رأي آخرين) . وما الفرق بين عبادة الثلاثة على أنها أقانيم و بين عبادتها على أنها ثلاثة آلهة ؟ وما الفائدة من التوحيد إذا ؟ ؟

الحق أن جميع الامم القديمة قالوا بهذه العقيدة (الثالوث) للجمع بين التوحيد الذي أوحي إليهم من الله و بين الشرك الذي لم يمكنهم أن يتصوروا وجود إله للعالم بدونه لقصر عقولهم واستبعادهم أن يدبر هذا الكون العظيم إله واحد ، ومثل هذا السبب قد أوقع النصارى في نفس هذه العقيدة للجمع بين النصوص التي رأوها متناقضة في العهد الجديد . أما العهد القديم فدلائل التوحيد فيه بينة ظاهرة في جميع أسفاره من أولها إلى آخرها

واليك جميع الاقوال التي يتمسك بها النصارى من كتب اليهود على ألوهية المسيح و بيان معناها وهي التي تركوا لاجلها نصوص المسيح عليه السلام الفصيحة الصريحة ونصوص جميع الانبياء الآخرين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الشواهد من العهد القديم

(١) جاء في كتاب أشعيا ما يأتي ٩ : ٦ (لانه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرئاسة على

كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام ٧ لنمو رئاسته وللسلام لانهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها و يعضدها بالحق) إلخ فاذا صح أن هذا الكلام في حق المسيح فهو من أوهام اليهود في مسيحهم الذي ظنوا أنه سيجلس على كرسي داود الى الابد كما قالوا في سليمان على ما تقدم . على أن تسميته (إلها) قد ورد مثلها في حق موسى عليه السلام كما في سفر الخروج ٧ : ١ (فقال الرب لموسى أنظر . أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك) وورد في المزمور الثاني والثمانين ٦ (أنا قلت انكم آلهة و بنو العلي كلكم) ثم ان اللفظ المترجم بإله هنا في الاصل العبري يحتمل معنى (القوي أو الجبار) وفي النسخة اليونانية الاسكندرانية بمعنى القوي ولا وجود له هنا في النسخة السبعينية . ويقول اليهود الآن : ان المراد بهذه العبارة هو حزقيا ومعنى حزقيا (قوة الله) وهو من أعظم ملوك اليهود ومعدود بين الملوك الثلاثة الذين كانوا من أحسن ملوك يهوذا وهم يهوشافاط وحزقيا ويوشيا . ويقول المسلمون إن عبارة أشعياء هذه هي بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي جلس على كرسي داود في الأرض المقدسة للآن وهو أب أبدي للمؤمنين رئيس السلام لغير المعتدين (راجع فصل البشائر) وعلامة ملكه على كتفيه وهي المسماة في كتب الحديث « بخاتم النبوة » واسمه (محمد) لم يكن معتادا بين العرب قبله وهو قوي منصور وجميع هذه الصفات لا تنطبق على المسيح مثل انطباقها على محمد صلى الله عليهما وسلم

وقوله (يولد لنا ولد) معناه على هذا أنه يولد لهم ولد من اخوتهم بني اسماعيل فان أبناء العم هم أخوة ومن وُلد لنا فقد ولد لهم فكأن بني اسماعيل و بني اسحاق أسرة واحدة أو أهل بيت واحد فاذا ولد لاحدهم ابن فهو مولود للجميع وأبو الكل ابراهيم عليه السلام (تك ١٧ : ٤ انظر أيضا عدد ٢٠ : ١٤ وتث ٢ : ٤ وتك ١٦ : ١٢ و ٢٥ : ١٨)

سلمنا جدلا أن هذه العبارة في حق المسيح عليه السلام وأن الناس يدعونه (إلها قديرا) وقد وقع ذلك بالفعل فأي دليل فيها على صحة ألوهيته ؟ غاية الامر أن أشعياء عليه السلام قد أخبر بقدره وعظمته حتى أن الناس سيتخذونه إلها وان

لم يكن إلها حقيقيا ولذلك قال (يولد لنا . ونعطى . ويدعى اسمه كذا ..... وغيرة رب الجنود تصنع هذا) فالمولود والمعطى (بالفتح) والذي صنعه رب الجنود لايكون إلها وان دعاه الناس بهذا الاسم فان قيل: لماذا لم ينبه أشعياء بأكثر من ذلك على عدم ألوهيته قلت ان المقام مقام تنبؤ واخبار بما سيحدث لامقام تحذير من الوثنية فلذا اكتفى بما ذكر ولعله أن كتابه وسائر كتب العهد القديم قد حذرتهم من عبادة غير الله وملئت صفحاتها بذلك وخصوصا سفر التثنية (٥: ٧ـ ٩ و١٣: ١ـ ٥ ٤: ١٥ـ ١٩ وغير ذلك كثير راجع أيضا أصحاح ٤٥ و٤٦ من سفر أشعياء)

أما قول اشعياء في العدد السابع من هذا الاصحاح انه سيجلس على كرسي داود الى الابد فالنصارى أولى بتأويله منا فانه لم يجلس على كرسي داود ولاساعة واحدة في الدنيا وان كان المراد به ملكه الروحاني كما يعبرون (أي تسلطه على النفوس) فنحن لانتكره بل قال كتابنا الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) فهو وان بقي جالسا على كرسي داود المعنوي الى الابد الا أنه سيكون مع ذلك تابعا لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ لامنافاة بين هذا وذاك ويجوز أن نقول في هذه العبارة مثل مايقولون هم في وعد الله لسليمان بثبت ملكه الى الابد (١ أيام ٢٢: ١٠) وفي بقاء أورشليم عامرة الى الابد (أرميا ٣١: ٤٠) ان ذلك مشروط باستقامة بني اسرائيل وحفظهم لعهد الله وشريعته كما في سفر أخبار الايام الثاني (٧: ١٨ ـ ٢٢) فزوال الملك من اليهود وعدم تملك المسيح عليهم وعدم دوام ملكه الدنيوي فيهم الى الابد وخراب أورشليم انما نشأ من كفرهم وعصيانهم وخروجهم عن طاعة الله فلو أنهم آمنوا به واتبعوه لبقي ملكهم الدنيوي الى يوم القيامة وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لايزيل منهم هذا الملك بل يقويه ويعززه بوجود ملك آخر عظيم لاخوانهم بني اسماعيل (١) ويكون الجميع يدا واحدة على كل عدو لهم قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل

(١) حاشية : هم الذين قالت عنهم التوراة تث ٣٢: ٢١ (فأنا (الله) أغيرهم بما ليس شعبا بأمة غبية أغيظهم) وهم أمة غبية لجهلهم وأميتهم وقلة الانبياء فيهم وقال عنهم المسيح لليهود كما في متى ٢١: ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره)

وما أنزل اليهم من ربهم (اي القرآن) لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اي لفاضت عليهم الخيرات والبركات ، من الارض والسموات

(٢) قول أشعياء ٣٥ : ٤ (قولوا لخائفي القلوب تشددوا . هوذا إلهكم . الانتقام يأتي . جزاء الله . هوذا يأتي ويخلصكم) وهذه نبوءة بخلاصهم من أسر بابل بدليل قوله في آخر هذا الاصحاح ١٠ (ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون) أي أورشليم واتيان الله كناية عن مجيء عذابه لأعدائهم ورحمته لهم وخلاصهم وقد ورد مثل هذه الكناية كثيرا في الكتب المقدسة (مزمور ٧٨ : ٦٥ ـ ٧٠) و (أشعيا ١٩ : ١ و٤٢ : ١٣ و٤٥ : ٢١ و٤٠ : ١٠) و(ثث ٣٣ : ٢) وورد في القرآن الشريف قوله تعالى(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور) . ومما يدل على أن عبارة أشعياء هذه ليست في المسيح أن المسيح لم يأت بالانتقام والجزاء بل هو الذي أخذ وصلب وقتل على قولهم على أننا لا ننكر ان المسيح صلى الله عليه وسلم جاء ليخلص اليهود وينقذهم من الآثام والعصيان والكفر والضلال بالتوبة والايمان والهداية . ولو أنهم تركوا أعمالهم السيئة وآمنوا به جميعهم واتبعوه واهتدوا بهديه لخلصوا أيضا من الذل والهوان وتسلط الأمم الأجنبية عليهم ولصارت لهم دولة عظيمة يرأسها عيسى (يسوع) عليه السلام . ولعل في اسمه (يسوع) أي المخلص والمعين والمنقذ إشارة إلى ذلك وإن كان اسما شهيرا سمي به كثيرون من اليهود قبله وبعده تفاؤلا به للخلاص مما هم فيه من البلايا والمحن والمصائب

(٣) قول أشعياء ٧ : ١٤ (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) أي «الله معنا» والكلمة المترجمة هنا بالعذراء معناها الفتاة سواء كانت بكرا أو غير بكر وكذلك وردت في سفر الامثال ٣٠ : ١٠ و١٩ (ثلاثة معجبة فوقي وأربعة لا أعرفها، طريق نسر في السموات ، وطريق حية على صخر ، وطريق سفينة في قلب البحر ، وطريق رجل بفتاة) فصحة الترجمة (ها فتاة تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) وهي بشارة لآحاز أن ملك (رصين) ملك آرام (وفقح) ملك اسرائيل سيزولان فلا يحق له أن يخاف منهما

وعلامة ذلك أن فتاة تحبل وتلد ابنا وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر فخربت أرض (فتح) بعد احدى وعشرين سنة . واختلفوا فيمن هي هذه الفتاة ؟ فقال بعضهم : إنها امرأة أشعياء وقال آخرون : إنها امرأة آحاز أو امرأة أخرى كانت معلومة لهم ولذلك قال أشعياء بعد هذه العبارة ٧ : ١٦ (لانه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الارض التي أنت خائف من ملكيها) راجع الأصحاح السابع من سفر أشعياء ، فأي علاقة لهذه المسألة بالمسيح ومتى سمي المسيح (عمانوئيل) ؟

فالحق يقال إن متى الانجيلي أخطأ في زعمه أن هذه نبوءة عن المسيح كما في إنجيله ١١ : ٢٣)

وعلى فرض أنها في المسيح فالمسلمون لا ينكرون أن أمه كانت عذراء لم يمسسها بشر (١) وأما اسم (عمانوئيل) فهو علم عبري دعي به كثير من اليهود والنصارى فليس من يسمى به يكون إلها كما لا يكون إلها من سمي بالاسماء الآتية : أشعياء (أي خلاص الله) يهوشافاط (الله يقضي) يهوصادق (الله يبرر) يهوشع (الله يعين) يهوه شلوم (الله سلام) يهو ياداع (الله يعلم) يسوع أو عيسى (الله يعين) أليشع (الله خلاص) إلى غير ذلك من أسماء اليهود التي فيها لفظ الجلالة (الله) فهل كان كل هؤلاء آلهة لانهم سموا بهذه الاسماء ؟ إن أمر النصارى والله لعجيب

(١) حاشية : اسم أبي مريم في القرآن الشريف هو عمران وهو تعريب اسمه العبري (عمرام) الذي معناه (شعب عال) فهو يفيد معنى العلو أو السمو . ويسمى في انجيل لوقا (٣ : ٢٣) (هالي) ومعناه أيضا (عال) وهذا الانجيل يوناني الاصل فالظاهر أن صاحبه سمى أبا مريم بمعنى اسمه لا بلفظه الاصلي . ويوجد في كتب العهدين كثير من اسماء الاعلام التي لم تنقل كما هي من لغاتها بل ترجموها ترجمة في الترجمة العربية لسنة ١٨٤٤ تجد لفظ (شيلون) (تك ٤٩ : ١٠) مترجما (بالذي له السكل) وفقا للترجمة اليونانية مع انه اسم علم ولذا بقي في التراجم الحالية كما هو

وكما ابدلت في العربية ميم (عمرام) نونا فصارت (عمران) كذلك في الانكليزية كثيرا ما يبدلون ميم اللغات الاخرى بالنون . مثال ذلك Collodium و Ectropium اليونانيتان صارتا في الانكليزية Collodion و Ecotrpion وغير ذلك كثير

فهذه يا قوم اسمى غلطات القرآن في عقل صاحب كتاب الهداية المنصف المحقق !! هداه الله قبل أن يهدي غيره

(٤) قال متى ٢ : ١٥ (وكان هناك أي في مصر) إلى وفاة هيرودس. لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل (من مصر دعوت ابني) والنبي المشار إليه هنا هو (هوشع) الذي قال ١١ : ١ (لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني) ومعنى هذه العبارة ظاهر لا يخفى على أحد إلا من أعماه الله وهو أن المراد منها بنو اسرائيل وخروجهم من أرض مصر وقد سموا هم وغيرهم ابناء الله كما هو معلوم والظاهر من الاناجيل الاخرى أن المسيح لم يذهب إلى مصر وخصوصا انجيل لوقا الذي ذكر تاريخ المسيح بالتفصيل ولكنه لم يذكر هذه الحادثة بل قال ٢ : ٤١ (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح) فالغالب أن متى اخترع مسألة ذهابه الى مصر ليلصق بالمسيح عبارة (هوشع) النبي كما هو شأنهم في تاريخ المسيح عليه السلام وقد أخذوا كل ما قيل عن خلاص اليهود من مصر ومن بابل وادعوا أنه رمز أو إشارة لخلاص البشر بصلب المسيح كما قلنا سابقا

وعلى فرض أن المسيح هو المراد بما قاله (هوشع) فأي شيء فيه يدل على ألوهيته مع أن اسرائيل (أي بنيه) قد سمي بالابن البكر في العهد القديم (خر ٤ : ٢٢) وكذلك افرايم (أر ٣١ : ٩) وداود (مز ٨٩ : ٢٧) فاذا لم يكن الابن البكر إلها فكيف يكون المسيح إلها لهذه التسمية

فان قيل إن المسيح سمي بالابن الوحيد في انجيل يوحنا (١ : ١٨ و ٣ : ١٦ و ١٨) قلت إن بحثنا الآن فيما ورد في كتب اليهود (العهد القديم) أما العهد الجديد فليسمه النصاري فيه بما شاءوا وشاءت أهواؤهم على ان هذا الابن الوحيد (المسيح) قد سبق منذ زمن بعيد بالابن البكر (وهو عادة مفضل) فالمسيح وإن سمي في زمنه بالابن الوحيد لأنه كان اعظم إنسان حينذاك لكن كان لالههم ابناء غيره سبقوا عيسى في الملك والوجود (كداود). فالحق ان جميع هذه الاسماء مجازية لا حقيقية وهي لا تدل على الوهية احد منهم — هذا ولم يسم المسيح نفسه (بالوحيد) بل ذلك مما سماه به يوحنا — اما المسيح بحسب اناجيلهم فقد سمى نفسه (وغيره ايضا) بابن الله راجع ما قاله عليه السلام في هذا الموضوع في الاناجيل (يوحنا ١٠ : ٣١ — ٣٨ ومتى ٥ : ٩ و ٤٤ و ٤٥ ولو ٢٠ : ٣٦) (يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٣

(مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦)

كان القسيس (زويمر) رئيس (ارساليات التبشير العربية في البحرين) أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع ارساليات التبشير البروتستانية للتفكير في مسألة نشر الانجيل بين المسلمين

وفي سنة ١٩٠٦ أذاع اقتراحه وأبان الكيفية التي يكون بها فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث في (ميسور) من ولاية (أكرا) في الهند ـ لان هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الاسلامية لوجود مدرسة (عليكدة) هناك ، ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذي ينعقد في مدينة (مدراس) الهندية كل عشر سنوات فأجاز عقده ، وان اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتبشير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعي وبديهي ـ لان مسلمي الهند أخذوا على عاتقهم منذ القرن التاسع عشر تعضيد السياسة الانكليزية للتغلب على الهندوس .

ولما تقرر عقد المؤتمر شرع القسيس (زويمر) وزميل له بعدان المعدات لتأليف لجنة مؤقتة تضع برنامج مذاكرات المؤتمر وتدعو المبشرين المنتشرين في كل البلاد للاشتراك به

وفي يوم ٤ ابريل من سنة ١٩٠٦ افتتح المؤتمر في القاهرة في منزل عرابي باشا

(*) نشرنا في الجزء الماضي طائفة من هذه المقالات وسنبدي رأينا فيها بعد تمام نشر جميعها في المنار

في باب اللوق وبلغ عدد مندوبي ارساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء ، وكان عدد مندوبي ارساليات التبشير الامريكية التي في الهند وسورية والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحدا وعشرين ، ومندوبو إرساليات التبشير الانكليزية خمسة ، واشتركت في المؤتمر الارساليات الاسكتلندية والانكليزية المنفردة والالمانية والهولندية والسويدية وارسالية التبشير الدائمركية الموجودة في بلاد العرب .

انتخب القسيس (زويمر) رئيسا للمؤتمر وعين معه نائب وكتبة وحددت أيام الجلسات . وهذا برنامج المسائل التي تفاوضوا فيها :

١ ملخص احصائي عن عدد المسلمين في العالم ٢ الاسلام في افريقية ٣ الاسلام في السلطنة العثمانية ٤ الاسلام في الهند ٥ الاسلام في فارس ٦ الاسلام في الملايو ٧ الاسلام في الصين ٨ النشرات التي ينبغي اذاعتها بين المسلمين المتورين والمسلمين العوام ٩ التنصر ١٠ الارتداد ١١ وسائل اسعاف المتنصرين المضطهدين ١٢ شؤون نسائية اسلامية ١٣ موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الاسلام . وهذه الموضوعات جمعت على حدة في كتاب كبير اسمه (وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين) . ثم صنف القسيس زويمر كتابا جمع فيه شيئا من التقارير عن التبشير وسماه (العالم الاسلامي اليوم)

وسائل لتبشير المسلمين بالنصرانية

جمع هذا الكتاب ونشره القسيس (فلمنج) الاميركي وكتب عليه هذه الكلمة « نشرة خاصة » بمعنى انه طبع ليتنقل في أيدي فئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل الناس . وقد ضمنه المباحث التي دارت في مؤتمر القاهرة وانتخبه بنداءين انهض بأحدهما هم رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية ليستولوا على أهم الاماكن الاسلامية ، والنداء الثاني خاص بأعمال نسائية

أما الفصل الاول من هذا الكتاب فيبحث في الطريقة التي ينبغي انتهاجها في التبشير وعما اذا كان يفيد ضم ارساليات تبشير المسلمين الى ارساليات تبشير

الوثنيين أو تفضيل بقائهما منفصلتين وفيه البحث أيضا عما اذا كان الإله الذي يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود أم لا (!) وقد صرح الدكتور (لبسوس) في مؤتمر القاهرة بأن إله الجميع واحد الا أن القسيس (زويمر) خالفه في هذا الرأي فقال : ان المسلمين مهما يكونوا موحدين فان تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين لان إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة !؟ (١)

(١) كنت قرأت في كتاب « الاسلام » لهنري دي كاستري ان مما يجب ان يقوله مسلم يتنصر عبارة معناها انه يكفر بآله محمد فظننتها كلمة أملاها التعصب والتقبيح على دين يخالف دين آبائها وان فكرة الانتقام كانت مستولية عليه حين وضعها ولم أكن أفكر بأن يقول مثل (زويمر) في هذه الايام التي احتك فيها العالم بعضه ببعض وخصوصا من (كرس) نفسه (للكرازة) في الاسلامية ووقف على ما يقوله المسلمون بالههم وآله آبائهم الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام واذا كان معبود والهها انما تعرف صفاته من كتابها الذي تدين به

هاك النصوص القرآنية على قداسته جل وعلا فمنها في سورة ٢ : ٣٠ « ونسبح بحمدك ونقدس لك » وس ٥٩ : ٢٤ « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام » الخ وس ٦٢ : ١ « يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم » وس ٢٠ : ١٢ فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس » وس ٧٩ : ١٧ « اذ ناداه ربه بالوادي المقدس » وس ٥ : ٢٤ « ياقوم ادخلوا الارض المقدسة » ومن المعلوم ان غير المقدس لا يعطي القداسة لان (فاقد الشيء لا يعطيه)

وأما المحبة فهاك بعض النصوص القرآنية عليها أيضا قال تعالى في س ٢ : ٢٢٢ « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وفي س ٣ : ٣١ « فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وس ٣ : ٧٦ « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » وس ٣ : ١٣٤ « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » وس ٣ : ١٥٩ « فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » وس ٥ : ٥٨ « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » الخ

هذا وان قداسة الله تعالى ومحبته لمخلوقاته ومحبة المؤمنين اياه تعالى معلومة بالضرورة عند جميع المسلمين ولكننا أتينا بهذه النصوص ليراها مثل (زويمر)

ثم اننا نسأل (زويمر) قائلين : هل تريد بالقداسة ان ينال الانسان الاول (آدم) اخص صفات الاله بمجرد أكله من تلك الشجرة كما جاء في التكوين اص ٣ : ٥ « قول الحية لآدم وامرأته : بل الله عالم انكما يوم تأكلان منها (الشجرة) تنفتح أعينكما وتكونان كالله » وصدقها الله بذلك كما جاء في تك ٣ : ٢٢ « هو ذا آدم صار كواحد منا » وهل من القداسة ان يحمله الخوف من ان يكمل آدم صفات الالوهية بأكله من شجرة الحياة كما جاء في تك ٣ : ٢٢ « والآن يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا الى الابد » فيطرده من الجنة ويقوي الحرس عليها خوفا من رجوع آدم اليها ثانية وأكله من الشجرة تك ٣ : ٢٤ « واقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة شجرة الحياة » —

وفي الفصل الثاني والثالث بحث في الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام وذكر الوسائل التي يمكن استجلابهم بها وتحبيب المبشرين اليهم. وأهم هذه الوسائل العزف بالموسيقى الذي يميل اليه الشرقيون كثيرا. وعرض مناظر الفانوس السحري عليهم وتأسيس الارساليات الطبية بينهم. وأن يتعلم المبشرون لهجتهم العامية واصطلاحاتها نظريا وعمليا وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه. وأن يخاطبوا العوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم. ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن لا تتخلل خطاباته كلمات أجنبية عنهم وأن يبذل عنايته في اختيار الموضوعات وأن يكون واقفا على آيات القرآن والانجيل عارفا بمحل المناقشة وأن يستعين قبل كل شيء بالروح القدس والحكمة الالهية (!) ومن الضروري أن يكون خبيرا بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التي لا يعرفها الشرقيون (!)

ثم هل الرحمة بأن يحمل على آدم وامرأته وذريتهما ذلك القصاص الصارم بأن يأكلوا خبزهم من الحسك والشوك وان يلعن الارض بسببه؟ تك ٣: ١٧ «وقال الرب الاله لادم لانك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة — الى قوله — ملعونة الارض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك» الى ١٨ و١٩ وان يكثر أوجاع حواء وبنائها تك ٣: ١٦ «وقال للمرأة تكثيرا أكثر اتعاب حبلك» الخ وكذلك قصاص الحية «تك ٣: ١٤ «وقال الرب الاله للحية لانك فعلت هذا ملعونة انت» الخ مع انها لم تقل الا حقا فكان هذا القصاص لم يكن فيه شيء من الرحمة لاسيما وانه كان قصاصا ابديا لان تلك الخطيئة (أكل ادم من الشجرة) لم تكن قابلة للغفران أصلا بدليل ان ذلك القصاص لا يزال واقعا مشاهدا في ذرية آدم والحية معا ولم يؤثر شيء من التجسد ولا نفعت تلك المصالحة في هذا الموضوع شيئا لان الرب الاله لم يجعل قصاصا لذلك الذنب غير لعن الارض وطرد آدم من الفردوس اليها ليعمل فيها بالتعب حيث تنبت له الحسك والشوك الخ وهذه الاشياء لا تزال واقعة حاصلة لم تتغير

اللهم ازالها هذه قداسته وهذه محبته لما لا يعبد اختيارا وانما يخضع له كما كان الناس ولا يزالون يخضعون للملوك القساة المستبدين الظالمين، وأي عاقل يحسد زويمر على الهه هذا؟

ربما يقول زويمر بأن الهه انما هو الله العهد الجديد واننا نحوله حينئذ على كتاب «دين الله في كتب انبيائه» وكتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» ليعلم منهما قداسة ومحبة آلهة كثيرين كالهه

هذا واننا نبرأ الى الله مما جرى به القلم في مجاراة ومجالدة هذا القس ليعلم العالم أن روح قس العصور المظلمة التي أثارت الحروب الصليبية قد دخلت في أجسام هؤلاء الدعاة وانهم مهما علموا من فضل الاسلام فانهم لا يرجعون عن الافتراء عليه فهم ضالون على علم صالح مخلص ربما

وختم المؤلف هذين الفصلين بأن أكثر المسلمين الذين تنصروا انما هم من العامة والامميين .

وفي الفصل الرابع يأتي على ذكر الصعوبات التي تقف في سبيل تبشير المسلمين المتنورين . وهذه الصعوبات هي التي جعلت المؤتمر يترك المذاكرة في بادىء الامر بمسألة التنصير فخاض في البحث عن الوسائل التي يكون لها تأثير - ولو قليلا - على الناشئة الاسلامية لتدرك الامور الاجتماعية والاخلاقية والادبية .

وهنا قال سكرتير المؤتمر : ان الخطة العدائية التي انتهجها الشبان المسلمون المتعلمون اضطرت المبشرين في القطر المصري الى محاولة اعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات في موضوعات اجتماعية وأخلاقية وتاريخية لا يستطردون فيها الى مباحث الدين رغبة في جلب قلوب المسلمين اليهم . وأنشأوا بعد ذلك في القاهرة مجلة أسبوعية اسمها (الشرق والغرب) افتتحوا فيها باباً غير ديني يبحثون فيه بالشؤون الاجتماعية والتاريخية . وأسسوا أيضاً مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم في أثناء البيع . وقد مضى على ذلك ثلاث سنوات تسنى فيها للمبشرين أن يتوصلوا الى النتائج الآتية :

الاولى - أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم .

الثانية - أنهم حصلوا على ثقة بعض المسلمين بهم .

الثالثة - أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم في وداد المسلمين وميلهم الى ما تطمح اليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية - يمكنهم أن يدخلوا الى قلوبهم .

وبناء على هذا ساعد المبشرون الشبان المسلمين في تأسيس جمعية الغرض منها ايجاد صلة وتقرب بين الطبقة المتعلمة والطبقات المتعددة التي تتألف الامة منها وإنماء روح الاتفاق . هذه هي الطريقة التي استحسنها المبشرون بعد أن علموا أن الامور التي يتذرعون بها وتكون صبغتها دينية لا ريب أن عاقبتها الفشل . ولكن المبشرين الذين هم على شيء من الجرأة يقولون انهم سمعوا بعض المسلمين

يشكون من الزواج في الاسلام وتعدد الزوجات وتربية المرأة وعدم وجود التسامح الديني (!)

وكل ما خاض فيه المؤتمر من هذه المباحث يختص بالمجهودات التي يبذلها المبشرون لتبشير الشبيبة الاسلامية التي تعلمت على الطريقة الاوروبية وفي مدارس الحكومة وما يلقونه من الصعوبات والفشل في تبشيرها .

أما الذين تعلموا على الطريقة الشرقية في الازهر وما يماثله فلم يتكلم أعضاء المؤتمر عنهم الا بعض اقتراحات ونظريات ـ من ذلك أن أحد أعضاء المؤتمر أفاض في وصف ما للجامع الازهر القديم من النفوذ واقبال الالوف عليه من الشبان المسلمين في كل اقطار العالم . وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ الف سنة الى الآن . ثم قال ان السنين من المسلمين رسخ في اذهانهم ان تعليم العربية في الجامع الازهر متقن ومتين اكثر منه في غيره والمتخرجون في الازهر معروفون بسعة الاطلاع في علوم الدين . وباب التعليم مفتوح في الازهر لكل مشايخ الدنيا خصوصاً وان اوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا لان في استطاعته ان ينفق على ٢٥٠ استاذا . ثم تساءل عما اذا كان الازهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر . وعرض اقتراحا يريد به انشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الازهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة باتقان تعليم اللغة العربية .

ثم قال ان في الامكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة وهي ان تخص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية اسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة في تنصير المسلمين الآخرين .

وختم كلامه قائلا : « ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بانشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الاسلامية (!)

وفي الباب الخامس ذكر المؤلف ما دار في المؤتمر عن النشرات التي يبقي المبشرين اذاعتها لتنصير المسلمين . وقد ظهر للمؤتمر ان التوراة مترجمة الى معظم

اللغات الاسلامية واكثر لهجاتها ، اما ادبيات التبشير ومؤلفاته فترجمة الى اللغات الاسلامية المهمة فقط .

وقد اقترح احد المندوبين ان تراجع المؤلفات التي قدم عليها العهد لاصلاحها واستخدامها في تبشير المسلمين العتيدين الذين اقتبسوا علومهم في المعاهد العصرية مثل مدرسة كمفورد وبرلين ، واشار الى وجوب تخفيف اللهجة في المجادلات الدينية

وقال مندوب آخر : ان الحاجة شديدة الى نشر كتب في الموضوعات الدينية الآتية ١ أسماء وألقاب المسيح التي في الاناجيل ٢ طبيعة الخطيئة الاصلية ٣ ضرورة الغفران ٤ الجنة وكيفية الحصول عليها ٥ الروح القدس واعماله ٦ عقيدة سر التجسد ٧ الانسان فرد اجتماعي وخالقه ليس كذلك ٨ وان الاله الاجتماعي يشمل الثالوث ٩ الشيطان وكيفية الخلاص منه

ارساليات التبشير الطبية :

خاض المؤتمر بعد ذلك في مسألة ارساليات التبشير الطبية فقام المستر (هاربر) وأبان وجوب الاكثار من الارساليات الطبية لان رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين . وهنا ذكر المستر هاربر حكاية طفلة مسلمة عني المبشرون بتمريضها في مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانية في باب اللوق وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد المسيح بالمعنى المعروف عند النصارى .

وذكر أيضا عن رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لاثارة الجلبة والضوضاء . واتفق انه مرض فدخل مستشفى المبشرين وبعد أن لبث فيه مدة شفي وخرج منه فصار يحضر المحاضرات في هذه المرة ولكن بخشوع زائد وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانيا على مذهب البروتستان .

ثم قام الدكتور هارس (طبيب ارسالية التبشير في طرابلس الشام) فقال : انه قد مر عليه اثنان وثلاثون عاما وهو في مهنته فلم يفشل الا مرتين فقط وذلك عقب منع الحكومة العثمانية أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور اليه .

وأورد احصاء لزبائنه فقال ان ٦٨ في المئة منهم مسلمون ونصف هؤلاء من النساء وفي أول سنة مجيئه الى حيث يبشر بلغ عدد زبائنه ١٧٥ وفي آخر سنة كان عددهم ٢٥٠٠ وختم كلامه قائلا :

« يجب على طبيب ارساليات التبشير ان لا ينسى ولا في لحظة واحدة انه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك . »

وقام بعده الدكتور (تمباني) وذكر الصعوبات التي يلقاها الطبيب في التوفيق بين مهني التبشير والطب كما حدث معه هو . الا أن ما بذله من المجهودات قد أعانه على النجاح حتى تمكن من تأسيس مستشفى للتبشير من طريق الاكتتابات، وكان أول مكتتب لهذا المستشفى التبشيري رجلا مسلما !

وخطب الاستاذ (سمبسون) بعد ذلك في بيان فضل الارساليات الطبية . ومما قاله : ن المرضى والذين يلازمهم الموت بوجه خاص لا بد لهم من مراجعة الطبيب وحسن أن يكون هذا الطبيب (المبشر) في جانب المريض عندما يكون في حالة الاحتضار التي لا بد أن يبلغها كل واحد من أفراد البشر

ثم خطبت المس (اناوستون) فتكلمت عن ارسالية التبشير الطبية في مدينة (طنطا) قائلة ان ٣٠ في المئة من الذين يعالجون في مستشفى هذه الارسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء . أما طريقة التبشير في هذا المستشفى فهي أن يذكر الانجيل للمرضى باسلوب بسيط لا يدعو الى التطرف في المناقشة ، اذ المستشفى يجمع بين جدرانه نساء ورجالا .

الاعمال النسائية في التبشير :

كان لهذا الموضوع اهتمام كبير من اعضاء المؤتمر لانه خاص بنصف مسلمي العالم . فقالت المس (ولسون) ان النساء المبشرات يستمرن في الهند بالمدارس وبالعيادات الطبية وزيارة قرى الفلاحين لينشرن النصرانية بين طبقات الناس .

وخطبت المس (هلداي) في حث المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة وتناوبت السيدات المبشرات الخطابة في أخبار نجاحهن في المناطق التي

انتدبن للتبشير فيها . فقالت احداهن ان المسلمات الفارسيات يظهرن ميلا شديدا للعلم بالرغم من جهلهن باتساع نطاقه ، وهن يعتقدن أن الذي يعرف جغرافية البلاد نابغة ولقصة الابن المسرف التي في الانجيل وللمزمار الحادي والخمسين تأثير شديد على النفس المسلمة .

وقالت مبشرة أخرى : ان مدرسة البنات البروتستانية في الخرطوم فيها من ٨٠ الى ٩٠ تلميذة مسلمة . ولاهلهن الحرية في السماح لهن بقراءة العهد الجديد (الانجيل وذيوله) أو في منعهن من ذلك . الا أن المدرسة في هذه السنة لم يرد عليها طلب استثناء واحدة من التلميذات من قراءة الانجيل .

وانتقل المؤتمر بعد ذلك الى موضوع تربية النساء اللائي يتطوعن للتبشير .

المتنصرون والمرتدون :

تساءل القسيس (جون فان ايس) عن الاركان التي يشترط توفرها في الشخص المتنصر . أو النصراني الشرقي الذي يدخل في المذهب البروتستاني . وبعد أن بحث في ذلك قال ان (المحبة) التي يعرفها نصارى الشرق تشوبها نزعة الاعتقاد بالقضاء والقدر وعقيدة الشرقيين عموما ضرب من الخرافات وان تكن مبادئ الايمان موجودة لديهم جميعا . ثم تساءل عما اذا كان المسلم المتنصر أهلا لنشر النصرانية؟ وأجاب على ذلك بأن هذا الامر هو محك اخلاصه لان نشر الدعوة أمر تقتضيه روح الاسلام وبهذا كان الاسلام دين دعوة وتبشير ، وكنت اتمنى لو انتفعنا بهذه المزية وأدخلناها في النصرانية .

وتناقش المؤتمر بعد ذلك بشأن المتنصرين المضطهدين ووسائل استخدام المخلصين منهم وادخال الاطفال الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني في المدارس العادية والصناعية

شروط التعميد :

بسط القسيس (حسب) القول في هذا البحث وسأل عن الشروط التي

يجب ان تتوفر في المسلم المتنصر ليكون أهلا للتعميد . ثم قال ان المبشرين الكاثوليك يعمدون الناس ليجعلوهم مسيحيين أما نحن فنعمدهم لانهم مسيحيون

وذكر بعد ذلك أيام التجربة والمعلومات الدينية التي يجب على المتنصر معرفتها وبحث فيما اذا كان يحق له أن يتلقى سر التناول (أي تناول القربان الذي هو جسد المسيح ودمه)

واستطرد المؤتمر الى مسألة تعدد الزوجات عند المسلمين . وتكلم عن موقف المرأة التي تعمد زوجها هل يفرق الاسلام بينها وبينه أم لا . وعما اذا كان يجوز للمتنصر ان يتزوج مرة ثانية . فتقرر أن هذه المسائل عويصة وقد سبق الخوض فيها في مؤتمر (لمبث) سنة ١٨٨٨ وأن الظروف تقضي باعتبار المسلم المتنصر وهو ذو زوجات متعددة بأنه تحت التجربة الا اذا كان تنصره في ساعة الاحتضار . أما هذه المسائل نفسها فقد تركت بدون حل

كيف يتقرب المسلمون ؟

خطب القسيس (هاريك) في هذا الموضوع فعرض على المؤتمر نتيجة ابحاثه التي اجراها في بلاد السلطنة العثمانية فمنها أنه عرف أن لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التي وضعها الدكتور (بفندر) المبشر ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية في وجه المبشرين والذين ينتمون اليهم . اما ترجمة الانجيل وكتب التبشير الى اللغة التركية بدون مناقشة ومجادلة فكانت أكثر فائدة وأعم نفعا . وقد تبين انه بمجرد اشتراء المسلمين لهذه الكتب ومطالعتهم لها صارت تتبدد أوهامهم (!) القديمة

ثم قال : ان الجدل والمناظرة يبعدان (المحبة) التي لها وقع كبير على قلوب الاغيار وتأثير عظيم في نشر النصرانية . فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر : لان طريق الاعتقاد غايته دائما هي قلب الانسان

وقال بعد ذلك : يرى بعضهم أن الموازنة بين حياة وأخلاق الامم النصرانية وحياة وأخلاق الامم الاسلامية تنتج دائما رجحان النصرانية على الاسلام ، وأنا أيضا أوافق على رأي هؤلاء ولكن من الوجهة المادية . وفي هذه الايام

نجد جمهورا عظيما من متوري المسلمين يرغب في المناظرة والجدل. والعثمانيون يشيرون بازدراء الى ما حدث في بلاد الروس النصرانية في السنة الماضية خصوصا في أودسا (يريد اضطهاد نصارى روسيا ليهودها) ويقولون لنا: « هذه هي نصرانيتكم وأنتم الذين كنتم قبل زمن قليل تتهموننا بلا شفقة بانا أرقنا قليلا من الدماء أثناء اشتغالنا بقمع فتنة » . وعلق القسيس على ذلك بوجوب تحلي حياة المبشر بمبدأ المسيحية قبل أن يعنى بالامور النظرية كما يظهر للمسلم ان النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستورا سياسيا بل هي الحياة كلها ، وانها تحب العدل والطهر وتمقت الظلم والباطل ـ فتفتح للمسلم ذراعيها وتتلقاه في مستشفياتها وتمرض عليه محامين لفتا ثم تقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل . اذ المسلم هو الذي امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل .

بهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل الى قلب المسلمين . ولو أن أحدا أظهر لنا شغفا وميلا عظيما الى طرد كل العثمانيين من أوربا ومن وجه الارض كلها يجب أن نجيبه قائلين بل سنتحد ان شاء الله مع العثمانيين وندعوهم بكل اخلاص للاشتراك معنا في اقتباس أنوار النصرانية

موضوعات تبشيرية :

خاض المؤتمر بعد اتمامه الموضوع السابق في موضوعات كثيرة منها كيفية عرض العقيدة النصرانية والمناظرة فيها والوسائل التي يجدر التذرع بها لنشر مبادئها والتحكك بالنفوس الاسلامية والوقوف امام صبغة الاسلام . والصفات التي ينبغي أن يتصف بها مبشر المسلمين بالنصرانية والانجيل

ثم قام القسيس (ثروتن) وعرض على المؤتمر هذه النظريات الاولية :

١ ـ الشعب البسيط يلزمه انجيل بسيط

٢ ـ الشرق سئم المجادلات الدينية

٣ ـ الشرق يحتاج الى دين أخلاقي روحي واستنتج من هذه النظريات القواعد الآتية :

١ ـ يجب أن لا نثير نزاعا مع مسلم

٢ ـ يجب أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادىء النصرانية الا عرضا و بعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت في ذلك المسلم .

٣ ـ اذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي فيجب أن يزال في الحال ولو أفضى الامر الى المناقشة

أما (لفروا) أسقف مدينة لاهور فيرى أن المبشر الذي يعد نفسه لمجادلة المسلمين في أمور الدين يجب أن تتفوق فيه الصفات الاخلاقية والاستقامة التامة على المزايا العقلية . وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التي يحتج بها وأن يكون صحيح المجاملة وأن يضع الامل بالفوز على خصمه نصب عينيه و يحاول حمل خصمه على الخضوع للحقيقة .

وهذا الاسقف يستنكر قسوة التعاليم القديمة ويرى أنها كانت ترمي الى التغلب على العدو لا الى اكتساب مودته . ثم قال و يظهر لي أن كثيرا من اخواننا المبشرين يريدون أن يبشروا الناس برشقهم بالحجارة لا بعرض الحقيقة عليهم . نعم ان هذه الطريقة قد تفيد ولكني أشك في موافقتها للتبشير و بما ينتج عنها من الحالات النفسية

وختم كلامه قائلا : يجب على المبشر أن يتذرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكما على عواطفه الى الغاية القصوى . وأن لا يخالج نفسه أقل ريب في أنه هو الذي سيفوز

وهذا كان آخر مناقشات المؤتمر ثم قام القسيس (زويمر) رئيس المؤتمر وقال:

« ان انعقاد هذا المؤتمر كان بالتقريب نتيجة لاعمال (شبان التبشير المتطوعين) . أما البحث في أحوال العالم الاسلامي وتبشيره بالنصرانية فقد سبق الخوض فيه في مؤتمر (كلفلند) . وهذه الخريطة التي نراها أمامنا الآن موسومة باسم (خريطة تنصير العالم الاسلامي في هذا العصر) قد بعثت الامل في قلوب ألوف من الطلبة في مؤتمر (ناشفيل) الذي انعقد في شهر فبراير الماضي والتبشير متوقف على

وجود زمرة من المبشرين المتطوعين الذين يقفون حياتهم و يضحونها في هذا السبيل » ثم ختم كلامه راجيا أن يكون لندائه صدى في المدارس الجامعة في أوربة وأميركة

﴿ العالم الاسلامي اليوم ﴾

هذا عنوان كتاب نشره القس (زويمر) رئيس ارسالية التبشير في البحرين بمؤازرة زملائه ـ جمعوا فيه تقارير ومباحث تاريخيه واجتماعية كتبها المبشرون عن حال المسلمين القاطنين في مناطقهم التبشيرية . وتلو هذه التقارير خلاصة عن اعمال المبشرين التي قاموا بها في الاصقاع المختلفة وما نتج عنها من انتشار الدين المسيحي .

وقد أنشأ جامعو هذا الكتاب مقدمة له ألحوا فيها بضرورة تنصير المسلمين الذين أهمل المبشرون أمرهم . وهذه الفكرة قد توسم بها أخيراً امبراطور أمم امبراطورية أوربية في خطاب القاه على بعض المبشرين (بريد امبراطور المانية) فكانت تشف عن الحكم على الاسلام من الوجهة الاخلاقية عامة والدينية خاصة . أما هذه الفكرة ففي أنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الاسلامي الذي اقتحم قارتي آسية وأفريقية الواسعتين وبث في متني مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية فأصبحوا كالانقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أو هم كسلسلة جبال تقاطع السحاب وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات وانحطاط المرأة (! ؟)

تلك هي الفكرة التي أشار اليها ناشرو الكتاب في المقدمة وأردفوها بقولهم: ان الكنيسة المسيحية ارتكبت خطأ كبيراً بتركها المسلمين وشأنهم اذ ظهر لها ان

أهمية الاسلام في الدرجة الثانوية بالنسبة الى ثمانمئة مليون وثني ـ رأت أن تشتغل بهم ـ رأت هـذا وهي لم تعرف عظمة الاسلام وحقيقة قوته وسرعة نموه الا منذ ثلاثين سنة فقط

على أن أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن في ممالك الاسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر . وان في العالم ١٤٠٤٠٠٠٠٠٠٠ مسلم يرتجون الخلاص(؟!)

وفي هذه المقدمة بعض ملاحظات ونصائح للمبشرين منها :

١ ـ يجب اقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

٢ ـ يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لانه أهم عمل مسيحي . على انه قد تم جزء من هـذه المهمة بعد ان طبع في بيروت ٤٦ مليون صفحة من الكتاب المقدس .

٣ ـ يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها احد اعضائها (؟)

٤ ـ ينبغي للمبشرين ان لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق ان المسلمين قـد نمى في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوربيين وتحرير النساء وان تنصير أمثال (كامل) في بيروت و (عماد الدين) في الهند و (ميرزا ابراهيم) في تبريز وأعمالا اخرى من هـذا القبيل من شأنها ان تولد لنا مجهودات جديدة يجب علينا ان نحمد بسببها نعمة الله علينا .

الاسلام في مصر :

هـذا الفصل من كتاب (العالم الاسـلامي اليوم) يتضمن ملخص أعمال المبشرين البروتستان في مصر والوسائل التي يتذرعون بها والنتيجة التي توصلوا اليها.

وأهم معاهد التبشير في مصر هو الذي اسسته (جمعية اتحاد مبشري اميركة الشمالية) سنة ١٨٥٤ وكان المبشرون قد وضعوا نصب اعينهم تبشير المسلم واليهودي والنصراني . وقد استطاعوا أن يتحككوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم

ومدارسهم . فنشروا منذ ٣٥ سنة كتاب (شهادة القرآن) ووزعوا بعض نسخ من كتاب (السكندي) وكتاب (ميزان الحق) المطبوعين في انكلترة .

وضعوا في الايام الاخيرة كتاب (الهداية) وهو في أربعة أجزاء ألف في الرد على الذين طعنوا في النصرانية .

والمحاضرات العامة التي يقيمها المبشرون مرتين من كل أسبوع للموازنة والمناظرة بين الاسلام والنصرانية يحضرها عدد عظيم من المسلمين ويسمح لهم بأن يتكلموا .

وفي مدارس المبشرين في القطر المصري ٣٠٠٠ طالب مسلم وخمس هؤلاء من البنات المسلمات .

وكانت نتيجة هذه المجهودات منذ بداية التبشير الى أيامنا هذه أن تنصر مئة وخمسون مسلما وأهم ما وقع من ذلك سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فقد تنصر في الاولى ١٤ شخصاً وفي الثانية ١٢

وفي سنة ١٨٨٢ تأسس في مصر معهد علمي للتبشير تابع لجمعية (تبشير الكنيسة) وله أربعة فروع الاول قسم طبي والثاني مدرسة للصبيان والثالث مدرسة للبنات والرابع لنشر الانجيل . وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة بهم .

والنتيجة الاولى لمساعي هؤلاء هي تنصير قليل من الشبان والفتيات . والثانية تمويد كل طبقات المسلمين أن يقتبسوا بالتدريج الافكار المسيحية

وبعد المعهدين السابق ذكرهما تأتي (جمعية تبشير شمال افريقية) وهذه الجمعية أسست معهداً في مصر سنة ١٨٩٢ وأهم وظائفها تنصير المسلمين . ولهذه الجمعية ثلاثة وكلاء في الاسكندرية واثنان في شبين الكوم . وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الانجيل بوجه خاص . وأن تزور المبشرات منازل المسلمين وتجتمع بسيداتهم . وأن توزع المؤلفات والكتب التبشيرية على المسلمين . وأن تلقي محاضرات دينية لدرس الانجيل في أيام الاسبوع . وأن تقام الصلاة . وهذا المعهد قد نجح في تنصير خمسة أشخاص

وفي سنة ١٨٩٨ تأسست (الجمعية العامة لتبشير مصر) وغايتها تنصير المسلمين أيضا ولها معاهد في الدلتا والسويس وتدير مدارس للصبيان والبنات وتبث فيهم مبادىء النصرانية ولها خزائن كتب تحوي كتبا عربية ذات علاقة بالاسلام ولها مجلة شهرية منتشرة جدًا وخاصة بالمسلمين . وفي كل يوم سبت يطوف المبشرون للتفتيش

وأقل ارساليات التبشير أهمية في القطر المصري الارسالية الهولندية التي توطنت في قليوب . وفي مدارسها المتعددة تلاميذ من كل المذاهب . وهي تنشر الانجيل في القرى بواسطة بائعي الكتب . ومن أعمالها أنها أنشأت ملجأ للايتام . وعنايتها متوزعة بين الاولاد المسلمين والنصارى على السواء .

أما العقبة الوحيدة التي تقف في سبيل ارساليات التبشير فهي أنه ليس لديها قوة تزيل الضرر الذي يلحقها من مقاطعة المسلمين للمتنصرين وعدم اصغائهم لهم ...

الاسلام وارساليات الهند

من الذين ألفوا في هذا الموضوع المستر (م . وهري) فانه تكلم عن حالة التبشير في شمال الهند . وعن انتشار الاسلام ووسائط نشره وأشار الى دراويش جمعية (انجمن اسلام) وذكر التقدم الفكري والاجتماعي الذي حدث في هذه الجهات وأن الاسلام عرقل سير هذه الميول .

ثم لخص هذا المبشر تاريخ التبشير في الهند فقال انه ابتدأ منذ مئة سنة عندما نال (جيزوم كزافيه) اليسوعي اذنا بالتبشير في لاهور ففتح باب الجدال في مسائل التوحيد والتثليث وألوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة . فتسبب عن ذلك قيام (أحمد ابن زين العابدين) وتأليفه كتاب (الانوار الالهية في دحض خطإ المسيحية)

الا أن المبشر البروتستاني الذي يتكلم في تاريخ التبشير في الهند لم ترق له الاعمال التي قام بها المبشرون الكاثوليك وقال ان دفاعهم عن عقيدة عبادة العذراء والآثار (ذخائر القديسين «اي بقايا عظامهم») والصور وعن الاماكن المقدسة كان من شأنه اظهار النصرانية بغير مظهرها الحقيقي

ثم جاء المبشر هنري مارتين فوضع أساساً قوياً للتبشير بالانجيل فترجمه الى الفارسية والاوردية

ثم جاء بعده « بفندر » فترجم كتابه (ميزان الحق) من الفارسية الى الاوردية وزاد عليه ترجمة كتاب (طريق الحياة) و (مفتاح الاسرار) وبهذا أثار « بفندر » مجادلات شديدة مع علماء الاسلام في دهلي ، واكرا ، ولكنهؤ ، وزلزل بذلك ايمان كثير من المسلمين وان يكن الذين تنصروا منهم قليلا عددهم (!) وأعان المبشرين في هذه المجادلات المسلمون المتنصرون مثل السيد مولوي صفدر علي ومولوي عماد الدين وسيد عبدالله حاتم ومنشي محمد حنيف والدكتور بيرقدارخان

وفي شمال الهند الآن مالا يقل عن ١٢ جمعية تبشير بين انكليزية وأميركية وأوسترالية وكلها ترمي الى غاية واحدة

واجتهدت هذه الجمعيات بتنصير المسلمين منذ وطئت البلاد ، ويتبين من تقارير هذه الارساليات ان من المسلمين المتنصرين من وصل الى درجة المبشر ، وقد اختصت هذه الجمعيات المسلمين بكتب يطالعونها وهي معروضة لهم في مكتبات التبشير

وقد اشتد انتباه المبشرين الى مكافحة الاسلام في الايام الاخيرة فنمت فيهم فكرة الاختصاص بتبشير المسلمين على إثر كتابات الدكتور (مردونش) وبادرت جمعيات متعددة الى ارسال مبشرين اخصائيين لهذا الغرض .

أما عدد المسلمين المتنصرين فلا تمكن معرفته من الاعتماد على الاحصائيات ولكننا عثرنا في تقارير سنة ١٩٠٤ على أسماء اسلامية صار أصحابها قسيسين مبشرين ، وعدد المبشرين الذين هم من هذا القبيل ١٩٤ ويرى القارئ أسماء اسلامية في قوائم أعضاء اللجان الدينية في (بشاور) وغيرها ، وقرأ (المولوي عماد الدين) في « برلمان الاديان » في شيكاغو سنة ١٨٩٣ أسماء خمسين من المسلمين المتنصرين الذين امتازوا باخلاصهم للتبشير .

أما ثمرة التبشير في أواسط الهند فهي اضعف بكثير من ثمرة التبشير في شمال

الهند بالرغم من اجتهاد « تبشير الكنيسة » التي في مدراس وحيدر آباد و بالرغم من ثماني ارسالية (تبشير الكنيسة) التي تبشر النساء وكل المتنصرين في أواسط الهند عدد قليل في جهتين أو ثلاث ، وفوق ذلك فانه يكثر في هذه الجهات ارتداد النصارى الى الاسلام لاسباب مالية ومصالح شخصية ، وجمعية (انجمن اسلام) تنجح دائما بما لها من النشاط في حمل عدد كبير من الهندوس والمسيحيين على اعتناق الاسلام

ومؤتمر المبشرين الذي عقد في القاهرة لم يفته البحث في حركة الاصلاح التي دخلت في مسلمي الهند والاشارة الى (السير سيد احمد خان) زعيم تلك النهضة وما تبذله مدرسته الاسلامية في عليكده ومؤتمر التربية الاسلامية

ولقد خطب القسيس (ويتبرنشت) في مؤتمر القاهرة بموضوع (الاسلام الجديد) فذكر أن تعاليم أوربة تقرب المسلمين من النصرانية ثم قال :

(١) يجب علينا أن ننشئ جسرا فوق الهاوية التي تفصل بين العناصر وللتوصل الى ذلك يجب ان ننتفع من وجود الطلبة المسلمون في انكلترة

(٢) ان يدرس الانجيل على حدة أو على جماعات قليلة العدد

(٣) ان تلقى محاضرات ودروس منظمة بمراقبة رجال ممتازين ، وأن تصرف العناية الى المناقشات

(٤) توسيع نطاق المطبوعات بالاوردية مثل مجلة (ترقي) وان يترجم تاريخ التوراة للدكتور بلاك وان يتذرع لترويج ذلك بنشر الجرائد والكتب الانكليزية التي يأنس بها المسلمون

اخبار العالم الاسلامي

﴿ حقيقة اخبار عن تونس لشاهد عيان ﴾

في أواخر شهر اكتوبر من العام الماضي وزعت « البلدية » على جدران الطرق العامة أوراقا تستدعي بها الناس الى الاجتماع بمقبرة الزلاج في اليوم السابع من نوفمبر لتعيين قبور أهليهم لعزم « البلدية » على تسجيل المقبرة واعتبارها من يوم

التسجيل حقا من الحقوق الدولية تتصرف فيها كيف شاءت وقد كان لهذا الاعلان أسوأ تأثير في القلوب لان مقبرة الزلاج وقف من الاوقاف العامة وقفها الشيخ الزلاج (اثابه الله تعالى) على موتى المسلمين منذ اكثر من ثمانمئة عام وقد ضمت من أجساد العلماء والاشراف وأهل الفضل والخير وأصحاب المكانة الحقيقية في القلوب مالا يأتي على احصائه الا الله تعالى وحسبك أن فيها مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي معتقد العامة والخاصة منهم ومقام الشيخ محمد بن عرفة المالكي الشهير وغيرهما من أولي العظمة والاعتبار فيهم، ولن يرضى أحد ان تخرج عظامهم من ديارها لتتخذ بساتين يتنزه بها الاوربيون الذين لا يسمحون بشبر من مقابرهم لمثل ذلك

ساء الناس ماعزمت عليه « البلدية » فاتفق أكثرهم على الاجتماع بالمقبرة في ٧ نوفمبر لمنع البلدية من اجراء أعمال التسجيل وكان ما اتفقوا عليه .

اجتمعوا بالمقبرة قبل ظهور حاجب الشمس فجاء شيخ المدينة « رئيس البلدية» والمهندسون فراعهم ذلك المنظر المهيب . فسألهم شيخ المدينة عن سبب اجتماعهم فذكروا انه « السبب » الاعلانات المعلقة على الجدران ـ فرأى على غير طائل ـ ان يفرقهم بقوله : فسخت الدولة العزم على ذلك فانصرفوا الى بيوتكم ، ثم أمر من حضر من أعوان المحافظة ان يغلقوا باب المقبرة في وجوههم ويردوهم عنها بعد ان دخلها هو والمهندسون ،

فسخر الناس من قوله هذا المضحك وردوا اعوان المحافظة بقوة دفاعا عن موتاهم وغيرة على وقفهم ، وبيناهم كذلك اذا أطلق طلياني مسدسه على رجل مسلم وفرّ هاربا فلحقوا به وأخرجوه من البيت الذي التجأ اليه وذبحوه بأيديهم وخرجوا من طور الدفاع السلمي عن الموتى الى الدفاع الحربي عن الاحياء وثارت الفتنة في البلد وكثر الهرج في الطائفتين الاسلامية والصليبية ولم تقدر الحكومة ان تشرع في اعادة الراحة الا بعد يومين وهذا ماعملته لذلك :

(١) عهدت الى الخطباء ان ينصحوا للناس باحترام الدماء ويذكروهم بما كتب الله عليهم من حق المخالف بالدين ـ لانهم يعتقدون ان المسألة بنت التعصب الاسلامي الذي حركته « طرابلس » لا بنت مدافعة العادين ورد هجمات المحاربين

(٢) علقت الاعلانات الرسمية بمنع اجتماع اكثر من ثلاثة اشخاص في الطريق العام ، ومنع الجولان فيه بعد الساعة الـ ٩ مساء ـ وهذا الحجر كان على المسلم خاصة لانه العادي عندهم ـ ثم اخذت تختطف الناس من الطرق والفنادق وتزج بهم في السجن ، فكم من غريب اخذ من فراشه في الفندق؟ وكم من بريء أخذ من الطريق العام ؟ فانظر ماهو عمل السياسة وأهلها وكيف يجعلون من التهمة الكاذبة ، ألف حجة صادقة ، ثم ماذا كان عمل الحكومة بعد ؟

كان أن أوعزت الى شيخ الاسلام ان يجمع العلماء الرسميين في دار الباي ويعترفوا بقبح هذا الدفاع الواجب وكذلك فعلوا وفعل

دعاهم الى الاجتماع وأكد فيه تأكيدا ولكنهم لم يعلموا الغرض منه الا عند الاجتماع ، دخل بهم على الوزير الاكبر وهو يقول : ان أهل العلم لا يرضون بهذا العمل الذي ينكره الشرع والعقل ، وهم يريدون ان تعلم الحكومة ذلك منهم ، ثم سأل « شيخ الاسلام » الوزير الاكبر ان يرخص لهم السفير في زيارته فأجيب الى ذلك ولكن السفير خاطبه بقوله : يجب ان تسكن أمياكم « يعني المسلمين » القلوب ولا تخرج الى الطريق ـ هذا بعد ماسمع من شيخ الاسلام ـ حاسبه الله ـ مثل ماقاله الوزير ولم يقدر الشيخ ان يبين له ان المسألة لا علاقة لها بمسألة طرابلس وأنها بغت الدفاع عن النفس وليس هي بالدفاع عن الجامعة الاسلامية

أرادت الحكومة من هذا ان تفعل ماتشاء باسم الدين ـ الذي لا تزال سيادته الحقيقية والصورية على جميع القلوب ـ ولكن العامة على جهلهم ورسوخ اعتقادهم في أهل العلم كانوا يلعنونهم سرا وجهرا ويعرفون انهم خانوا الله ورسوله والمؤمنين. فعلقت الاعلانات الرسمية في اليوم نفسه تعلم بتفويض سمو الباي الى الادارة الحربية الامر في تفتيش بيوت من تقع عليه التهمة والحكم عليه وفي نزع السلاح من اصحابه الخ وتبع ذلك جرأة الطليان على قتل المسلمين ولم توفق الحكومة الى نزع السلاح منهم الا اخيرا خشية الفتنة في البلاد

كانت الصحف تدافع عن المسلمين بعض الدفاع وتنجي من الحق ما تريد السياسة ان تقتله عمدا ولكن الحكومة اصدرت قرارا بتعطيل جميع الصحف

العربية « الا الزهرة الاخبارية » الى اجل غير مسمى

هذا ما جرى في تونس — أيها الفاضل مما سمعته ورأيته اثناء وجودي بها — وهو مما يدعو الى تأليف كتاب خاص تشرح به اعمال الحكومة الصادرة عن سياستها السوءى واستبدادها الفظيع واستخدامها في سبيل ذلك لشيوخ العلم الذين هم اجدر الناس بالدفاع عن الامة والسعي للتوفيق بينها وبين الحكومة وكف بأسها عنهم ولكننا مبتلينا برؤساء جهال منافقين جبناء هم الواحد منهم ان يملأ كيسه وبطنه ويحفظ على نفسه مذهبها ولا يبالي بما وازر الظالمين على الضعفاء الابرياء الذين لا ذنب لهم الا الدفاع عن أنفسهم ، ولكن اين الذي يخاف الله ويحسب للقائه حسابا من هؤلاء الجامدين ؟ وبعد فقد اتفق ان شرعت في كتابة هذا ثم حالت الشواغل دون اتمامه حتى كان ما كان مما ساقصه عليك وانا لا ازال في تونس :

مقاطعة مراكب الكهربائية وسببها

ذلك ان سائقي المراكب الكهربائية « واكثرهم من الطليان » اسرفوا في المدة الاخيرة في الاستهانة بالنفوس عمدا فكثر عدوانهم على الضعفاء — من قائلي لا اله الا الله محمد رسول الله — فعمدت ثلة من اصحاب الآراء الراقية لتنبيه الناس الى مقاطعة هذا المركب العادية حتى ترجع الى الاعتدال وتكف عن البغي والعدوان فاجتمعت كلمة الامة على هذا ولم تمض الا ايام قلائل حتى ساد هذا الرأي على المسلم والمسلمة ، ثم تقدم افراد من القائمين بهذه الحركة الى رئيس الشركة بمطالب الاهالي التي يعلقون على تنجيزها العود الى ما كانوا عليه ، واهمها التسوية في اجور الخدمة بين المسلمين والايطاليين واحترام الارواح واخراج الخدمة الايطاليين « وهذا مما لا يمكن » فقابلهم مدير الشركة شر قبول وصرح لهم ان الشركة لا تجيب المسلمين الا اكثر من وصية السائقين باحترام الضعفاء وتعليق الواح مكتوبة بالعربية في مراكز الوقوف يرسم عليها ما يرسم بالفرنسية على نظائرها (كما هي الحال في مصر) وأما تسوية الاجور فهو موقوف على تسوية الدولة بين الاهلي والاجنبي فمتى سوت الدولة بينهما سوت الشركة ، فرجع هؤلاء الافراد بخفي حنين واستمرت المقاطعة فمال الدولة امرها ورأت انها أمارة حياة فجثت على الحكم المطلق من آثارها

فدعت نحوا من اربعين رجلا من اهل العلم والتجارة وسائر الطبقات المعتبرة وخاطبتهم بلسان وزير القلم في حث الناس على ترك هذه المقاطعة واعلمتهم بتداخلها مع الشركة وتحصلها منها على كذا وكذا — مما علموه من مدير الشركة يوم اجتمع به اولئك الافراد لقصد انهاء المسألة بصفة مرضية — فقام المحاميان الغيوران محمد نعمان وعلي باش حانبه صاحبا جريدتي التونسي العربية والفرنسية ببيان ان الحكومة لم تفد شيئا في الموضوع وان مسألة تسوية الاجور من اهم مطالبهم اواهمها ولا ترضى الامتان تترك المقاطعة بدونها وطال النزاع بين الحق والباطل ثم افترق الفريقان على غير طائل

اعادت الحكومة دعوتهم في اليوم الذي تلى يومهم ذلك وصرحت لهم ان المسألة صبغت بلون دولي وان المقاطعة في نظر الدولة « اليوم » لدولة لا لشركة وان القائمين بهذه الحركة ان لم ينفثوا في هذه العقدة فسينالهم العقاب ودافع علي باشحانبه ومحمد نعمان بما رأيا من الحق والله ولي جزائهما

انبث دعاة الدلة في البلاد « بعد هذا الاجتماع » يدعون الناس الى الركوب في الترماي فلم يكد يستجيب لهم الا الشيخ جمال الدين وقليل ممن لا يعرفون، على ان الشيخ جمال الدين من الذين لا يرجون من الدولة شيئا بل ولا يخشى على شيء مما في يده منها لو اتبع الجماعة — ثم لم يكد يمضي على الاجتماع الثاني ٤٨ ساعة — وهو الاجل الذي ضربته الحكومة لانهاء المقاطعة — حتى صدر امر الباي « ونفذه » بابعاد ستة اشخاص عن الحاضرة منهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحمد الشاذلي درغوث وعلي باش حانبه ومحمد نعمان — الاول والاخيران الى ما وراء حدود فرنسة والثاني الى قصر مونستير ، ولقد كان من اعجب ما سمعت ورايت في ذلك اليوم ان شيخ من شيوخ التدريس بجامع الزيتونة كلفته الدولة ان يوصي المدرسين والتلاميذ بالعمل بما تحب الدولة في مسألة المقاطعة من الركوب والدعوة اليه ، فاخذ يحث على ذلك باخلاص واجتهاد ، مع انه معروف من اهل الاصلاح وليس هو من اهل الفساد — ولعل صفته الرسمية هي التي الجأته الى ذلك — ابعدت الدولة هؤلاء الستة المتهمين بتنبيه القلوب طمعا في تمزيق الكلمة فكان القوم في المقاطعة بعد الابعاد اشد منهم قبله ولا تزال مستمرة الى اليوم بعد ان توسلت

الحكومة الى حلها بكل سبب فلم تنجح ـ كلفت اكثر الخدمة الاداريين ان يركبوا فركبوا بضع مرات فلم يفقد بهم احد ـ كلفت شيوخ الاضرحة ان يركبوا ويحثوا الناس على الركوب فلم يفيدوها شيئا في الموضوع ، ومن اغرب ما اقصه عليك ان الشيخ جمال الدين ـ شيخ ضريح الفزاني دفع المال من جيبه لتلاميذ راويته ليركبوا فخرجوا من عنده واشتروا بما اخذوا منه الخضر وتركوه ودعوته ابن الحقيقة

***

﴿ نظام التعليم الجديد في تركستان ﴾

قرارات الحكومة الروسية في شؤون مسلمي تركستان العلمية

أرسلت ادارة ولاية يدي صو « في تركستان » الى رئيس شرطة (محافظ) آلماطا أوامر على هذه الصورة :

(١) اجمعوا معلوماتكم في شؤون المكاتب الجديدة الاصول (١) للمسلمين وفي معلميها وكتب التدريس فيها . وليكن تاريخ طبع تلك الكتب مبينا وكذلك محل طبعها

(٢) وماذا يوجد المسلمين من الجمعيات الخيرية وجمعيات نشر المعارف والتعاون؟ ومن الاعضاء والرؤساء فيها ؟ وما وظيفة تلك الجمعيات وعلى أي طريق تسير ؟

(٣) في أي المحلات تباع الكتب الاسلامية ؟ مع بيان شخصيات وخطة أولئك المسلمين الذين اخذوا الرخصة لبيع الكتب في الشوارع والمجتمعات

بناء على هذه الاوامر الصادرة في ١٨ فبراير سنة ١٩١٢ أمر رئيس الشرطة (المحافظ) معاونيه والشرطة بسرعة جمع المعلومات الصحيحة المفصلة بهذا الخصوص

وفي ١٩ فبراير أرسل الوالي الحربي في (يدي صو) أوامر وتعليمات الى جميع المتصرفين والمحافظ (آلماطا) المار ذكره وهذه صورتها

في اجتماعات المتصرفين المنعقدة في ينابر كنت بينت طرق المعاملة التي يجب سلوكها في شؤون المسلمين ولا سيما في مكاتبهم ، والآن أرسل بهذه الورقة بعض

(١) يوجد عند مسلمي روسية مدارس تعلم على النظامات (الاصول) القديمة ومدارس تعلم على النظامات (الاصول) الجديدة وهذه النظامات هي من وضع مؤسسي تلك المدارس الاهلية

تعليمات جديدة توافق ما نشر حديثا من طرف والي تركستان الى مأموري المعارف في أمر مكاتب المسلمين . وأطلب تنفيذ هذه الاوامر والسير دائما على هذه القواعد الاساسية

المكاتب الجديدة الاصول

(١) كل مكتب ينشأ من جديد من المكاتب الجديدة الاصول لا يقبل فيه الا أولاد قبيلة واحدة من قبائل تركستان ولا يكون المعلم الا منهم « فلا يجوز تعليم أولاد « صارت » ودونكان » مثلا من مسلمي تركستان بواسطة معلم من التتر « والباشقرد »

(٢) يجب على الاشخاص أو الجماعات الذين يريدون افتتاح مكتب جديد من هذا القبيل تعليم اللغة الروسية في مكتبهم المراد افتتاحه

(٣) وكذلك يجب عليهم ان يقدموا الى الحكومة جدول دروس (برو غرام) مكتبهم بالتفصيل وأسماء الكتب التي تدرس فيه .

(٤) والتي أنشئت قبل الآن من المكاتب الجديدة الاصول تكون تابعة لهذه القوانين .

المكاتب القديمة الاصول

(١) المكاتب القديمة الاصول تعد من الآن تابعة لنظارة مأموري المكاتب (١)

(٢) ولا يؤذن مطلقا بدراسة الكتب الجديدة فيها ولا بادخال بروجرام المكاتب الجديدة الاصول اليها . واذا كانوا يريدون توسيع معلومات أولادهم الخيار في تسليمهم الى مكاتب الحكومة الرسمية أو على الاقل الى المكاتب الخصوصية التي هي تحت نظارة الحكومة

(٣) في المكاتب القديمة يجب أيضا أن يكون المعلمون والتلاميذ من قبيلة واحدة وأما المعلمون المنتمون الى قبائل أخرى غير قبائل الاولاد فيتركون من الآن هذه المكاتب والتعليم فيها لغيرهم

القوانين العمومية . ـ ١) تصير هذه القوانين معمولا بها في أول يوليو سنة ١٩١٢ ، وأي مكتب من المكاتب الاسلامية لم ينفذ القوانين المذكورة تماما

(١) مأمورو المكاتب هم مفتشو المعارف

الى تلك المدة فانه يقفل ذلك المكتب . ٢) يمنع حتما دوام المكاتب الاسلامية السرية ، ومن ضمنها جميع المكاتب غير المصدق عليها من طرف الحكومة

جريدة (وقت) عدد ٩٤٧ الصادرة أول ابريل سنة ١٩١٢

***

﴿ مدرسة البنات (١) ﴾

« للسيدة (لآ يطوا) بمدينة قزان »

كانت « فاتحه » خانم كريمة المرحوم عبدالوالي باو يشف من كبار الاغنياء وقرينة سليمان آيطف من أعيان قزان قد أسست مدرسة للبنات في قزان وقامت بشؤونها منذ سنين تنفق عليها من أموالها الخصوصية . وفي هذه السنة كان عدد تلميذات هذه المدرسة كما في السنين السابقة زهاء ١٨٠ تلميذة يتعلمن على عدة معلمات ومديرتها فاتحه خانم نفسها . وهي مدرسة منتظمة متوفرة فيها اسباب التعليم وبرنامج دروسها موافق لأحوال الزمان فهي لذلك جديرة اليوم بأن تعد من أحسن مدارس البنات بمدينة قزان . تلميذات الصفوف العالية فيها يتعلمن الأشغال اليدوية المتنوعة كالخياطة على يد معلمة خصيصة لذلك .

عقائل أعيان وأغنياء قزان يعلمن كل يوم جمعة من كل اسبوع مناوبة معلمات هذه المدرسة وتلميذات الصفوف العالية فيها اللاتي يستعددن لصناعة التعليم ـ دُروسَ الطبخ درسا عمليا في مطبخ المدرسة . وأما السيدات اللاتي يتناوبن الآن التعليم في الجمع فهن هؤلاء : كريمة المرحوم اسحق يونوسف من سراة قزان وقرينة كازاكوف افندي ورابعة خانم قرينة المرحوم حسام الدين كامتروف من الاغنياء المشهورين في بلدة « خان كرمان » وقرينة آبانايف وكريمة « قل احمدف » الشهير ـ أمينة خانم قرينة كشايف ، وكريمة آغانورف

(١) اطلعنا على ما كتبته أمينة شمس الدينوا من معلمات مسلمي مدينة قزان في جريدة (وقت) عدد (٩٤٨) عن هذه المدرسة ومعلماتها فآثرنا تعريبه عنها

الشهير من أغنياء مدينة يكاترينبورغ صوفية خانم قرينة عليف ، وكريمة المرحوم مصطفى كيلديشف من كبار أغنياء « چيسطاي » قرينة ايمانقولف . وهؤلاء السيدات وان كن قد التزمن هذه الخدمات في المدرسة المذكورة رعاية لالتماس مؤسسة المدرسة فاتحة خانم آيطو ولم يصدهن عن ذلك الجاه والغنى ولكنه يدل على شعورهن الديني وصدق غيرتهن الملية ولذلك كن جديرات بأن يمدحن وينوه بذكرهن على كل حال

وهذه الحال في المدرسة هي أيضا أمر مهم يحق الاعتبار به فان اشتغال هؤلاء السيدات المحترمات ساعات عديدة في مطبخ المدرسة بتعليم التلميذات مع نية حسنة وهي الخدمة للأمة من غير اغترار بشأنهن لهي صفة حقيقة بالذكر والاعتبار .

وأما التزين بالحلي والاحجار الكريمة والألبسة الفاخرة والحضور في المجالس فليس فيه شيء يوجب المدح وحسن الذكر . ونرجو أن يكن هؤلاء السيدات نموذجا للسيدات الأخريات وسببا في ازدياد الخدم الصالحة للامة

ولما رأينا هذه المدرسة بأعيننا وعرفنا الأحوال فيها أحسسنا بوجوب الشكر لهن علينا فأردنا أن ننشر شكرنا العلني في جريدة « وقت » لمؤسسة المدرسة ومديرتها فاتحه خانم وللخوانم الأخريات المشار اليهن . ونسأل الله أن يزيد من أمثالهن يوما فيوما .

أمينة شمس الدينوا . قزان

المطبوعات الجديدة (*

﴿ كتاب البنين ﴾

كتبت في الجزء الماضي مقالا على هذا الكتاب وكنت عازمًا على تتبعه وبيان فوائده وانتقاده ولكن منعني كثرة الشغل عن انجاز ما وعدت به وارى ان مطالعته مفيدة جدًا للذين يفكرون في شؤون الأمة الاجتماعية وكذلك لآباء وابناء البيوت (العائلات) ولي كلمة في التعريب اقولها وهي

*) ما يكتب في هذا الباب بهذا الجزء هو من قلم السيد صالح مخلص رضا أيضا

ان هذه الكتب و ما يماثلها مما ينقل الى لغتنا العربية عن اللغات الأوربية التي هي نتيجة تربية حكيمة و إعمال رويه والتي انما تظهر في الأمة بطور مخصوص من اطوار حياتها الاجتماعية ـ هذه الكتب هي ولاشك مما يساعد على رقي مثلنا بعض الشيء ولكننا لا نزال بحاجة شديدة الى نقل الكتب الصناعية ووسائلها من كيماوية وطبيعية وما لدينا من الوسائل للوصول الى الثمرة المطلوبة لجعل الامة غنية بنفسها عن غيرها مثل كتاب النقش في الحجر والدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية لا يصلح بأن يكون مجموعة تجعل منوالا تنسج عليه الامة ثوب حياتها المادية لتنضم بين برديه وتصبح امة حية عالمه عاملة غنية بمعارفها وصناعتها

نعم ان ما يكتبه و يعربه الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب من الكتب الطبية وكتاب الكيمياء الحديثة الذي ألفه خان بهادر الشيخ عبد القادر بن محمد المكي وكتاب روح الاجتماع وما يماثل ذلك ربما الفت مجموعة تصلح لان تكون برنامجاً للمدارس العربية وتكون بها حجة الذين يطلبون من الحكومة المصرية تعليم جميع العلوم بلغة الامة ـ ناهضة ، ومن لنا بتأليف جمعية علمية تبحث في هذه المؤلفات وتبين ما يلزم من الزيادة عليها للايفاء بالغرض المطلوب ؟

وما دمنا نقرأ مثل كتاب التربية الاستقلالية أو كتاب البنين وكل ما نستفيده منها هو الاعجاب بآراء المؤلف والثناء على همته ولغة المعرب فما نحن الا نظريون . ولم يرجع بنا القهقرى في علم دارسناه وانتشر بيننا قديما وحديثا الا الاشتغال بالنظريات عن العمليات . هذا كتاب سيرتقدم الانكليز نشر باللغة العربية من سنين عديدة فهل غير شيئا من طرق التربية في مدينة أو قرية أو بيت (عائلة) في بلادنا وهو الكتاب الذي حرك العالم وزلزل اركان التربية في فرنسة فأنشأها خلقا جديدا ؟ فهل يكون حظنا من كتاب البنين كحظنا من الكتب السابقة ام ان حوادث الدهر ومزعجات الايام أهابت بنا الى النهوض من هذه الهوة التي نحن بها متدهورون ؟

ثم هل نبقى معتمدين على غيرنا في جميع حاجياتنا أم يلجئنا حب البقاء الى التماس أسبابه باتباع منهج الغربيين في الصناعة والزراعة ؟؟

هذا ما أريد أن يتفكر فيه المتفكرون ويكتب فيه الكاتبون ويعرب له الكتب الذين يهمهم أمر بقاء أمتهم وحياتها

هذا وان ثمن كتاب البنين عشرة قروش غير أجرة البريد وهي ١١ مليما في مصر و٢٢ مليما في الخارج ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

* * *

﴿ رباعيات الخيام ﴾

عمر الخيام اشهر من نار على علم وهو من نوابغ شعراء الفرس وقد ترجم علماء أوربة واميركة شعره وعنوا به عناية كبرى ، فحمل حب ضم التالد الى الطريف وديع افندي البستاني معرب « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » على نقل هذه الرباعيات الى العربية ، فبحث ونقب عن هذه التراجم والشروح واختار منها ترجمة « فتزجرلد » الانكليزية وعربها ونظمها سباعيات بعد ان قابلها بترجمات « هوينفلد » ونيقولاس وغارنر ومكارثي ، وكتب لها مقدمة ضافية ذكر فيها خلاصة ما وقف عليه مما كتب الغربيون في عمر الخيام واهتمامهم بآثاره ، وهذه المقدمة بديعة نفيسة جدا

وعمر الخيام شاعر مفكر ينظم ما يمر في مخيلته من نتائج تأملاته فيصيب الحقيقة تارة ويخطئها تارة أخرى فهو يحاكي ابا العتاهية في زهده وحكمه وابا نواس في خمرياته ومسلم ابن الوليد في غزلياته والمعري في حكمته وما ينسب اليه من المجازفات ، واليك طائفة من هذه الرباعيات أو السباعيات من هذه الانواع

قال في الفاتحة : من النشيد الاول

ربّ رحماك ما كسبت ثوابا لا ولا كنت مستحقا عقابا
انما قلت ما رأيت صوابا
ووجودي عليّ كان مصابا وعزائي الجميل كان الحبابا
وكفاني التوحيد ذخرا فاني لم أعد في ديني الاربابا

وقال من النشيد الاول أيضا

وربيع الحياة عهد الصباء وحياتي كهذه الصهباء
مرها الحلو فهي طبي ودائي

وبلخ أو نيسبور مأقضي　　فدعوني بعض اللبان أقضي
ودعوني أسقى المدام دعوني　　قبلما يدهم المشيب الشبابا

وقال من النشيد الاول أيضا

وأجبني وواقني الاعتزال　　وابتعاد عن محض قيل وقال
رب قفر من المظالم خال

ليس فيه عبد ولا سلطان　　هو عندي المكان نعم المكان
رب كهف ثويه نفس أبي　　فاق قصر اطالت ذراه السحابا

وقال منه أيضا :

يا فؤادي حذار حتى النسيما　　ان هذا المنثور كان نظيما
فوق غصن واليوم غشى الاديما

كم ورود لثامها الاكمام　　كخدود لها الحياء لثام
راودتها ريح الشمال وغاثت　　بلثام وقبلتها اغتصابا

وقال منه أيضا

هات لي الجام ياند يمي مترع　　أمل عما مضى وما يتوقع
حسب قلبي ماسمته وتقطع

واسقني اليوم مذهب الحسرات　　لا تكلني لعلم يوم آت
فغدا ربما غدوت طريد الأ　　س أطوي الادهار والاحقابا

وقال منه أيضا :

ولاهل اليقين والايمان　　ولاهل الشكوك في الاديان
ولاهل الدنيا وأهل الجنان

سيقول الصوت الرهيب ضلالا　　قد ضللتم وكنتم جهالا
لاهنا أنتم كسبتم ثوابا　　لا ولن تكسبوا هناك الثوابا

وقال منه ايضا :

واضطراراً قدجئت هذي الديارا　　وسأضطر للرحيل اضطراراً
واختياري ان استطعت اختيارا

ان أسرّي عن الفؤاد الهموما في حياة ملأى أسى وغموما
فأدرها سلافة واسقنيها نعمةً فالوجود كان مصابا

وقال منه أيضا :

زحل كان موطني اذ رحلت بخيالي وفي السماك حللت
وصعابا من مشكلات حلات

واجتليت الغوامض المبهمات ولقيت الحقائق السافرات
غير ان الآجال والموت فيها ذاك سرّ لم انض عنه نقابا

وقال من النشيد الثاني :

قلت للنفس اين ذاك القضاء اين ذاك الجحيم أين السماء
قالت النفس يافتى لا مراء

في في الاسرار والاقدار في في الجنات في النار
ذا سؤالي وذا جوابك يا نف س وكنت الحيران فيه سؤالا

وقال منه أيضا :

يعلم الله انني سكّير ونظيري بين العباد كثير
وهو أمر سهل عليه يسير

يعلم الله يعلم الله فعلا رب رحماك ليس علمك جهلا
فزقاني مملوءة ودناني وأنا ادمن الخمور امتثالا

وقال منه ايضا :

ايه سفر الحياة آن اختتامك ايه خيّام قد تداعت خيامك
وتدانت من حدّها أيامك

وليالي الربيع كن قصارا وهزار الشباب غنى وطارا
ياهزار الشباب لو كنت ادري منك هذا لسمك الأغلالا

هذا وأن لغة الكتاب ونظمه من احسن الكتب المعربة وقد طبع في مصر طبعا متقنا نظيفا على ورق جيد وصفحاته ١٤٢ وهو يباع بمكتبة المنار بشارع عبد العزيز بعشرة قروش صحيحة خلا أجرة البريد

***

﴿ كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ﴾

لدعاة النصرانية في البلاد الاسلامية طرق في بث دعوتهم والفات الناس الى سوم بضاعتهم ، كانت الى سنة ١٩١١ خطة شغب وعداء اكثر مما هي خطة جدل واقناع يظهر هذا في جرائدهم وكتبهم ولاسيما في البلاد التي قوي فيها النفوذ الاجنبي وكان موقف المسلمين أمام هذا التهجم والشغب والشذوذ والتطرف والمغالطة يختلف باختلاف البلاد ودرجة نفوذ أولئك الدعاة وتأثيرهم في العامة أو الخاصة

فينا الشيخ رحمة الله الهندي يجادل القوم في الهند بما هي أقوم ويدحض سفسطتهم بالادلة العقلية والنقلية اذا بالمسلمين في البلاد المصرية والشامية يهزأون من تلك المجادلة ويضحكون زاعمين أن المسلم لا يمكن أن يكون نصرانيا، وينقلون كلمة عن حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني « ان المسلم هو نصراني وزيادة» لان اركان دين النصرانية الايمان بالله والملائكة والوحي والدار الآخرة الخ ولكن المسلم يؤمن بهذه الاشياء على وجه اكمل. فالمسلم موحد لله والنصراني مثلث له والمسلم منزه للانبياء والنصراني مخطئ لهم والمسلم معتقد بجزاء ينال الانسان في الدار الآخرة من حيث هو انسان والنصراني يقول انه في الآخرة يكون « كملائكة الله الذين في السموات » اي ان الانسان يكون ملكا وتفنى جسمانيته في روحانيته الخ . فالدين الاسلامي مطابق للعقل والفطرة والدين المسيحي على العكس من ذلك ؟ تلك حجتهم على سكوتهم وعن تقصيرهم في الدعوة الى دينهم والذود عنه

ولم يفكر مسلم في هذه البلاد أن من خدمة الاسلام أن يدعو أحد اليه أو أن يدافع عنه غافلين عن قوله تعالى « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» الخ

غلط دعاة النصرانية بحسبانهم المسلمين على وثنية فوضى وظنوا ان من السهل عليهم دعوتهم الى وثنية منظمة منمقة يجلبها ثوب الخلاص من خطيئة لم يقترفوها ويزينها حلي مصالحة الله لهم عن خصومة لم يأتوها — على قاعدة : الآباء تأكل الحصرم وتضرس البنون — ويقابل هذا عند المسلمين ويدحضه قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر اخرى » — غلطوا فدخلوا بسيرهم واوضاعهم خلال المسلمين يبغونهم الفتنة

وفيهم سماعون لهم وقوم آخرون شغلتهم أموالهم وأهلوهم

ولما عقد مؤتمر القاهرة سنة ١٩١١ (لدعاة النصرانية) بحث في طرق اماله المسلمين عن دينهم على اختلاف طبقاتهم وخط للدعاة خططا جديدة - يعلمها من يراجع مقالات « الغارة على العالم الاسلامي » التي تنشر في المنار تباعاً - للوصول الى قلب المسلم

كل ذلك يجري من دعاة النصرانية ومثل النبهاني وعبد العزيز شاويش يسودان الصحائف بشتم المسلمين المصلحين تارة و بشتم النصارى تارة اخرى ولهما في بعض البلاد الاسلامية أمثال وانصار من المعممين الذين كان يخاف على الاسلام منهم الاستاذ الامام، ولكن بعض شبان سورية الغيورين المفكرين اهدى ادارة المنار في هذه الآونة كتاباً سماه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » ألفه لرد أباطيل دعاة النصرانية وجعله مقدمة « الى صليبي القرن العشرين المبشرين (؟) »

ألف محمد طاهر افندي التنير كتابه هذا من كتب علماء اوربة وقابل فيه بين نصوص ديانات الوثنيين ونصوص ديانة النصارى المشابه بعضها بعضا وعزى في الهامش كل نقل الى محله وذكر في أول الكتاب اسماء الكتب التي نقل عنها لتكون الاداة ملزمة والحجة ناصعة، ونحن نذكر مجمل مواضيعه (١) عقيدة التثليث عند الوثنيين وعند النصارى (٢) تقديم أحد الآلهة فداء عن الخطيئة عند الوثنيين وعند النصارى (٣) الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين عند الوثنيين والظلمة التي حدثت عند موت يسوع عند النصارى (٣) ولادة أحد آلهة الوثنيين من عذراء وولادة يسوع من عذراء كذلك (٤) النجوم التي ظهرت عند ولادة احد آلهة الوثنيين والنجم الذي ظهر عند ولادة يسوع (٥) الجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله عند ولادة احد آلهة الوثنيين والجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله كذلك عند ولادة يسوع (٦) الاستدلال على الطفل الالهي عند الوثنيين وعند النصارى « ٧ » محل ولادة أحد الآلهة عند الوثنيين ومثله عند النصارى الخ ثم مقابلة بين النصوص عند الفريقين، والكتاب يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش وتبلغ صفحاته ١٧٦ ويكاد يكون انفع كتاب في بابه وقد التزم مؤلفه النزاهة في القول والمجادلة بالتي أحسن

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

يبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و ه منارا ه كمنار الطريق

(مصر سلخ جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ ق ٢٧ الربيع الثالث ١٢٩١ه ش ١٥ يونيو ٩١٢م)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٥

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرأ من كتب الله ٧٢ كتاباً ثم قال « فكان للعرب ثقة كبرى فيه » وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى »

فانظر كيف يناقض المؤلف نفسه ! فقال:

« فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن ـ فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن ـ فتوطدت العزائم على الاكتفاء به (أي القرآن) عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم »

ويقول الآن : ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار ..... مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى في وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلأت من منقولات أهل الكتاب » فلو كان أهل القرون الاول يبغضون ماسوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيليات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟ ولما كانت المسألة موضع زيادة تفصيل نزيدك توضيحاً وتفصيلا

كان لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذي كان ملازما للنبي عليه السلام منقطعا الى الرواية ـ لم يدانه احد في كثرة الرواية ـ كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها، قال العلامة الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمته « عن ابي رافع عن ابي هريرة انه لقي كعبا ـ وهو حبر اليهود ـ فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب : ما رأيت احداً لم يقرأ التوراة اعلم بما فيها من ابي هريرة »

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح ، قال الذهبي في

طبقات الحفاظ « كان من ايام النبي صواما قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيراً وكان اصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب ، »

ومنهم عبدالله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبي وفيه ورد قوله تعالى « ومن عنده علم الكتاب » نقل الذهبي بعد ذكر فضائله وكونه عالم أهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قرأت القرآن والتوراة فقال اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة ، فهذا ان صح ففي الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها ،

ومنهم كعب الاحبار كان من كبار أهل الكتاب ، اسلم في زمن ابي بكر ، قال الذهبي « قدم من اليمن في دولة امير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم وأخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه » فهذا كانه تصريح في ان الصحابة أخذوا عنه علم أهل الكتاب ،

ومنهم وهب بن منبه قال الذهبي في ترجمته « وعنده من اهل الكتاب شيء كثير فانه صرف عنايته الى ذلك ، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار في زمانه ، » وعن وهب قال: يقولون عبدالله بن سلام اعلم أهل زمانه وكعب اعلم أهل زمانه »

فهل بعد كل هذا يصح قول المؤلف ، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغي ان يقرأ كتاب غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من العلم ؟ عياذا بالله ،

قال المؤلف « ثانياً جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج — ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال في اثبات ان ابا الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمود السواري وذكرها القفطي في تاريخ الحكماء »

لا تنازع المؤلف في ان أبا الفرج مسبوق في ذكر هذه الرواية بالقفطي والبغدادي ولكن ماذا ينفعه ذلك ؟ فان البغدادي وهو أقدمهما من اهل القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب

تعود المؤلف من صباه قبول مختلقات أهل الكتاب وأوهامهم فسبب ذلك انه يزن التاريخ الاسلامي بميزان غير ميزاتنا ولذلك يصغي الى كل صوت ويستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له أصول ومباد وقواعد وما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها أصلا منها ان الناقل للرواية لابد ان يكون شهد الواقعة فان لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تتصل الرواية الى من شهدها بنفسه

ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، ومنها ان لا تكون الرواية تخالف الدراية ومجاري الاحوال ، ولذلك اهتم مؤرخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم وديانتهم وعلمهم من الصدق فدوّنوا كتب اسماء الرجال وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشري فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدي والثقاة لابن حبان وتهذيب الكمال للمزي وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماكولا وابن عبد البر ولابن الاثير ولابن حجر وتهذيب الاسماء للنووي وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر

وتجد كتب القدماء من مؤرخي الاسلام كلها أو أكثرها كتاريخ البخاري وسيرة ابن اسحاق وتاريخ الطبري وابن قتيبة وغيره مسلسلة الاسناد مبينة الاسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها

فأول شيء يهمنا في هذا البحث ان نرى : هل ذكر القفطي والبغدادي هذه الرواية مسندة وذكرا مصدر الرواية واسماء رواتها أم لا ؟

وأنت تعلم أن البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع فأي عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا احالة على كتاب ؟

أما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولاعين ، هذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة والاخبار الطوال للدنيوري وفتوح البلدان للبلاذري والتاريخ الصغير للبخاري وثقاة ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ومع ان فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر

وعلاوة على ذلك فان في فتح مصر كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر للكندي وكشف الممالك لابن شاهين وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفي وتاريخ مصر لابن بركات النحوي وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها صاحب كشف الظنون ، والمقريزي جمع وأوعى كل ذلك ولم يترك رواية ولا خبراً يتعلق بمصر الاوذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عندذكر فتح الاسكندرية

قال المؤلف

« وأما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم

ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه أو نقل لذلك سبباً آخر الخ » (الجزء الثالث صفحة ٤٤ و ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام من مثل المؤلف ! وكيف يقدر ديانة مؤرخي الاسلام وشدتهم في تحري الصدق ونزاهتهم عن التغيير والتحريف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط ، من صارت غريزته تعمد الكذب والتحريف والخيانة والمحو والاثبات ؟

قال المؤلف « ثالثاً ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين ، خبر احراق مكاتب فارس وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون » الخ (الجزء الثالث صفحة ٤٥)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل او مؤرخ — وصاحبنا يقول : انه ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون ، فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص ؟ !

اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون . وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر ابن خلدون فتح مصر والاسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فلم يذكرا من اين أخذا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها ،

قال المؤلف « رابعاً ان احراق الكتب كان شائعاً في تلك العصور ..... كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية » الخ (الجزء الثالث صفحة ٤٥)

يالله العجب ! عبد الله ابن طاهر من قواد المأمون ومن رجال الادب وهذا العصر يمتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت للدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يستجلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها — ونجد تفاصيل ذلك في فهرست بن النديم وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها ، فكيف يعول على هذه الرواية التي ما ذكرها احد من ثقاة المؤرخين وانما استند المؤلف « براون المعلم الانكليزي » وهو نقلها من تذكرة «دولتشاه» وهو كتاب جامع

لكل غث وسمين ، ولو صح نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ ، فهل يصح قول المؤلف « ان احراق الكتب كان شائعاً في تلك العصور » ؟

قال المؤلف « خامساً ، ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تأييد الاديان الجديدة » (ثم ذكر في تأييد ذلك عمل امبراطرة الروم واحراق كتب المعتزلة) ج ٣ ص ٤٦

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم ، ثم ان المسألة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس ،

قال المؤلف « سادساً : في تاريخ الاسلام جماعة من أئمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم » (ثم ذكر بعض الحوادث في تأييد ذلك) ج ٣ ص ٤٦

عجباً لمثل هذا الاستدلال ! فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واي حجة في ذلك لاحراق كتب اقوام اخر ؟

ان هذه القياسات الواهية لا تغني شيئاً ولكن لو اردنا ان نستشفي في ذلك البحث بالقياس والامارات فعلينا ان ننظر ما كان صنيع الخلفاء الراشدين بآثار اهل الذمة ومعابدهم وكنائسهم وامتعتهم وخزائنهم ، ان الاصل في ذلك عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لاهل نجران وقد ذكره القاضي ابو يوسف في كتاب الخراج بحروفه

« ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على اموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل أو كثير ، (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٤١)

فكان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا عليه بالنواجذ ونجد في كل عهود الخلفاء الراشدين كعهد نجران ومصر والشام والجزيرة ان هذا الاصل أي ذمة الله ورسوله على أرضهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير محفوظ باق على حالته الاصلية وعهد مصر هو هذا

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على انفسهم ودينهم وأموالهم وصلبهم ومدهم وعددهم »

وذكر في معجم البلدان رواية بزيادة « ان لهم أرضهم واموالهم لا يتعرضون في شيء منها » وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العناية والشدة في وفاء العهد باهل الذمة وغيرهم ومع عهده بانهم لا يتعرضون في شيء من أموالهم وكل ما تحت ايديهم

كيف كان يعرض لخزانة كتبهم التي هي من انفس ذخائرهم واغلاها ؟

اعلم ان مسألة احراق خزانة الاسكندرية موضوع مهم عند اهل أوربة وقد أطال البحث فيه اثباتاً ونفياً وممن ألم بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم (وايت) والمعلم (دساسي) الفرنسي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار و(واشنكتن ادونك) و(دريبر) الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرجين وسيديو الفاضل الشهير الفرنسي في تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسي في خطبته الاسلام والمعلم و(ارتركلين)، وللمعلم (كريل) الالماني رسالة مستقلة في هذا البحث قدمها في المؤتمر الشرقي الذي انعقد سنة ١٨٢٨ م أورد فيها كل ما كتب الباحثون في هذا البحث نفياً أو اثباتاً وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملت رسالة في اللسان الاردي وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها أحد اهل الشام وطبع شطر منها في جريدة ثمرات الفنون . ومجلة المقتبس

والحاصل ان محققي اهل أوربة قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم (جبين) المؤرخ الشهير الانكليزي ودريبر الاميركاني وسيديو الفرنسي وكريل الالماني والمعلم رينان الفرنسي . عمدتهم في انكار ذلك امران الاول ان الواقعة ليس لها عين ولا أثر في كتب التاريخ الموثوق بها كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها مما مر ذكرها وأول من ذكرها عبد اللطيف البغدادي والقفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدراً للرواية ولا سندا - والثاني ان الخزانة كانت ضاعت قبل الاسلام أثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن انكارها

قال المؤلف .

« قلنا فيما تقدم ان الخلفاء الراشدين كانوا يخافون الحضارة على العرب - . . . ولذلك منعوهم من تدوين الكتب - . . . وكان هذا الاعتقاد فاشياً في الصحابة والتابعين وتمسك به جماعة من كبارهم وكانوا اذا سئلوا تدوين علمهم ابوا واستنكفوا » الخ (الجزء الثالث صفحة ٥٠)

أطال المؤلف ونقل أقوالا عديدة في اثبات ان الخلفاء الراشدين والصحابة كانوا يمنعون الناس عن الكتابة والتأليف ونحن لا ننكر ان هذا كان مذهباً لبعض الصحابة والتابعين ولكن الدين رخصوا في ذلك وأمروا بالكتابة والتدوين اكثرهم عدداً وأرجحهم ميزاناً وأوسعهم نفوذاً وقد عقد المحدث المشهور القاضي ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم (انظر صفحة ٣٦ طبع مصر) باباً في اثبات

ذلك ونحن ننقل شطراً منه قال « وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدو العلم بالكتاب وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه انه سمع عمر بن الخطاب يقول قيدوا العلم بالكتاب وعن معن قال اخرج الى عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي انه خط أبيه بيده وعن أبي بكر قال سمعت الضحاك يقول اذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط وعن سعيد بن جبير انه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب أحب الينا من النسيان وعن أبي مليح قال يصيبون علينا الكتاب وقد قال الله «علمها عند ربي في كتاب» وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم؟ قال «قيد العلم» قال عطاء قلت وما تقييد العلم؟ قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الداروردي قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب ، وعن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان بن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس ، وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً ، وعن محمد بن علي قال سمعت خالد بن خداش البغدادي قال ودعت مالك بن انس فقلت : يا أبا عبد الله أوصني قال : عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله ، وعن الحسن أنه كان لا يرى بكتاب العلم بأساً وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتباً نتعاهدها وقال الخليل بن احمد : اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك للنفقة ، وعن عاصم بن عمروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول: وددت لو ان عندي كتبي باهلي ومالي ، وعن سليمان بن موسى قال: يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حاطب ليل ـ ورجل لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ، ورجل ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم ، وعن اسحاق بن منصور قال قلت لاحمد بن حنبل : من كره كتابة العلم ؟ قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له : لو لم يكتب العلم لذهب قال: نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن؟ قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء ، وعن حاتم الفاخري ـ وكان ثقة ـ قال سمعت سفيان الثوري يقول : اني أحب ان اكتب الحديث على ثلاثة أوجه: حديث اكتبه أريد ان اتخذه ديناً ، وحديث رجل اكتبه فاوقفه لا اطرحه ولا أدين به ، وحديث رجل ضعيف أحب أن اعرفه ولا أعمل به . وقال الاوزاعي : تعلم ما لا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به وعن سعد بن ابراهيم

قال : أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفتراً، وعن أبي زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرأينا ان لا نمنعه أحداً من المسلمين، وذكر المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئاً الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعني

﴿ الضغط على أهل الذمة ﴾

أدعى المؤلف أن عمر بن الخطاب كتب عهداً لنصارى الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشي واعترف بان فيه ضغطاً على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم

كل من له أدنى مسكة في التاريخ يعرف ان الطرطوشي ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب أدب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما الاول في هذا البحث على المصادر القديمة الموثوق بها كتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن الاثير وغيرها، وهذا ما كان يخفى على المؤلف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها ، قال القاضي ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازي والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه أدنى ضغط عليهم ولا شدة بهم

« فلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعاً . فكتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ماجبي من الجزية والخراج. وكتب اليهم ان يقولوا لهم : انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا أن تمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا : ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم

لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٨ و ٨١)

فانظر الى هذا العدل الذي عجز البشر عن إتيان مثله واعتراف أهل الذمة بذلك! والى قول المؤلف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم!

﴿ تاريخ العلوم الاسلامية ﴾

اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبء فكيف برجل دخيل فينا بضاعته مزجاة قليل المعرفة من علومنا الا اسماء تلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة ؟ فاذا تكلم عن شيء منها خبط وخلط؟ وهاك امثلة من ذلك قال « وكان المسلمون غير العرب هناك أكثرهم الفرس وهم أهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد » (الجزء الثالث ص ٧١) ظن الرجل ان استخدام القياس والرأي من مبتدعات الفرس مع ان أول من سمي بهذا الاسم هو ربيعة الرأي صرح بذلك السمعاني في الانساب وهو من أول أهل المدينة وممن اخذ عنهم الامام مالك ، وان مالكا والشافعي وابا يوسف والامام احمد رضي الله عنهم كلهم يستعملون القياس مع كونهم من العرب أرومة وموطناً واداة وان الفارق بين اصحاب الرأي والحديث ليس استعمال القياس — وفصل القضية في ذلك تجده في كتاب حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي من متأخري حكماء الاسلام — ثم قال المؤلف « فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بخلع بيعته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبا حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه » الجزء الثالث ص ٧١

ظلمات بعضها فوق بعض ! ! ما كان أبو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم ولذلك أراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه وأمر بضربه حتى مات في السجن ، أما ماقال عن تصغير أمر الامام مالك فخالف الروايات الصحيحة الثابتة. قال القاضي ابن عبد البر في كتاب جامع العلم (صفحة ٦٧) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن أنس يقول. لما حج أبو

جعفر المنصور دعاني فدخلت عليه فحدثته وسألني فاجبته فقال : اني عزمت ان آمر بكتبك هذه التي وضعتها (يعني الموطأ) فينسخ نسخاً ثم أبث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هـذا العلم المحدث فاني رأيت أن أصل هـذا العلم رواية أهل المدينة وعلمهم الخ

قال المؤلف « وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به » (الجزء الثالث صفحة ٧١ مستنداً بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش! استشهد المؤلف في هـذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر في تاريخه في ترجمة أبي حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادي أطال في مثالب أبي حنيفة ثم أنكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب أبو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال « ولو رماه بالقياس » ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه أقل شيء يومئ الى ان أبا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية ثم ان أبا حنيفة كان ناقماً على العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد ابن الامام زين العابدين وكان تلميذا لحماد وهو تلميذ لابراهيم النخعي وكلهم عرب ثم أصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته أي أبا يوسف ومحمداً وزفر كلهم عرب ، أما لحن ابي حنيفة . فمعلوم انه عجمي وكم من الاعجام الذين هم رءوس الادب ووجوه العربية كحماد الرواية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وعزيزتهم ،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض في غمار هذا البحث الدقيق الذي يحتاج الى التضلع في العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الراي وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم أن الرجل ههنا هو الرجل الذي عهدناه قبل ذلك في سوء طويته وكامن حقده ومحامله على العرب واعتياده التحريف وتأويله بسوء التأول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه ،

قال (تحت عنوان الفقه) « فلما افضى الامر الى بني العباس وأراد المنصور تصغير العرب واعظام أمر الفرس لانهم أنصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس

وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في أمر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذب واختلاق والمنصور أبعد محلا وأبرأ ساحة من ان يبني بناء أو غاماً للكعبة ـ وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجراً ـ على محمد وتضييقاً عليه لما قام بالخلافة وقد صرح بذلك المقريزي (الجزء الثاني صفحة ١٤٣) فقال : وذكر البلاذري ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد ابن عبدالله قال: تكتب الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين ـ والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور » فانظر كيف قلب المؤلف الحكاية وصرفها عن وجهها ! فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب في قطع الميرة والمؤلف يقول : ان قطع الميرة انما كان إرغاماً للحرمين وان الامام مالكا أفتى لذلك بخلع بيعته ـ

قال المؤلف بعد ما ذكر رغبة بني أمية في الشعر وتنشيطهم للناس تحت عنوان (الشعر وبنوامية) « وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في الادب وتنشيطاً لاهله لان الشعر سجية في العرب ودولة الامويين عربية بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بألسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت» الخ (الجزء الثالث صفحة ١٠٢) فانظر إلى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد ! فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبني أمية من الايادي في ترويج سوق الادب ورفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال أنهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة ،

قال « وقد تقدم في كلامنا عن الفقه ان المنصور أخذ بناصر أصحاب الرأي والقياس واستقدم أبا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميل الى القياس متواصلا في بني العباس والاعتزال اقرب المذاهب الى اصحاب الرأي » الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف في جهله بالمعارف الاسلامية حتى أنه يقرن بين الاعتزال والرأي ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والرأي والقياس احد أصول

الفقه ومعظم اصحاب الرأي والقياس بل كلهم الا الشاذ النادر منهم كابي حنيفة ومحمد وابي يوسف وزفر وابي لولو والطحاوي والخصاف وابي بكر الرازي والدبوسي وغيرهم كانوا ناقمين على الاعتزال وكانوا يعدون المعتزلة من أهل الاهواء والضلالة

قال « فلما افضت الخلافة الى المأمون أخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفاً من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن اي انه غير منزل » (الجزء الثالث صفحة ١٤١)

وهل يكون كذب اعظم من هذا؟! فان خلق القرآن او قدمه لا مساس له بالتنزيل أو عدمه فان الاختلاف في : هل الكلام صفة حادثة تقوم بالله تعالى ؟ أو هو صفة قديمة ؟ فالمعتزلة قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء وأهل السنة وغيرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا يقوم بقديم. فاما أن القرآن كلام الله تعالى منزل الى الرسول فهذا لا يختلف فيه اثنان .

قال « واما الفلسفة بحد ذاتها فقد كان اصحابها متهمين بالكفر وكان الانتساب اليها مرادفا للانتساب الى التعطيل وقد شاع ذلك في بغداد بين العامة حتى في ايام المأمون ولذلك سماه بعضهم أمير الكافرين » (الجزء الثالث صفحة ١٧٧)

استشهد المؤلف في هذا القول باليعقوبي ونحن ننقل عبارته حتى تعرف مقدار خديعة المؤلف، قال اليعقوبي « وشخص هرثمة من العراق الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بخبر اذن من المأمون فلما دخل على المأمون ... قال من نقرس ولا يمكنني امشي في محفة ... وكلم المأمون بكلام عليه ودخل معه يحيى بن عامر بن اسماعيل الحارثي فقال: السلام عليك يا أمير الكافرين .فأخذته السيوف في مجلس المأمون حتى قتل! فقال هرثمة : قدمت هذه المجوس على اوليائك وانصارك ؟واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا : نحن انصار دولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس» (اليعقوبي صفحة ٥٤٦ و ٥٤٧) أن المأمون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسياً أسلم فتقم العرب على المأمون وقالوا انك قدمت المجوس وقال له يحيى السلام عليك يا أمير الكافرين فهذا كله من السياسة لا مساس له بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها ،

قال المؤلف « ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصاً في اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفاً لرأي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في

القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١)

انظر الى هذه الخديعة بمدح الاسلام بكونه أقرب الى حرية الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القرآن كان مذهباً من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد واتان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق من الاسلام ذكرهم ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما ،

بشائر عيسى ومحمد (*

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٣

(٥) قال ميخا ٥ : ٢ (أما أنت يا بيت لحم افراتة «وأنت» صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) والذي يفهم من هذه العبارة أن الله قضى بخروجه منذ الازل وهذا لا نزاع فيه . أما اذا كانوا يفهمون منها أن خروج المسيح كان منذ الأزل فهو خطأ لانه باعتبار ناسوته ما خرج منذ الازل باعترافهم و باعتبار لاهوته لا معنى لخروجه فان ذاته هي عين ذات الله على حسب اعتقادهم وذات الابن لم تفارق ذات الله تعالى لا أزلا ولن تفارقه أبدا فانها لا تقبل الانقسام ولا التفرق فكيف إذا يفسرون هذا اللفظ (مخارجه) ؟ ولماذا أتى جمعا لا مفردا ؟ والذي يدلك على صحة تفسيرنا ـ أن المراد خروجه في علم الله وقضائه أزلا ـ قول سفر الرؤيا ١٣ : ٨ كما في الترجمة الانكليزية (في سفر حياة الخروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم) والمراد بعندهم صلب المسيح الذي وقع في عهد بيلاطس لا منذ تأسيس العالم و إنما

(*) تابع لما نشر في الجزء الخامس ص ٣٥٢

قال ذلك لانه واقع في علم الله تعالى منذ الازل كما يزعمون . وقال بولس في رسالته إلى أهل أفسس ١ : ٤ (كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم) مع أنهم ما كانوا موجودين في ذلك الوقت وإنما يريد انه اختارهم في علمه . وقال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ١ : ٩ (بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الازمنة الازلية) فكيف تعطى لمن ليسوا موجودين ؟ — اللهم إلا في علم الله فكذلك عبارة ميخا يراد بخروجه فيها خروجه في علم الله ولذلك لما نقل متى هذه العبارة في انجيله نقلها هكذا ٢ : ٦ (وانت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل) فلو كان قول ميخا يفهم منه ألوهية المسيح لما تركه متى . فالمراد بجميع هذه العبارات المتقدمة أن الله تعالى قضى في علمه بوقوع هذه الاشياء منذ الازل فهي واقعة لا محالة ولا يمكن أن يتخلف شيء مما قضاه تعالى فقوله (مخارجه منذ القديم منذ ايام الازل) المراد به أن خروجه لا بد من وقوعه لانه مقضي أزلا . قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) راجع أيضا قول المزمور ٤٤ : ١ (آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم) وقول أشعياء ٦٤ : ٤ (ومنذ الازل لم يسمعوا ولم يصغوا)

ثم قال ميخا بعد هذه العبارة السابقة في حق المسيح ٤ (ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه) وهذا نص على أن الله إلهه فكيف يكون هو إلها وهذا أيضا دليل على أن مراده من قوله (مخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) هو ما قلناه سابقا وأننا لسنا متعسفين ويجوز أيضا أن ذلك مما حرفه اليهود في كتبهم لاجل مسيحهم المنتظر كما سبق في المقدمة فلما جاءهم كفروا به أو مما حرفه النصارى كما سيأتي في الفصل الثالث وان كان له أصل صحيح

(٦) قال في مزمور ٤٥ : ٦ (كرسيك يا الله (١) إلى دهر الدهور) ولفظ (الله)

(١) حاشية : (الله) هذا أصلها في العبرية (ألوهيم) كما قلنا بمعنى اله أو أي قوي من البشر ترجموها في هذا المزمور بلفظ (الله) وقد وردت هذه الكلمة عينها في سفر أشعياء ٩ : ٦ فترجموها بلفظ (اله) كما سبق والفرق بين لفظ (الله) بالتعريف وبين لفظ (اله) بدونه لا يخفى على لبيب

هنا في العبرية (ألوهيم) ويطلق أيضا على القوي من أفاضل البشر وقد بينا لك فيما سبق أن موسى سمي (إلها) وكذلك غيره فلا حاجة للتكرار والذي يدلك على أن المراد بهذا اللفظ ليس الاله الحقيقي قوله بعد ذلك ٧ (مسحك الله إلهك) والاله الحقيقي لا إله له على أن هذا المزمور هو قطعا في حق محمد صلى الله عليه وسلم بدليل ذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم فيه التي لا تنطبق على المسيح كقوله ٣ (تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ٥ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ٩ بنات ملوك بين حظياتك ١٦ يكون بنوك نقيمهم رؤساء في كل الارض إلخ إلخ) والمسيح لم يكن له سيف ولا نبل ولا نساء ولا بنون ويجوز أن يكون سقط من الكاتب لفظ (عبد) قبل لفظ (الله) سهوا كما يعترفون هم في كثير من المواضع التي وقع فيها خطأ الكاتب كما ستعرف

(٧) قال داود عليه السلام مز ١١٠ : ١ قال (الرب لربي اجلس عن يميني) ولا يخفى أن لفظ الرب يطلق في اللغات التي نعرفها على السيد فكذلك ههنا المعنى (قال الرب لسيدي) كما في حاشية الكتاب المقدس للبروتستنت وكما ترجمها الكاثوليك في نسخهم وهذا أمر معروف فلا حاجة لذكر شيء من شواهده هنا ولذلك قال قاموس الكتاب المقدس للدكتور (بوست) « إنها تستعمل أحيانا بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والاكرام »

هذا وقول اليهود ان هذا المزمور هو لداود معناه عندهم انه في حقه كما يقولون إن مزمور (٧٢) هو لسليمان ويريدون انه هو المقصود به وأنه في حقه لا أنه هو قائله

أما قائل هذا المزمور (١١٠) فهو (على قول كثير منهم) أحد أتباع داود يقصد به داود نفسه وحربه مع أعدائه وانتصاره عليهم . وفي قول آخر لهم إن قائله اليعازر الدمشقي خادم ابرهيم عليه السلام (تك ١٥ : ٢) وأنه يريد به ابراهيم سيده حينما حارب الملوك الخمسة وكسرهم

وعليه فقول النصارى إن اليهود تعترف ان قائل هذا المزمور هو داود كذب عليهم . ويوجد مزامير أخرى كثيرة لا يعرف من الذي قالها ويقال إن موسى هو القائل للمزمور التسعين فليست جميع المزامير لداود ولم تؤلف كلها في زمنه كما يتوهم

الجاهلون بل منها ما كتب قبله و بعده بسنين (راجع قاموس بوست م ١ ص ٥١٣ ـ ٥١٦)

وللمسلمين ان يقلدوا المسيحيين ويقولوا في هذه العبارة انها في حق محمد صلى الله عليه وسلم فانها كأغلب نبوات العهدين ليست نصا في شيء معين بل هي مبهمة ويمكننا حملها عليه بأحسن مما يفعلون

فاذا تذكرنا أن محمدا أحيا دين ابراهيم وسماه أبا للمسلمين وأوجب عليهم تعظيمه وأن يصلوا على نبيهم محمد كما صلى الله على ابراهيم الذي يتبعونه في ملته واسلامه لله ـ اذا تذكرنا ذلك تجلى لنا مغزى قول داود فيما بعد مز ١١٠ : ٤ (أنت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق) فان ملكي صادق كان أطعم ابراهيم وسقاه وباركه وأكرمه (تك ١٤ : ١٨ و ١٩) فكأن حب محمد وتعظيمه لابراهيم هو كحب ملكي صادق واكرامه له ولذلك تجد المسلمين يذكرون ابراهيم دون غيره من الانبياء في كل صلاة من صلواتهم الكثيرة في كل يوم

ولا يخفى أن الكاهن عند أهل الكتاب هو الذي يرأس الحفلات الدينية الخاصة بالعبادة ولما كانت أهم عبادة للقدماء هي تقديم القرابين والضحايا كان الكهنة يساعدون الناس في تأدية هذه الفروض الدينية فيرشون دم الذبائح على المذبح ويحرقون المحرقات والقرابين وقد يذبحون لهم بعض الذبائح أيضا وان كان الذبيح في الغالب هو الشخص المقرب نفسه

وزيادة على ذلك كان الكهنة ينظرون في بعض مصالح العباد ويفسرون لهم الشريعة ويفتونهم ويقضون بينهم في بعض المسائل ويرشدونهم الى كيفية تأدية عباداتهم

فالكاهن اذاً هو عبارة عن إمام لهم في عباداتهم ورئيس لهم في دينهم ومعلم ـ ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو رئيس المسلمين وامامهم الاعظم فكان يعلمهم الدين ويقضي بينهم وينظر في جميع مصالحهم ويرأسهم في عباداتهم ويأتمون به في جميع صلواتهم وفي حجهم ويخطب فيهم في أيام أعيادهم وجمعهم وموقفهم بعرفة ويقلدونه في ضحاياهم وذبائحهم ويقتدون به في كل شيء وهو الذي أحيا فيهم سنن ابراهيم في الحج والذبح وغيرهما وكان كما رواه داود يضحي عن نفسه وعمن لا

يضح من أمته وهم الفقراء فلهذا كله كان صلى الله عليه وسلم هو كاهنهم الاعظم وكل امام لهم غيره انما هو نائب عنه فهو امامهم في كل مكان وزمان و بمثل تعبيرهم هو كاهنهم الاعظم الى الابد فهو رئيس وكاهن ومعظم لابراهيم ومحب له كملكي صادق من كل وجه

ولا شك أن المسيح كان أقل درجة من محمد في كل تلك الوظائف الكهنوتية السابقة ولم يكن له من الشأن في قومه مثل ما لمحمد فلذا كان محمد أولى بالتشبيه بالكاهن (١) من المسيح عليه السلام

واذا لاحظنا أن صلب المسيح المزعوم لم يكن برغبته ولا بارادته كما سبق بيانه (في مقالة القرابين والضحايا) وسنزيد ذلك ايضاحا أعني انه لم يقرب نفسه باختياره . ولم يعمل أي عمل أثناء صلبه من أعمال الكهنة في القرابين كالاحراق ورش المذبح بالدم فهو لم يمتز في هذه المسألة بشيء عن محمد عليهما السلام بل هو فيها لم يكن بكاهن مطلقا بل كان نفس (القربان) ولذا تسميه كتبهم و يسمونه (الخروف المذبوح) (راجع مثلا سفر الرؤيا ٥ : ١٢) وشتان ما بين القربان نفسه و بين الكاهن ففي حادثة الصلب كان اليهود والرومانيون مقربوه أحق باسم الكاهن منه . فان قيل انهم ما كانوا يقصدون تقريبه لله قلت وكذلك هو ما كان راغبا في ذلك القربان وكان يود أن يعتق منه بخلاف محمد وأصحابه فانهم كانوا يدخلون القتال وكانوا يتمنون أن يستشهدوا في سبيل الله وفي سبيل هداية الناس وانقاذهم من الضلال (راجع الفصل الثالث) وعليه فالتشبيه بالكاهن و بملكي صادق غير منطبق على المسيح تماما كانطباقه على محمد عليهما السلام

وقول داود في هذا المزمور ١١٠ : ٢ (يرسل الرب قضيب (أو صولجان) عزك من صهيون) وهي أورشليم معناه أنه يخرج الصولجان منها و يبعثه اليه في بلاده وهو كناية عن نقل الملك والوحي والنبوة من اليهود والنصارى الى محمد صلى الله

(١) الكاهن المراد به في هذا الكتاب هو المعروف عند النصارى واليهود لا كاهن العرب الذين يزعم اتصاله بالجن ويخبرهم عن المستقبل مدعيا علم الغيب

عليه وسلم وأمته التي قال فيها المسيح لليهود كما في متى ٢١ : ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم و يعطى لامة تعمل أثماره)

وقول داود بعد ذلك ٥ و٦ « الرب عن يمينك يحطم في يوم زجره ملوكا. يدين بين الامم . ملأ جثثا أرضا واسعة سحق رؤوسها » اشارة واضحة لحروب النبي صلى الله عليه وسلم وانتصاراته الباهرة على أعدائه وهي لاتنطبق على المسيح

فأنت ترى مما تقدم أن محمدا أولى بهذا المزمور من المسيح ولكننا نحن المسلمين ولله الحمد في غنى عن مثل هذه البراهين ولذلك لانعبأ بها كثيرا كما تفعل النصارى لشدة احتياجهم وفقرهم اليها وانما اطلنا الكلام هنا فيها مجاراة لهم لعلهم يرشدون

(٨) قال أرميا ٢٣ : ٥ (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقا وعدلا في الأرض ٦ في أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذي يدعونه به « الرب برنا ٧ لذلك ها أيام تأتي يقول الرب ولا يقولون بعد حيّ هو الرب الذي أصعد بني اسرائيل من أرض مصر ٨ بل حي هو الرب الذي اصعد وأتى بنسل بيت اسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الاراضي التي طردتهم إليها فيسكنون في أرضهم »

فالظاهر من هذه العبارة أن المراد بها نحميا كما سبق بيانه وهو الذي كان أعظم من حكم أورشليم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود بعد تمام عمارتها الذي كان في عصره بنائه لسورها وفي أيامه رجع إليها جمهور المسبيين من بابل وسكنوا في أرضهم ومعنى اسمه (نحميا) (من يعزيه الله) وكان أيضا يسمى (الرئيس) فكلمتا (الرئيس نحميا) تقرب من كلمتي (الرب ـ أي السيد ـ برنا) في المعنى فكأنه قال (السيد الذي به تعزيتنا وصلاحنا) وعدم انطباق هذه العبارة على المسيح عيسى عليه السلام ظاهر فيها من أولها إلى آخرها إذ لم يأت في زمنه بنو اسرائيل من بابل إلى أرضهم وعلى فرض أنه هو المراد بها فليس في هذا الاسم شيء يدل على ألوهيته فاذا كان معناه (هو الرب وهو برنا) أي (هو السيد وهو برنا) فالأمر ظاهر . وإن كان المعنى أنه يسمى بهذه الجملة

(الرب برنا) فمن سمي بالجمل الآتية لم يكن إلهاً فمن باب أولى من سمي بهذه فمن بني اسرائيل من سمي (يهو صاداق) أي (الله يبرر) يوئيل (يهوه الله) أليهو (الله هو أي يهوه) يواخ (يهوه أخ) ياهو (هويهوه) أليشع (الله خلاص) يشوع (الله يعين) يازيز (من يحركه يهوه) (يهوه شمه) وهو اسم أورشليم ومعناه (يهوه هناك) ويهوه هو اسم الله بالعبرية والاسمان الاخيران أدل على الحلول الالهي من اسم عمانوئيل السابق الذي معناه (الله معنا)

وهذه هي طريقة اليهود في كثير من اسمائهم كما تقدم (١) ويشوع بمعنى (الله يعين) هي (عين يسوع) اليونانية (وعيسى) العربية وهو اسم لكثير من اليهود قبل المسيح وبعده كما قلنا فهو ليس خاصا به ولم يكن من سمى به إلها ولا مخلصا بموته من الآثام على أننا لا ننكر أن المسيح عليه السلام كان (منقذا من الضلالة) (منجيا من الغواية) (مخلصنا من الشيطان) (مرشدا للهداية ولعبادة الرحمن)

هذا وقد قال أرميا أيضا في الاصحاح الثالث والثلاثين في حق أورشليم مايأتي ١٦ (في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ماتتسمى به (الرب برنا) فهنا أيضا سمى أرمياء أورشليم (الرب برنا) فعلى قول النصارى تكون إلهة !! ان أمر النصارى والله لعجيب !!

(١) حاشية : يحتمل أن الاصل العبري لعبارة أشعياء المذكورة في صفحة ٤٤ أن المولود يسمى بهذه الجملة (الله قدير) كما سمي بمثلها غيره هنا والتشابه بين هذا الاسم (الله قدير) وبين اسم (حزقيا) ومعناه (قوة الله) لا يخفى على بصير وهذا مما يؤيد تفسير اليهود لهذه العبارة ولعل النصارى حرفت الترجمة أو حصل تحريف في الاصل العبري من الكاتب سهوا أو قصدا (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب) وقول أشعياء في آخر نبوءته هذه ٩ : ٧ (من الآن الى الابد) يشعر بأن هذا الامر قريب الحصول وأنه يقع في زمن أشعياء نفسه وقد كان ذلك فقد ولد (حزقيا) لآحاز ملك يهوذا في مدة أشعياء النبي وبشر أشعياء حزقيا أيضاً بإطالة الله تعالى لعمره (١٥) سنة كما في (٢ مل ٢٠ : ٥ و ٦) وانما لم يبق الملك الى الابد في نسله كما أنبأ أشعياء لعصيان اليهود وخروجهم عن طاعة الله تعالى وكفرهم وعبادتهم الاصنام (راجع اصحاح ٢١ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ من سفر الملوك الثاني) وقد بينا ذلك في صفحة ٤٦ من هذا الكتاب (راجع أيضا سفر أخبار الايام الثاني ٧ : ١٨ — ٢٢)

فأي شيء من هذه الاسماء يدل على الالوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(٩) قال دانيال ٧ : ١٣ (كنت أرى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه ١٤ فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والامم والالسنة . سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض) فهذه البشارة لا يوجد فيها شيء يدل على أنها خاصة بالمسيح عليه السلام أما قوله فيها (ابن الانسان) فكل الناس أبناء الانسان راجع مثلا الترجمة الانكليزية لسفر أشعيا (٥٢ : ١٤) وكذلك حزقيال سمي فيها (ابن الانسان) في كثير من المواضع من كتابه وسمي في الترجمة العربية (ابن آدم) وكذلك قال أيوب ٢٥ : ٦ (فكم بالحري الانسان الرمة وابن آدم الدود وفي الانكليزية وابن الانسان) وفي المزمور الثامن : ٤ (فمن هو الانسان حتى تذكره وابن آدم « الانسان » حتى تفتقده) . وفي سفر العدد ٢٣ : ١٩ (ليس الله انسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم) وقال أشعيا ٥١ : ١٢ (أنا أنا هو معزيكم . من أنت حتى تخافي من انسان يموت ومن ابن الانسان الذي يجعل كالعشب) وعلى فرض أن هذا اللقب خاص بالمسيح يسوع أفلا يدل على أن المراد باختصاصه به أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس على انه ليس إلها ولا ابن إله (بالمعنى الحقيقي) كما يزعمون ؟ ومن راجع انجيل يوحنا (اصحاح ١٠ : ٣١ ـ ٣٨) في محاورة المسيح مع اليهود في اطلاق لفظ (ابن الله) عليه وجد ان المسيح يعترف انه أطلق عليه لانه أولى به ممن أطلق عليهم اسم آلهة لانه رسول من الله عظيم مؤيد بالمعجزات الباهرة ومنه يفهم أن اطلاقه عليه هو من باب اطلاق اسم آلهة عليهم لا أنه حقيقة ابن الله تعالى عن ذلك وجل شأنه

ومما يدلك على بطلان قول النصارى بألوهية المسيح ما جاء في سفر أخبار الايام الثاني ٦ : ١٨ وهو قوله (لأنه هل يسكن الله حقا مع الانسان على الارض هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيت)

ثم ان قول دانيال (وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا الخ) يدل على أن الله تعالى هو الذي أعطاه هذه الاشياء فهي ليست له

من ذاته وعليه فهو ليس إلها حقيقيا اما قوله (لتتعبد له كل الشعوب) فالمراد به التخضع والتطيع والتقاد قال في سفر القضاه ٣: ١٣ (فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك مواب ثماني عشرة سنة) أي خضعوا له . وفي سفر التكوين ٤٤: ١٨ (ثم تقدم يهوذا وقال استمع ياسيدي . ليتكلم عبدك كلمة الى قوله ١٩ سيدي سأل عبيده) . وفي سفر القضاة ٨: ١٤ (وكان جميع الادوميين عبيدا لداود) أي خاضعين له . وفي الترجمة الانكليزية تستعمل كلمة عَبدَ (Serve) بمعنى (خَدَمَ) أيضا وجاء في سفر أرمياقوله في بختنصر ٢٧ : ٧ (فتخدمه كل الشعوب) وهي عين الكلمة المترجمة في العربية في بعض المقامات الاخرى (بتتعبد) كقول داود في سليمان ابنه مز ٧٢ : ١١ (كل الامم تتعبد له) او تخدمه والمعنى تنقاد وتخضع له . وفي القرآن الشريف (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني اسرائيل) أي استعبدتهم . أما قوله (ان سلطانه سلطان أبدي مالن يزول وملكوته مالاينقرض) فالمسلمون يسلمون ذلك ويقولون ان عظمة المسيح عليه السلام وسلطانه على النفوس والقلوب لن يزول أبدا ولذلك قال تعالى في القرآن الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) كما تقدم فاتباع المسيح من النصارى أو اتباعه الحقيقيين من المسلمين هم فوق الذين كفروا به (وهم اليهود) إلى يوم القيامة (*)

(*) استدراك : فاتنا أن نذكر وجها آخر لتفسير عبارة دانيال في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب وهي قوله ٩ : ٢٦ (وبعد اثنين وستين اسبوعا يقطع المسيح وليس له) فقوله يقطع أصله العبري ينقطع وقد ورد مثله في سفر أرمياء (راجع أصحاح ٣٣ منه عدد ١٧ و ١٨) والمراد بذلك أنه بعد ٦٢ سنة يموت يحيا وبموته ينقطع جلوس أحد من بيت داود على كرسيه ويزول الملك من نسله فلا يكون منه مسيح على اليهود (انظر أيضا مزمور ٨٩) وقد كان ذلك . فلم يتول عليهم أحد من نسل داود بعد (يحيا) فانقطع مسيحهم

ولم يكن زوال ملكهم لذنب فعله يحيا البار بل لما أتاه قومه ويأتونه من المنكرات والذنوب والآثام (راجع مثلا ح ١٣) فهي التي انقطع بسببها جلوس ابن لداود مسيحا عليهم ومحت كل أثر من آثار ملكهم ولذلك قال دانيال (ينقطع المسيح (أو ينقطع) وليس له) أي ان انقطاع مسيحهم وانقراض ملكهم ليس لاجل فعل (يحيا) نفسه بل بسبب أفعالهم السيئة ومعاصيهم ونقضهم لعهد الله كل حين وآخر كما قال أرميا ٣٣: ٢٠ و ٢١ (ان نقضتم عهدي..... فان عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكا على كرسيه) ولولا ذلك لوجد يحيا أو غيره نسل يملكهم ولبقي فيهم كرسي داود الى الابد

هذا اذا سلم أن هذه البشارة هي في حق المسيح والصواب أنها في حق محمد صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه كل هذا الاصحاح السابع من سفر دانيال (راجع كتاب فتح الملك العلام في بشائر دين الاسلام) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا فلذلك سماه (ابن انسان) وليست هذه العبارة خاصة بالمسيح كما تقدم ولذلك قال القرآن له (قل إنما انا بشر مثلكم) و بتعبير كتبهم انسان أو ابن انسان مثلهم وفي قوله (في رؤيا الليل ومع سحاب السماء) إشارة صريحة إلى معراجه الروحاني (فانه كان في رؤيا الليل) (١) وقد أوتي فيه سلطانا ومجدا وشرعا وملكوتا تتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . وسلطانه أبدي لا يزول ولو كره الكافرون صلى الله عليه وسلم

(١٠) قال ملاخي في كتابه عن الله ٤ : ٥ (ها أنذا أرسل إليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف) والمراد بيوم الرب يوم القيامة فانه هو اليوم العظيم المخيف وأما يوم المسيح فلم يكن كذلك ولم يخف منه أحد بل أخذ على قولهم وقتل وصلب . واذا سلم جدلا أن المراد به يوم المسيح فلفظ الرب كما قلنا يطلق على السيد

على أن إيليا لم يأت الآن وأما يوحنا الذي يقولون إنه جاء بروح إيليا (أي على طريقته ومثاله) (لوقا ١ : ١٧) فهو ليس إيليا الحقيقي كما قال هو عن نفسه (يو ١ : ٢١) والظاهر من عبارة ميخا أنه يريد مجيء إيليا الحقيقي قبل يوم القيامة . فلننتظر ! !

هذا كل ما يستشهدون به على ألوهية المسيح من العهد القديم وقد أريناك ما فيه وقبل ترك هذا الموضوع نسأل النصارى : —

لماذا لم يشرح المسيح ولا تلاميذه في الاناجيل عقائدكم شرحا مفصلا وافيا كما تفعلون أنتم في كتبكم الآن ؟ وما هذا التدرج في نشوءها الذي نراه فيها في العهد الجديد كما سبقت الاشارة إليه وإذا كان المسيح عليه السلام باعتبار ناسوته بشرا مثلكم وكان يعبد الله كثيرا ويصوم له طويلا ويدعوه

(١) حاشية : في اعتقادنا أن المعراج كان روحانيا لا جسدانيا

ليلا ونهارا فلماذا تعبدون ناسوته مع لاهوته (١) وما الفرق بينكم وبين من عبد غير الله وعبدَ عبادَ الله أو الاصنام أو الالهة الباطلة المنهى عن عبادتها في كتبكم من أولها إلى آخرها ؟ وإذا كانت ذات الآب (أو جوهره كما تعبرون) لم تحل في المسيح ولم تتحد به فكيف حل الابن مع أن ذاته هي عين ذات الله التي لا تقبل التفرق ولا الانقسام ؟ ولماذا قام جسد المسيح من الاموات ؟ ولماذا لم ير نفسه الكابرين من اليهود وغيرهم ؟ وأين هو الآن وماذا يفعل ؟ وهل وجود جسده الآن ضروري للعالم أو غير ضروري فان كان ضروريا فما فائدته ولِمَ لَمْ يكن ضروريا منذ الازل . وإن كان غير ضروري فلماذا أقامه الله من الأموات وما حكمة ذلك وهو لم يره إلا المؤمنون به من قبل كما يدعون (٢) ؟؟ وهل يبقى لاهوت الابن متحدا به إلى الأبد أم

(١) هذا الكلام موجه للبروتستنت والكاثوليك الذين يعتقدون انه انسان كامل والله كامل ومع ذلك يعبدونه كله لا نصفه

(٢) حاشية : جاء في انجيل متى ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠ ان اليهود طلبوا من المسيح عليه السلام معجزة (فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي لانه كما كان يونان في بطن الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال) وجاء ايضاً في هذا الانجيل ١٦ : ١ ـ ٤ ان الفريسيين والصدوقيين جاءوا اليه ليجربوه وطلبوا منه آية فأجاب (جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى) فبقطع النظر عن كون المسيح لم يمكث في بطن الارض كل هذه المدة المذكورة هنا بل مكث يوما وليلتين فقط نجد أن المسيح لم يظهر هؤلاء الناس الذين طلبوا منه آية مع انه أخبرهم انهم ان يروا منه سوى هذه المعجزة وحيث انهم لم يروها ولم يعطوا غيرها كما قال لهم فيستفاد من هذه العبارة أن المسيح ما أتى بمعجزة ما كما هو ظاهر من قوله هذا فلولا أن القرآن شهد بمعجزاته لجاز للانسان أن يقول ان المسيح باعترافه نفسه لم يأت بالمعجزات ولا اظهر واحدة منها لخصومه فجميع ما ينسبه اليه تلاميذه في الاناجيل بعد ذلك من الآيات هو كذب في كذب

على أن ظهور هذه الآيات ليست بحسب كتبهم دليلا على صحة النبوة لانها قد تظهر على أيدي الكذابين والدجالين . جاء في سفر التثنية ١٣ : ١ ـ ٥ أنه اذا ادعى شخص النبوة ودعا لعبادة غير الله وأظهر معجزة أو آية فهو مع ذلك كاذب ويجب قتله . وقال المسيح كما في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم) وقال أيضاً كما في متى ٢٤ : ٢٤ (لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا)

يفارقه ؟ فان كان باقيا فيه إلى الابد فلماذا ذلك ؟ وإن فارقه فاين يذهب (الانسان الكامل) وهل تعبدونه بعد ذلك أم ماذا ؟ وما الداعي إلى هذا كله ألأجل آدم وبنيه يبقى رب العالمين مقيدا في هذا الجسد إلى أبد الآبدين !! مع أن الارض وما عليها ليست الا ذرة من ذرات هذا الكون العظيم الكبير (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ياإهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل . لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم (١) ذلك بما عصوا

= ومما سبق يتبين لك الامور الاتية : —

(١) ان المسيح باعترافه لم يأت الا بآية واحدة لم يرها أحد ممن وعدهم بها فكانه لم يظهر للناس أي معجزة كانت

(٢) لولا القرآن لما صدقنا جميع ما روي عنه من الايات والمعجزات ولقلنا انها أكاذيب واختراعات كما يقولون هم فيما يرويه المسلمون من المعجزات لنبيهم

(٣) ان المعجزات كثيرا ما تظهر على أيدي الانبياء الكذبة والدجالين لاضلال الناس كما هو نص التوراة والانجيل

(٤) لو صح قول النصارى لكان عيسى داعياً لعبادة نفسه وكل من دعى لعبادة غير الله فهو كنص التوراة كاذب ويجب قتله ولو أتى بالمعجزات والايات فاياك اذا اعترف أنه لم يأت بها

(٥) ان كثيرين سيقومون بعد المسيح ويتنبأون باسمه ويصنعون عجائب وآيات كثيرة ومعجزات باسمه أيضا ومع ذلك هم كما قال عليه السلام كذبة دجالون ملعونون فكيف بعد ذلك يمكننا الايمان بتلاميذه ويصدق بولس؟

فيا أيها المبشرون أنتم تدعون المسلمين اترك دينهم وكتابهم والكفر برجم ونبيهم فهل بعد ذلك أعددتم لهم براهين لاقناعهم بصدق مسيحكم فضلا عن صحة ألوهيته ؟ فاذا كذب المسلمون القرآن فبأي شيء تقنعونهم بصدق المسيح وصدق تلاميذه ؟ وهم يروون عن نبيهم وعن اوليائهم أضعاف ما تروون من المعجزات للمسيح ولتلاميذ « الرسل » !! على أن المسيح اعترف بانه لم يأت بالمعجزات واذا سلم أنه أتى بها فهي ليست دليلا على الصدق كما قال. ومن ادعى الالوهية وجب قتله كنص التوراة ولو أتى المعجزات فبماذا اذن تقنعون المسلمين اذا هم رفضوا دينهم كما ترجون ؟ أبنبوات العهد القديم وقد أظهرنا لكم بطلانها وأنها ليست نصافي المسيح دون غيره وبماذا تثبتون لهم صحة هذه الكتب وصدق انبيائها بعد ما علموا أن المعجزات والنبوات ليست دليلا على صحة النبوة وكثيرا ما تخترع للناس وتنسب اليهم كذباً فاتقوا الله أيها النصارى في عقولكم وفي دينكم فانكم بمحاربتكم الاسلام تحاربون دينكم أيضا فانتم ساعون الى حتفكم بظلفكم وذلك جزاء الظالمين

« ١ » راجع مثلا انجيل متى ٧ : ٢٢ و ٢٣

وكانوا يعتدون) (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

﴿ تذييل لهذا الفصل ﴾

يحتج النصارى على المسلمين بقوله تعالى « وأيدناه (أي المسيح) بروح القدس » زاعمين أنها تدل على ألوهيته ونقول قد قال القرآن أيضا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ذلك وهو قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) بل قال أيضا في حق المؤمنين جميعا (وأيدهم بروح منه) وهو (إذا صح قول النصارى) أدل على الألوهية من قوله (وأيدناه بروح القدس) فانه لم يقل إن روح القدس هذه هي من الله

أما قول القرآن هذا فقد ورد مثله في العهد الجديد فقال إن الروح نزلت على المسيح كالحمامة واستقرت عليه (يو ١ : ٣٢) وقال إن ملكا نزل من السماء ليقويه (لو ٢٢ : ٤٣) وأن الروح القدس نزل على التلميذ بعده (أع ٢ : ٣ و ٤)

فاذا كان المسيح عليه السلام إلها كاملا وإنسانا كاملا كما يقولون وأقنوم الابن متحدا به وهو الله عندهم فأي حاجة بعد ذلك لنزول روح القدس عليه ولماذا لم يقم الروح بوظيفته فيه بدون حلول كما كان يقوم بها في الاب بعد حلوله في الابن واذا كان أقنوم الابن واقنوم روح القدوس متحدين به ولم يكفيا لتقويته فهل الملك الذي نزل عليه (لو ٢٢ : ٤٣) كان أقوى من هذين الاقنومين الالهيين المتحدين به ؟ والا فما معنى قول لوقا ان الملك نزل عليه لتقويته ؟ وهل بعد ذلك يكون المسيح الها وهو محتاج لتقوية هذا الملك ؟ وهل لا يدل ذلك على أن كلا الابن وروح القدس ليسا أقنومين الهيين ولذلك احتاج ناسوت المسيح مع وجودهما فيه لنزول هذا الملك عليهما مقويا له ؟ أم يقولون ان هذا الملك كان أقوى من الله تعالى ولذلك نجح في تقوية المسيح دون الاقنومين الالهيين اللذين احتاجا اليه

لتقويته معهم ؟ انى والله لا أفهم ولا يمكن لعقلي الضعيف أن يدرك هذه الاقوال المتناقضة المتضاربة ! !

ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم حكمة قول القرآن الشريف (وأيدناه بروح القدس) لينبه النصارى الى هذه المسألة وهي مذكورة في كتبهم كما بينا . فكأنه يقول (إنكم تسلمون أنه مؤيد بروح القدس كما في كتبكم فكيف بعد ذلك تقولون إنه إله أو إبن الله مع اعترافكم أن الروح القدس نزلت عليه فهل أقنوم الابن الذي فيه من قبل لم يكن كافيا ؟ وإذا كان المسيح إلها بوجود هذين الاقنومين الالهيين فيه فكيف بعد ذلك يحتاج لتقوية الملك ؟ فهل الله يحتاج لتقوية عبيده له ؟ وإذا كان ناسوته محتاجا فهل لم يكفه وجود الاقنومين الالهيين المتحدين به ؟ وإذا كان وجود روح القدس فيه يدل على أنه إله فلماذا لم تصر الحواريون أيضا آلهة وهم ممتلؤن منه (أع ٢ : ٤) ؟ وإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الناس لايجعلهم آلهة فلماذا صار المسيح إلها لحلوله فيه ولماذا يعبد ناسوته مع لاهوته ولا تعبد أيضا تلاميذه الممتلؤن من روح الله ؟ الحق أن كل محتاج لايكون إلها فلا الابن إله لانه احتاج لروح القدس ولا الروح إله لانه احتاج للملك ليستعين به على تقوية المسيح فالكل ليسوا آلهة) وعليه فقول القرآن الشريف هذا مبطل لقول النصارى من أوله الى آخره ولذلك تكررت هذه العبارة فيه في حق عيسى عليه السلام ولم تذكر بهذا اللفظ في حق غيره من الانبياء عليهم السلام (١)

« ١ » حاشية : ـ يحار بعض الناس لعدم ذكر القرآن أسماء الانبياء فيه مرتبة بحسب ازمنتهم أو درجاتهم أو منازلهم عند الله كما في سورة النساء المدنية « ٤ : ١٦٣ و ١٦٤ » وكما في سورة الانعام المكية « ٦ : ٨٤ ـ ٨٦ »

والسبب في ذلك والله أعلم أن القرآن جاء للقضاء على خصلة سيئة في البشر وهي أنهم كثيرا ما يتشاجرون ويتغاضبون للخلاف في بعض مسائل تافهة وأشياء صغيرة ما كان يليق بالعقلاء أن تكون سببا للنزاع بينهم لانها ليست من جوهر الامور بل من عرضها

فمن هذه المسائل تفضيل بعض النبيين على بعض والتنازع في ذلك لدرجة أخرجت الدين عن المراد منه فبعد ان كان الدين يراد به التوفيق بين الناس صار اعظم سبب للتفريق بينهم فمن الناس من يظن ان السبق في الزمن أو التأخر فيه أو كثرة المعجزات أو كثرة الاتباع أو سعة =

ولتعلم النصارى أن روح القدس المذكور في القرآن المراد به الملك جبريل كما يفهم من مجموع هذه الآيات (من كان عدوًا لجبريل فانه نزله على قلبك) الآية وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك) وقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) ومعنى روح القدس الروح الطاهرة وهو جبريل ملك الوحي والالهام الإلهي (انظر دا ٨ : ١٦ و٩ : ٢١ ولو ١ : ١٩ و٢٦) وهو عبد من عبيد الله الواحد الاحد تعالى الله عما يشركون

أما قول النصارى ان روح القدس هي الاقنوم الثالث أو هي الله وأنها تشكلت بصورة حمامة (متى ٣ : ١٦) فلا أدري كيف يتفق ذلك مع قولهم ان السموات والارض لا تحصره تعالى ولا تحيط به وأنها كلها في قبضة يده. راجع سفر أخبار الايام الثاني ٦ : ١٨ وقول سفر التثنية ٤ : ١٢ (فكلمكم الرب من

= الملك اونحو ذلك سبب في اكرام بعض النبيين والحط من قدر البعض الآخر منهم والتفريق بينهم

فالقرآن الذي علم المؤمنين ان يقولوا « لا نفرق بين احد منهم » لم يرد ان يذكر النبيين بحسب اي ترتيب كان مما قد يتخذه بعض ضعاف العقول سببا في تفضيل بعضهم على بعض ليرشد المسلمين بذلك الى انه لا يليق بهم ان يتنازعوا مع غيرهم او بعضهم مع بعض في مثل هذه المسائل الصغيرة والمباحث العقيمة بل يجب عليهم أن يتركوا ادانة الخلق والحكم عليهم لخالقهم مالك يوم الدين وحده فهو أعلم بقدر عباده وبضمائرهم وسرائرهم وأعمالهم ظاهرة وباطنة وسيجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ألا ترى أن يحيى (يوحنا) الذي يظنه الناس نبيا صغيرا قال فيه عيسى انه لم تلد النساء نبيا أعظم منه (لوقا ٧ : ٢٨)

فتأدبا مع الله ومع انبيائه ورفعا لسبب من اسباب الشقاق والتباغض والتنافر بين الناس وترفعا عن سفاسف الامور تجد القرآن الشريف يذكر الانبياء بدون أي ترتيب بل اذا كرر ذكرهم قدم واخر في أسمائهم حتى لا يفهم احد من ذكرهم أي وجه لتفضيل بعضهم على بعض ولو امكن النطق بأسمائهم جميعا دفعة واحدة لفعل ذلك بدلا من ذكر بعضهم معطوفا على بعض بالواو وان كانت لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا فمكان الغرض وضعهم جميعا في مستوى واحد بلا تفرقة بينهم

وقد جرى محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الادب العالي الذي جاء به القرآن فنهى الناس عن تفضيل بعض الانبياء على بعض فقال كما رواه القاضي عياض في الشفاء (لا تفضلوا بين الانبياء) وروى عنه أنه قال (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)

نعم قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ولكن هذا شيء مما اختص بعلمه نفسه تعالى ولم يعلمنا به أو يرشدنا اليه لكي يزول من بيننا سبب من اسباب الشقاق والنزاع فان الدين جاء للتوفيق لا للتفريق بين عباد الله

وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا .....
١٥ فاحتفظوا جدا لانفسكم . فانكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب .....
١٦ لئلا تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى
١٧ شبه بهيمة ما مما على الارض شبه طيرما ذي جناح مما يطير في السماء) الخ الخ
ومع ذلك فقد عبد النصارى صورة الحمامة وصورة الثالوث كله وصور أخرى كثيرة ولا يزالون يعبدونها الى الآن الا طائفة منهم ظهرت منذ زمن غير بعيد مستنيرة بنور الاسلام. فانظر وتعجب لميل هؤلاء الناس الى الوثنية كما قلنا من قديم الازمان

﴿ العالم الاسلامي اليوم ﴾ (*

بلاد الترك العثمانية :

وضع القسيس (أناتوليكوس) تقريرا في هذا الموضوع لخص فيه أعمال وحركة التبشير في بلاد التركالعثمانية ولم يتوسع في تقريره لان هناك أسبابا سياسية وغير سياسية تمنعه من ذلك .

ومما قاله: ان الكتاب المقدس راجت نسخ ترجمته التركية رواجا حسنا وهي تباع بالالوف . وبنى على ذلك أن الاتراك الذين يحترمون القرآن احترام القروي الكاثوليكي في أواسط أوربة للانجيل يعرفون قدر مطالعة الكتاب المقدس الخ

سورية وفلسطين

تقف في طريق تبشير هذه البلاد عقبات خاصة بعضها من الحكومة والبعض الآخر ناشئ عن حالة البلاد ووقفها الحاضر ، فسورية وفلسطين مملوءتان بالمذاهب المختلفة وللدين فيهما ارتباط بالسياسة ، وأهم الوسائل التي يستخدمها المبشرون لتذليل هذه الصعوبات هي :

١ ـ توزيع نسخ الكتاب المقدس

(*) تابع لما نشر في الجزء الخامس ص٣٦٩ من مقالات المنار على العالم الاسلامي

٢ ـ التبشير من طريق الطب ـ لان ذلك في مأمن من مناوأة الحكومة له، والمسلمون يلجأون بأنفسهم الى مستشفيات المبشرون وصيدلياتهم

٣ ـ الاعمال التهذيبية ، كالمدارس والكليات التي تقبل أبناء المسلمين ـ وكان في مدارس (صيدا) فقط في السنوات الاخيرة ٢٥٠ تلميذا من كل الطوائف فوصل عدد المسلمين في السنوات الثلاث الاخيرة الى ٩٨ بعد ان كانوا ٤٥ وهذه الزيادة ناشئة عن اقبال مسلمي مصر على مدارس المبشرين في سورية

٤ ـ الاعمال النسائية مثل زيارة المبشرات منازل المسلمين والقائهن المحاضرات الخاصة

٥ ـ توزيع الكتب والمؤلفات التبشيرية، وختم صاحب التقرير آراءه بقوله :

« اننا لو سئلنا عن نتائج مجهودات مبشري المسلمين بالنصرانية في سورية وفلسطين لانجد جوابا غير القول بأن الله وحده هو المطلع على مستقبل أعمالنا بين المسلمين وعلى نتائجها ، وان الله لم يبارك داود النبي لكثرة عدد قومه

« أجل اننا لو تصفحنا الاحصائيات يتبين لنا أن عدد المسلمين الذين تنصروا وتعمدوا هو عدد غير مسر وغير مرض ، الا أن هذا العدد مهما يكن قليلا بذاته فان أهميته أعظم مما يتصور المتصورون .

« وصفوة القول أننا حصلنا على نتيجة واحدة جوهرية وهي أننا أعددنا آلات العمل ، فترجمنا الانجيل ودربنا الوطنيين على مهنة التبشير ، وأتممنا تهيئة الادوات اللازمة وهي الكنائس والمدارس والمستشفيات والجرائد والكتب ، ولم يبق علينا الا أن نستعمل هذه الادوات

الجزيرة العربية :

قال وليم جيفورد بالكراف : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه ! »

قال مؤلف كتاب (العالم الاسلامي اليوم) : وقد أدرك أهمية هذه الفكرة القسيس (يانغ) صاحب التقرير عن التبشير في جزيرة العرب فجعلها نصب عينيه

في كل الاعمال . ولكننا نتساءل عما اذا كان قد حان الوقت للعمل بها وعما تكون نتيجة التبشير حينئذ ؟

وقد سبق للقسيس زويمر (رئيس ارساليات التبشير في البحرين) أن ألف كتابا سماه (مهد الاسلام) ـ وسيأتي الكلام على هذا الكتاب بعد ـ أتى فيه على تاريخ ارساليات التبشير في جزيرة العرب وما تطمع به هذه الارساليات وأشار بوجه خاص الى ارسالية التبشير العربية وهي البنت الممتازة لكنيسة الاصلاح الاميركية . ولها فروع أربعة أقدمها عهدا (جمعية تبشير الكنيسة) التي تفرع عنها فرع آخر في فارس سنة ١٨٨٢ وقد استقلت هذه الجمعية بأعمالها باسم (جمعية التبشير العربية العثمانية) ولها في بغداد أربع إرساليات وفي الموصل ارسالية واحدة.

وفي سنة ١٨٨٥ ذهب الى عدن (ايون كيث مالكونز) وهو الابن الثالث للكونت (كنتور) فأسس هناك ارسالية تبشير اسكتلندية سماها باسمه وهي مؤلفة من طبيبين مبشرين . وتبعتها (ارسالية التبشير العربية) التي أسست سنة ١٨٨٩ وهي تابعة لكنيسة الاصلاح الاميركية فانتشرت في البصرة والبحرين ولها في البحرين خمسة مبشرين ـ اثنان منهم طبيبان واثنان امرأتان ولها في البصرة أربعة مبشرين أحدهم طبيب

وفي (الشيخ عثمان) ارسالية تبشير دينمركية كان سلطان (مكلا) طردها من بلاده (١) وتوجد في الجزيرة ارساليات أخرى تمدها جمعياتها بالمال والاعانات

وانتقل المؤلف بعد هذا البيان الى ذكر النفقات الجسيمة التي تتكبدها ارساليات التبشير في جزيرة العرب ومما قاله ان مرتبات المبشرين والموظفين عندهم وبائعي كتبهم تساوي ثلاثة أضعاف مرتبات أمثالهم في الهند، ومما يخفف أمر هذه النفقات أن المبشرين في بلاد العرب اتخذوا لهم مراكز تمهد لهم سبيل التوغل في داخل الجزيرة . وكل الارساليات هناك على اختلاف نزاعاتها وأشكالها ومعاهدها الطبية والتهذيبية والادبية ترمي الى غاية واحدة

والمرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة الى مستشفيات المبشرين في

(١) التنبيه : الشيخ عثمان اسم مكان في تخوم عدن ، والمكلا ثغر في حضرموت شرقي عدن

(الموصل) و(بغداد) و(البصرة) و(البحرين) و(الشيخ عثمان) و(عدن) وعند ما يرحل الاطباء جاثمين في البلاد يبذرون في النفوس بذورا يمكن للمبشرين وبائعي الكتب ان يتعهدوها بعد ذلك وينمو غرسها

والتعليم المدرسي والتربية الاخلاقية اللذان يعنى بهما المبشرون قد أسفرا عن نتائج جمة وأثمرا ثمرات نافعة في الاطفال والمراهقين على السواء

قال القسيس زويمر : انه جمع تلاميذه المسلمين مرة ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الارضية ثم حول عليها نورا قويا وبرهن لهم بذلك على كون الامر بصيام شهر رمضان ليس آتيا من عند الله لانه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد ! ؟!)

وقال أيضا : ان المحاضرات التي يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحري والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام ـ كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستاني .

وقال المؤلف عن نتائج أعمال المبشرين في بلاد العرب : ان من المتعذر تعيين نتائج هذه الاعمال الخيرية ، الا أن مما يدعو الى الاغتباط والسرور أننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا في كل منطقة من مناطق التبشير . فالاوهام تبددت وحل محلها التسامح والاهتمام الحقيقي بالتعاليم النصرانية . وفي كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والكراسات والمجلات . ويهتم المبشرون الآن بإقامة مستشفى في الشيخ عثمان لانه بينما كان عدد المرضى الذين عرضوا أنفسهم على أطباء المبشرين يبلغ ٢٠٠٠ صاروا الآن ٤٠٠٠٠ (١)

مملكة فارس :

أنشأ القسيس (من كليفيلدال) تقريرا عن التبشير في فارس وهو لا يختلف عن التقارير المتعلقة بتبشير البلاد العثمانية من حيث قلة مادته

(١) المنار : تسمى العرب طبيب العين الموجود في الشيخ عثمان « المنوي » وكذلك تسمي الداعيات النصرانيات اللائي في عدن « المنويات »

بذلت ارساليات التبشير جهدها في بلاد فارس ونجحت في تبديد ما يعتقدونه في النصارى من أنهم مشركون بالله ويعبدون آلهة ثلاثة وهذا الاعتقاد وقر في نفوس المسلمين لما يشاهدونه في الكنائس الشرقية والكاثوليكية الا أنهم عادوا الآن فصاروا يفرقون بين الفرقتين النصرانيتين فظهر لهم أن البروتستانية خالية من الوثنية فارتاحوا لها(؟)

قال صاحب التقرير انه لما عين سنة ١٨٩٢ سكرتيراً لجمعية تبشير الكنيسة كان الاعتقاد السائد هو أنه يستحيل أن يتنصر المسلم ويتعمد الا اذا عرض نفسه للموت . ولكن الاضطهاد قد خف الآن وصارت أبواب فارس مفتوحة للمبشرين بالانجيل أكثر من غيرها . واكتسب المبشرون محبة الناس لهم بسبب الاعمال الطبية التي تصدر عن المبشرين فتجعل الاعداء أيضا يعترفون بأن النصرانية مصدر عمل صالح .(؟)

ومهما يكن عدد المتنصرين لا يزال قليلا فان هنالك جمعيات صغيرة مسيحية اندمج فيها المتنصرون الفارسيون من نساء ورجال ، وهذه الجمعيات الصغيرة منتشرة في كل مكان وصل اليه المبشرون . وفوق ذلك فان عدداً عظيما من المسلمين ينتمي الى النصرانية سرًّا ويقال ان بينهم من لا يتأخر عن اعلان نصرانيته عند ما تنتشر حرية الاديان في فارس .

والوسائل التي يتذرع بها المبشرون هنا هي الارساليات الطبية من نساء ورجال ورحلات المبشرين والاعمال النسائية . ورجال التبشير يتحككون بالمسلمين ويحاولون الحصول على مودتهم ويستخدمون فريقا منهم في مكاتب التبشير ويدخلون معهم في المناقشات الدينية الا انهم لا يجرحون عواطفهم . والهمة مبذولة بنشر الانجيل والتوراة وسائر كتب التبشير باللغة الفارسية وبالاعتناء بتعليم الذين تنصروا ولا يزالون في دور التجربة .

وأنكر القسيس زويمر على صاحب هذا التقرير اغفاله ذكر المدارس وما لها من التأثير إذ انها أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين . وقد قال أحد المبشرين : المدارس هي من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين وقد كان

عدد التلاميذ في المدرسة التبشيرية في طهران قبل سنتين فقط ٤٠ الى ٥٠ فصاروا الآن ١١٥ وكلهم يتلقون التربية النصرانية بكل اتقان . وكذلك الحال في مدرسة تبريز التي يديرها هذا القسيس فقد كان فيها ٣ تلاميذ من المسلمين ثم صاروا ٥٠ ومثل ذلك مدرسة أورمية فان فيها ٥٠ طالبا وفي مدرسة البنات ٣٥ تلميذة. وفي مدرسة البنات في طهران ٢٥ تلميذة

وأنكر مبشر آخر على صاحب التقرير قوله: ان البهائيين يتقربون من التوراة اكثر من غيرهم . وزاد على ذلك انه لا يوجد من يعتبر البهائيين اسمى اخلاقا من المسلمين بل الحقيقة على عكس ذلك .

صومطرا

يمتاز التقرير الذي وضعه أحد قسس الالمان عن مبشري هذه البلاد بدقته في الكلام عليهم وبيان أعمالهم بالارقام ومما قاله : ان جمعية المبشرين الالمانية نصرت مئة شخص منذ تأسست سنة ١٨٧١ الى وقت كتابة هذا التقرير . ولجمعية التبشير الهولاندية فقط أن تبشر على الساحل الشرقي من الجزيرة . والذين نصرتهم لجنة تبشير جاوة ٥٠٠ شخص منذ سنة ١٨٦٠ . وأما (جمعية ريتس الالمانية) فتفوق على تلك باتساع نطاق أعمالها لان لها ٣٦ فرعا أربعة منها لتبشير المسلمين بوجه خاص . وقد تمكنت من تنصير ٦٠٠٠ مسلم ولديها الآن ١١٥٠ مسلما في دور التجربة ولجمعية التبشير بالتوراة - وهي انكليزية - مندوبون في مناطق أعمال الارساليات الالمانية يبيعون الكتاب المقدس .

وقد تحسنت خطة هولندة مع المبشرين عما كانت عليه في اواسط القرن الماضي فصارت تشد أزر المبشرين وتساعد مدارسهم وارسالياتهم الطبية وتعد ذلك من عوامل نشر المدنية

والمبشرين هنا ثمانون كنيسة وأدخلوا بينهم من الوطنيين خمسة قسس وسبعين مبشرا هذبوهم في مدارس خاصة بهم . وارساليات التبشير تجبي من

المسيحيين في صومطرا ضريبة وضعتها على الارز للاستعانة بها على التبشير وتستوفيها نقدا أو من عين المال

ويقول واضع التقرير ان ميل المسلمين الى النصرانية قد ظهر جليا وقوي تياره وينفق في بعض الاوقات ان يتنصر العروسان المسلمان في وقت واحد .

ويتقرب المبشرون الالمان الى المسلمين بالمدارس والارساليات الطبية. وهذه الارساليات الطبية — كما يقول عنها صاحب التقرير — مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين الذين يساون أنفسهم قائلين : ان الله أرسل هؤلاء الاطباء ليخدمونا . الا أن للارساليات الطبية بالرغم من ذلك تأثيرا شديدا على المسلمين لانها تظهر الفرق بين اغراض الزعماء الشخصية وبين خدمة الاطباء المبشرين الذين لاغرض لهم في النفس !

جاوه :

لايختلف موقف المبشرين في هذه الجزيرة عن موقف زملائهم في صومطره من حيث الوسائل التي يتذرعون بها ومن حيث خطة الحكومة في معاملتهم

وفي جاوة ٤٦ مبشرا و ١٥٠ مساعدا لهم وعشرون من مجموع هؤلاء اختصوا بتبشير المسلمين دون غيرهم وفي الاحصائيات ان عدد المسلمين المتنصرين بلغ ١٨٠٠ شخص !

وآخر ماجاء في هذا التقرير ان اعتقاد المسلمين بالله دون ان يعتمدوا فيه على الكتاب المقدس لايعد خطوة نحو النصرانية ولا ابتعادا عن الهوة التي تفصل الوثنيين عن النصرانية . وان هنالك سلطة قوية يهيئها الشيطان (!) ليهلك بها النفوس ويبعدها عن نور العالم — يسوع المسيح ... (يتبع)

عجالة في رحلة الهند

﴿ لصاحب المنار ﴾

قد استفدت في رحلتي الى الهند والبلاد العربية الشرقية فوائد كثيرة جديرة بأن تنشر في المنار ، وأن تدون في كتاب مستقل ، ولذلك عزمت على تأليف رحلة خاصة في ذلك . ورأيت أن اعجل لقراء المنار ببعض ما رأيت وما استفدت

الانكليز : رياضتهم وأخلاقهم

لا يرى المسافر في سفينة انكليزية عبرة تهديها عيناه الى فكره أعظم من انهماك الانكليز في الرياضة البدنية في عامة اوقاتهم ، فاذا هو زار الهند بعد ذلك ورأى فيها حكامهم وعسكرهم يعيشون في ذلك الحرّ المحرق بلا ضرر ولا ضجر ولا سأم — يعلم من اسرار تلك الرياضة البدنية ومنافعها مالم يكن يعلم ، ويرى كيف وصل العقل البشري الى الجمع بين الترف والنعيم والبأس والقوة ، وكان هذا في العصور السابقة أمرا مجهولا ، ولذلك اهلك الترف أممًا كثيرة ، وأفنى دولا كانت قبله قوية ، وهل يعتبر بهذا أغنياء امتنا ، بل عامة أهل المدن منا ؟ كلا ! انا نراهم لا يأخذون عن الافرنج الا اسباب الترف والنعيم ، ووسائل الراحة واللذة ، ينفقون في ذلك أموالهم وصحتهم ، فبلادهم وملكهم ، حتى يكونوا عبيداً أذلاء . ومن العجائب ان الذين يزعمون منا أنهم مصلحون سياسيون ويتصدون لزعامة الأمة وقيادتها في ميدان الحياة الاجتماعية والسياسية ، هم أشد أفرادها إسرافا في الترف ، وانهما كا في اللذات ، وحرصا على الزينة والنعمة ، وإن تاجهادهم وكفاحهم ضرب من ضروب الكلام ، وهو التشنيع على من سادوا بلادهم بالقوى البدنية والنفسية (الاخلاق) والعلمية ، وما يتبعها من القوى المالية والآلية ولا نراهم يقودون الأمة الى ما يقوي أبدانها وارادتها ، ويهذب أخلاقها وصفاتها ، ويوسع دائرة علومها وثروتها ، ومن خسر نفسه فأي ربح يرجوه في سواها ؟

اني سافرت من بور سعيد الى بمبي في احدى بواخر البريد الانكليزية بين اوربة والهند ولم يكن في الدرجة الأولى ركاب من غير الانكليز سواي ، فكان اول عبرة اطلت فيها الفكرة من احوالهم ما ذكرت من عنايتهم بالرياضة البدنية ، ثم ان اخلاقهم وآدابهم ليست بالتي ينساها المعتبر ، او يغفل عنها العاقل المفكر ، وانها لأخلاق عالية ، وآداب سامية ، وهل سادوا الأمم ، وبزّوا الدول ، الا بعلو أخلاقهم ، وصحة أبدانهم ؟ والمشهور عنهم انهم اصحاب جفوة ، وأنهم لا يبدءون غريباً بشيء من وسائل العشرة ، ولكنني رأيت كثيرا منهم يبدأني بالتحية ، ويفتح لي باب الكلام معه ، ولكنني لسوء الحظ لم اكن اعرف من اللغة الانكليزية ما يمكنني من محادثتهم ، ويسهل لي سبيل معاشرتهم ،

ومما يتصل بمسألة الاخلاق والآداب ويعد من فروعها عنايتهم بنظافة السفينة فان الملاحين يغسلون كل يوم كل ما يمكن غسله منها كسطحها الذي هو محل الجلوس والرياضة ، ويمسحون ما عدا ذلك ، فلا تشم فيها رائحة ما ، ولا تقع يدك على شيء يصرفك الى الماء ، ولا يمس ثوبك شيئاً يدعوك الى استبدال غيره به . ولعلك لا تجد قصرا من قصور الملوك والامراء ، ولا دارا من دور أهل الفنع (١) والثراء ، اشد نظافة من هذه البواخر الانكليزية ، وأما بواخرهم التي تتردد في الخليج الفارسي فهي دون بواخر الشركة الخديوية في النظافة والخدمة والطعام وفي كل شيء . وكانوا يسيئون فيها معاملة العرب الى ان انشئت شركة البواخر العربية فاضطرتهم الى تغيير معاملتهم

ومن وجوه العبرة في مسألة النظافة أن المسلمين قد انقلب فهمهم لها فجعلوا كل ما ورد في الشرع من أحكامها أمورا تعبدية يمكن الجمع بينها وبين الوساخة والقذارة كأن الطهارة الشرعية لا يقصد بها ما يفهم من معناها في اللغة العربية ، ففي عرف جمهورهم ان الوسخ القذر الكريه الرائحة قد يكون وليا كاملا في اتباع الشريعة ، وأن النظيف البدن والثياب قد يكون نجسا اذا تعطر على نظافته ببعض الاعطار التي تمزج بالكحول الذي هو اقوى طهورية من الماء اذ يزيل من النجاسات والاقذار ما لا يزيله الماء ولو كان مع الصابون . وسنشرح هذه المسألة في الرحلة ان شاء الله تعالى

ومن آيات العبر التي أصبتها في هذه الرحلة عناية الانكليز بأمر البريد في البحر

(١) الفنع مصدر فنع الرجل اذا كثر ماله ونما والكرم والعطاء والجود الواسع والفضل الكثير

والبر ، والتوفيق بين مواعيد السفن والقطارات التي تحمله ، ولا غرو فالبريد آلة السلطة والتصرف في الملك وفي عقول الناس وقلوبهم ، ومحل شرح ذلك الرحلة

أزياء اهل الهند

إن أزياء أهل الهند هي أول ما يشغل نظر السائح فيها ويثير تعجبه . يرى في بمبي - وهي زينة بلاد الهند في حضارتها وعمرانها وثروتها - ألوفا من النساء الوثنيات مكشوفات البطون والسوق والأفخاذ يجلسن في الشوارع والأسواق ، غانيات وأمحات ، بائعات مبتاعات ، ويرى الرجال حتى الاغنياء منهم مشدودي الاوساط بأزر بيضاء مرفوعات الاطراف من بين الرجلين بحيث يرى باطن الفخذ والساق ، ويرى كثيرا من الرجال والولدان عراة الاجسام لا يسترون منها الا السوءتين فقط ، وهم يبيعون أو يشتغلون في الاسواق ، ويرى الألوف الكثيرة من العمائم البيضاء الملونة بجميع الالوان . وفي داخل الهند أزياء اخرى للنساء : تراهن في « بنارس » - مدينتهم المقدسة - وفيما يقرب منها من البلاد يضعن على رءوسهن قناعا يسدلنه على الجانب الأيسر من البدن وعلى الصدر ، ويبقى الجانب الأيمن مكشوفا بحيث يرى نصف البدن الأعلى كله . ويرى الرجال والولدان في محطة سكة الحديد عراة يغتسلون من الحنفيات التي بجانبها . ويسمون الخرقة التي يسترون بها السوءتين « سيلين » وقد اخذوا هذا الاسم عن المسلمين الذين كانوا يكرهونهم على ستر عورتهم بعد الفتح الاسلامي ، والفقهاء يطلقون لفظ السيلين على القبل والدبر كما هو معروف

واما الحلي فهو عام يشارك الذكور فيه الاناث فيضعون في اذانهم الاقراط وفي اعضادهم الدمالج وفي صوقهم الخلاخيل . والنساء يستكثرن من ذلك حتى انك ترى في ساق الواحدة منهن عدة خلاخيل ثقيلة وفي أصابع ارجلها كلها الخواتيم الكثيرة . واقراطهن كبيرة كأصورتهن ويكثرن منها حتى يقول الناظر : كيف يستطعن حملها ؟ ويستكثرن ايضا من الخزام في أنوفهن وقد يكون كبيرا مثل السوار - يظن الغريب أنهن يتحملن العناء بحمله الا أن يتذكر أن العادة تخف على صاحبها وان ثقلت على ذوق غيره . ويرى النساء والرجال في المزارع مشتركين في العمل عراة وانصاف عراة

اما نساء المسلمين فيقل بروزهن في الاسواق والشوارع ، وترى على رأس الواحدة منهن ثوبا شاملا يشبه الخيمة وعمود هذه الخيمة بدنها ، ولها تقبان بازاء

العينين لها شبكة من الخيطان ترى منها الطريق الذي تمشي فيه ولا يراها منها أحد

واكثر المسلمين يلبسون السراويل - لعله لا يتركه منهم الا بعض الفقراء - ومنهم المعممون ولا يسو الطرابيش القانية ولا يلتزمون ان يكون لها زر ، ومنهم من يلبس الكمة (الطاقية) حتى ان كبار العلماء يحضرون الدعوات والاجتماعات وليس على رأس الواحد منهم الا كمة بيضاء ، ورأيت الرجل يلبس تارة عمامة كبيرة وتارة كمة وتارة قلنسوة ، ولا ينكر عليه أحد بلسانه، ولا بقلبه ومن الناس من يلبسون عمائهم منسوجة بالذهب او الفضة ، فخريتهم في الازياء واسعة جدا

ونرى احسن أهل الهند زينة وأجمل ازياء نساء المجوس، والمجوس كثيرون في بمبي قليلون في داخل الهند ، وهم ارقى أهل الهند حضارة ومدنية وعلما وثروة ، والسبب في ذلك أن الانكليز عنوا بتربيتهم وتعليمهم ما لم يعنوا بغيرهم طاجتهم الى الاستعانة بهم على بعض الاعمال الوطنية ، وعدم خوفهم من عاقبة ارتقائهم لانهم قليلو العدد . وهم على ارتقائهم في العلم والمدنية رجالا ونساء محافظون على شعائرهم وشخصياتهم الملية فهم يتركون امواتهم للطيور تأكلها ولها بناء عظيم في اعلى واجمل مكان في بمبي لا يأذنون لاحد أن يصعد اليه . ويسمون أنفسهم ويسميهم الناس « الفرس » وأما الايرانيون المسلمون فلا يسمون في الهند فرسا ولا يطلق على أحد منهم لفظ الفارسي . والفرس الخلص ينكرون كونهم من سلائل أجدادهم ويقولون : إن هؤلاء تجارية وترك . والصواب ان مسلمي ايران مختلطو الانساب فبعضهم من ذرية الفرس الأولين وبعضهم من العرب والترك والمغول وأجناس أخرى ، وكذلك مسلمو الهند ومصر والحرمين والاناطول والروملي مزيج من السكان الاصليين ومن الفاتحين والجاورين والمهاجرين ، وبعض البلاد كانت تكثر اليها الهجرة لما فيها من العلم أو الخصب والراحة كالبلاد الايرانية في عهد حضارتها الاسلامية ، واللغة لا تدل على أصل الجيل والقبيل فان اكثر الناطقين بالتركية من مسلمي الروملي هم من الروم والبلغار والالبانيين لا من الترك الفاتحين كما تدل على ذلك سحنهم ومعارف وجوههم ، فالترك العثمانيون والفرس الايرانيون المسلمون والعرب المسكونون والمدنيون ليسوا تركا وفرساً وعرباً الا باللسان دون النسب، وأما أهل قرى الحجاز وباديته فهم كسائر عرب الجزيرة في نجد واليمن صريحو الانساب الدخيل فيهم معروف لا يزوجونه منهم اذ لا يزالون يحافظون على انسابهم وأنساب خيلهم

العادات في الاكل والطعام

لا يزال اكثر وثنيي الهند يأكلون على ورق الشجر كما كانوا قبل الفتح الاسلامي الذي غير كثيراً من عاداتهم ولا سيما عادة العري ، ولا يؤاكلون أحداً من غيرهم فلا يضيفون أحداً ولا يقبلون ضيافة أحد لاعتقادهم أن جميع الناس نجس.

أما المسلمون فهم أهل الضيافة والكرم والحفاوة الصحيحة وعاداتهم في الاكل كعادات عرب الجزيرة يمدون السماط على الأرض ويضعون عليه الطعام ويأكلون بأيديهم واكثر طعامهم الأرز مع اللحم يأخذون منه باللمس ويدفعونه بالراحة ، ولا تكاد تستعمل الموائد المرتفعة والملاعق والسكاكين في داخل الهند الا في بيوت الأمراء وبعض المتعلمين على الطريقة الأوربية من رجال الحكومة وأضرابهم ، وانما يكون ذلك في الغالب لاجل ضيف غريب يعلمون ان ذلك من عادته ، وقد يسألونه ويخيرونه ، وفي بمبي يأكلون على الموائد المرتفعة . لكن بأيديهم في الغالب ، وفي الدعوات الكبيرة التي اقيمت لأجلي في بمبي رأيتهم يضعون لكل أربعة أو خمسة مائدة صغيرة عليها صينية من النحاس يجلس الناس حولها على الكراسي ويأكلون بأيديهم كل طعام الا المهلبية (ومثلها الكريمة) فيضعون لاجلها ملاعق صغيرة يأكلونها بها وهذه عادتهم في داخل الهند ايضاً ، وانه ليوجد في دار الغني منهم عشرات من الصواني النحاسية والموائد الصغيرة فقد أدبت في حفلة ما أدب كان يحضرها مئات من الناس . وما حضرت مائدة على الطرز الاوربي من كل وجه الا مائدة الامير الكبير راجا محمود آباد في لكنهو حتى ان الآكلين الذين كانوا معنا عنده قد التزموا الاكل بالشوكة والسكين ، وكنا في ضيافة النواب الكريم فتح علي خان بلاهور نأكل على الارض بأيدينا ولكنه اذا جاء ضيوف من الافرنج أو المتفرنجين يعدلهم مائدة أوربية الطرز ، وصديقي الشيخ قاسم ابراهيم في بمبي يأكل على الطريقة الاوربية أيضاً ، وانما الكلام في عادات مسلمي الهند في دعواتهم. وكانت مائدتنا في ضيافة الشيخ الجليل النواب وقار الملك في عليكره على الطراز الاوربي كل يوم الا أن الكثيرين كانوا يأكلون معنا بايديهم

وقلما يوجد في داخل الهند أفران ولعل ما يوجد منها خاص بالافرنج حيث يكثرون . وأهل الهند يخبزون في بيوتهم واكثر خبزهم الرقاق يخبزونه على الصفيحة التي يسمونها في سورية «الصاج» ، ويليه الخبز التنوري

ويكثرون في الطعام من الافاويه والفلفل الاسود والاحمر فيكون شديد الحرافة يتألم من بعضه من لم يتعوده ، ويكثرون اكل اللحم ويقللون من الخضر وهذا لا يوافق طبيعة بلادهم الحارة

ومن عاداتهم في الدعوات والمآدب ان يضعوا في عنق الضيف بعد الطعام قلادة من انواع الزهر الذي يوجد في البلد ، ويعطوه بيده باقة منها مؤلفة تأليفا حسنا وهي التي يسميها المصريون الصحبة ، فان لم يوجد زهر يجعلون في عنقه قلادة من الزهر الصناعي أو مايشبه الزهر ، ولا يستثنى من هذه العادة عالم ولا حاكم ولا شيخ كبير السن ، وقد بلغني ان الانكليز جاروهم في هذه العادة ولا أدري أذلك قليل فيهم أم كثير

ومن عاداتهم أيضا ان يعرضوا على الضيوف الطيب على صينية فيها أنواع منه فيصيب كل مايختار ولكن هذه العادة غير عامة في الهند ، ورأيت أهل الكويت لا يتعرفون من دعوة ولا زيارة عادية الا بعد أن يعرض عليهم أهل الدار ماء الورد ثم مجامر العود الهندي فيتعطرون ويتبخرون وينصرفون

واما تحفة اهل الهند للزائرين التي هي كالقهوة في مصر وسورية والعراق فهي ورق البان (بالباء المفخمة) وهو شجر معروف عندهم وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته = يمضغون هذا الورق في مجالسهم وفي الاسواق والشوارع وبعد الطعام ، ويضيفون اليه مواد اخرى منها شيء يسمونه «الفوفل» ، ويحدث من مضغه لون احمر او برتقالي فترى شفاههم واشداقهم كانها مخضبة بالحناء او تحسب انه يخرج منها الدم ، ومنهم من يبقى ظهور هذا اللون في فمه ، ومن الطرف التي سمعتها من علمائهم في ذلك ـ وهي من قبيل المثل في مدح الهند ـ : من دخل هندستان ، وأكل الانب والبان ، نسي الاهل والاوطان . والانب هو الثمر الذي يسمونه في مصر « المنجو أو المنجا » بالجيم المصرية وهو اسمه بالانكليزية . وهو أجود فاكهة الهند ويكثر فيها جدا ومنه الجيد والردىء والوسط ويضج في بعض البلاد قبل بعض ، ففي شهر ابريل رأيت ثمرته في البلاد التي مررت بها صغيرة خضراء في حجم حب المشمش وكان يرد الكبير الناضج منه الى بمبي من بلاد أخرى ، وهو في الهند أجود منه في مصر فان اردأ ما رأيته منه في بمبي كاجود ما يوجد منه في مصر

الحالة الاقتصادية :

أعجبني من أهل الهند قلة استعمال الماعون الاوربي وعدم تقليدهم للاوربيين فيما يتوقف استعماله على جرف ثروة البلاد الى أوربة وكذلك قلة استعمالهم للازياء

الاوربية فان الكثير من النسيج الذي يلبسونه أو أكثره من صنع الهند . وحسبهم الضرائب الفاحشة التي تأخذها الحكومة الانكليزية منهم ولو كانوا في التفرج كالمصريين لكان يندر أن يوجد فيهم غني أو متوسط في الثروة

ينام الفقراء على الأرض وأهل النعمة واليسر على سرر من الخشب ويقل من هذه السرر ما كان سريراً تاماً تنصب عليه الكلة (الناموسية) والكثير الشائع بقوائم ليس لها عمد مرتفعة ووسط مشدود بامراس متشابكة قد تغني عن الفراش

والصناعات الوطنية والمعامل المشيدة على الطريقة الأوربية كثيرة في الهند وهي للافراد والشركات الوطنية فالهند من هذه الجهة أرقى من مصر والآستانة فما دونها من البلاد الشرقية ولعله لا يفضلها الا بلاد اليابان

التعليم الدنيوي والديني

للحكومة مدارس كثيرة في جميع البلاد والتعليم فيها دنيوي محض ـ الغرض منه نشر اللغة الانكليزية واعداد عمال صغار للحكومة، وتحويل الافكار والقلوب عما هي عليه من المقومات والمشخصات الاجتماعية والملية ، واشرابها عظمة الدولة الحاكمة وترغيبها في العادات التي تروج تجارة أمتها في البلاد ، فالتعليم في هذه المدارس لا يرتقي بالامة الى أعلى من المقاصد التي وضع لاجلها ، ولولا ذلك لأمكن للحكومة الانكليزية أن ترقي أهل الهند في هذه المدة التي استولت عليهم فيها الى الدرجة العليا، فقد علمت وربت منهم عدة أجيال. ولكن هذا ليس من المعقول وانما المعقول هو الذي علمته فهو عين الحكمة التي قامت به مصلحتها ، وثبتت به سلطتها . وللدعاة النصرانية مدارس يقفون فيها عند حدود مدارس الحكومة في التعليم الدنيوي ويزيدون فيها تعليم الديانة النصرانية

وللاهالي مدارس كثيرة أرقاها واكثرها مدارس المجوس في بمبي والوثنيين في بنغالة ثم في غيرها ، ويذهب كثير من الوثنيين الى مدارس أوربة ومدارس اليابان العالية فيتممون دروسهم ويتعلمون من العلوم النظرية والعملية ما لا يوجد في شيء من مدارس الهند . ولطائفة السنك من الوثنيين عناية بتعليم دينهم ونشره بالدعوة اليه وتعليمه ، وهذه نزعة جديدة لم تعرف عن أحد من وثني الهند من قبل ، وهم على وجود الاصنام عندهم موحدون ، وقد أسمعنا كاهن منهم طائفة من كتابهم المقدس فاذا هو من أعلى الكلام في توحيد الله تعالى وتقديسه وتوجيه

القلوب اليه وحده ، ولئن سألتهم عن هذه الاصنام ليقولن انها وسائط كقبور الاولياء عندكم ، وأما دين البراهمة فهو مبني على وحدة الوجود وقد جرى بيني وبينهم في بنارس حديث في ذلك علمت منه أنهم يعتقدون ان الاولياء الواصلين من المسلمين كشمس الدين التبريزي وابن العربي انما غاية عرفانهم هي الوصول الى حقيقة دين البراهمة وسأشرح هذا في الرحلة ان شاء الله تعالى

وأما المسلمون فتأخروا في البدء بالتعليم العصري عن جميع شعوب الهند لأنهم كانوا أشد جفوة للانكليز من غيرهم وكان الانكليز يرتابون فيهم ما لا يرتابون في غيرهم ، ويخشون جانبهم ويحذرون قيامهم عليهم لانهم كانوا أصحاب السيادة والقوة قبل استيلاء انكلترة على البلاد . ولم يزالوا كذلك حتى قام السيد احمد خان وأسس مدرسة عليكره بمواطأة الحكومة الانكليزية وتعضيدها لانها رأت الوثنيين قد ارتقوا ارتقاء مبيناً تخشى عاقبته وانه لا بد من تهيئة المسلمين ليكونوا مع الحكومة عليهم اذا هم خرجوا عليها . وقد لقي السيد احمد خان في أول العهد بالعمل مقاومة من المسلمين وتضليلا وتكفيراً من رجال الدين ، ولكنه كان يأوي الى ركن شديد ، فنجحت مدرسته وعضدها أغنياء المسلمين وامراؤهم من جميع الفرق والنحل ، وطلابها الآن الف ومئتان أو يزيدون

جعلت الحكومة التعليم في هذه المدرسة محدوداً بالحدود التي ارادتها وجعلتها تابعة لنظارة معارف إله آباد فهي التي تتصرف في برنامجها كما تشاء ، وكان ناظرها ولا يزال انكليزياً ، وأما مجلس الامناء الكبير الذي ينظر في شؤون ادارتها والمدير الذي يسمونه «السكرتير» فكلهم من وجهاء المسلمين واكبر الفائدة من وجودهم جعل المدرسة موضع الثقة والمساعدة من المسلمين . وأما التعليم فيها فمتوسط لا يصل الى درجة العالي في الواقع ولا في عرف الحكومة فمن أراد الشهادة بالتعليم العالي من المتخرجين فيها فيجب عليه أن يرحل الى انكلترة ويتم تعليمه فيها لينال هذه الشهادة . وقد توجهت الهمة أخيراً الى جعلها مدرسة كلية جامعة ووافقت الحكومة على ذلك فجمعوا لها الاعانات من الاغنياء حتى تم المبلغ المطلوب لذلك وهو ٣٥ لكاً من الروبيات الهندية تساوي ٢٣٣٣٣٣ من الجنيهات الانكليزية . وبلغني ان الحكومة قيدت أو تريد ان تقيد المدرسة في هذا الدور بقيود ثقيلة تجعل مجلس امنائها أقل حرية واستقلالا مما كان عليه من قبل ، ولكني فهمت من فحوى حديث النواب وقار الملك خلاف هذا فان مما قاله لي ان نصائحك التي أودعتها خطبتك

وما حثت عليه من ترقية التعليم العربي والديني سينفذ عن قريب عند ما تحول المدرسة الى كلية جامعة، فلعل من اخبرني ذلك الخبر يحكي رأي الذين يسيئون الظن بالحكومة الانكليزية ويعتقدون انها لا تمكن المسلمين من الارتقاء الحقيقي وسيكشف المستقبل القريب الحقيقة في هذا ، وموعدنا باطالة القول عن هذه المدرسة الرحلة

وللمسلمين مدارس دنيوية اخرى اعظمها مدرسة « أنجمن حماية الاسلام » في لاهور ثم مدرسة « أنجمن اسلام » في بمبي، وفي دهلي مدرسة كبيرة تسمى «المدرسة العربية» كانت أنشئت لاجل التعليم باللغة العربية وإحيائها ، ووهب لها أحد كبراء المسلمين في حيدر آباد مبلغا كبيراً من المال يصرف بواسطة الحكومة الانكليزية وفيها مئات من الطلبة لا يعرف أحد منهم من العربية شيئا ، بل معلم العربية فيها لا يعرف العربية !! والعبرة في هذا أن الاصلاح لا يحصل بمجرد بذل المال لأجله ، ولا بوضع النظام الحسن له ، وانما يقوم به الرجال الذين اشربت قلوبهم حبه ، ووقفوا حياتهم على السعي له والقيام به ، فمن أراد أن ينفع بماله ويكون مصلحا فليبحث عن المصلحين المخلصين القادرين على العمل بما يزجيهم اليه إخلاصهم وليساعدهم عليه، فكم وقف سلفنا من الارض والعقار على العلوم والأعمال النافعة فذهبت أوقافهم وضاعت لفقد العاملين المخلصين

هذا وان الحكومة الانكليزية موجهة بعض عنايتها في هذه الايام الى توسيع نطاق تعليم اللغة العربية في الهند ومساعدة المسلمين على ذلك ، كما ان كثيرا من الانكليز يعنون بتعلمها وقد سرني هذا جدا ونوهت به واثنيت على الحكومة لاجله في مجالسي وخطبي في المحافل والمدارس . ورأيت بعض المسلمين مرتابين في سببه فبعضهم يظن انها تريد به ان تشغل كثيرا منهم عن اتقان الدروس الانكليزية التي تؤهلهم لخدمة الحكومة ليقل عدد طلاب الوظائف منهم ، وهذا رأي ضعيف . والاقرب عندي ان سببه سياسي وهو طمع هذه الحكومة بالاستيلاء على البلاد العربية في الخليج الفارسي وغيره فهي تعد مسلمي الهند الوظائف في هذه البلاد لانها تريد بها صرفهم عن الوظائف كما يظن بعضهم ، وانا لم أفض هذا الرأي في الهند لاني كنت أتحامى السياسة فيها بقدر الامكان . وان كل مسلم عاقل يسره ان ينتشر تعليم العربية في في أنحاء مهما كان سبب عناية الانكليز به لان تعليم العربية يقوي الدين الاسلامي نفسه ولا ضرر فيه البتة ، ولا دخل له في تقوية مطامع الانكليز في العراق واليمن ولا يمكن ان يكون سببا ولا جزء سبب في نيل مطامعهم هذه ، وانما مدار هذا الامر

على سياسة الدولة العثمانية صاحبة السيادة على هذه البلاد وادارتها فاذا هي احسنت الادارة والسياسة وعنيت بأمر القوة المحلية في جزيرة العرب وقت البلاد من الاستيلاء الاجنبي والا فالخطر الواقع واقع ماله من دافع

اما رأيي في القوة التي يجب ان تعدها الدولة لوقاية جزيرة العرب فهي تعميم تسليح العشائر والقبائل فيها وإرسال ضباط اليهم يعلمونهم النظام العسكري والاعمال الحربية ولا سيما حرب العصابات ، وان تقر جميع الامراء والزعماء في الجزيرة على ما كانوا عليه من الرياسة في قومهم ، وتستعين بهم على ما تريد من تعميم القوة في بلادهم . وقد بينت هذا الرأي في المنار من قبل وذكرت به بعض رجال الدولة ، ويؤيده ما جرى في طرابلس الغرب ولا خوف على الدولة ولا على سيادة العنصر التركي فيها من ذلك وقد ازددت بسياحتي هذه في البلاد العربية ايماناً ويقيناً بما كنت أعتقده من قبل من اخلاص العرب للدولة العثمانية واستعدادهم لبذل أرواحهم في سبيلها . وان اظهار ثقتها بهم لمما يقوي هذا الاخلاص في أنفسهم ، ويسرع باظهار ثمراته فيهم

ان الدولة الانكليزية قد اشتدت في منع ادخال السلاح لليمن ولعمان والعراق من عدة سنين وهي تسعى الآن بجمع السلاح من العراق وسواحل الخليج وعمان حتى انها تشتريه بالثمن فهل عرف رجال الدولة هذا وفكروا في أسبابه وحكمته ، وفي عاقبته وعبثه ؟

وكتب في البصرة في جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ « للكلام بقية »

السيد حسين وصفي رضا

(أقوال الفضلاء فيه)

ننشر في هذا الباب شيئاً من تعازي اهل الفضل في الاقطار البعيدة وغير البعيدة ونتبعه بشيء مما كتبته الجرائد السورية والمصرية ثم نتبع ذلك بنشر حفلة التأبين التي أقيمت من فضلاء وأدباء بيروت في غرف القراءة بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته

(٢٨)

ومما كتبه احد افاضل علماء تونس

الى اخينا العلامة الشيخ محمد رشيد رضا افرغ الله عليه صبراً

اما بعد فان لله وانا اليه راجعون . الآن علمت نبأ موت صاحبي الفاضل وصديقي

الكريم سيدي حسين وصفي تغمده الله برحمته وأحسن عزائي وعزاكم والله ان لي لسهماً في هذا المصاب فلقد فقدت الخليل الوفي والرجل الكامل رجل البصيرة النافذة والمعارف الواسعة والمرامي العالية ويا ليتني كنت مكانه

(٢٩)

وكتب أحد فضلاء ادباء القيروان (تونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مولاي الاستاذ الاكبر صاحب المنار الانور !

سلام الله عليكم ورحمته. أما بعد فقد نعى الينا المنار رجلا وأي رجل رجل العفة ، رجل النزاهة ، رجل الفصاحة ، رجل البلاغة ، كاتب الشبان وشاب الكتاب شقيقكم الحسين الشهيد . لقد أدمى نعيه العيون وجرح القلوب وعقل الالسن وأوقف الاقلام فلم نقدر أن نصف هذا المصاب الخطير الذي أصاب الامة العربية بفقيدكم العظيم فانا لله وانا اليه راجعون

أحسب أن فقيدكم من أكتب الكتاب في هذا العصر ولا أنسى ما خطت يمينه في المنار من ذلك مقال أخذ بمجامع القلوب ذكرنا به علماء بغداد وأدباء قرطبة وخول البلغاء ذلك الذي يرحب فيه بنهضة الزيتونيين يوم اعتصبوا وانقطعوا عن الدرس

أما تقاريظه العلمية للكتب والمخطوطات فلم أر مثلها لغيره واني لاعده من المبرزين في هذا الفن فن الانتقاد الادبي الذي كاد يطمس نوره لولا نهوضكم السريع بالعربية في هذا العصر . فرحمه الله رحمة واسعة ورزقنا جميل الصبر وأجزل ثوابه بقدر مصابنا فيه وأطال بقاءكم وبارك فيكم وفي ذويكم ربيع الثاني سنة ١٣٣٠

(٣٠)

وكتب الينا حضرة الفاضل صاحب الامضاء من فضلاء تونس

(ما هذا الا قضاء من بيده الملكوت)

تونس في ٧ جمادي الاولى سنة ١٣٣٠

حضرة الكاتب الاكتب . والفيلسوف المفكر . السميذع المحقق . الاستاذ سيدي رشيد رضا صاحب « المنار الاغر » أدام الله معاليه . واكبت شانيه - بعد

استهلال الخطاب بما يجب تقديمه للجناب من واجب التحية والاحترام اللائق بالمقام أشعركم — والامل ترتعش — بانه ما كاد يطرق سمعي نعي فقيد الادب والفضل والمعالي المأسوف عليه شقيقكم سيدي « حسين وصفي رضا » حتى اعترتني الكآبة. وارتجت بي الارض . وارتبشت مني القرائص . وفاجأني خفقان رائع . وما ذلك الا لما أعرف ما كان عليه الفقيد من النبل المتناهي. والسمو الفكري . والمدارك العالية! ولكن صدق عليه الصلاة والسلام حيث قال : « انما يعجل الله بخياركم »

أيها السيد الفاضل! — يحق لي أن أتحجب الانتحاب كله . وأرسل مئات الزفرات تأسفاً . وما ذاك الا لحمية أمل كنت أؤمله وهو الحظوة بمشاهدة الفقيد والاجتماع به إن تنازل لذلك . . حيث كان عزم العبد معقوداً على زيارة الديار المصرية . وما الغاية من ذلك سوى الشرف بمشاهدة ومعرفة جملة رجال من كتابكم وشعرائكم ومصلحيكم الذين من آن لآخر أتصفح تحريراتهم . واطالع قصائدهم . والنفس تأسف لعدم حظوها برؤيتهم . ومن بين هؤلاء قمت بحافظتي اسم شقيقكم المأسوف عليه الذي طالما قرأت له التحارير الاصلاحية والمقالات التي ما تم الا من سمو مداركه . وكمال صفاته وآدابه . ولكن آه! خاب أملي ويالهفي عليه الف مرة!

سيدي الاستاذ — ان مثل الجناب لا يسوغ مثلي كي يحثه على التدرع بدرع الجلد والصبر . ويذكره بان الحادث المؤلم الذي أزعجنا انما هو قضاء من يقضي بين خلقه كيف يريد — وقصاراي أن ابتهل الى الرحيم وأسأله ان يعطر على جدث الفقيد العزيز وابل رحمته . ويسكنه جنته التي أعدت للمتقين . ويلهم أهله وذويه وأحباءه وأصدقاءه جميل الصبر وجزيل السلوان . انه هو الذي يقول للشيء كن فيكون .

وانا لله وانا اليه راجعون .

ح . ع

(٣١)

وكتب العلامة جانخوت الحنفي أحد علماء نقشبندية

(انا لله وانا اليه راجعون)

جناب شيخنا حكيم الاسلام السيد محمد رشيد رضا ! سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليكم

وبعد: فلما وافاني المنار بخبر شقيقكم الفقيد حسين رضا عظم علينا الخطب به وأحزن قلوبنا وأدمع عيوننا فالمصيبة في ذلك الاخ ليست واحدة بل مصائب تجمعت عندنا

مصيبة الامة بفقده وهو حديث السن ومصيبة الاخوة التي عقدتها يد المكاتبة بيننا وأيدتها مقالاته الاجتماعية التي نشرت في بعض أجزاء المنار ومصيبتكم مولانا فيه وأنتم أحب الناس الينا نسأل الله أن يطول عمر سيدنا الاكبر ويجعل ذلك المرحوم لكم فرطاً صالحا وذخراً عند الله عظيما ويبوئكم مع شهيدكم في حظيرة القدس

أيها الاخ الصديق المخلص السيد صالح رضا ! يعز علينا ما أصابكم في فقيدنا ونسأل الله أن يرزقكم جميل الصبر ويجزيكم جزيل الاجر انا لله وانا اليه راجعون

محبكم المخلص

٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ جانخوت الحقي

(٣٢)

وكتب الاديب الفاضل صاحب الامضاء ونشرها بجريدة الاهرام الصادرة في ٢١ المحرم سنة ١٣٣٠

(السيد حسين وصفي رضا)

« شهيد المروءة وفقيد الادب »

حملت ليالي هذا الدهر بكوارث تقصم الظهور وتدك راسيات الجبال ثم وضعت في هذه الايام فاجعة صمت لهولها الآذان وهامت القلوب فبكى الادب ركنا ركينا والفضل طوداً عظيما ولبست البلاغة حداداً ما بعده حداد فلا غرو اذا تحطمت المنابر وتداعت الاعواد . اطفأت هذه الكارثة مصباحا أضاء في سماء الادب ردحا من الزمن . واذبلت زهرة شباب توردت في رياض الفضل فحامت حولها القلوب ثم مالبثت ان توارت بحجاب الاحداث في عالم الابدية حيث السكون التام والسعادة الاخروية

مات حسين شهيد الاباء والنجدة فبكاه الاباء والنجدة وانزوى في العالم الاعلى مطلا من أعلى عليين على شرور هذه البشرية الظالمة والانسانية القاسية . خفقت بانزوائه صوت طالما ناضل عن الحق نضال الابطال . فاليوم يبكي حسينا كل من عرف الفضل وذاق حلاوة الادب ويرثي لمصابنا كل من عاشر حسينا وأدرك هول المصاب

فكل من رأى حسينا رأى الشهامة المجسمة والذكاء النادر ، رأى عزة النفس والاستقلال التام وشهد الوفاء والاخلاص باجلى مظاهرها

فاذا بكوا حسينا فانما يبكون هذه الصفات ، انما يبكون عقل المشيب في رياحين الشباب .

نشأ هذا الراحل الكريم في دار أساسها العلم وعمادها التقوى ، وترعرع في دور

العلوم ومنتديات الآداب فقد عرفته في المدرسة الرشدية في طرابلس الشام فعرفت منه أخا الوفاء وتمثال الذكاء والصديق الصدوق ثم فرقت بيننا عوادي الايام وتصرفات الاقدار فلم أره ولم يرني الا في مصر مهبط الحرية الشرقية

ولما أعلن الدستور في ربوع المملكة العثمانية كان هذا الصديق يتنقل من مصر الى سورية فيحمل جرائم المودة التي تشد أواصر الاخاء فقد عرفته مغاير سورية الخطيب المصقع وجرائد مصر الكاتب الالمعي . وبالجملة فقد عرفه القطران وسول سعادة وسلام

برح مصر للمرة الاخيرة فلم أوفق واحسرتاه لوداعه فكتب اليّ من بيروت رسالة أذكر منها هذه الكلمات « أخي ! اذا كانت متاعب هذه الحياة المملوءة بالآلام قد حالت دون مشاهدتي لك فاني سأطلعك على أمور وفقت لوضع أساساتها في بيروت خدمة لهذا الوطن الذي أعشقه بكل جوارحي — هذه الامور تنسيك مرارة فراقنا اذا طال ... »

مر شهيد النجدة باتيم يضرب ولداً (١) من أولاد القرية ضرباً مبرحاً وقد شهر سكيناً يريد ان يطعن بها ذلك المسكين فدفعت الشهامة حسيناً لانقاذه وقد توفق برشاقة لانتزال السكين من يد ذلك الجاني ولكن الجاني الاثيم مالبث ان ابتعد فاطلق على المنجد الشريف رصاصة أصابت منه مقتلاً وقد ظل حسين رابطاً الجأش بضعة أيام حتى كتب الله له الشهادة وقضى على الوطن البائس بفقد ركن من أهم أركانه. فالشقاء الاوطان بفقد الرجال . ولاسيما رجال كحسين في وطن كسورية هكذا النفوس الكبيرة في حياتها اسوة لكل من أراد أن يلتحق بالعظماء وفي موتها دروس الشهامة والوفاء ، ففي ذمة الله ذلك الشباب الغض والغصن الرطيب وفي أمان الله تلك الاخلاق والخصال الحميدة بل الفضائل المجسمة والنشاط العجيب . ويا رحمتاه لقلوب تعرفك فتبكيك فان مصابنا فيك عظيم وخطبنا وخطب الاوطان جسيم

واني اسأل الله ان يلهم أهله وذويه الصبر ولا سيما أخوته العلماء الاعلام وان يعوضهم بفقده عزاء حسناً وصبراً جميلاً والله ولي الصابرين وهو حسبنا ونعم الوكيل

جميل الرافعي

---

(١) الصواب (امرأة لا ولداً) يقتضي السكاب بعض روايات الجرائد فيكون المضروب وقد

(اقوال الجرائد)

« في مقتل حسين وصفي رضا »

كتبت جريدة المفيد الغراء التي هي جريدة النابتة العربية في سورية ما يأتي

(وفاة اديب)

قرأنا في جريدة طرابلس خبر وفاة صديقنا الاديب الفاضل المرحوم السيد حسين وصفي رضا على اثر اطلاق احد الاشقياء الرصاص عليه فهالنا هذا النبأ المزعج كما هال كل من عرف ادب السيد وفضله وعلمه واخلاقه

عرفناه منذ امد بعيد فعرفنا فيه الادب الجم الرائع والخلق الكريم الذائع . فقد كان رحمه الله كاتبا عربيا مجيداً وشاعرا ضليعا ، لطيف المعاشرة ، انيس المحاضرة ، واسع الاطلاع في تاريخ الآداب العربية وفنونها وفوق هذا كله فقد كان خطيبا اريحاليا حسن الخطابة . وقد كان لا يعرف الرياء والمداهنة والمحاباة بل كان يقول الحق ولو ساء ذلك اعز الناس لديه

شلت يد ذاك الجاني الاثيم الذي اذبل غصنا كان مورقا وحرم الامة من شاب قد خدمها خدمة جلى وانه ليتوقع منه ان يخدمها في المستقبل — لو افسح له في الاجل — اعظم خدمة لما فيه من الاستعداد لمعالي الامور

وقد بلغ فقيدنا الثامنة والعشرين من سني حياته — رحمه الله رحمة واسعة وانا لنتقدم الى عائلته الكريمة برفع آيات التعزية خصوصا اخاه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونسأل لهم الصبر والسلوان

وكتبت جريدة الاتحاد العثماني الغراء

(مقتل فظيع)

اطلق اثيم عياراً ناريا على الشاب الفاضل المرحوم حسين وصفي افندي رضا فاصابه في مقتل ولم يلبث ان قضى نحبه فساء هذا المقتل الفظيع كل الذين عرفوا

ادب الفقيد وفضله فنعزي آله وذويه ولا سيما شقيقه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونشدد على الحكومة المحلية وعلى حضرة والي الولاية في وضع حد لهذه الفوضى التي استفحل امرها في طرابلس الشام

وكتبت جريدة الرأي العام الغراء

(وفاة اديب)

من أنباء طرابلس الشام ان بعض الاشرار اغتالوا المرحوم الاديب حسين وصفي افندي رضا فاسفنا لهذا النعي الذي وقع لدينا موقعاً كبيراً لما كان عليه المرحوم من وافر الادب والآداب رحمه الله رحمة واسعة وعزى شقيقه الاكبر الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاغر

وكتبت جريدة الحقيقة الغراء

﴿ نعي اديب ﴾

وافتنا جريدة طرابلس بخبر وفاة الكاتب الاديب السيد حسين وصفي رضا وذلك على اثر رصاصة اطلقها عليه احد الاشقياء فوقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على كل من عرف ادب الفقيد وفضله .

ذهب الفقيد ضحية في ريعان شبابه وذهبت معه تلك الآمال الكبيرة والخدمات المنتظرة فشلت يد ذلك الاثيم

فنحن نعزي عائلته الكريمة سيما اخاه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ونرجو ان تكون خاتمة احزانه

وبمناسبة قتل المرحوم والحوادث التي تجري في طرابلس الشام نطلب من حازم بك ان يضم حدا لاختلال الامن فالسكوت على هذه الاحوال ضرب من الاستكانة الى الظلم والرضوخ الى الجور .

وكتب المؤيد الاغر بتاريخ ٢١ المحرم وكان اخبر بعدم صحة الخبر

استبشرنا في الامس بالخبر الذي اتصل بنا عن حياة الشاب الفاضل السيد

حسين رضا شقيق صديقنا السيد رشيد رضا ثم لم نلبث أن علمنا بكل أسف أنه انتقل الى رحمة الله شهيد شهامته ومروءته

وقد وقع هذا النبأ في نفوس آله وأصدقائه وعارفي أدبه أشد وقع لانه من خيرة الشبيبة الاسلامية غزير الادب جيد الشعر كريم الاخلاق فنعزي حضرة شقيقه وسائر آله وأصدقائه ونرجو الله أن يلهمهم الصبر الجميل و يديل الفقيد رحمة ونعيما

وكتبت جريدة البرهان عدد ٤ المحرم سنة ١٣٣٠

كان بلغنا منذ أيام ان يدا أثيمة اطلقت مسدسا على الشاب الفاضل الالمعي حسين افندي وصفي رضا ابن المرحوم الشيخ علي رضا في قرية القلمون وقد الم هذا الخبر اصدقاءه ومحبيه في الثغر ثم مالبثوا ان قيل لهم ان الاصابة خفيفة وان الرصاصة اصابت اصل الفخذ ولا ضرر على حياة المصاب ولكن اليوم فوجئنا بخبر وفاته متأثرا بالرصاصة التي وصلت احشائه فكانت سببا في اختراعه وانا نعزي شقيقه الاكبر السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وسائر اشقائه وأصدقائه العديدين في مصر وسورية ألهمهم الله صبرا على هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم

وكتبت جريدة العمران

﴿ الفوضى في طرابلس الشام ﴾

ان انباء طرابلس الشام مزعجة بحيث لا يأتينا بريد من سورية الا ويحمل لنا منها الفجعات وكان آخر ذلك مقتل حضرة الحسيب النسيب سليل البيت الطاهر وأحد الادباء الذين نفتخر بهم الدساكر المرحوم المبرور السيد حسين وصفي رضا شقيق الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهرة فشق علينا خطبه لان فقدانه خسارة على الادب والفضل وزاد في حزننا انه قتل بيد أثيم معتد في موقف يريد به نصرة مظلوم من ظالم ولا حول ولا قوة الا بالله ونحن نتقدم الى حضرة الاستاذ الشيخ رشيد وعموم اخوان الفقيد وانسبائهم بواجب التعزية ونسأل لهذا الراحل رحمة ورضوانا ولقاتله جزاء وفاقا ولحكومة طرابلس الشام حزما في حفظ الامن العام واقداما

حفلة الاربعين

(لتأبين المرحوم السيد حسين وصفي رضا)

في مساء الثلاثاء ليلة ١٧ صفر سنة ١٣٣٠ ـ ٦ فبراير سنة ١٩١٢ اجتمع فضلاء ادباء بيروت وأقاموا حفلة تأبين لفقيدنا السيد حسين وصفي رضا الحسيني في غرفة القراءة الاميركانية واذاعوا تذكرة دعوة لحضور فريق اهل الادب والفضل لمشاركتهم بذلك وكان القائمون بهذه الحفلة هم الذين امضوا صورة تذكرة الدعوة وهذا نصها

﴿ ذكرى فقيد ﴾

«الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء في ٦ شباط يحتفل فريق من اخوان فقيد الادب المرحوم السيد حسين وصفي رضا باقامة حفلة تأبين ذكرى لفضله واعترافا بشهامته . وذلك في غرف القراءة على « السور » فترجو حضوركم »

﴿ المتكلمون ﴾

الشيخ محيي الدين الخياط مترجم جريدة الولاية ، الشيخ مصطفى الغلاييني استاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكلية العثمانية ، جرجي افندي عطيه صاحب جريدة المراقب ، امين بك طليع مدير مال قضاء الشوف ، الياس افندي حنيكاتي كاتب « مطرانخانة الروم » ، نجيب افندي بليق مدير مدرسة المقاصد الخيرية ، باتر افندي باولي صاحب جريدة الوطن ، جرجي افندي باز صاحب مجلة الحسناء ، محمد علي افندي النابلسي من التجار وكيل المنار في بيروت ،

وفي الوقت المعين اجتمع كثير من أهل الفضل وشاركوا الفضلاء المحتفلين باحتفالهم وترأس الاحتفال الاستاذ بولس الخولي مدير مجلة الكلية ، فتلا رسالة الشيخ محيي الدين الخياط الشيخ عبد الرحمن سلام لعدم حضوره(١) واتبعها بتأبين له وقام الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني وقال

(١) لم يرسل الينا تأبين الشيخ الخياط لندرجه هنا وكذلك تأبين الشيخ عبد الرحمن سلام

﴿ تأبين الشيخ مصطفى الغلاييني ﴾

اخلاق الفقيد

« الكمال يعشق » قضية لا يختلف فيها اثنان ، ولا بعيد عن الاقرار بمضمونها انسان . لهذا ترى الناس مايلين طبعاً لمن يرون فيه الكمال . غير ان الكمال امر معنوي ، ليس قيد الحواس . وقد اعتاد الناس ان يختلفوا في تفسير المحسوسات ، وتباينوا في فهم الامور الظاهرة . لهذا لا نرى عجباً اذا اختلفوا في تفسير المعاني ، وتباينوا في فهم المعقولات . والكمال من ادق الاشياء المعنوية ، وابعدها من متناول الافهام . فان كان الناس قد انقسموا فِرَقاً وطوائف واحزابا وجماعات في تفسير ما هو اجلى من الكمال ، فاحر بهم ان لا يتحدوا فكراً في تأويله وتفسيره

الاختلاف سنة من سنن البشر ، وجمع الناس على الاعتقاد بامر ورفض ما يناقضه ليس مما يمكن ، ولا في وسع احد تحقيقه . — وان تمناه كثير ممن سعوا ويسعون لنفع المجتمع — ذلك لان الاختلاف في الرأي لم يبرح فطر البشر منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا . ومهما ترقى الناس ، وبلغوا من سمو الفكر ، ومضاء العزيمة وقوة الارادة ، فلن يصلوا الى ما يضم المختلفات ويؤلف بين المتناقضات . — هذا في المحسوسات فكيف بالمعنويات — ، ذهب الناس في تفسير الكمال — كما ذهبوا في تأويل كل امر معنوي — مذاهب شتى حسبما يتراءى لهم ، او حسبما تعودوا . لا اذكر الآن مذاهب كل قوم في تفسير معنى الكمال ، فان هذا يحتاج الى موقف غير هذا الموقف ووقتٍ لا يتسع له امثال هذا الوقت . وانما اذكر ما اذهب اليه ، ويذهب اليه كثير غيري ممن هم بشا كلوني طبعاً ورأيا ومحجة صواب . وفي عداد هؤلاء فقيد الكمال السيد حسين وصفي رضا الذي اقامت هذه الحفلة ذكرى لكماله

الكمال شجرة عظيمة يتفرع منها فروع كثيرة وكل فرع من هذه الفروع يعطي جنياً وأكلاً شهياً ، هي وان اختلفت الوانا ، وتباينت اشكالا ، فطعمها واحد ، ولذتها واحدة

ان جماعتي الذين عنيتهم بريدون بالكمال « الخلق الحسن » فهو ملاك الفضيلة

ورابطة الإخاء، ونبراس الحق، وسلطان المجد، فمن اعتصم بحبله المتين، وتمسك بركنه الركين، فهو من عباد الله الصالحين

ألا وان الشاب الصالح، والهمام الاروع، الذي اقمنا هذه الحفلة الكمالية لاجله، هو من خطب الاخلاق الفاضلة، فالقت اليه بمقاليدها، وسلمته زمامها، فقام فيها هيام الولهان، بنيداء الحسان حتى ملكت لبه. وصادت فؤاده. حتى صار كله أخلاقاً حساناً. فلا تقع ناظرة قلبك اذا نظرت اليه الا على عادة حسنة، وخلق كريم

اذا تكلمت عن الفقيد الحبيب، فانما اتكلم بعد الاختبار، واصف بعد طول المعاشرة. حتى عرفت منه ما لم يعرف اخوته واخوانه. فهو تربي في السن زميلي في طلب العلم.

عرفته منذ عشرة اعوام في مصر، ايام كنت اطلب العلم في اكبر معهد علمي عربي، وهو الازهر، واول ما عرفته في ادارة مجلة المنار التي يحررها الاخوه الاكبر الاستاذ السيد محمد رشيد رضا كنت اول معرفتي اياه ارى فيه اقتباضاً يظنه الرائي لاول مرة صلفاً وكبراً، وانما هو عقل ورزانة، وبعد عن مخالطة من لا يتفق فكره مع فكره، ولا يشاكل ذوقه ذوقه؟ عرفت فيه منذ عرفته رجل الجد والعمل، والادب والدرس، والبعد عن سفاسف الامور، والنأي عن مفسدات الاخلاق، ومجالس من لم يعرف فيهم الملكات الفاضلة، والاخلاق الكريمة

عرفت فيه رجلا حرّاً مفرطا، لا يخاف في سبيل الحق لومة لائم، ولا يهاب في الذود عما يعتقده صحيحا عذل عاذل. وربما تحاشى مجلسه بعض من لا يرون للحق قيمة، حذرا من أن يجيبهم بتوضيح باطلهم، وتبيان فاسدهم. ومع هذا كله فكان اذا هفا هفوة ورُد الى الصواب، ارتد اليه شاكرا أنعم من هداه

كان من أخلاقه الطيبة الصبر على المكروه. وتحمل المشاق في سبيل ما يريده حتى يناله. ولو أدى به ذلك الى جهد النفس وصرف المال. اما من جهة تدينه فقد كان رجلا متدينا حقا، مسلما كما يريد القرآن لا كما يريد القارئون

وكان رجلا سلما لمن سالمه، حربا على من خاصمه في غير الحق محبا لترقي الامة والوطن، من غير نظر الى اختلاف المذاهب والاديان

وكان لا يعرف التمويه والتضليل ، بل يتكلم بما يعتقد دون ان يخشى احدا لانه لم يكن في قاموس اخلاقه ما يسمى رياء أو نفاقا

واعظم برهان على هذا انه كان طريد الحكومة الماضية وقد حكم عليه بالسجن سنوات لا اعلم عددها . ففر الى مصر حيث يقيم اخوه الاكبر . هاربا بحريته ووجدانه . ومع هذا فقد كان يأتي الى هذه الديار دون مبالاة ويجتمع بأصدقائه في المحال العامة ويتذاكر معهم في الشؤون السياسية وحالة البلاد وما هي عليه من التأخر وما تنوء به من اعباء الظلم واضطهاد المصلحين ، حتى خشي ان يجالسه فئة غير قليلة من خواص اصدقائه ، خشية ان يكونوا قيد الرقابة أو هوان الحكومة الظالمة وقد ذكرني حريته هذه بقصة لطيفة لا بأس بايرادها :

يوم أعلن الدستور كنت قد واعدته ان القاه في بعض الامكنة ، فوافيته قبل الاجل المعين وقد برقت اساريري وجهي . فقال : ما وراءك قلت : « ما كنا نتحدث به بالامس » وكنا نرجو حصوله في سورية بادئ ذي بدء ، ثم علمنا انه سيبدأ في غيرها . وكنا قرأنا قبل بضعة عشر يوما في الجرائد المصرية التي كنا نقرأها خفية ، أن فئة من الجيش ستثور للحصول على الدستور فقال — : ذاك ما كنا نبغي . ثم قمنا من مجلسنا ذاك والصحب ما بين مصدق ومكذب وشاك ، الا الفقيد ، فذهبنا الى المكتبة العمومية لنبتاع منها نسخا من القانون الاساسي . فبهت صاحبها وظن اننا جواسيس ، فأنكر ان يكون لديه فاقسمنا له كل يمين ان الدستور اعلن ، وان الحرية صارت ملكا للامة ، فاعتقد الرجل صدقنا ، ودخل دكانه وبحث عن النسخ ، وقد دام في البحث ما ينيف عن خمس دقيقة حتى اهتدى اليها ، لان القانون الاساسي كان — كما تعلمون — من الاوراق النادرة في عرفهم وقد اشترك الفقيد مع البيروتيين في كثير من الاحتفالات التي اقيمت اجلالا للدستور ، وخطب فيها خطبا كثيرة قد قدرها قدرها كل من سمعها .

واذكر انه كان يخطب في احدى الجوامع ، فذكر ما كانت عليه الحكومة من التضييق على أهل الذكاء ومن عرفوا بحرية الفكر . وكان والدي المرحوم يستمع الى خطابه ، فقاطعه الكلام وقال له : لقد صدقت فيما تقول وأني قد نبهت ولدي

كثيرا ان يكلمك أو يجتمع بك الا حيث يأمن ، خوفا من ان يصيبه ما أصابك وانلم يخل من بعض ذلك ، وربما كان أصابه كله لولا ان من الله على الامة بالدستور

ان الفقيد أيها السادة كان مع كل ماوصفت عاملا قد ضربت عليه المروءة رواقها ، والشهامة قبابها ، كان اذا رأى مستنصرا اعانه ، أو مظلوما بذل جهده لرفع الظلم عنه ، وكفاه فخرا وشرفا انه مات شهيد المروءة والشهامة . دفاعا عن ذات مخاف رأها عرضة لسهام جلف جاف . يسمها من قوارص الكلام ، وبذيء القول. مالم يحمل الفقيد السكوت عن مثله ، فردعه عن تعديه وظلمه ، فثارت في رأس ذلك المتشرد الجلف نخوة الجاهلية ، فانتضى خنجره واهوى به الى السيد يريد القضاء على شهامته وأدبه ، غير ان شجاعة الفقيد المشهورة دفعته الى انتزاع الخنجر من يد ذلك الجبان الخاسر ، فاصلح بينها بعض من كان مارا ، فذهب السيد آسفا على مثل هذه الاخلاق الساقطة ، فلم يخط بضع خطوات حتى فاجأه ذاك الملعون باطلاق الرصاص فلم يقصده ، بل اخترق احشاءه ، وبقي في منزله بضعة أيام دون ان ينفعه طبيب :

واذا المنية انشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

وقد احتمل مضض هذه الايام بصبر وسكون دون ان يؤثر عنه كلمة تأوه . وقبل أن يفارق هذه الدنيا الفانية بثوان ، قال لشقيقته ، ـ وكانت تمرضه ـ بجأش رابط : « اني سأموت بعد قليل فاياك ان تصرخي واحذري ان يزعجني بصراخه احد » ولم يكد يتم هذه الكلمات حتى قال : « لا إله الا الله » وقد فارق الحياة.

وقد كان لوفاته رنة حزن عمت كل من عرف اخلاقه وأدبه وقرأ ما كان يذيعه يراعه الحر البليغ من المقالات والقصائد في الموضوعات الكثيرة المختلفة

رحمه الله رحمة واسعة واغدق عليه سحائب الرضوان

(تأبين جرجي افندي نقولا باز صاحب مجلة الحسناء)

ونهض الفاضل جرجي افندي باز فقال :

سهم واحد أيها الاخوان ! سهم من كنانة الدهر يرمي القضاء به الناس

على السواء بلا استثناء فيفعل في الصاب فعلا واحدا ولكن تأثير فعله يختلف في الآل والاصحاب . ولكم ممن يموت ولا يشعر الناس بفقده حتى الاهل قلما يتأثرون ، ولكم فقيد يألم لفوته كثيرون ويودون ألا يتعزون . ولا عبرة بعمر الميت فان الشخصية هي المؤثرة وبحسب الاحتياج اليها يكون الحزن . وما حزن الاغنياء عنها بالمال أو بالعلم او بالفضل أو بالادب الا احتياج الى ولائها وشعورها الى املاء فراغ العاطفة ، الى حفظ الحاسات من التأثر

وهذا فقيدنا لم يعمر بعد ولا توغل في الشباب ، لم يشتغل كثيرا ولا اشتهر في كل مصقع وناد ، ومع ذلك عد فقده خسارة لا تعوض بأي كان لان شخصيته ذات استعداد يحتاج اليه الشرق ، لان نفسه كانت حية حرة كانت تكره الجمود والخمول تبغض الجهل والغباوة ، تمقت الظلم والاستبداد ، تستنكف من الذل والهوان تأبى الدنايا والنافهات ، تستعظم التعصب والاستئثار ، كانت تحب العلم ، تؤيد الحق ، تناصر الضعيف ، تجهر بالرأي ، تخلص بالقول ، تجرأ بالعمل ، تستقل بالفكر ، تسترشد بالبحث ، تتأكد بالاختبار . كانت تعتقد ان المرأة انسان كالرجل لها حقوق ولها نفس وكفاها بهذه السجايا تعريفا لها

هذا حسبي ياقوم ! فهل يليق به هذا الاكرام — والشرق محتاج الى أمثاله ؟ فهلا بعد فقده خسارة ؟ هذا وصفي ! فهل احاط به وصفي ؟ مالي ولقلمه السيال وانشائه البليغ وبقالاته الرنانة وآثار كده وجده فحسبي منه نفسه والنفس هي الانسان ، حسبي ذكاؤه ولطفه ، مروءته وشهامته ، حسبي ما وصفت من خفايا نفسه وما كان يرجى من خيرها لمواطنيه ، حسبي سبب قتله . ومن أولى مني بالحزن عليه لهذا السبب ؟ وانا احسبه واضعا حجر الزاوية لتأييد حق المرأة في الشرق والضحية الاولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق

ان المبادئ لا تثبت الا على جثث الشهداء . والمرسلون قوتهم بشهاداتهم فحيث لا شهداء لا مبادئ . واذا عد قاسم امين رسول تعزيز المرأة في الشرق فان وصفي رضا شهيده ، ذلك المهندس وهذا المؤسس ، الاول قائل ، والثاني فاعل ، ولذلك أحسبه حجر الزاوية لتأييد حق المرأة والضحية الاولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق

في هيكل الحرية في صخر الطبيعة، حيث لا حائط ولا سقف ولا مذبح هناك ضحيتي حسين. على قارعة الطريق التهب جوف كبش الحرقة، وفي سبيل حق المرأة استشهد. رأى وحشاً بهيئة رجل بهين ملاكاً بهيئة امرأة، ذئباً يكاد يفترس نعجة، قوياً يستبد بضعيف، وعاتياً يظلم ذات حق فابت مروءته غض النظر فتداخل في الامر فاستغاثت به الفتاة قلباها واستأسد في الدفاع عنها وصانها من براثن ذاك الوحش ولكن ببذل دمه. جعل صدره اولا ترسا لها واذ عجزت يد الذئب عن ازاحة هذا الصدر همت بتمزيقه بخنجر ولكن ساعد الشهيد كانت اقوى فانتزعت الخنجر منها وسار الفقيد محافظا على النعجة رافع الجبهة كالاسد، وهل اعظم ممن يدافع عن المرأة في الشرق حيث لا تزال ضعيفة غبية؟ ـ سار ولكنه واأسفاه لم يجتز بضع خطوات حتى فاجأه الرصاص في احشاه وامتزجت اناته باستغاثة الصبية ولكن اين من يدفع البلاء؟ لا علم ولا حكومة ولا اطباء حقي ولا بشر وانما اوهام وترهات واشخاص على الكراسي وقوانين مكتوبة وشهادات مسهبة واسماء بلا مسميات واجسام تأكل وتشرب وتنام ـ الا شلت يد القاتل. ليت امه لم تلده. ليت الشمس لم تشرق عليه ليته يشعر بفظاعة جرمه وبان القتيل خير من ألوف مثله فيندبه اكثر مما يندب نفسه ويقول وهو صاعد الى المشنقة الويل المستبد بالمرأة

وحري بامثال الفقيد المستهدفين للقتل بتأييد القول بالعمل ـ حري بهم وباصحابهم نصب تمثال له في قلب كل منهم احياء لذكره في القلوب وقد كان حبيب القلوب احب الحرية الشخصية ومات فداءها، احب الاستقلال الفكري وقضى ضحيته، احب المرأة بالحق والبسالة بالانصاف وراح شهيد ذلك

فيا هدف المرأة! فقيد الواجب! يا من ثوى بالدفاع عن امرأة! يا نصير الضعيف ومقاوم الاستبداد! يا مجاهداً خير الجهاد لخير الامة! لئن غيبك اللحد عنا فذكرك حي معنا وانا لأدبك وفضلك لناشرون

﴿ أبيات جرجي افندي عطية ﴾

وارتجل جرجي افندي عطية هذه الابيات

ايها الساجعُ هيجت بكايا ... فلقد أذكرتني الحلو السجايا

بليلاً في روض علم شادياً أسكنته بغتةً لسنُ المنايا
كان يشدو مطرباً ألبابنا فغدا في لحظة احدى الرمايا
غاله سهمُ أثيم غادرٍ وهو لم يأثم ولم يدر الخطايا
لم يكن قطّ له ذنبٌ سوى انه راقي المحجى سامي المزايا
ألمعي رافع بند النهى أريحي نفسه تأبى الدّنايا
ورقيُّ المرء في اخلاقهِ قد غدا في شرقنا احدى البلايا
حفظُ اهل العلم في الشرق الشقا من ربى لبنان حتى حلايا
يطلبون الخير للشعب وما من جزا يلقونه الا الرزايا
ياصريع الحق نم في غبطةٍ ولكم للحق في الشرق ضحايا
ان تكن بالقتل جوزيت هنا فستلقى الاجر من باري البرايا
فهو يوليك نعيماً داعماً لا نعاكيه من الناس العطايا
ايها الفيشُ اسق قبرًا قد هوى من شهيد الفضل هاتيك البقايا
انبتِ الزهرَ عليه وله ابدًا من صحبه أزكى التحايا

﴿ قصيدة الياس افندي حنيكاتي ﴾

ورثى الشاعر الرقيق الياس افندي حنيكاتي هذه القصيدة

لم يحل بعد فجيعة الآدابِ بحسين وصفي غير مر الصاب
شهم لمصرعه القلوب تفطرت حزنا وباتت في اشد مصاب
وحناجر الادباء من نار الاسى جفت فلا تقوى على التسكاب
امست به القلمون مسقط راسه في حالة تغني عن الاسهاب
تشكو الى الاوطان وغداً غاله تشكو عدوّ الدين والآداب
تشكو وشكواها تزيد شجونها لجسيم رزء لم يكن بحساب
جنتها الخضراء كالآس اغتدت حمراء من دمه كما العناب
لم يقترف وزراً يدنس نفسه حتى يحل عليه شر عقاب

لكن غيرته على الاعراض قد ... اودت به في عنفوان شباب
تقضي شهيد شهامة وكفى بها ... مجداً لدى الاعجام والاعراب
بالمفة الاخوان بعد اخي الوفا ... والفضل بل بالهة الكتاب
حر اسير الحق غير مداهن ... فيه بلا وجل ولا هياب
يأبى محاباة الوجوه وضده ... في الناس كل علق وعاب
واشد ما تأباه فيهم نفسه ... لغو الكلام وفارغ الالقاب
آثاره الغراء في بيروت لا ... تنسى ولن تنسى مدى الاحقاب
عرفت ذوو الالباب فيها فضله ... والفضل يعرفه ذوو الالباب
فلذاك إن احيوا له ذكرى فما ... بالامر من عجب ولا استغراب
فلترء حيا ذكره بطرائف ... م الآداب لا بطارف الاثواب
فعليك يا ابن رضا سلام عاطر ... منا وغيث رضى من الوهاب

﴿ تأبين نجيب افندي بليق ﴾

وقال الفاضل نجيب افندي بليق

اخواني !

ماذا عساني ان اقول وقد تقدمني هؤلاء الافاضل . ثم اعتراني بأني لن اوفي الفقيد حقه من الرثاء والتأبين ولن ازيد على ما قاله اخواني فيه من السجايا العالية والصفات الحميدة اري انه لا بد لي من القول ولو كلمة عما اتصف به الفقيد لاني له صديق ومن ادرى بالصديق من الصديق ؟

نشأ الفقيد في القطرون احدى قرى لبنان المجاورة لطرابلس (والنابعة لها من جهة القسم الاداري في الولايات العثمانية) ودرج في حجر رشيده المجد والفضل ، واثه العلم والنبل ، فتلقى العلوم الابتدائية في القرية وتممها في طرابلس ، وكان استعداده الفطري وذكاؤه الغريزي يساعدانه في التفوق على اقرانه ويرفعانه الى اعلى مراتب الطلبة اينما كان ، ولا غرو فهو من شجرة عربية الاصل قرشية الفرع هاشمية العود وهو في حياته ومحتده كجده الحسين ميتة ونبوغا

فتى تم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا

ولما افلت الى مصر اخوه العلامة السيد رشيد من الظلم ورجاله والسوء وآله ، عمد الى محاربة المستبدين الغاشمين وقتالهم بالبراع فاوجس رجال هذا العهد خيفة من الوكر الذي طار منه النسر فضغطوا على الوكر ومن فيه وشرعوا يتفننون في تعذيبهم وتهديدهم لاسكات ذلك الصوت الذي يرن صداه في جاوه والهند وفارس والجزائر ومراكش والشام والقطر المصري . فطورا يسجنون الولد وآونة ينذرون الوالد فلم يثنوا باعمالهم هذه عزيمة فازل مصر ولم يقدروا على اخماد تلك الجذوة المشتعلة في افئدة اهل ذلك البيت . فلما بلغ الفقيد اشده واشتد ساعده في العلم نشط اليهما على حداثة سنه ولحق باخيه وحذا حذوه في نقد الحكومة الماضية ورجالها السفاكين واقام هناك ست سنين كان في خلالها يدرس في الازهر على اشهر اساتيذه منهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رب هذه الثورة الفكرية والنهضة العلمية ، وقد طمحت نفسه الى الكتابة فكان يكتب في المنار والجريدة المصرية وغيرهما تحت امضاء « المشرقي » وامضاءآت مختلفة حتى بلغ درجة في الكتابة اذا لم اقل تفوق كتابة الذين مارسوها عشرين سنة فهي لا تقل عنهم في شيء ، وكان لا يفوته علم من علوم العربية الاثني عشر الا احاط به كاحد اساتيذه ولا عجب فهو شقيق الاستاذ السيد رشيد رضا وتلميذ الشيخ محمد عبده .

ولما من الله على الامة العثمانية بنعمة الشورى ، جاء بيروت مهللاً لها فرحا وحبورا ، وخطب في الحديقة مرارا كان يرتجل خطابه دون ان يستعد له ومع ذلك كانت خطبه لا يشتم منها رائحة الارتجال لانه رحمه الله ضليع في العربية حاضر الذهن وكان يكتب المقالة بين لفيف من اصحابه ولا تشغله احاديثهم ولا تلهيه مسامراتهم عما يكتب وكان يجيبهم ويباحثهم ولا يفقد فكرة هيأها او نتيجة اعدها ، ولقد توفرت فيه كل صفات الرجولة التي يحسد صاحبها ويغبط حائزها : إباء لا يمازجه كبر ، ووفاء لا يشوبه رياء ، ولين لا ضعة فيه ، وفخر مجرد من جفاء ، وادب خالص من غرور ، وعلم عار عن فضول . كان رحمه الله قليل الكلام ، كثير التفكير ، قوي الحجة ثابت الروع . لا يرضخ لكبير ، ولا يستهين بصغير ،

يذهب غيرة في اصلاح امته، ويذوب حسرة على انحطاط قومه، لا يفرق بين طائفة وطائفة الا بالعلم والفضل ـ شأن عظماء الرجال، عظماء النفوس الذين يعتبرون ابناء آدم اخوانا مهما تباينت لغاتهم واختلفت مذاهبهم فهو لعمري حري لبداء هذا بالاعتبار والاجلال

يحق لي ان ابكي حسيفا ما دمت حيا لاني اخوه في ثلاث : في العربية، في الوطنية، في المبدأ الذي كان يعيش من أجله واذا مات فوته من اجله وهو تكافؤ ارومات العرب وتضافر عدائهم وجعلهم كتلة واحدة في وجه العدو وصد هجماته عنهم، ولا يتم ذلك الا بالعلم ـ ورددهُ قائلا (شلت يداه) عن تغذيب فتاة من دواعي العلم ـ

الا ليت امي لم تلدني وليتني سبقتك اذ كنا الى غاية نجري

وقصارى القول في فقيدنا العزيز انه لو عمر عمر من عظم من الرجال اولي النهضات العلمية والسياسية منها لكان له بينهم شأن يحفظه التاريخ ويردده له جيل بعد جيل، لكن والاسف عاجلته منيته فقصفت به غصنا نضيرا

يا موت لو أقللت عمرته يا موت لو تركته لقد
يا موت لو لم تكن تعاجله لكان لا شك كوكب البلد

جرت العادة عند الامم المتمدنة أن تحيي ذكرى نوابغها بعد وفاتهم ولقد تتفاوت درجات النبوغ . فمنهم من يشتهر بالشجاعة الادبية ويصرح بمعتقده ولو كان في ذلك ذهاب مُهجته، ومنهم من يحيي أيامه في التأليف والتنقيب ومن هؤلاء الكاتب والشاعر، ومنهم من ينهك قواه ويسهر الليالي الطوال ويسجن نفسه امدا وأعواما ليأتي قومه والناس بشيء جديد وهذا المخترع والمكتشف، ومنهم من يخدم دولته في قيادة أو ادارة فيجيد القيام بها ويخلص في الخدمة . ولقد يمتاز الامم التي شأن افرادها على ما ذكرت أن تقيم لهم ليالي متعددات تذكر فيها آثارهم وأفكارهم فتحيي بسلها هذا شعورا يهب بابنائها الى الرقي ويربأ بهم نحو العمران . وقد تفنن الغربيون في احياء ذكر عظمائهم وتجديد مع علمائهم ومخترعيهم وقوادهم فتراهم يسمون الشوارع والبواخر والسفن الحربية باسمائهم أولئك

العظماء وينصبون التماثيل كل منهم في الازقة والشوارع حتى انه لا يكاد يخلو شارع من تمثال عظيم ، وبهذه الواسطة وبمثل هذا التشجيع يعكف رجال الغرب على العمل دون كد ولا ملل . والقوم كلهم ما بين مستحسن ومشجع حتى يصل واحدهم الى غايته وينتهي الى أمله. أما الامم الشرقية فانها واخواتها الغربية على طرفي نقيض وقد أبدع حافظ ابراهيم في هذا المعنى اذ قال : ينبغ النابغة فينبعث أشقاها للطعن عليه فلا يزال يكيد له حتى يبلغ منه، ويكتب فيها الكاتب فينبري له سفيها فلا يفتأ ينبح عليه حتى ينشب فيه نابه، ويفسد عليه كتابه، ويشعر فيها الشاعر فيحمل عليه جاهلها فلا ينفك عنه حتى يغلبه على أمره ، ويقهره على شعره : فكيف بعد هذا تزكوا لنا حصاة وتصل لنا قناة

اما بعد اعلان الشورى في بلادنا فقد تغيرت أخلاقنا وتحسنت علائقنا وأصبحنا نعترف للفاضل بفضله — اللهم الا نفر قليل من طبقة الدنيا — وانصع دليل لتأييد هذه القضية هو احتفالنا بتأبين المرحوم السيد حسين واحياء ذكرى له تنويها بنجابته ونبله ، واعترافا بادبه وفضله، وانني أبها الاخ السيد احمد (١) لا اعزيك وحدك بفقد المرحوم بل أعزي النابتة العربية جماعها لانها فقدت به أخا كريما وشهما عظيما

فاصبح في لحد من الارض ميتا　　وكانت بحيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض　　فحسبك مني ما تجن الجوانح
فما أنا من رزء وان جل جازع　　ولا بسرور بعد موتك فارح
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها　　فقد حسنت من قبل فيك المدائح

﴿ تأبين أمين بك طليع ﴾

وقال امين بك طليع

اذا مت فانعيني بما انا اهله　　وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

بيت قاله طرفة بن العبد صاحب المعلقة المشهورة منذ جيل ونصف جيل

اقدمه مقدمة لكلامي

(١) يعني شقيقنا السيد احمد حمدي رضا وكان حاضر الحفلة

الاسيف مكلف لكلمة عامة وهي اضمن ما يمكن ان يكلف به عاجز مثلي مع من سمعتم وتسمعون من فضلاء الشعراء ومشاهير الكتاب . خصص كل منهم نفسه بما عرفه في الفقيد رحمه الله واختبره فيه من الاخلاق والمعارف والمبادي والسياسة وترك لي تقديم صورة اجمالية لاجاريهم في الموضوع أو بالحري كي لا احرم من قليل منه في جانب ما أصابني من كثير الاسى والحزن

قيدنا العزيز المحتفل بتأبينه هذه الليلة السيد حسين وصفي رضا سليل العترة الحسينية الطاهرة وفرع الشجرة الزكية الزاهرة شاب كان في ريعان الصبا ومقتبل العمر، نبت في بيت الحسب، ودرج من مهد الفضيلة والادب، فنشأ فاضلا أديبا، ولوذعيا أريبا، وشب عاقلا مفكرا، ووطنيا مخلصا، وشهما اباء، منذ سنوات في بيروت وهو على أهبة السفر الى القطر المصري لاحقا باخيه المصلح الشهير العلامة السيد رشيد وصحت بيننا قواعد المودة وتوثقت عرى المصافاة فعرفت منه حرا متطرفا لكنه كانت الحرية جريمة لا تغتفر، وجرئيا مقداما لا تأخذه في الحق لومة لائم ايام كانت الجرأة جزاؤها البوسفور، ينحي باللائمة على دولة الظلم ورئيسها وعملها في قمص بلاد الظلم . ثم رأيته في مصر بلاد الحرية بلاد النور فرأيته حرا رزينا يدرك ان حرية الشخص تنتهي حيث تبتدي حرية شخص آخر، وحادثته هنا وهناك قبل الدستور وبعد الدستور فاذا هو هو : صحيح المذهب فصيح اللهجة اذا روى ابدع، واذا جادل اقنع، واذا استوعي استمع، حاد الذهن نازه النفس شديد التمسك بنواهي الدين الحنيف مع تسامح نادر المثال مع مخالفيه، وتساهل فيما يعرفه من ملكات اصدقائه ومحبيه

لا أنسى ولن أنس أياما معدودات قضيناها هذ الصيف في جبل لبنان حيث الهواء عليل، والنسيم بليل، والماء سلسبيل، وهو بيننا ـ والهف قلبي عليه ! ـ الدين لا يستقل رشده، والاخلاقي لا يمج نصحه، والنديم لا يمل مجلسه.. لقد كادت تخنقني الزفرات اوزعني اللهم صبرا . . . الصحف والمجلات تشهد أنه رحمه الله افاد الادب باجتهاده، وخدم الوطن بعلمه وجهاده، ودافع في سبيل الشهامة بسعيه ثم ـ وأسفاه! ـ بدمه ... ـ شلت يد القاتل ـ لو سرت مع العواطف لبكيته بكاء الخنساء على صخر،

ولو ثيته بكل قصيدة عصماء بكل مبتكر من الشعر ، ولا أغزر من عبرات يذرفها الصديق المقيم على الصديق الراحل ، ولا اجزل من عبارات يرثي بها الاخ المرحوم الراثل . ولكن عفوا ! فلا اروع هذه الشعائر الرقيقة والقلوب الكريمة (مع ما تعانيه) بمظلوم يستر عقد الدموع ، ومشور يذكي نارا بين الضلوع ، ولا احاول تجسيم الرزء وتعظيم المصاب فان الرزء في نفسه لجسيم والمصاب لجليل

أما ترى البدر إن تأملت والشـ　　ـمس هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك ينحو　　بالمصاب العظيم نحو العظيم

ولا أسهب في بيان الخسارة وكلكم تعرفون ان هذا الوطن العزيز لفي أمس الاحتياج الى أديب مع كثرة الادباء ، وفي أشد الافتقار الى حر مع قلة الاحرار يخدمه ويعلي من شأنه وكلكم تشعرون ان هذه الفئة - فئة الأدباء والمتنورين - سلسلة مرتبطة الحلقات تعوزها حلقة تزاد وهي بالطبع تكاثر حلقة تفقد . قلت اذا «مت» الخ ...

شاعر الجاهلية - وعصره عصر يكرم النابغين ويعظم المتفوقين - عرف ان الشرق والشرقيين لا يحفلون بغير وجيه حي ومفر متحرك يعظمونهما ويمجدونهما ولا يبالون بغيرهما كم حكم يقدسونه ويحرقون بين يديه الطيب ويجرون على أقدامه المباخر وكأنه أدرك بتلك الألمعية - مما كان في زمنه من اجلال العلماء والشعراء - أن العالم والشاعر والاديب قد يحتاجون بعد مفارقة هذه الحياة الدنيا الى من يذكرهم أثرا ويذرف عليهم دمعة ويستمطر رحمة مثال امه أو زوجته أو نصيفه (لا يحضرني من هي) بان تحيه بما هو عليه من ارجحية نادرة وبلاغة معجزة وشاعرية فطرية وطلب اليها أن تشق عليه الجيب .

فمسكين هو النابغة في الشرق ومسكين هو الاديب يضحي نفسه ليفيد ويحرق دماغه لينير ، يقضي العمر في جهاد مر ، وعناء مستمر ، فلا مادة يصيب ولا نفس ينال واذا هو مات فلا ينعى ولا يشق عليه جيب ولا يكون غير سكون دائم على جسم هامد تذل بقياه على ما عاناه من التعب وما تكبده في دنياه من النصب

بيد ان أدباء بيروت ولبنان انتبهوا منذ عشرات من السنين الى حظ

الاديب من دنياه مادة فعمدوا الى اقامة مثل هذه الحفلات تقال بها كلمة وتذرف دمعة وهي أقل ما يكافأ به أديب ميت ، وأفضل ما يشجع به أديب حي فحيا الله هذا الشعور .

ان الانسان ثلاثة على حد ما قيل: واحد يمر في هذه الحياة ولا يبقي بعده أثرا كما يمر العصفور في الهواء أو السفينة في الماء ، وواحد يمر كما يمر الطيب في القارورة يبقي بعده ريحا طيبا لا يذهب بعد ذهابه ، وواحد يكون دعامة بنيان عظيم فاذا ذهب سقط ذلك البنيان

اخونا حسين وصفي رضا مثل كل اديب مرّ في هذه الحياة كما يمر الطيب في القارورة وترك بعده طيباً لا يذهب بذهابه . فانا انعيه بما هو اهله من ادب غض ، ومجد كريم ، وخلق دمث ، وقول هر ، وانشر من اخلاقه ومباديه اريجا يبقى الى ما شاء الله ، واستمطر على تلك الروح الشريفة شآبيب الرحمة والرضوان واسأل لذويه وخلانه ومحبيه الصبر والسلوان ، وللذوات الحاضرين الوقاية من الاحزان .

سلام على روح الحسين ورمسه ... على قبر يارمس انت حجابه
فلا تثقلنه فهو عضب مهند ... ابى غمده الدنيا فانت قرابه
وانت به قارورة الطيب ضمنها ... شمائله ، اخلاقه ، وشبابه
لبسنا عليه الخط ثوب حداده ... وللشرق من حظ الاديب خضابه
فيا روحه انى حللت فبلغي ... مصابك في شرق كبير مصابه
ولا تحرمينا من خيال يزورنا ... فنحن ذووه فاعلمي وصحابه

وبعد تمام الاحتفال ارفض القوم يستمطرون شآبيب الرحمة على تلك الروح الطاهرة ويندبون حظ قومهم ويشكرون للمحتفلين عنايتهم بالفضل واهله اه وهذا ما انتهى الينا من وصف هذه الحفلة اثبتناه ولا تزال تأتينا تعاز ومراث من الجهات البعيدة والقريبة واننا نشكر للجميع تعازيهم ومشاركتنا الحزن من نشرنا له تعزيته ومن لم ننشرها له لكونها ليست على شرطنا لخلوها من ذكر شيء من مناقب الفقيد ـ سائلين الله ان يشكر عنا سعي الجميع والسلام